

١٧١

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المتمم على عجائب بدء المكنون وغرائب الآيات الباهرة

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بمبانيه آمين

الجبر السنان في تفسير

طبع مطبعة

مطبعة طبقات البنان في حلب واولاد وبنو بصرى

و حقوق الطبع محفوظة لهم

و باشر طبعه - محمد أمين عمران

ذى الحجة سنة ١٣٤٨ هـ

﴿ التقاريط ﴾

لما كان هذا التفسير قد قرّظه كثير من علماء الشرق والغرب وأضربوا في مدحه وقد طلب منا الكثير من قرائه درجته في الكتاب رأينا أن نضع في كل مجلد قسماتها بحسب ما يقتضيه المقام ، ونبدأ الآن بما جاء في « المجلة الاسيوية الفرنسية » المطبوعة سنة ١٩٠٨ لتبين بذلك منزلة المؤلف عند علماء أوروبا من حيث العلم والدين . وكذلك ما كتبه الاستاذ مصطفى السقا مدرس اللغة العربية وآدابها بالمدارس الثانوية الأميرية في جريدة المتظم يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٢٣ تقرّظا لهذا الكتاب . ثم نقتبعه بما نشر في جريدة الاهرام يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٦ ترجمة لما دججه البارون (كراديفو) بالفرنسية في كتابه المسمى « مفكر الاسلام » وهالك بيانها بالترتيب مبدؤة بكلمة وجيزة للمصحح :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

جدامن أنزل الذكر الحكيم . واصطفى لفهم أسرار كل حبر عليم . فأخرج من مكنون معارفه ثمين جواهر لآليه . وأظهر من الأصداف دررا غالية بعد أن خفي على ناليه . - وكأين من آية في السموات والأرض يمترون عليها وهم عنها معرضون -

وصلاة وسلاما على ينبوع المعارف ، تليدها والطارف ، سيدنا محمد المحمود وآله معدن الأسرار ، وصحابة العلماء الكملة الأخيار ، وبعد فلما كان تنزيل ربنا لا يدرك كنهه من بنى الانسان إلا الملهمون ، قبض الله جلت قدرته فيلسوف العصر ووحيد الدهر العلامة الحكيم (الشيخ طنطاوى جوهرى) لنشر معارفه الحكمية مصداق - ما فرطنا في الكتاب من شئ - فجدير بأن يتسابق الى الوقوف على بديع ما أبداه من العلوم الكونية والعمرائية كل مسلم محب الاطلاع على سر الكتاب العزيز ، وبذلك فليتنافس المتنافسون ، ونرجوا الله أن يطيل في عمر المؤلف حتى يكمل طبع هذا الكنز الثمين وان يمتع الامة الاسلامية بمؤلفاته آمين

ابراهيم حسن الانبأى

خادم العلم ورئيس لجنة التنضيج

مطبعة الشيخ مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر

﴿ تقرّظ مجلة علمية ﴾

جاء في المجلة الاسيوية الفرنسية مانصه : « الشيخ طنطاوى جوهرى رجل فيلسوف حكيم بمقدار ماهو عالم بالدين ، وبهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أبما موافقة بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور وجدوا على الألفاظ جودا معيبا أدّى الى انحطاط المدارك الاسلامية في الأعصر المتأخرة فاتحطت بذلك الأمم الاسلامية ، فهذه المباحث يخاطب المؤلف الأمم الاسلامية عموما وعشاق البحث من كل أمة ، ويحاول إزالة الغشاوة عن أعين الأمم الاسلامية وتحرير عقولهم من الجلود النخيم عليها في جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى انه لا يخص مذهباً دون مذهب ولا مملكة دون مملكة بل انه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى نخلة ببلاد الشرق لأن بحثه عام في الكائنات ونداءه عام حتى يلتحق الشرق الأدنى بالأمم الغربية في المعارف والعلوم والمدنية والحضارة » اهـ

﴿ تفسير الجواهر ﴾

اليوم فرغت من قراءة قسم كبير من ذلك التفسير الجليل للأستاذ الفاضل « الشيخ طنطاوى جوهرى » وفى نيتي أن أعود إليه مرة أخرى ورمعت إليه أكثر من مرة لأن الأثر الذى تركه فى نفسى حبيب الى أن لا أفرغ منه ، أحب أن أقرأه مرات كثيرة لأنه يعيد على الذاكرة ذلك الدرس النافع الذى كنا نتلقاه فى دار العلوم عن ذلك الشيخ الجليل ، بل الفيلسوف الكبير

كان الأستاذ يلقى علينا درسا فى تفسير القرآن الكريم ، ولم يكن تفسيراً بالمعنى الذى اصطلح الناس عليه فلم يكن الشيخ عن يذهبون بعيدا فى تأويل الألفاظ وتحميلها ما لا تعمل من المعانى التى سماها غلاة الصوفية بالمعانى الباطنية والاشارات الرمزية ، ولم يكن ممن يعبئون بسرد مذاهب أهل النظر والعقائد من سنية ومعتزلة وخوارج وشيعة وجبرية وقدرية وغير أولئك من الفرق والشيع ، ولم يكن بالمباحث اللفظية التى امتلأت بها كتب كثير من قدامى المفسرين حتى أصبحت عائقا عن فهم معانى القرآن الذى أنزل بلسان عربى مبين لقد كان الأستاذ يسلك فى تفسيره غير تلك الطريق التى سلكها المفسرون من قبل ، فكان يفسر القرآن كما كان يفهمه الصمدون من علماء المسلمين فى العصور الزاهية . وكان يفسر القرآن مبينا ما اشتمل عليه من الاصول لنهضة الأمم وحياتها ، وكان يفسر القرآن بذلك الروح الذى سرى فى علماء المسلمين يوم كان الاسلام قويا وكان علماءه مسموعى الكلمة فنهضوا بأمتهم نهضة مباركة

عرفنا مما أتى علينا الأستاذ خلاصة فكره فى تفسير القرآن وهى أن الدين الاسلامى منبع لسعادتى الدنيا والآخرة ، وأن المسلم يجب عليه أن يصلح حال دنياه مع سعيه لصلاح آخرته وأن كل تقصير فى الوسائل التى ترقى الناس فى دنياهم يكون سببا فى انحطاطهم وتسجيل الشقاء عليهم ، فكان كل ما يلقى تطبيقا على هذه الفكرة التى امتلأت بها نفسه . فكان نسمعه يشرح لنا العلوم الاسلامية والكونية والسياسية والاجتماعية التى بها تنهض الأمم وترقى . ويبين سنة الله فى الأمم التى بادت بما ظلمت وهلكت بما أسرفت . ويحذر الأمم الحاضرة أن تسلك مسالكهم أو تأخذ أخذهم فتصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريبا من دارهم

وكنا نراه يعنى بالرقى الحسى والمعنوى الذى نالته أمة الحضارة . ويبين انه قائم على أسس من العلوم والفنون التى أهلها الشرقيون . وينبه الغافلين الى وجوه المدنية الصحيحة ويحثهم على التعلق بأهدافها . تلك كانت طريقة الأستاذ فى تفسيره الشفهى الذى كان يلقى على طلاب دار العلوم . وما كان أسعد دار العلوم بما أغرس الأستاذ فيها من مبادئ الحكمة الرشيدة . وما كان أشد غبطة طلاب دار العلوم بذلك الدرس الحى الذى ملأت قلوبهم روعته ونفذت الى أفئدتهم حكمته

ولقد رأى الأستاذ أن ما كان ينتفع به الطلاب فى دار العلوم جدير أن ينتفع به كل مصرى بل كل شرق فشرع يحرق تلك الحكم الغالية ثم طبعها وأهداها الى أمته التى يتفانى فى حبها والعمل لانقاذها ، ولقد مضى على الكتاب العزيز نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن وضع العلماء فى خلالها مئات من كتب التفسير ولكن ليس بينها (فيما أعلم) مثل هذا التفسير الجديد . ولم أعلم أن أحدا من المفسرين حاول وضع مثله أو حدث نفسه به

أقول ذلك وقد قرأت فى كثير من كتب الغابرين فلم أر بينهم مفسرا كان همه أن يطبق ما فى الكتاب العزيز على الحياة العامة للأفراد والجماعات وسنن الله فى الكائنات والتدبير فى نظام الأرض والسموات وما فهما من آيات بينات كما فعل أساتذنا الشيخ طنطاوى فى تفسيره الجديد لست مبالغا أيها القارئ فيما أقول . وهاهو الكتاب على كتب منك . خذ وتدبر ما قال مؤلفه تر أن

الكتاب فوق ما أصف لك وأن مؤلفه قد رزق من التوفيق حظا كبيرا - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم -

سترى (إذا قرأته) أنك تقلب النظر في روضة علوم أحكم غرسها ونسبها الفحول من علماء الشرق والنايغون من فلاسفة الغرب

ترى فيه جمال الاسلام ونصاعته وأنه دين الفطرة الذي يلائم روحه كل زمان وأنه الدين الذي رفع أمة الاسلام لما أخلصت الى حيث غاية الهمم ومنتهى الآمال وأنه الدين الذي يقبس من نوره اهتدى ناس من أهل الغرب فنالت أمتهم من سعادة الدنيا حظا موفورا وقسطا كبيرا

ترى فيه المذاهب الجديدة والأفكار الحديثة في تطبيق العلم على الدين . وترى صاحبها تارة معلما للنبات يشرح خصائصه . ودارسا للحيوان يعدد أنواعه وفصائله . وتراه تارة فيلسوفا دينيا . وصورا زعيما سياسيا . وآونة شاعرا يخلق بك في سماء الخيال ، وأخرى كاتباً بالفاظ من السحر الحلال وعلى الجلة ترى نظام العالم مشروحا وأسرار الأرواح محققة ومحجائب الكون مفصلة وسنن الوجود مبينة وآيات الله في الخليقة واضحة

وخلاصة القول أن تفسير الاستاذ الشيخ طنطاوى هو طرف لتجربة دامت نصف قرن قضاه مؤلفه بين طلب العلم في الأزهر الشريف ثم في مدرسة دار العلوم وتدرّس في المدارس المصرية على اختلاف درجاتها واطلاع واسع على الأفكار الناضرة بين فلاسفة الشرق والغرب ومعرفة بأعراض الأمم الاسلامية والشرقية عمّة وخبرة بما تتطلبه حاجتها إبان نهضتها . فلئن كان الاستاذ قد وفق الى وصف العلاج الناجع لما نحس من الآلام لقد كان نتيجة تلك التجربة الطويلة والغسيرة الشديدة على الشرق وعلومه التي نسبت ومدنيته التي محيت ، ورجاؤنا الى الله أن يمد في عمر الاستاذ ويبارك فيه ليطول به الامتاع ويم الانتفاع ان شاء الله تعالى

مصطفى السقا

مدرس اللغة العربية بالمدارس الثانوية الأميرية

المفكرون في الاسلام (١)

أبرز لنا الشيخ طنطاوى جوهرى المصرى الجنس كتباً كثيرة فلسفية دينية وهو روح قوية مفيدة ملك النوق العلمى ويشعر بنشاط قوى وحاسة بما فى الأمم الاسلامية من النقص الشائن الذى حطّ من كرامتها في عيون أمم الغرب ، ويجتدى بث فكرته ونشاطه وحاسته بين معاصريه فى أقطار الاسلام ليبرهن لهم أن اكتساب العلوم ليس مما لا يضاف الاسلام لحسب ، بل ان العلوم مجددة لشباب الاسلام معطية له قوى جديدة . وينبئن من كلامه انه رجل السلام والانسانية الراغب فى أن يرى المودة مشيدة الصروح بين الأمم معتقدا أن الديانات تسمى لنشر هذه المودة العامة كما يظهر من ناحية أخرى انه مخلص صادق أمين . وهذا الحكم استنتجناه من أسلوبه السهل المنتعش الحياة العالى النادر الوجود . وبالجملة فالاستاذ يتجلى فى نفسه من كلامه بهيئة محبوب ذات روح لطيفة وشخصية بارزة

فسر القرآن بطريقة فريدة تستحق الاحترام والاجلال شائقة جديدة ومع ذلك لم يشذ فيها عن آراء المتقدمين . وابتدأ بهذا التفسير وهو مدرس بدار العلوم . وكان يلقى على تلاميذه تفسير بعض الآيات وتلفنته جميع الأقطار الاسلامية وانتشر فيها أى انتشار . والصفحات الأولى منه تريك حجة واضحة وآية ظاهرة وقوة

(١) فصول مستخرجة من كتاب «مفكرى الاسلام» للعلامة البارون (كارادى فو) وهى تعريب النص الفرنسى بالحرف من صفحة ٢٧٥ الى صفحة ٢٨٤ بعنوان المفكرين فى الاسلام وذكر منهم فيه بمصر ثلاثة : رفاعه بك والامام الشيخ محمد عبده والاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى

قاهرة تحت على مطالعة العلوم الطبيعية . وقد وضع المؤلف موازنة بين العلوم الطبيعية التي شغلت أذهان منكرى الاسلام والعلوم النقية . ويقول : « إن القرآن لم ينصح بمطالعة العلوم الطبيعية فقط بل جعلها في المكان الأعلى فوق العلوم الأخرى » وفي القرآن كما يقول الاستاذ (١٥٠) آية تدل على العلوم النقية مع أن فيه (٧٥٠) آية تدل على العلوم الطبيعية وهذا حساب غريب جدا ، ولكن هذا الحساب مزين بالجمال وهو خير مشجع لقراءته ، وهو يقسم العلوم الى قسمين : العلم الأول وهو كل العلوم الطبيعية على الآفاق والأذس بحسب هذه الآية - فريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - . والعلم الثاني هو علم الفقه ، وجاء في القرآن - الحمد لله رب العالمين - وأيضا - قل انظروا ماذا في السموات والأرض -

قال : فنحن معاشر المسلمين يجب علينا أن نقرأ عجائب الخلق كما نقرأ الفقه ، وبهذه العلوم الكونية نعرف جلال الله تعالى وجلاله فترقى في الفنون والصناعة والزراعة والتجارة ، بهذا أدعو جميع الأمم الاسلامية الشرقية منها والغربية والأفلاهاذا يقول الله تعالى - ليظهره على الدين كله - ! وكيف لا يكون الاسلام فوق الأديان وهو الذي أوجب مطالعة العلوم الكونية مع ان الديانات الأخرى قصارى أمرها ألا تتعرض لبثها ، والعجب كل العجب أن الاستاذ لم يقتصر بمهارته الفائقة على الحث على مطالعة العلوم الطبيعية بل أيدها بالآيات القرآنية المقدسة وهو دائم الوثوب قوى المهجوم بديع الاسلوب

يقول : أنذر المسلمين اذا لم يعملوا أن تغناهم غاشية من عذاب الله كما غشيت عادا وثمود ، وقد ابتدأت تظهر الدلائل وأدركها المسلمون وهي تلك الطيارات القاذفات القنابل على القرى والشيخ والأطفال ، إن علوم الطبيعة محققة مكشوفة واضحة لا يتورها اختلاف

ليفسر علماء الاسلام للمسلمين عجائب الشمس والقمر والزهر والخمر وعجائب المعادن والنبات وحينئذ تكون المذاهب الاسلامية كلها تدرس علوما متحدة فيرى السني والشيعة والزيدى أنهم جميعا متفقون في جميع علوم الكائنات التي هي الغذاء لنوع الانسان ولا يكون اختلافهم إلا في علوم الشريعة التي هي كالدواء وما أقل الدواء بالنسبة للغذاء ، الانسان لا يعيش إلا بالغذاء ولا يستغنى عنه أما الدواء فانما يكون وقتا دون وقت - أيها المسلمون : اطلبوا علوم الغذاء وعلوم الدواء أي العلوم الكونية والعلوم الشرعية وجميعها يطلبها القرآن وقد اعتنى بعلوم الغذاء أشد من عنايته بعلوم الدواء ، فإلى أراكم عما قدمه الله معرضين وعلى ما أخره الله عاكفين ؟ قدم تربيتة للعالمين ورجته للمخلوقين على العبادة وهدايته للصراط المستقيم ، لقد ساءنى والله ما أرى من أعراض بعض علماء الدين عن عجائب الخلق ، كنت أود أن أرى أولئك الذين تزحوا الى أوروبا بعلم الطبيعة مغرمين ولعجائب الخليقة مسارعين ولكن رأيتهم منصرفين الى الوظائف الوقتية والأعمال الادارية ومارأت واحدا منهم بالعلوم الكونية مغرما فغشابه في بلادنا العلماء الدينيون والشبان الذين هم للسكون دارسون فالأولون على أحكام الفقه مقتصرون وهؤلاء بالوظائف قانعون وكل حزب بما لديهم فرحون إلا قليلا من الفريقين نالوا حظا عظيما ، قال الله تعالى - وقليل ما هم - وقل - وقليل من عبادى الشكور -

ولا يقتصر الشيخ طنطاوى على الحث والتعريض بل يورد الوعظ بالبرهان بل يؤيد الوعظ بالبراهين ويضرب الأمثال إنه في السطور الأولى من الفاتحة وهي السورة الأولى من القرآن هجم هجوما شديدا وأظهر مقصوده من تفسير القرآن بوضوح تام وقم في ذلك مقام العلامة القزوينى مؤلف (عجائب المخلوقات) ولكن الشيخ طنطاوى قزوينى العصر الحاضر منه استمد علمه لامن القديم

فقل هذا الكتاب المملوء حكمة وعلماء الفيزياء المادى السامى الفكرة الناتج من تفكير عميق وبحث يقل نظيره يدعو دعوة حارة الى سعادة الأمم أجمعين . ويدعو أيضا بالحجاسة الشديدة الى التجديد العام وهو مفخرة لمصر والاسلام وجدير بالاحترام

١٧١

الجزء الأول

في تفسير القرآن الكريم

المجلد الأول

تأليف

الأستاذ الحكيم شيخ طنطاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بحياة آمين

الجزء الثاني

طبع مطبعة

مطبعة البستاني في بيروت

وحق الطبع محفوظ لهم

وباشر طبعه - محمد أمين عمران

ذی الحجة سنة ١٣٤٨ هـ

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة فاطر

(هي مكية)

(آياتها ٤٥ - نزلت بعد الفرقان)

(مقدمة في مبادئ السور)

لقد اتصلت هذه السورة بالسورة التي قبلها فانه جاء في آخرها - وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل انهم كانوا في شك مرعب - فهو لاء شاكون في أمر البعث وقلوبهم محجوبة ونفوسهم محبوسة ، وذلك لأن النفوس الضعيفة التي نزل الى هذا العالم ولم تستعد بعد الى فهم العالم اللطيف والملائكة والأرواح والبعث والحشر ، تكون كل آمالها موجهة الى عالم المادة فلا تبغى به بديلا
فإن ابتداء هذه السورة مبشرا المطيعين بالملائكة الذين هم يشيرونهم عند الموت ويوم القيامة ويحبونهم ويلهمونهم مدة الحياة بالحيوات لأجل استعدادهم

ابتداء الله سورة الفاتحة بأن الحمد لله لتربيته لجميع العوالم وفي الأنعام بتفصيل العالم المادى الى ظلام وضياء ولطيف وكثيف وفي الكهف بالتصرف في العالم العقلي بالديانات وانزال القرآن لتجعل للقلوب وجهة شريفة كما ازدانت المادة بالأنوار في سورة الأنعام وفي سورة سبأ بأن العالم المادى يتصرف فيه من حيث النتائج الحاصلة فيه لإدخالها وإخراجها في الأرض وتبيننا للتنوع والتفنن في المادة بالأشجار والأزهار والنعم التي لانهاية لها ولا حد لأقصاها وتسخير الأولين لنفع الآخرين كنزاً في الأرض ودفناً في الثرى وبنينا في العصور القديمة ثم ظهوراً في الأجيال المتأخرة . وهكذا عالم السماء فيه التصرف المناسب له . ثم أبانه أيمانا تبيان في هذه السورة . فكما كان الإدخال في الأرض والإخراج منها بعضه من فعل الانسان الأول للانسان الآخر في سبأ

هكذا في سورة فاطر يكون صعود الملائكة الى عالم السماء ونزولهم الى عالم الأرض نفعا للعباد وتسخييرا لمنفعتهم بالتدبير في النظام وتبليغ الوحي والالهام . وكما يختلف السكانون من نوع الانسان والمؤلفون والمعلمون الاول في آرائهم وعقولهم وآثارهم يختلف الملائكة في درجاتهم ومقدار قوتهم . ولا يعرف الناس ذلك إلا بمقياس وهو الطائر ذو الجناحين وذو الأربعة وفوق ذلك

فتبين من ذلك أن الحمد في الفاتحة على مجمل وفي الأنعام لتفصيل الكفيف واللطيف وفي الكهف لتزيين العقول بالعلوم كما زينت المادة بالعجائب البهجة وفي سبأ بأنواع الجبال الأرضي من نبات وغمر وبما خزن الأولون للآخرين من مال وكال وفي سورة الملائكة بنهاية النهايات وزينة الأرض والسموات وهو عالم الملائكة الذي اليه تتجه الأنظار بل هو مرمى أهل الجنة ليتخلصوا من المادة ويصلوا الى مقام الكمال فكأن العالم المجمل في الفاتحة فصل بعدها في الامور المادية وفي العقلية وانتهى بأرقى العقلاء وهم الملائكة وليس بعد ذلك من نهاية لنوع الانسان . ولذلك يقول تعالى في سورة سبأ - وله الحمد في الآخرة - ومعلوم أن الحمد لا يكون إلا على النعم ولا تعرف النعم إلا بالعلم وقد ذكر العالم المادى والمعنوى في الحمد المختلفة كأن الانسان لا يصل الى العالم الأعلى عند مدرة المنتهى ويشاهد عالم الملائكة إلا بعد المرور على درجات هذه العوالم دراسة وتفكيراً ثم ينتهى الى عالم الجبال . انظر هذا الترتيب . انظر كيف أخر هذا المعنى الى سورة الملائكة . انظر كيف لم يذكره في سورة الفاتحة ولا في سورة الأنعام ولا في الكهف ولا في سبأ بل ألمع في سبأ الى أن الحمد لله في الآخرة وحده وأظهر المقصود في سورة فاطر . واذا شئت منهجاً آخر في هذا أخصر أقول لك : الحمد في فواتح السور جاء لمقدمتين وخاتمة المقدمة الأولى : حمد على نعم ظاهرة في العالم المشاهد في الفاتحة والأنعام . المقدمة الثانية حمد على نعمة العلم والحكمة في الكهف وعلى حسن الترتيب في انتقاله من الأولين الى الآخرين ومن العلماء للجهلاء فان بعض ما يبلغ في هذه الأرض الإلهامات للعقلاء والوحي للأنبياء وبما يخرج أنواع الأعمال الصالحات والمنافع العتمة التي بهازينة الدنيا . فأما النتيجة فهي العوالم المقطورون على الحكمة والعلم إذ هم الذين بهم ينزل العلم والوحي في الأرض ويخرج للفوائد العتمة وهم ينزلون من السماء بالعلوم فيلهمونها للناس ويعرجون بأعمال الناس . فالولوج في الأرض والخروج منها نتائج النزول من السماء والصعود فيها من حيث التأثير ومقتضات من حيث الدرس والتفكير . فالعوالم السفلية نتائج العوالم العلوية من حيث النظام ولكنها لا يتوصل اليها إلا بعد المرور على العوالم السفلية طبقة طبقة فندرس العالم المشاهد كما في الفاتحة والأنعام ثم العالم المعقول بالتفكير ونترك آثاراً لمن بعدنا وحينئذ نستحق الرقى الى عالم السموات مع الملائكة

هذا ما حضرنى في نظام هذه الآيات بالنسبة لما قبلها من الحمد في أوائل السور . فانظر مناسبتها لما بعدها في هذه السورة . فانظر كيف يقول سبحانه - اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - ثم انظر كيف خصّ خشية الله بالعلماء الناظرين في السموات والأرض والأنوار والجبال . ثم أوضح درجات العاملين فمنهم المقصد والمتوسط والسابق . ولا ريب أن السابقين هم المقربون في جنات النعيم والقرب انما يكون بالعلم والعمل جعل الله الذين ورثوا الكتاب ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ وجعل الملائكة ذى أجنحة مثنى وثلاث ورباع . فذكر ثلاث درجات أيضاً وأعقب ذلك بأنه يزيد في الخلق ما يشاء وانه اذا فتح للناس رجعة فليس يمسكها أحد . فلا ملائكة درجات وللذين ورثوا الكتاب درجات والدرجات ليست واقفة عند حد فان باب الزيادة مفتوح لمن هو أهل من نوع الانسان . إن ذكر الملائكة في أول السورة مقدمة لصعود الكلم الطيب ورفع العمل وارتقاء درجات المؤمنين كما تتابعت درجات الملائكة . إن عالمنا الذي نعيش فيه عالم دراسة فليدرس الناس في الدنيا وعلى قدر دراستهم يكون مقامهم بعد الموت . أفلم ينظر الناس كيف كانت الأمم تعلم التلاميذ في المدارس واذا أتموا دروسهم وضعوهم في أعمال تناسب ما كانوا يدرسونه . ومماثل الناظرين في العوالم المادية والمعنوية المذكورة في أوائل

السور المبدوءة بالمحمد وفي الآيات الآتية في هذه السورة المحيية للنظر في اختلاف الألوان في الجبال والحيوان والانسان إلاكثل التلاميذ الذين يدرسون في المدارس السياسية ليعرفوا نظام الممالك وسياستها ثم يكونون من رجال السياسة ، هكذا هؤلاء الحكماء والمفكرون اذا ماتوا كانت نفوسهم عاكفة على ذلك الجبال ومحجائب العالم كأنهم ملحقون بالملائكة ينظرون في التدبير العام الإلهي مفكرين في جبال فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا الخ . انتهت المقدمة

﴿ تقسيم السورة ﴾

فلأجعل الكلام على هذه السورة في ﴿ ثلاث مقامات ﴾ : المقام الأول في تفسير البسملة ﴿ المقام الثاني ﴾ في تفسير الألفاظ ﴿ المقام الثالث ﴾ في تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها

﴿ المقام الأول ﴾

(في تفسير البسملة وقوله تعالى - إن ربنا لغفور شكور - وقوله - والذي أوحينا إليك

من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده خير بصير -)

لقد يبدو للنظر أول وهلة أن هنا تباعدا فيما بين هذه الثلاثة وهي البسملة والآيتان بعدها وانها ليست في مقام واحد وأنا أشرح المقام شرحا تاما فأبين أولا كيف يكون الله رحما وغفورا وشكورا وخيرا وبصيرا مع ان العبد يكون كذلك فهو رجم رحمن وخير وبصير وغفور وشكور ، ثم كيف كان اشتراك الخالق والمخلوق في الاسم اشتراكا لفظيا اشبه على الجهال من المبتدعة في الأمم الاسلامية فضلاوا باعتقادهم الالهية في بعض أناس من الأئمة كما تقدم في هذا التفسير ثم كيف كان الاسلام هو الممحص للحقيقة وحده ومظهرها وحدانية الإله موافقا في ذلك حقائق الديانات القديمة مخالفا لظواهرها ، وكيف كان هذا الموضوع مما يجب ايضاحه لأنه ألبس على كثير من جهلاء المسلمين وبعض خاصتهم

لقد تقدم في أوائل سورة الروم ولقمان والسجدة عند تفسير البسملة تفسير موجز لبعض أسماء الله الحسنى وأن اشتراك الأسماء بين الخالق والمخلوق لم يكن إلا بالاسم فان صفات العبد لامناسبة بينها وبين صفات الله والأسماء دالات على صفات فالاشتراك لفظي لا غير وهذا واضح هناك وضوحا تاما ، ولكني أريد أن أبين هنا أمرا لامناص لي من تبياننا لأن الأمم الاسلامية اليوم يتناقل فيها الناس أقاويل عن الصوفية ملتبسات مهوشات على العقول مشيرات للشكوك وكثير من الصالحين الجهلاء يوجهون وجوههم تلقاء أناس مشهورين فيعتقد فيهم كأنهم غياث لهم وملجأ وكان الربوبية حلت فيهم وانتهت اليهم كما هو مشهور ومذكور فأقول : يروى في الآثار المنقولة « تخلقوا بأخلاق الله . إن لله كذا وكذا خلقا من تخلق بواحد منها دخل الجنة » ويقول الشيخ أبو علي الغارمدي ان شيخه أبا القاسم الكركاني قال : « إن الأسماء تسعة والتسعين اسما تصير أوصافا للعبد وهو بعد في السالك غير واصل » وقال بعضهم « أنا الحق » وقال أبو يزيد البسطامي (إن صح ما روى عنه) « سبحاني ما أعظم شأنى » . ويشاع على ألسنة الناس أن الاستاذ الأكبر (عبي الدين) يقول :

الرب عبد والعبد رب . فليت شعري من المعبود

وأمثال هذا كثير ينقل عنه . ولقد اعتقد كثير من الفرق الاسلامية في بعض الأئمة من آل البيت الالهية وتقدم في هذا التفسير أن الصوفية في آخر أمرهم مالوا الى التشيع وتدخلوا مع الامامية وهناك اعتقدوا اعتقادهم كما قدمته في هذا التفسير . فهذه مجامع المصائب التي حلت بهذه الأمم الاسلامية وهي التي أضاعت العقائد وأوجبت التعريق . فأنا الآن أبين الحقائق تبينا واضحا وأشرحها شرحا وافيا بمعونة الله عز وجل فهو الذي وفقني وهو الذي شرح صدرى وهو الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدى لولا أن هداني الله فأقول :

إن كل علم لا يبحث عن تاريخه فهو قليل الفائدة يحفظه الناس ولا يدركون سوءه ولا يسبرون غوره .
ومسألة الله وخلقه والرب والعبد قديمة العهد منذ الخليفة . فهل لك أيها الذكي أن أحدثك عنها حديثا جيلا
يشرح صدرك لتعلم أن ما دخل على عقول المسلمين حديثا لم يكن رمية من غير رام ، بل إن المسلمين لما خاطبوا
الأمم قرؤا علومهم فنقلوا فلسفتهم وعقائدهم وهناك تدخلت بينهم وهم لا يشعرون ، ألم أقدم لك في هذا
التفسير أن علوم الصابئين دخلت في أمم الاسلام حتى ان البوئي أدخل دعوات الكواكب السبعة في دين
الاسلام ووزع آيات القرآن على تلك الكواكب ، ألم أئين لك سابقا أن بعض فرق الشيعة مثل ابن الصباح
القائم في أواخر القرن الخامس عكفوا على حساب الجال وحسبوا آيات القرآن به وأدخلوا حساب الأسماء في
التعاليم والدعوات ولكن ابن الصباح اتخذ له سبيلا آخر تقدم ايضاه ومنع الناس من قراءة العلوم وشوقهم
الى الأخذ عن الامام من آل البيت الى آخر ما تقدم ، ألم أذكرك أن الأوقاف من مثلك ومربع ونخس الى
المتسع كانت تكتب عند قدماء المصريين وبقية الصابئين للتقرب بها للكواكب فنقلها المسلمون الى دين
الاسلام وطبقوها على الآيات ، وهاهي هذه الكتب تباع وتقرأ في أقطار الاسلام وثلاثة أرباع المتعلمين في ديار
الاسلام عاكفون عليها مغرورون بها وهم لا يعلمون أن هذه أديان منسوخة جاهلة ودين الاسلام هو الذي
نزل لا بطلها

إذا عرفت هذا سهل عليك أن تفهم ما سأورد لك من علوم قديمة تناقلتها الأمم جيلا بعد جيل وقرنا
بعد قرن والأمم الاسلامية أدخلتها في الدين وأكثر الناس لا يعلمون ، فهذا كان هو السبب في الانتكاس على
الرأس وسقوط كثير من الأمم الاسلامية في هذه الجهالة العمياء . ومتى عرفت الحقائق في أمثال هذا التفسير
فهناك يكون الارتقاء والسعادة العظمى لأمم الاسلام

اعلم انه لم يبق مجال للرب أن لكل دين قديم (وجهين * أحدهما) سرى والآخرة كدين
البرهية في الهند والهرمسية في مصر والوثنية في اليونان ، فظواهر كل هذه الديانات اشراك وتثليث وطقوس
ورموز صعبة الحل وأصنام وهياكل فهذه الظواهر كلها قد جعلوها للعامة معتقدين أنهم لن يعقلوا إلا المحسوسات
فأما الرؤساء فأنهم جميعا كما دل عليه الكشف الحديث الذي كشفه علماء الفرنسيين والانكليز مجمعون في جميع
هذه الديانات على أن الله واحد سرمدى ، يقول (مانو) الفيلسوف الهندي : « الله هو الكائن بنفسه الذي
لا يمكن أن تصيبه الحواس المادية بل الروح فقط ، وهو المنزه عن أجزاء منظورة ، أولى سرمدى روح الكائنات
الذي لا يمكن العقل أن يدركه على ما هو عليه »

وقال (كولوكا) الهندي وهو من أشهر مفسري أسفار (الفيدا) والأكثر اعتبارا عند الشعب الهندي
« إن الأقدمين مع تأليههم لغوى الطبيعة المتعددة لم يكتفوا يعتقدون إلا إلهها واحدا فقط هو مبدع
وعلة الكائنات وهو أزلي غير هيولى حاضر في كل مكان سعيد (هذه الكلمة لا تجوز في ديننا) منزّه عن كل
كدر وهم وهو الحق بالذات ومنبع كل عدل وحكمة المدبر الكمال والمرتب نظام العالم . لا شكل له ولا صورة ولا
حد ولا نسبة »

وكان من عادة (البراهماتما) عند قبوله التلميذ في الدرجة الثانية أن يقول له هكذا : « تذكر يا بني أنه
لا يوجد إلا إله واحد فقط رب الكون وعلة الكائنات والواجب على كل برهمي أن يعبد في الباطن . واعلم
أن هذا السر يجب كتمه عن العامة والجهلاء وإن كاشفت به أحدا يحل بك البلاء »

ويقولون : « إن الله وحده هو الموجود الحقيقي الثابت الحياة وهو الذي خلق المادة وبث فيها الحياة »
ويسمون هذه الثلاثة : الجوهر (الله) والمادة والحياة ومن هنا نشأ التثليث . فليس التثليث عند تلك
الأمم أن الله ثلاثة بل معناه أن الموجودات كلها ثلاثة : واحد هو الله واثان هما المادة وحياتها . فالمادة

ظاهرة وحياتها لا تكون إلا بنفوس وعقول وهي التي تعبر عنها الشرائع باللائكة
هذه هي علوم الأمم السابقة ، فجها لم كانوا يعتقدون التثليث وقد جاء علم الأرواح الحديث الذي امتلات
به أوروبا فأفاد أن توهم الجهلاء التثليث هو رأى ماذى بشرى لا إلهي ، فالعلوم الروحية اليوم منطبقة على
التعاليم السرية عند الأمم القديمة ومنطبقة تمام الانطباق على دين الاسلام

وبالجملة فالأمم الهندية والأمم المصرية كان جهالهم يكتفون بقشور الألفاظ والأصنام والهاياكل وحكاؤهم
يعتقدون أن الله واحد ويحبونه حباً جاً ويبحثون في أسرار الطبيعة ونظامها العجيب غراماً بربههم الواحد
الأحد ومنفعة لعباده باستخراج كنوز الطبيعة التي يعرف بعضها اليوم نساك الهند في الغابات

هذا ملخص ما عرف في الكشف عن هاتين الأمتين ، فإذا سمعت أن الديانة البرهمنية عندهم مؤسسة
على التثليث وأن (برهم) عندهم هو الأزلي الواحد الأحد المنزه عن المادة وأن (براهما) و(فيشنو)
و(سيفا) صفاته فهو الخالق الحافظ لخلقه المقلب لهم من حال الى حال وأن هذه الثلاثة إله واحد ، فاعلم أن
الكشف الحديث أظهر أن هذا التثليث وإن رجع الى الصفات فليس له وجود ألبنة في (سفر الريحيد)
القديم ، فهو اختراع اخترعه البراهمة ثم جعلوا لكل واحد من هؤلاء الثلاثة هيكلًا خاصاً وعبدوها ثم أكثروا
من الأصنام في بلاد الهند وما جاورها من الصين واليابان لأن عقول الناس إذا أدركت الحقائق لا تنقاد الى
الرؤساء كما ان البهيمه ان لم نضع الغطاء على عينها لا تنتفع بها في ادارة الطاحون ولا الساقية

وإذا سمعت في كلام طيماس الحكيم اليوناني كما تقدم في (سورة الشعراء) تحت عنوان « بهجة
العلم والطب » انه يقول ما نصه : (إن هذا العالم هو إله محسوس على مثال الاله المعقول) وقد قلنا هناك
إن هذه العبارة في ديننا كفر وهو قصد بها أن العالم آثاره وهو يدل على حكمته وقدرته . انتهى بالمعنى
فاعلم أن ذلك القول يقرب من أقوال البراهمة ، وقد قلت لك هنا ان الأمم الاسلامية سرت لهم ظواهر
العلوم والاعتقادات فنطقوا بها تارة واعتقدوها الجهلاء تارة أخرى . فمن قال منهم « أنا الحق » ومن قال
« سبحانه الخ » فليس معناه أن الله هو نفسه عين عبده فان هذه غير معقولة وليس عند أولياء المسلمين
من الأسرار ما ينافي العقل فليس من أسرار الولاية أن يقال باجتماع النقيضين والامحالات العقلية . فهل يقول
الوليّ إن النفي والاثبات يجتمعان . أو يقول : العدم والوجود يكونان معا . كلا . ثم كلا . وإذا قال أبو يزيد
البسطامي « انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فإذا أنا هو » فليس معناه انه هو نفس
الله بل معناه انه انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهما فلم يبق فيه متسع لعبادة الله ولم يكن له هم سوى معرفة
الله تعالى . قال : « فإذا لم يحل في القلب إلا جلال الله وجلاله حتى صار مستغرقاً به يصير كأنه هو لا انه هو تحقيقاً »
قال الامام الغزالي في كتاب « المقصد الأسنى » في شرح أسماء الله الحسنى ، ما نصه :

(و فرق بين قولنا كأنه هو وبين قولنا هو هو . لكن قد يعبر بقولنا هو هو عن قولنا كأنه هو كما ان
الشاعر تارة يقول كأنني من أهوى وتارة يقول أنا من أهوى وهذه منزلة قدم فان من ليس له قدم راسخة في
المعتولات ربما لم يتميز أحدهما عن الآخر فينظر الى كمال ذاته وقد تزين بما تلاها فيه من جليلة الحق فيظن
انه هو فيقول أنا الحق وهو غلط غلط النصارى حيث رأوا ذلك في ذات عيسى فقالوا هو الإله بل غلط من ينظر
الى امرأة قد انطبع صورة ملونة فيها فيظن أن تلك الصورة هي صورة المرأة وأن ذلك اللون لون المرأة
وهيات بل المرأة في نفسها لا لون لها وأشأنها قبول صور الألوان على وجه يتخيل الى الناظرين الى ظاهر
الامور أن ذلك هي صورة المرأة حتى ان الصبي اذا رأى انساناً في المرأة ظن أن الانسان في المرأة ، فكذلك
القلب خال عن الصور في نفسه وعن الهيات وانما هيئته قبول معاني الهيات والصور والحقائق فما يحله يكون
كالتحده به لانه متحد به تحقيقاً . ومن لا يعرف الزنجاج والجر اذا رأى زجاجة فيها خر لم يدرك تباينهما فتارة

يقول لآخر وتارة يقول لازجاجة كما عبر عنه الشاعر حيث قال

رقّ الزجاج وراقّت الخمر * فنشأ بها فننا كل الأمر
فكأنما خسر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

وقال ماملخصه في خاتمة ذلك الكتاب : ^١ وتحقيق الأمر في قول النائل ان معاني أسماء الله تعالى صارت أوصافا للمخلوق لا يخلو من أحد أمرين إما أن تكون نفس أوصاف الله من العلم والقدرة والرحمة والشكر صارت أوصافا للعبد ، وإما أن تكون أمثالها هي التي صارت أوصافا للعبد لا أعينها ، فإذا قلنا بالأول أي ان صفات الله نفسها صارت للعبد ، فهذا لا يكون إلا بالانتقال أي انتقال نفس صفات الله من الله للعبد فيكون هذا العبد خالقا للسموات والأرضين وهو أزلي أبدي عليم بكل شيء مرسل الأنبياء الخ وإما أن يكون بغير الانتقال وهذا يكون بأحد أمرين : إما بالاتحاد أي اتحاد ذات الله بالعبد حتى يكون هو هو فتكون صفاته صفاته ، وإما بطريق الحلول . فهذه الأقسام الثلاثة تفصيل للقسم الأول وهو أن تكون نفس أوصاف الله هي نفس أوصاف العبد . فأما القسم الثاني وهي أن تكون أوصاف العبد مماثلة لأوصاف الرب ، فذلك مماثلة إما مماثلة مطلقة من كل وجه بحيث يكون هذا العبد قادرا على كل شيء مثل الله تعالى ، وإما أن تكون مماثلة عبارة عن الاشتراك من حيث الاسم في عموم الصفات دون خواص المعاني ، فهذان قسمان آخران فتكون الوجود خمسة والصحيح منها واحد فقط والبقية باطلة وهو أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة وتشاركها في الاسم ولكن لا تماثلها مماثلة تامة فبقيت الأربعة الباطلة

(١) فإذا قلنا إن صفة العبد تماثل صفة الرب مماثلة تامة بأن يكون محيطا بجميع المعلومات خالقا لجميع المخلوقات لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم كما أن الله عز وجل حكيم فاذن يكون العبد خالق نفسه لأنه من جملة مافي السموات والأرض ، ثم اذا ثبتت هذه الصفات لعبدان فإن كلا منهما يكون قد خلق صاحبه فكل منهما خالق من خلقه وكل ذلك خرافات وجهالات وترهات

(٢) واذا قلنا إن الصفات العالية انتقلت من الله للعبد فذلك محال عقلا لأن انتقال الصفات على وجه العموم مستحيل وهل تفارق الصفة موصوفها كأن ينتقل يابض زيد الى عمرو وعلم خالد الى ابراهيم ؟ وهل تقوم الصفة إلا بموصوفها ولو أن صفات الربوية انتقلت من الرب الى العبد لصار الرب إذ ذاك ليس ربا لأن صفات الربوية قد فارقت ، فاذن هو رب وليس رب في آن واحد وهو محال

(٣) واذا قلنا ان العبد اتحد مع الرب فعناه أن العبد هو نفس الرب بل ان قولك ان زيدا صار هو نفس عمرو محال واتحاد شيء بشيء محال لأنهما إما موجودان أو معدومان أو أحدهما موجود والآخر معدوم أو بالعكس ولا خامس لهذه الأقسام . فإذا كانا موجودين فستحيل أن يكون أحدهما عين الآخر بل كل منهما موجود وقد يتحد مكان الموجودين وهل اتحاد مكان اثنين يوجب اتحاد الذاتين . كلا . بل كل منهما موجود فن العلم والارادة والقدرة قد تجتمع في ذات واحدة ولا يتباين محالها ولأنكون القدرة هي العلم ولا الارادة ولا يكون قد اتحد أحدهما بالآخر وتكون التفاحة ناعمة ذات رائحة جميلة وهي حراء

فهذهنا صفات ثلاث اختلفت وان اتحد محالها ، فاتحاد المحل لا يوجب اتحاد ما يحل فيه ، فاذن الامور الموجودة يستحيل أن يكون أحد هو عين الآخر وان كان أحدهما موجودا والآخر معدوما ، فلا اتحاد لموجود بمعدوم والاتحاد بين شيئين مطلقا محال فهل يصير هذا البياض أو السواد ذلك البياض أو السواد مثلا كما يستحيل أن يقال ذلك السواد هو ذلك البياض فالشيءان من نوع واحد لا يتحدان كما لا يتحد الشيئان من نوعين مختلفين (٤) وأما الحلول وهو الرابع من الأقسام الأربعة الباطلة فهو أن يقال الرب حل في العبد أو العبد حل في الرب ، تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا ، ولوصح هذا لم يوجب الاتحاد ولا أن يتصف العبد بصفات

الرب فان صفات الحال لا تصير صفات المحل بل تبقى صفة الحال كما كان

واعلم انه لا معنى للحلول إلا بأحد أمرين : إما بالنسبة بين الأجسام وأمكنتها كالنسبة بين زيد ومكانه الجالس هو فيه وذلك لا يكون إلا بين جسمي ومن لا جسم له لا يكون له حلول بهذا المعنى ، وأما بالنسبة بين العرض والجوهر فالعرض لا قوام له إلا بالجوهر كالبياض والسواد بالنسبة للموصوف فيعبر عنه بأنه حال فيه ، ولا جرم أن الله لا قوام له إلا بنفسه ، ولا جرم أن كل ما قوامه بنفسه لا يمكن أن يحل فيما قوامه بنفسه حلول العرض في الجوهر ، فإذا كان العبدان لا يحل أحدهما في الآخر فكيف يعقل الحلول بين العبد والرب تعالى ، إذن بطل الحلول وانتقال الصفات والاتحاد والاتصاف بأمثال صفات الله على التحقيق ولم يبق إلا المشاركة في الاسم فقط ، فالله رحيم وشكور الخ على الحقيقة والعبد كذلك ولكن على معنى الاشتراك في الاسم ثم ان معنى قولهم : ﴿ إن العبد مع الاتصاف بجميع ذلك سالك لا واصل ﴾ فيبانه أن السالك تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف والوصول وهو أن ينكشف له جليلة الحق ويكون مستغرقا به وينسلخ من نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كأنه هو ، والولاية يستحيل أن تخالف طور العقل . وإذا كوشف الولي بأن فلانا يموت غدا فهذا من الممكنات . ولكن إذا كوشف بأن الله يخلق المستحيل فذلك غير ممكن . ومن المستحيل أن أن يكشف بأنه هو صار نفس الله وصفاته كصفاته من كل وجه ﴾ انتهى ما أردته من الكتاب المذكور للإمام الغزالي رحمه الله تعالى مع حذف وإيضاح نارة واختصار أخرى

واعلم أيديك الله اني أطلت الكلام في هذا المقام لأنني أعلم أن الأمة الاسلامية قد دخلت فيها آراء غريبة فلكم سمعت من أناس يقولون إن شيوخنا هم نفس الإله وأذكر منهم رجلا كان معي ببلدة الجيزة يسمى عبد الشافي وله أستاذ كان موظفا بمحافظه مصر . فهذا كان يقول إن الله هو نفس أستاذي فأما نفس الله فلا يعقل أن يكون موجودا إلا على هذه الشريطة . وهكذا نسمع من وقت لآخر أن صوفيا يقول : ﴿ ان شيعي يتصرف في أحوال الناس بل هو الله ﴾ ونسمع أم النصارى يقولون : ﴿ ان عيسى هو الله وأبنا الله ﴾ والأئم المصريون والبوذيون الذين ذكرتهم آنفا كانوا هم أول ناشرين لهذه الآراء عند عاقبتهم وهي مضطربة فاحتطت مداركهم ثم تحولت محوورة الى بلاد الاسلام فاستبدل الجهال من المسلمين جهلاء الشيوخ بالأصنام واستغنوا بالصالحين من بنى آدم عن الكواكب وأصنامها وعن الملائكة . وكل هذه لا تنزع من الصدور إلا بالعلم والحكمة وأمثال ما سطرناه في هذا المقام

هذا واعلم أيها الذكي أيديك الله أن الله عز وجل رتب العالم العقلي كما رتب العالم الحسي وجعل الحسي كأنه نموذج للعقلي (باسبحان الله وبأسعده الله . اللهم إني أحمدك على العلم وعلى الحكمة وعلى التوفيق وأعلن للآء موقنا أن من انجى البك وهو مخلص فانك تعلمه والعلم هو غاية السعادة في الدارين) هانحن أولاء نرى الانسان وأنواع الحيوان درجات بعضها فوق بعض . أفليس الطير والذين يركبون الطيارات قد تمتعوا بالهواء الجليل عند طيرانهم . أفليس في الأرض حشرات دنيئات لا تعيش إلا في التراب وهكذا أمثال الحيات والعقارب والفيران . فهذه مسجونات حقيرات ولكنها من صنعك . كل هؤلاء وهؤلاء يمدهم الله بالعطاء والنعمة ولكن فرق ما بين درجة الانسان والطير في الجؤ و بين درجة الفيران والصراصير في خفيات الأرض . هذا من جهة الأحوال الجسمية . أما من جهة الأحوال العقلية فأننا اذا وازنا ما بين الانسان والبهائم نجد فرقا شاسعا فله عقل ولها شئ سموه غريزة . فكما رأينا البون شاسعا بين مراتب الحيوان فهكذا كان البون شاسعا بين معتقدات طوائف الناس . فمنهم من يرى إلهه حجرا ومدرا . ومنهم من يرتقي قبراء شمسا وكوكبا . ومنهم من يراه فوق المادة . ومنهم من لا يرى إلهها وإنما يرى نفسه فقط وهو الملحد (والعياذ بالله) فكما نبين الحيوان في أحواله الجسمية والفكرية اختلف الانسان وتباين في معتقداته . والبون هناك كالبون هنا شاسع في الحالين

نوع الله الحيوان ونوع المعتدات وهكذا نراه نوع أنواع النبات ولكل فائدة كالسواء وكل غذاء وكالذات كالماء . إن أرضنا والله معرض للصور أوهى صور متحركة (السينما توغرافيا) عالم يشرح صدر الحكيم إذ يراه أمامه صوراً متحركة والجاهل جامد القريحة ، وبينما الحكيم المفكر يفرح بسعة الحكمة في نظام المادة إذ يرى من جهة أخرى أنه عالم متأخر فكان أرضنا جعلت محل تربية لأرواح ضعيفة تباينت أقدارها الناقصة وأحوالها الطبيعية واستعداداتها خشعت في هذه الأرض وريت على مقتضى درجاتها وسبغت على هذه الدرجات وأمرهم والله عجب ، قوم نراهم يسجدون للصنم فعقولهم لم تعرف صفات الله ولكنهم في الوقت نفسه عرفوا نظام الدنيا وآخرون أتبع لهم تنزيه الإله ولكنهم لا يزالون ضعيفي الإدراك في صنعه وابداعه . فهذه الأمم جعاه أبناء التقاليد صرعى الأوهام والأوهام التي هي سبب ضعفهم قد جاء أوان خذلانها بنشر العلوم العقلية في الأمم كلها في العالم العقلي . فكما أتبع للأطباء في العالم كله اليوم أن يقتلوا المخلوقات البرية القنات للأنسان والحيوان والأرض قد كثرت فيها التطهير بالمواد لقتل المكروبات فعاش وتكاثر الحيوان والآنسان فهكذا نرى الآراء العقلية تنشر والخرافات تضمحل بنسب مطردات في عوالمنا الأرضية . وكما أن الحشرات والمكروبات لم يبدعها نوع الإنسان وإن سطا عليها بالعقاقير وقللها هكذا أضليل الإنسان وإن سطا عليها العلم فقللها لا تزال باقية في الأرض ، فإذا رأينا بعض علماء الأمريكان والانجليز وغيرهم يرون الاسلام ديناً صحيحاً وأكثر المستشرقين كذلك ويدخلون فيه ويعلنون وينشرون مبادئهم وأكثر أبناء الانجليز يودون لو يسلمون ولكن يخافون من ذويهم كما أخبرنا بذلك (اللورد هيدلي) فإن أكثر القوم عاقلون ، وهكذا إذا رأينا أمم الاسلام أولئك الذين صفت عقائدهم ونسوا الأصنام والمعبودات الباطلة فانه لا يزال كثير من لا يعلم أن النظر في مصنوعات الله من الفلك والطبيعة والحيوان والنبات مقربات لله موجبة لحبه والفرام بحمائه وإلهام بقلائه وإن عرف كثير منهم ذلك . فهذا النوع الانساني هذه شفتته ، مله التقليد ولكنه كالدنيا التي عاش فيها فهم كالشوب الخلق كلما رقع يوماً فأنحرق . حظ الحكيم من هذه المناظر أن يفرح بحمال الحكمة ونظام الدنيا ويرى أن الله حكيم في صنعه إذ جمع في أرضنا بين أرق عالم وهي النفوس المشرقات الفرحات بنظام ربها المتعطشة للقائه الباحثات عن رحائه وبين النفوس النائمة الآلتي كأنها حجرية لا تهي ما يراد بها . فالحكيم في الأرض في جنة وهو الشاهد وأهل الأرض مشهودون وهو السعيد بما يشاهد وهو من أصحاب الأعراف الذين يعرفون كلا بسيماهم . فإذا رأى عقلاً قاصراً ألقه بحيوان دنيء . وإذا وجد عقلاً كبيراً ألقه بالملك . وهناك يدرك أن هذه الدنيا هي جنته وانها ماهي إلا معرض ومجلى أسواق الصور العقلية والحسية يلبس كل مخلوق صورته التي عشقها أوهى معمل تصنع فيه أدوات مختلفات تقوم بالطرق تارة والصقل أخرى وهذا رمز له سورة الضحى فاليتيم والضلال والفقر رمز للرزايا والنكبات في هذا العالم الأرضي . وهذه الرزايا جعلت مقومات لا معذبات لأن الرحيم الحكيم يضع الأمور مواضعها فيجعل المصائب مقومات كما تقوم الآلات بطرقها فإذا قامت فقد حان صقلها وهذا هو الرموز له بالإيواء والهداية والغنى وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر فالمصائب ثلاثة والنعم ضعفت وهذه النعم للأنسان العام مقابلات للصقل في الآلات إن الدنيا دار كبيرة فيها وليمة عظيمة قد أعدتها ملك لرعيته ورتبهم درجات في أعداد الطعام ورتبهم ونظمهم فهم يأكلون وكل بأصحابه مقرون وكل حزب بما لديهم فرحون وبعد انقضاء هذه الوليمة يرجع كل منهم الى داره التي خرج منها . وهذا هو تفسير « بسم الله الرحمن الرحيم » فرجته شاملة تغطي كلاماً يليق له . انتهى الكلام على (المقام الأول) في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الأحد (١٦) فبراير سنة ١٩٣٠ م

المقام الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مثنى وثلاث ورباع
 يزيدُ في الخلقِ ما يشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
 وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
 عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * وَإِنْ
 يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
 فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا
 إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ * الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ
 يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَاللَّهُ الَّذِي
 أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقِنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ *
 مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَاللَّهُ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
 يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ نُرَابٍ نُمْ مِنْ
 نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْرَضُ مِنْ مُعَرَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ
 عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * وَمَا يَسْتَوِي الْبَغْرَانِ هَذَا عَذَابٌ فُرَاتٍ سَائِفٌ شَرَابُهُ
 وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِبًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ
 مَوَاقِرَ لِنَبْتِغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يُوَلِّجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
 مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
 يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِنْهُ خَبِيرٌ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
 الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وَزَرَّ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِلْهٍ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * وَمَا
يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَمَا يَسْتَوِي
الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَشْيَارُ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ * إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا * وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ * وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا
وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ
كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَنَجْوًى يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ * لِيُؤْتِيَهُمْ
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ * وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ *
جَنَّاتٌ عَذْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ
لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا
وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا
نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا
فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ * إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * هُوَ الَّذِي
جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا
مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا * قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ
إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ اللَّهَ يُنْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَكِنَّ زَالَاتَا
إِنْ أَسْكَنَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنُجَاءَهُمْ نَذِيرٌ
لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِهْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتَكَبَرُوا فِي الْأَرْضِ

وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ
 اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
 إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا * وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ
 يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِبِعَادِهِ بَصِيرًا

﴿التفسير اللفظي﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله فاطر السموات والأرض) خالقهما ومبتدعهما على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) الى
 الأنبياء (أولى أجنحة) ذوى أجنحة . وليس معنى الأجنحة في العالم المادى إلا ما يقدر به على الطيران .
 فأما في عالم الأرواح فهو ما عتاز به الملائكة من القوى والقدر الروحانية التى لانسبة بينها وبين القوى المادية
 (مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء) يزيد فى خلق الأجنحة ما يشاء كما يزيد فى أرجل الحيوان ما يشاء
 حتى بلغت فوق العشرين . هكذا فى عقول الآدميين ورفيقهم النفسى . وروى أنه عليه الصلاة والسلام رأى
 جبريل فى صورته له ستائة جناح (إن الله على كل شئ قدير) فيزيد كل ما هو أهل لازيادة مادية أو معنوية
 كعقول الآدميين (ما يفتح الله للناس) ما يطلق لهم (من رحمة) مطر ورزق وعافية (فلا يمسك لها وما يمسك)
 وما يمنع (فلا يرسل له من بعده) من بعد أمساكه (وهو العزيز الحكيم) فيما أرسل (يا أيها الناس اذكروا
 نعمة الله عليكم) احفظوها واعرفوا حقها (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو
 فأتى تؤفكون) فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك (وان يكذبوك) فتأس واصبر (فقد
 كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الامور) فيجازيك وإياهم (يا أيها الناس إن وعد الله) بالخير
 والجزاء (حق) لا خلف فيه (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) فيذهلكم نعيمها (ولا يغرنكم بالله الغرور)
 الشيطان (إن لشيطان لكم عدوفاً اتخذوه عدواً) فى عقائدكم وأفعالكم وقوله (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً)
 أى أفمن زين له سوء عمله بأن غلب هواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقاً والقيح حسناً
 كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحقائق فاستحسنه واستقباحه على مقتضى الحق وذلك قدر مقدور (فإن
 الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) على مقتضى الاستعداد (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أى فلا
 تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيرهم . وقوله (فتبشروا) على حكاية استحضار تلك الصورة الجلية
 الدالة على كمال الحكمة (فستقناه الى بلد ميت) أى نسوقه (كذلك النشور) أى مثل إحياء الموات ونشور
 الأموات (من كان يريد العزة فلته العزة جميعاً) أى من كان يريد العزة فليتعزز بطاعته بخلاف الكفار
 عباد الأصنام (إله يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) أى إن الله يقبل الكلم الطيب وهو التوحيد
 والذكر والدعاء وقراءة القرآن . ومن الذكر : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وكذلك
 يرفع الله العمل الصالح فاذا صعد الكلم الطيب بنفسه الى الله فالعمل الصالح يرفعه الله والمراد بصالحه الاخلاص
 فيه فما لا اخلاص فيه لا يقبل وذلك كأداء الفرائض . واعلم أن هذا المعنى به يعرف المسلمون أن العلوم

والمعارف والتحقق من نظام هذه العوالم لا يخرج عن كونها من الكلم الطيب . إن هذه المعارف من حيث نظمها وترقيتها للفكر الانساني من جلة الكلم الطيب بل قولنا « لا إله إلا الله » وما عطف عليه لاسبيل الى صعودها الى الله إلا اذا صعدت النفس في المعارف . فالتسبيح والتحميد والتوحيد درجات للمساكين في العلم فالتسبيح درجة والتوحيد أعلى والتحميد أعلى وذلك العنق ليس يكون إلا بالعلوم . فاذا رأيت في بعض الأحاديث أن سبحان الله ثوابها عشر درجات ولا إله إلا الله عشرون درجة والحمد لله ثلاثون درجة فليس ذلك لمجرد نطق اللسان بل العلم والمعرفة فإذا أيقن بذات مبرأة من المادة فهو أول الايمان . ثم اذا عرف أن العالم بكسب واحد يديره مدير واحد كان ذلك أرقى . ثم اذا عرف أن جميع من في هذا الوجود منه واليه وأصبح ذلك مائة راسخة في النفس بتكرر البرهان والنظر . فهناك تكون الدنيا والآخرة عند الانسان نظاما جيلا ويعرف ما لا يعرفه كثير من العلماء والعامة واذ ذاك يتمتع بالسعادة العلمية . ومتى خلاص من الدنيا كان ذلك أوفر سعادة له . هذا هو المقصود من التسبيح والذكر . وهذا معنى صعود الكلم الطيب لله فالصعود هنا لن يكون إلا بصعود النفوس من الجهالة الى العلم ومن العمى الى الهدى

بهذا فلفهم كلام الله سبحانه وتعالى ، فأما الذكر المجرد من العلم فذلك درجة العباد والصالحين وهؤلاء أواخر المراتب في دين الاسلام . ألم تر الى قوله تعالى - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين - فهؤلاء الذين ذكرتهم لك الآن هم الصديقون ، فأما الصالحون فهؤلاء يكون كل مقصودهم وهمهم العمل . بهذا نفهم السر في قوله تعالى أن الكلم الطيب يصعد بنفسه والعمل يرفعه الله اشارة الى أن الكلم الطيب أفضل من العمل الصالح (وبعبارة أخرى) العلم والحكمة أفضل من الأعمال والحمد لله على التوفيق

ثم قال تعالى (والذين يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ) أى المكرات السيئات كقرين في دار الندرة إذ تشاوروا في أمر النبي ﷺ من حيث الحبس والقتل والاجلاء (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) يفسد ولا ينفذ لأن الله مقدر الامور والله سبحانه يحفظ المصلحين من الأنبياء وتابعيهم (وانه خلقكم من تراب) إذ خلق آدم منه ، وأيضا الأغذية التي تتحول الى الأجسام كلها من التراب والأغذية تصير دما ومن الدم النطفة ولذلك قال (ثم من نطفة) نطفة الآباء (ثم جعلكم أزواجا) ذكرانا واناثا بقدر معلوم بحيث يكاد الفريقان يستويان عددا فلو لم يكن كذلك لفنى نوع الانسان وهكذا كل حيوان ، لحفظ النوع لا يتم إلا بتلك المساواة ولانكون المساواة إلا بتدبير وعلم وهذا معنى قوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) أى لا معلومة له ولولم يكن كذلك وكانت المصادفة العمياء هي القائمة في هذه العوالم لم يتزوج العدد في الزوجين ولم يحفظ التوازن في الانسان والحيوان وهؤلاء الذكور والاناث يعيشون على الأرض أياما محدودة ، ولو أن الأعمار طالت مئات السنين وتناقلت الذرية وكثرت لكان على القدم ألف قدم ولكانت الحياة الدنيا نارا وحجبا إذ يكثر الناس وتقل الخيرات فلذلك تفاوتت الأعمار في جميع الأعصار وكانت بمقدار بحيث لا تطول فوق مائة فيه الحكمة ، فاعتدل النظام بالمرض والموت والوباء والحرب . هذا هو نظام الأرض العجيب وهو قوله تعالى (وما يعمر من معمر) أى ولا يمد في عمر من مصيره الى الكبر (ولا ينقص من همره) من عمر المعمر أى لا يجعل ناقصا (إلا في كتاب) وهو اللوح المحفوظ . ذلك لحفظ الموازين في الأرض حتى ينتظم العمران فلو لم يكن ذلك بمقادير لا يختلط الخابل بالنابل وساء مصير العمران إذ يكثر الناس وتزدحم الأرض ويستند الكرب ، وليس ذلك عسيرا على الله (إن ذلك على الله يسير) حين يغير كتابة (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) الفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والأجاج الذي يحرق بلوحته ، وفي قراءة - سبغ - بالتشديد والتخفيف ، ذلك ضرب مثل للؤمن والكافر (ومن

كل نأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) هذا استطراد اصفة البحرين ، يقول الله تعالى هما وان خرج من كل منهما السمك واستخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح فليسا متساويين فيها هو المقصود الأصلي فأحدهما قد دخل فيه ما أفسده وهو الملح فغيره عن المقصود منه وهو سقى الأنعام والنبات ، فاذن الكافر كالملح والمؤمن كالعذب بل البحر الملح أفضل من الكافر إذ يستخرج منه الدر والمرجان والكافر لا يفضل له واعلم أن هذا القول منطبق على ما شاهد في الناس ، فهم شركاء في المعروف الظاهر ولكن العقول متفاوتة تفاوتاً كثيراً حتى ان التلميذين من مدرسة واحدة وأب وأم يختلفان أخلاقاً كثيراً وقد يكون أحدهما أغزر علماً والآخر بليد الطبع وهما مؤمن وهذا كافر (وترى الفلك فيه مواخر) أى تشق الماء بحريها (لتنفعوا من فضله) أى من فضل الله بالنفلة فيها والتجارة والمجور مرتبط بمواخر (ولعلكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله . ولما كان بين الفلك في البحر والشمس والقمر في مدارهما مناسبة باعتبار أن كلا منهما ومن جميع الكواكب ساجحات في تلك المدارات ، ساجحات في تلك العوالم الشاسعات ، أردفه بذكر الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر إذ قال (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أى يدخل الليل في النهار فيكون النهار أطول من الليل ساعة فأكثر إلى عشر إلى غير ذلك ، ويدخل النهار في الليل فيكون الليل أطول من النهار كما تقدم انظرهما في (سورة البقرة) (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) لمتنهي دوره أو منتهاه أو يوم القيامة (ذلكم الله ربكم له الملك) أى الفاعل لذلك الله الخ (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) وهى لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة (إن تدعوهم) أى الأصنام (لا يسمعون دعاءكم) لأنهم جناد (ولو سمعوا) فرضاً (ما استجابوا لكم) أى ما أجابوكم أو مانفعوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) بأشراككم (ولا ينبئكم مثل خير) ولا يخبركم بالأمر مخبر مثل خير به أخبرك وهو الله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) وإنما عبر بالفقراء لبيان كثرة حاجات الناس فإنه كلما كان المخلوق أعلى مرتبة وأدق تركيباً وأحسن صنعا كان أكثر حاجة ، فالحاجة على مقدار الرفعة في هذا العالم ، ولذلك ترى الحيوان أقل حاجة من الانسان والنبات أقل منهما ، فالفقير في الانبياء أبين لأن الانسان مدنى بالطبع ، وإذا كان الانسان أكثر المخلوقات حاجة فهو في أشق حيلة ويقابله الله عز وجل الذى هو الغنى على الإطلاق (وهو الغنى الحميد) فهو المستغنى على الإطلاق المنعم على سائر الموجودات فله عليهم استحقاق الحمد (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يقوم آخرون أطوع منكم أو بعالم آخر غير ما تعرفونه ، ذلك ان الله حميد والحمد على النعم والامعنى للحمد إلا على معرفتها وعلمها والأمم التى لاعلم عندها لا تعرف نعم الله فلا حمد لها والناس خلقوا لينهلوا النعمة من مبدعها فإذا جهلوا النعمة أذهبهم وأتى بخلق جديد إما لاحتلال البلاد واستعمارها كما نراه في أمريكا وأستراليا إذ استؤصل السكان الذين هم أهل البلاد إلا قليلاً حتى ان رجال الحكومة الانجليزية في الحرب العامة أرادوا أن يجندوا ممن بقي من أهل البلاد في أستراليا فنيل في مجلس الأعيان . كلاه لا تجندوا منهم بل يجب أن يبقى هذا العنصر للأجيال المقبلة في التاريخ هكذا لما بطر المسلمون في القرن السادس وجهلوا نعم الله ولم يعطوا النعمة حقها أزال ملكهم وسلط عليهم التتار والغول فقتلوهم وأزالوا ملكهم ، أقرأه في (سورة الكهف) عند ذكر يأجوج ومأجوج وهكذا الدول قديماً وحديثاً وهكذا أرضنا هذه متى جاء أجلها من زقت كل ممزق وخلق غيرها في أجيال لا ندر بها ، فأما سكنها فهم في جنة أو في نار (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر أو متعسر (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس آئمة إثم نفس أخرى ما لم تكن أضلتها فأنها تحمل وزرها ووزر من ضلوا بها ولكن هذا وزرها هى بالاضلال فأما وزر النفس الضالة فلا يحمل عنها (وان تدع) نفس (منقلة) أنقلتها الأوزار نفساً أخرى (الى حملها) ثقلها أى ذنوبها التى أنقلتها لتتحمل عنها بعض ذلك كما قد يفعل في الدنيا (لا يحمل

منه شيء) لأن كل امرئ مشغول بأمر نفسه (ولو كان) المدعو (ذا قرني) ذا قرابة قريبة كآب أو ولد أو أخ (إنما تنذر) أي ينفع انذارك يا محمد (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي حال كونهم غائبين عن عذابه أو عن الناس في خلوتهم (وأقاموا الصلاة) لأنهم هم المتفوعون بذلك الانذار (ومن تركي) ومن طهر من دنس المعاصي (فإنما يترك لنفسه) إذ نفعه لها (والى الله المصير) فيجازيهم (وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات) أي وما يستوى الصنم والله ولا الباطل والحق ولا الثواب والعقاب ولا المؤمن والكافر أو العلماء والجهلاء وهو أعم ، والحرور والحر وقدر غلب على السموم وزيادة لافي نفى الاستواء لمزيد التأكيد في المواضع الثلاثة (إن الله يسمع من يشاء) هدايته فيوفقه للهداية (وما أنت بمسمع من في القبور) ترشيح لتمثيل المصريين على الكفر بالأموات (إن أنت إلا نذير) فما عليك إلا الانذار ، أما الاسماع بالهداية فلا حيلة لك فيه عند من طبع على قلوبهم (إنا أرسلناك بالحق) أي أرسلنا مصحوبا بالحق (بشيرا) بالوعد الحق (ونذيرا) بالوعيد الحق (وان من أمة) أهل عصر (إلا خلا فيها نذير) من نبي أو عالم ينذر عنه أي إلا خلا فيها نذير وبشير فلكل جيل أناس يبشرون ويخوفون لتنظيم شؤون الناس (وان يكذب بوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم (وبالزبر) أي الصحف كصحف إبراهيم عليه السلام (وبالكتاب المنير) كالطهارة والانجيل (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) أي انكارى عليهم بالعقوبة أي انظر يا محمد كيف كان تغييرى عليهم بالعذاب حيث لم يؤمنوا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) أي المطر (فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها من الرمان والنفاح وما أشبهها ، ومعلوم أن أصنافها كثيرة ألوانها كالخضرة والصفرة والخضرة الخ (ومن الجبال جدد بيض وحمر) أي طرق مختلفة اللون جمع جدة كمدة ومدد (مختلف ألوانها) بالشد والضعف (وغرايب سود) أي شديدة السواد كما يقال «أسود غريب» تشبيها بلون الغراب وكأنه قيل : ومن الجبال ذو طرق مختلفة اللون ومنها غرايب متحدة اللون وغرايب تأكيد أسود ومن حقه أن يتبع المؤكد ولكن أضمر المؤكد بالفتح قبله والذي بعده تفسير للضمير كأنه قيل : وسود غرايب سود وذلك لزيادة التأكيد بالاضمار تارة والظهار أخرى (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال ، يشير ذلك الى دراسة الجبال والثمار والناس والدواب والأنعام من حيث ألوانها وهيئتها وأشكالها واختلافها صفرا وكبرا وطعوما وروائح وخواص وتراكيب وأنظما ومشكلا ومرتب مدور واسطواني وهرمي ومخروطي وطبا وغذاء ودواء وفاكهة حلوة وزينة وعطرية وصرمة ومائية وحضية وغير ذلك مما قرأته في هذا التفسير وما لا حصر له في العلوم التي دونها الأولون والآخرون ، ولوانك نظرت الى لون واحد من الألوان كالخضرة وتصفحت أنواع النبات نباتا نباتا لم تجد نباتين يتفقان في لون الخضرة ، قف بالحقول وفنن على ما فيها من زرع وشجر زرعه الانسان أو أنبته الله رغما منه وانظر هل تجد خضرة مماثلة لخضرة كذا ، وإذا أحصى العلماء أنواع النبات بنحو (٣٢٠) ألفا فلست تجد اثنين اتفقا خضرة وقس على ذلك الأشكال والروائح والطعوم ، قف بالحقول واقرأ كتاب الله الذي سطره في أرضه ، هناك تقرأ آيات الثناء والحمد بحسمة ظاهرة لعينك وقلبك ، على ذلك يحضك القرآن ، انظر كيف يقول - ألم تر أن الله أنزل من السماء - كأنه ينسرك علينا أن نرى ذلك ، ان ذلك يفتح باب الفكر ومتى فتح هذا الباب دخلت منه العلوم فن هذا الباب تكون العلوم ويتفرع (فرعان) فرع لرقى الأمم ، وفرع لرقى العقول وهما متعاضدان ، فالعمارة يتسع نطاقها والأرواح تزيد أجنحتها الى المقام الأعلى وتلحق به عالم الملائكة ، والافلاهاذا خلقنا الله في الأرض ، ولماذا نوق هذه الأنواع وشكل هذه الأشكال

يا عجباً : إنك يا الله خلقت النبات وأرحت من العناية وأنزلت عليه الماء وفتحت له الأبواب الشعرية

يتمتع كما يشاء من خصب الأرض وعناصرها فيصطفي ما يشاء ويختار ، وخلقت الحيوان وأغدقت عليه النعم وكسوته بالريش والجلد الغليظ والوبر والشعر والصوف ومددت له موائد الرزق وبسطت له بساط الأمن ورغد العيش وفيآته في ظلال أشجارك وأسكنته في كهوف جبالك وهيأت له في أشجارك مساكن وعلمته بلامعين وربته بلامرئين . فلا يحتاج لنبي يرسل له ولا مدارس تفتح اليه ولا كليات لتخرج المعلمين ولاوزارة لسير التعليم . فهو في رغد من العيش في جناتك الفسيحات في أرضك . هذا يا الله فعلك مع هذه المخلوقات . أما الانسان فانه حرم من تلك النعمة . نعمة الاكتفاء بما نظمت من الطبيعة . فأرسلت له المرسلين وكوّنت له المعلمين وخلقت له المدرسين وأزلت المرض والهجوم بساحاته وفتحت له باب البحث ليخرج من ظلماته ويستعد لسعادته وتوّعت له الأنواع وحسنت له الأشكال ووازنت بين حاجاته النفسية والمخلوقات الأرضية بحيث جعلت لكل داء دواء ولكل حاسة مطلوباً ولكل شهوة ما يناسبها وأنصبت وأنعبته . هل كل هذا لموانه عليك ؟ كلا . ثم كلا . إنك يا الله فعلت ذلك به لأنه أكرم عليك من أخويه الحيوان والنبات تريد أن يعرف نظمك الأرضية ليظهر بأجنحة معارفها الى ساحاتك العلوية ويتنصص من مخائى علومها وخزائن حكمها وجواهر بحورها ما ينقعه في سفرته المتراصة الأكناف البعيدة المطاف

لهذا وحده أنزلت الديانات ، ولهذا وحده خلق الناس ، ولهذا وحده جاء القرآن ، ولهذا كانت فلسفة الأولين وحكمة الآخرين ، ولهذا سيعلم من بعدنا من المسلمين اذا قرؤوا هذا وأمثاله من تصنيف علماء المسلمين ، ذلك هو باب المحبة والعشق إذ لا محبة إلا بعلم بصفات المحبوب ، ولا علم عند الناس إلا ما وصل اليهم من مصنفاته البهية وحكمه العلية وبدائعه البهجة ، وكلما ازداد المرء نظراً زاد قلبه ولها وحبا ، والمحبة تخشى المحبوب ويهابه ، والخشية على مقدار الكمال ، فالحب والخشية متلازمان ، وكيف يحب الانسان ما هان في نظره ! وارتقاء المحبة يقبها ارتقاء الخشية . ألا ترى انك كلما ازددت من علم عالم أحسست بروحانية تجذبك اليه وخشية تشاك منه ، وهذا قوله تعالى (لما يخشى الله من عباده العلماء) قد قل علماءنا رحمهم الله : وإن شرط الخشية معرفة الخشى والعلم بصفاته وأفعاله ، فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال ﷺ إني أخشاكم لله وأتقاكم له ،

أليس المسلمون بغفلتهم عن هذه العلوم أضاعوا أعظم قسط من الدين ، ألم يسلب الله منهم المالك ويعطيه لغيرهم ؟ ذلك لأنهم لم يدرسوا نظامه الموجب للخشية كما يوجب الحب ، إن الآية دالة على انه لا يخشى الله إلا العلماء فهم وحدهم المختصون بالخشية . فهل لك أيها الذكي القارئ لهذا التفسير أن تبحث المسلمين وتحضّ الموحدين على التفكير والنظر . قل للعلماء اقرأوا سائر علوم الطبيعة والفلك . وقس للجهلاء فكروا في كل جبل وشجر وزرع وتأملوا واذا كروا الله على مقدار طاقتكم . وقل لعلماء الدين فليدرسوا في عقول التلاميذ في إبان صغرهم تلك المحاسن والبدائع وليبينوا لهم بعض المجائب الغريبة التي تحدث في نفوس الجاهلة وصغار الطلبة تهباً فان ذلك يفتح لهم باب الفكر . إن ذلك هو علم التوحيد . إن ذلك هو علم الدين . إن ذلك هو حب الله . إن ذلك هو الموصل لله . إن ذلك هو المرقى للأثم . خب الله وخشيته وارتقاء الأثم في الدنيا وعلو درجاتهم في الجنة ووصولهم الى رؤية الله تعالى وتمتعهم بالنظر لوجه الله الكريم . كل ذلك بهذه العلوم فليقلب التعليم في الاسلام شرقاً وغرباً وليغير منهج الدراسة وليعلم المسلمون أنهم لاسعادة لهم في الدنيا ولآفي الآخرة إلا بما ذكرناه فقد أهدرت وحذرت فليست مع المفكرين ولينصح الناصحون وحسن الله ونعم الوكيل ولما كان في الناس من لا يابى بهذه العوالم ولا يفكر فيها فقلت خشيت الله ودام على ذلك ومنهم من تاب ورجع ففكر بعد الغفلة أعقبه بقوله (إن الله عزيز) في ملكه وسلطانه يقهر من لا يخشى الله لفقلت عن صنعه (غفور) لمن تاب وخشى الله بعد الغفلة وذلك فتح لباب الرجاء . فنحن معاشر المسلمين اذا كنا فرطنا

في معرفة هذه العوالم فيما مضى فأنه وعدنا بالغفران وهو يقبل التائبين . ولما كان المقصود من نزول القرآن وإظهار هذه الجبابر أنما هو الأمة الإسلامية أردفه سبحانه بالكلام على درجة العاملين فيها فقال (إن الذين يتلون كتاب الله) يداومون على قراءته مع التفكير المقصود منه ويدرسون هذه العوالم المذكورة قبل هذه الآية دراسة تشمل العالم كله من سموات وأرضين وجبال وزروع (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا) في المسنونة (وعلانية) في المفروضة (يرجون تجارة) رأس مالها وأثمانها النفوس والأموال فالنفوس للعلوم والتفكير والصلاة والأموال للادخار والتمن البيع هو الثواب والجنة والسفر بها إلى الله تعالى فهي تجارة (لن نبور) لن تكسده ولن تهلك بالخسران وهي تنفق وتروج عند الله (ليوفيهم أجورهم) أي أجور أعمالهم (ويزيدهم من فضله) على ما يقابل أعمالهم (إنه غفور) لخطيئتهم (شكور) لطاعتهم أي مجازيهم عليها وللآية وجه آخر كما سيأتي وهو الأظهر . ذلك أن يكون التالون لكتاب الله المصلون المنفقون هم الصالحون ودرجتهم أقل من العلماء المذكورين قبلهم (والذي أوحينا إليك من الكتاب) أي القرآن (هو الحق مصدق) حال مؤكدة (لما بين يديه) من الكتب السماوية (إن الله بعباده خبير بصير) عالم بالبوطن والظواهر فلو كانت أحوالكم الروحية يا محمد لاتتفق مع هذا الكتاب لم ينزل عليك (ثم أورثنا الكتاب) يقول الله أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه أي حكمنا بتوريثه (الذين اصطفينا من عبادنا) يعني علماء هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرها فهم خير الأمم (فهم ظالم لنفسه) بالتقصير في العمل به أو بالكفر ، أو من رجحت سيئاته على حسناته ، أو التالى للقرآن الذي لم يعمل به ، أو أصحاب الكبر أو الجهال (ومنهم مقتصد) يعمل في أغلب الأوقات أو يكون مرآيا بالعمل ، أو من استوت حسناته وسيئاته ، أو التالى للقرآن العالم به أو أصحاب الصغار (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) يضم التعليم والارشاد إلى العمل . أو المؤمن الخالص . أو من رجحت حسناته على سيئاته . أو من باطنه خير من ظاهره . أو التالى للقرآن العالم به العامل بما فيه ، أو الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة ، أو العالم . واعلم أن هذه المعاني لاتنافي بينها . فكل خصلة من الخصال فيها سابقون ومقتصدون ومقصرون . فالسابقون يدخلون الجنة بغير حساب والمقتصدون يحاسبون حسابا يسيرا . وأما الذين ظلموا فهم يحبسون في المحشر ثم يرجون . ثم أشار إلى إيراثهم الكتاب واصطفائهم فقال (ذلك هو الفضل الكبير) جنت عدن) مبتدأ (يدخلونها) خبر والضمير للذين (يدخلون فيها) خبر ثان (من أساور) جمع أسورة جمع أسوار أي بعض أساور مصنوعة (من ذهب) وقوله (ولؤلؤا) عطف على محل من أساور أي يحلون أساور ولؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) من خوف العقوبة ومن أجل المعاش والآفات والوساوس الشيطانية (إن ربنا لغفور) للذنبين (شكور) للطيعين (الذي أحلنا دار المقامة) دار الإقامة (من فضله) من انعامه وفضله (لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) كلال إذ لا تكليف فيها وقد نفى ما يقع النصب من الكلال بعد نفيه للبالغة (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) لا يحكم عليهم بموت ثان (في موتوا) فيستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء (نعزى كل كفور) مبالغ في الكفر أو كفران النعم (وهم يصدرون فيها) يستغيثون قائلين (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) فهم متحسرون على ما أضاعوا أيام حياتهم فأجابهم الله قائلا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) يوبخهم الله سبحانه على أعمار تنقضى بالتفكير ولا اعتبار كأنه يقول : أأهملناكم ولم نعمركم نعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو يتناول كل عمر وإن قصر إلا أن التوب يخ في المتناول أعظم . فإذا قيل هو ثمان عشرة سنة أو أربعون سنة أو ستون سنة فذلك ليس حصرا (وجاءكم النذير) الرسول عليه الصلاة والسلام أو الشيب يقول الله عمرناكم وجاءكم النذير (فدوقوا) العذاب (فما للظالمين من نصير) يدفع العذاب عنهم (إن الله عالم غيب السموات والأرض) لا يخفى عليه خافية فيهما ثم علمه بقوله (إنه علم بذات الصدور) وإذا علم

دقائقها فعله بغيرها أولى (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) بلى اليكم مقاليد التصرف فيها (فن كفر فعليه كفره) أى جزاء كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقنا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا) المقت أشد البغض والخسار يكون في الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم) أى آلهتكم التي أشركتموهم في العبادة (الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض) أى أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الشركة أروني أى جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقها (أم لهم شرك في السموات) أم لهم مع الله شركة في خلق السموات (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أى أمعهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب ، ولما نفي أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر الأسباب الداعية إلى ذلك وهو تفرير الأسلاف والرؤساء للأخلاف والتابعين فقال (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا لإغوروا) بأن يقولوا لهم إن هؤلاء شفعا عند الله يشفعون لهم بالتقرب إليه (إن الله بمسك السموات والأرض) كراهة (أن تزولا) لأن الإمساك منع لهما عن الزوال من الوجود ومن مداراتهما . ما . لجميع العوالم من الأرض ومن الشمس والأقمار والسيارات تجري في مدارات خاصة ولولا الميزان الذي وضعه الله في السموات والأرض الذي يعبر عنه علماء العصر الحاضر بالجاذبية لاختل النظام ولتضطربت هذه الكرات المشاهدة وزالت نظمها وساءت حالها فبالميزان اتزنت وبالنظام ثبتت في أماكنها واستقرت في مداراتها (ولئن زالتا) على سبيل الفرض (إن أمسكهما من أحد من بعده) أى ما أمسكهما أحد من بعد الله . أو من بعد الزوال (إنه كان حلما غفورا) لا يجهل بالعقوبة حيث أبقى من يستحقون العذاب إلى أجل مسمى ولم يهلك الأرض والسموات عليهم هذا . هذا ولقد كانت قریش قبل مبعث النبي ﷺ تقول : لعن الله اليهود والنصارى أنتهم الرسل فكذبوهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى جاهدين في أيمانهم (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) أى من واحدة من أمم اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) وهو محمد ﷺ (ما زادهم) النذير (إلا نفورا) تباعدا عن الحق ، وقوله (استكبارا في الأرض ومكر السيئ) مفعول لأجله (ولا يحق) ولا يحيط (المكر السيئ) إلا بأهله) وهو الماكر كما حصل لقریش في الغزوات (فهل ينظرون) ينتظرون (إلا سنة الأولين) سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) فلا تغير سنة الله في اتقائه من المكذبين فلا يجعل غير التعذيب بدله ولا ينقلها من المكذبين إلى غيرهم وهكذا سائر السنن (أولم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسيرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء) أى ليسبقه ويفوته (في السموات ولا في الأرض إنه كان علما) بكل شيء (قديرا) على كل ممكن (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من المعاصي (ما ترك على ظهريها) ظهر الأرض (من دابة) من نسمة تدب عليها (واسكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) وهو يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا) فيجازيهم على أعمالهم . انتهى التفسير اللفظي

(لطيفة في هذه الآية)

يقول الله : لو أني آخذت الناس بظلمهم وكنت طالبا منهم ما فوق طاقتهم بحيث يكونون أبرارا فضلاء في جميع أعمالهم لم أخلق ما على الأرض من حيوان وبالكال لم أخلق نباتا ولا معدنا لأن النبات مقدم على الحيوان والحيوان مقدم على الإنسان والمقصود الأعظم هو الإنسان ولذلك كان عدده قليلا على سطح الأرض فهو كالسمع والبصر والحواس في جسم الإنسان ، فلو أني أوأخذ بظلمه لمنعت وجود الدواب وما تقدم عليها وهكذا الإنسان ، وأمكن هذا الإنسان في عالم ليس مرتقيا كثيرا فكان أهله غير كاملين ، ومتى نقلوا من الأرض نظرت في أمرهم ووضعهم في أما كنهم المعينة لهم قبل صعودهم من الأرض . وإذا كنتم أعددتهم

للأجنة في الأرحام قوابل ومراضع وأعددت لها لهم اللبن في الأمتها وحنت الأمتها عليهم فهكذا في العالم الذي سترحلون اليه جعلت الملائكة يستقبلون الراحلين من عالمكم ويعاملونهم معاملة الآباء للأبناء أو معاملة السجائين للسجونيين على حسب المراتب والدرجات ، فهذا العالم ليس آخر مراتب الإنسانية بل هناك درجات ودرجات فذلك تركنا على الأرض دوابها وإنسانها ونباتها ومعادنها لأنها مرحلة من مراحل الوجود فليس يطلب منها غاية الكمال - إن الله كان بعباده بصيرا - انتهى المقام الثاني

﴿ المقام الثالث ﴾

(في تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها)

أذكر في هذا المقام ما كنت كتبت كتبه منذ سنين في تفسيرها العام إذ جعلت ملخص السورة مائلا أمام القطن اللبيب فأقول وبالله التوفيق :

- اعلم أن هذه السورة تشتمل على ﴿ سبع مقاصد ﴾ وفيما يلي بيانها
- (١) وصف قدرة الله بأبداع العالم الحسى والعقلى ، وبأنه منعم متفضل وهو توطئة لما بعده
 - (٢) تذكير الناس بالنعم كي يشكروها وافهمهم لها عسى أن لا يكفروها
 - (٣) تثبيت فؤاد النبي ﷺ بقصص المكذبين الأولين للنبيين والمرسلين
 - (٤) نداء عام للناس أن يتخلوا عن الرذائل فلا يقر بها ويتخلوا بالفضائل فيلبسوها ، فلا يمتطون غوارب الهواجس ، ولا يتبعون آثار الشياطين ، ولينظروا فيما أبدع الله من الآيات ، وما أحكم في الأرض والسموات
 - (٥) ضرب الأمثال لما سلف من القسمين وإيضاح الطائفتين الكافرة والمؤمنة
 - (٦) تقسيم المؤمنين من حيث النظر إلى ﴿ قسمين ﴾ علماء محققون ، وصالحون متقون . ثم تقسيمهم من حيث العمل إلى ثلاثة أقسام
 - (٧) وصف الكأس التي يتجرعها الكافرون والتي يشربها المؤمنون والثمرة التي جنيها من الجنة عالية أو نار حامية

﴿ المقصد الأول ﴾

قال تعالى - الحمد لله فاطر السموات والأرض - الى قوله - وهو العزيز الحكيم - . فطر الله السموات والأرض وأبدعها بلامثال احتداه ولا مرشد هداه وفصل العالم ﴿ نوعين ﴾ حسياراه المبصرون . وعقليا لا يدركه إلا المستبصرون من ملائكة ذوى أجنحة تقويها على أن تصعد الى العلا وتنزل الى الثرى لتنظيم العوالم ووحى الأنبياء وإلهام العلماء وإنذار الألباء وتذكير الصالحاء وتبشير الأتقياء وكل له من نعمة يزيد بها روحه يرسلها حتى رأينا المحسوسات من الماديات يمتاز بعضها بجمال وآخر بقوة وساطان وآخر بعالة الجنان كما ترى من الفرق بين الكوكب والدّر والحصى والصخر والفيل والدّر والبر والبحر والنحلة والقطير والتمرة والنقير . ذلك لأنه يزيد في الخلق ما يشاء . وإذا منح من لدنه رحمة جرت الى مداها وإن أمسك فمن ذا ينالها أو يراها ؟

﴿ المقصد الثاني ﴾

قال تعالى - يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم - الى قوله - فأنتى تؤفكون - ما أظهر مراد هذه الآية وما أسهل فهمها على المبتدئين

﴿ المقصد الثالث ﴾

قال تعالى - وإن يكذبوك - الى قوله - والى الله ترجع الامور - يقول لأن كذبك الجاهلون فك

من نبي كذب ورسول أودى فصبر فرجع الأمر لله فكانت عاقبته النجاة وعاقبتهم الهلاك والعذاب

﴿ المقصد الرابع ﴾

قال تعالى - يا أيها الناس إن وعد الله حق - إلى قوله - إن ذلك على الله يسير - أبان في مبدأ القول نظام العالم اجبالاً وأن منه محسوساً ومعقولاً وغائباً ومشهوداً . وطلب شكر النعمة والحمد على أفضاله وطيب قلب الداعي عن بصيرة ليشرح فؤاده وبوضوح مراده . أخذ بذكر الناس بآيات الأنفس والآفاق ويقول لا يغترونكم القريب العاجل . ولا يحجبكم بهرج زينة الحياة عما وعدناكم بعد الممات . وإياكم أن تغركم العاجلة فتدروا الآخرة . وإياكم أن تقرروا الشهوات فما أشد سعيها وما أكثر ضررها . وهل يستوى من استحسن قبيح الذنوب ومن أدرك ما فيها من العيوب . كلا . ألا إن القدر عم كليهما والقضاء سجل كليهما فلا تهلك نفسك من الحسرة ولا تنكس جزعاً بالمرّة . فاذا خلصت السرائر وتزكت القلوب ونارت الضمائر فاحراها أن تنظر السحب ومجائها وكيف تسيرها الرياح وتزجرها وتسبق الأرض فتنبث أشجارها وتغوزر عها . ذلك عجب نقش على طرسه ونطق لسان حاله بوصف الله بالحكمة البالغة والقدرة الشاملة وأن لا تعجزه الرمم البالية أن يردّها حية صالحة وكيف لا يقدر على إحياء الأموات من أحيا الأرض الموات . إن في ذلك لآيات . فمن اشرب إلى العز فكيف يطلبه من سواه . أورام الشرف فمن ذاببه إلا الله . وهل لغيره عزّة فيعطيهما أو مما لك من نفسه فيهب منها ويسديها ؟ فاطلب العزّة بالعلوم وفهمها والأعمال واتقانها . والعلم بلا أعمال أشجار بلا ثمار . الإيمان صاعد لله والعمل الصالح يقوى دعائه ويثبت فضائله . إلا أن العمل الصالح يرفع الإيمان وبهما يسعد الإنسان . وإذا كان الطين والتراب ترقيا بالأسباب وصعدا بالاصطناع إلى أن صارا ذكرانا وإناثا وبنين وبنات ونساء والذات وعقولا فاضلات فهكذا ترقى النفوس إلى الملك القدوس وتصعد الأرواح إلى معارج الفلاح

﴿ المقصد الخامس ﴾

قال تعالى - وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طرياً وتستخرجون حليه تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - إلى قوله - فكيف كان تكبر - . لما أبان سبحانه المؤمن والكافر وحكم بطلان مكر أحدهما وفساده ورفع أعمال الأول ورشاده أتبعه بضرب الأمثال كما هي سنة القرآن فضرب المثل تابعا لبيان الحقيقة ولا نارة الحجة فشبههما بالبحرين هذا عذب فرات يكسر العطش بعذوبته وهذا ملح أجاج يحرق بملوحته ومن كليهما نصيد السمك وفيهما تسير السفن ونفوس على الدر وهكذا . هما يشبهان في ذاتهما الأعمى في الضلالة عن طريق الرشاد والبصير في الهداية وصفاتهما أشبه شئ بالظلمات والنور وداراهما في المآل كالظل الظليل وحر السموم . ثم ارتقى إلى نهاية التمثيل وغاية التحقير والتبجيل فسماهما أحياء وأمواتا ورب عليه أن قال - وما أنت بمسمع من في القبور - . ومن عجب أن يتخلل هذه الأمثال أمور ذات بال كالاستطراد بذكر الحلية ولبسها ولحوم السمك وأكلها وسير السفن وحلها والتجارة وعلمها وشكر الله على نيلها ثم الانتقال من المسبب إلى السبب ومن السفلى للعلوى . فكأن السفن المواخر في البحار من علاقة بالكوكب السيار والفلك الدوار . وهل تهب الرياح في البطاح إلا بإرسال الحرارة الشمسية فتتمتدها وهي تسوق السفائن وقد انتفخت القلاع وجرى السفين في البحر الملح أو النهر العذب وهما يجريان في مطارج شعاع الشمس والنجوم ولولا الحرارة لكان النهر ثلجيا والرياح راكدات والسفن راسيات غير مسافرات

فلذلك ذكر الابداع بإبلاج الليل في النهار وإبلاج النهار في الليل باقتراب الشمس وابتعادها فلقد يكون النهار ستة أشهر والليل مثله وقد يتبادلان الزيادة والنقصان من ساعة إلى يوم إلى أيام إلى شهور . ومن عجب

أن لا يزيد أحدهما إلا ما نقص من الآخر ولا يتساويان إلا في يومى الاعتدال كما أنهما متساويان على مدى الزمان فى خط الاستواء ، فالليل والنهار مستويان إذا حسبناهما على مدار السنة ومختلفان فى فصول الصيف والشتاء والخريف والربيع ، وهل لأحد غير الله فيهما من قطمير؟ ما أشد فقر الإنسان بل هو أفقر الحيوان وسائر المخلوقات . إن الفقر للإنسان مقصور عليه . فهذه البحار وحليتها والأنهار وسمكها والسفن وحملها والرياح وقوتها والعواصف وثورتها والكواكب ودورتها والشمس وحرارتها . كل ذلك يحتاجه الإنسان وعلى المسلمين أن يعلموا ويعملوا ما يصلحون به حياتهم ويجلبون قوتهم ويرفعون رؤسهم بين العالمين وهل بعد قول الله تعالى - وتستخرجون حلية تلبسونها - بناء الخطاب بيان ؟ لقد جهل المسلمون فى هذه الأيام معادن الشرف وأماكن الغنى والنعمة فناموا على وساد الراحة ولم يفكروا فى المرجان النابت فى قيعان البحار وغفلوا عن الدرّ المخزون فى أصدافه . وقليل من المسلمين اليوم من استيقظ لهذه الأفعال . فهذه المعانى هى التى تخلفت حسنة الأمثال للفر يقين المؤمنين والكافرين وهذه من أعاجيب القرآن ومن هنا فلتفهموا عجائبه ولتدركوا غرائب فلم يبق إلا تصوير حال المؤمنين لشدة العناية بهم

﴿ المقصد السادس ﴾

قال تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها - الى قوله - ذلك هو الفضل الكبير - . هنا قسم المؤمنين الى طائفتين وأرجعهم الى قسمين فمنهم المفكرون والحكماء والمحققون الذين تغفلوا فى هذه العوالم فعرفوها وذاقوا لذّة العلم واستحلوها وتبينوا اختلاف الأشكال والألوان وتفاوت الثمار وتخطيط الصخور فى الجبال وتباين أشكال الحيوان وعجائب النبات ودرسوا العلم وعقلوه فعرفوا الله ونصروه ، فهل يخشى الله سواهم أو يعرف مقداره إلا هم ؟ ومنهم الذين تلووا الكتاب وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأولئك هم الصالحون . والأولون هم العلماء الوارثون فأولئك أقرب الى الله فى عليين وهؤلاء فى رياض الجنة فرحين . ثم ان المؤمنين أجمعين إما سابقون عالمون متقون معلمون ، وإما مقتصدون عاملون فى أكثر الأوقات . وإما ظالمون مقصرون فى الأعمال . فهذا تمام الوصف الذى وصف به المؤمنون فلم يبق إلا ذكر الجزاء للفر يقين من مؤمنين وكافرين وهو

﴿ المقصد السابع ﴾

قال تعالى - جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير - الى قوله - إنه عليم بذات الصدور - . وصف الجنة وحليها من أساور من ذهب مرصعة باللؤلؤ وحلل الحرير وما يعلنون من السرة ويظهرون من الفرح واللذة ووصف أهل النار بالاستغاثة والاضطراخ وتبئيسهم من الرجوع للحياة الدنيا وتبكيهم بتقصيرهم أيام الامكان . ثم ختم السورة بجمهرتين زهراوين وياقوتتين حراوين من اتقان النظام واصطلاحه العام ومن تدمير الناس وافسادهم فى الأرض فهو مصلح وهم مفسدون . ولقد كانوا خلفاء فى الأرض وما أجدرهم أن يتخلقوا بأخلاقه ويسبروا على الصراط المستقيم فانه عز وجل اعظم جواهر النجوم الزاهرات والكواكب السيارات وربطها بأسباب وأرسل لها من لدنه رحمة فأمسكها بحبة حفظتها فدارت فى مداراتها وجرت فى أماكنها واجتذبتها جذبا لطيفا بمواسك من التعاشق (سماء علماء المحسوسات جاذبية) وتلك المواسك تمسكها لئلا تزول عن مداراتها وتختل فى نظامها ولولا ذلك لتفرقت أيدي سبأ وطاحت شذر من ذر فباد الوجود وهلك الوجود وذلك قوله تعالى - إن الله بمسك السموات - الى قوله - حلما غفورا - وإيضاح الجوهرة الثانية أن الناس أفسدوا وما أصلحوا وعجزوا أن يعقلوا عجائب النظام وبدائع الاتقان فاتخذوا الله أندادا وعبدوا أوثانا فباؤا بالفضب صاغرين ورجعوا بالملت محرومين وإذا عاهدوا عهدا نبذوه وإن حلفوا أن يتبعوا رسولا إن جاءهم لم يتبعوه وطباعهم الكبرياء وشأنهم الإباء فهلا ساروا

في الأرض فدرسوا أحوال الأمم الظالمة والأجيال البائدة وهم كانوا أكثر منهم عددا وأعز منهم نفرا طعنهم الثرى بكلكله ومنزقهم بطولته فتلك بيوتهم خاوية وجماعاتهم للأقدار جانية ألا إن عاقبة البنى لهم ودائرة السوء تدور عليهم ، ولولا رحة الله الواسعة أحاطت بهم لأبدنا كل نسمة ، ولكننا نؤخرهم إلى أجل معدود لأن رحمتنا أوسع وفضلنا أعم ، فليمتنعوا أياما في ساحات رحمتنا ، ولنورد لهم موارد الهلاك بعد لنا جريا على ناموسنا العام وعدلا في النظام وذلك قوله تعالى - وهو الذي جعلكم خلائق في الأرض - إلى قوله - إلا غرورا - وقوله - وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم - إلى آخر السورة

﴿ آيات العلوم أربع عشرة ﴾

وهي قوله - الحمد لله فاطر السموات - إلى قوله - فأني تؤفكون - وقوله - الله الذي أرسل الرياح - إلى قوله - من قطمير - وقوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء - إلى قوله - إن الله عزيز غفور - وقوله - إن الله يمسك السموات - إلى قوله - حليما غفورا - وقوله - أولم يسيرا في الأرض - إلى قوله - فإن الله كان بعباده بصيرا -

(العلوم) - علم الحساب والجو والرياح والزراعة وعلم الحياة وعلوم البحار والسفن وهي لا تسير إلا بعلم الفلك والهيئة والتقويم والتلغراف البري والبحري والهوائي ومعرفة الجاذبية العامة وجغرافية البلاد وتاريخ الأمم للاعتبار ، فهذه العلوم مما يجب وجوبا كفاثيا أشارت لها هذه السورة ، ولقد تركها المسلمون وقم غيرهم بها ، فالعذاب عليهم جميعا واقع في الدنيا والآخرة ماله من دافع مالم يسمعوا قول الناصحين وكل ملوم حتى يتم النظام العام في ديار الاسلام

﴿ آيات الأخلاق سبع ﴾

وهي قوله - يا أيها الناس إن وعد الله حق - إلى قوله - أصحاب السعير - وقوله - يا أيها الناس أتمموا - إلى قوله - وإلى الله المصير - وقوله - إن الذين يتلون كتاب الله - إلى قوله - غفور شكور - الأخلاق تزكية النفس من الرجز وتخليصها من الإثم واعتبار أن الحياة الدنيا طريق والآخرة مقر وأن على كل امرئ إيمانه ، وأن يقوى المرء إرادته ولا يتكسل على أحد إلا الله بالعمل الصالح ، فليذو المرء الكسل وليبدأ في العمل وليخش الله وليقيم الصلاة اه

﴿ مقال عام في قوله تعالى - ما يفتح الله للناس - الخ ﴾

وفيه ٥ مقامان ١ المقام الأول ، فيما يفتح الله به على الناس ، وهو إما فتوح باستخراج ما في العناصر الأرضية من منافع ومعائب . وإما بكشف خيرات كانت خافية على الناس في الطبيعة فظهرت لهم ٢ المقام الثاني ، ما يمسكه الله فلا يفتح للناس رحة بهم وهو أعلم بما ينفعهم . ففي المقام الأول ٥ فصلان ١ الفصل الأول ، فيما فتح الله به على الناس باستخراج ما في العناصر الأرضية وذلك

﴿ جوهرة في قوله تعالى - ما يفتح الله للناس من رحة فلا تمسك لها - ﴾

﴿ العناصر ﴾

اللهم إنك أبدعت نفوسا من النور وكوتنها من الجبال فأشرقت وابتهجت وبها أضأت حواسنا واستنارت مدننا وأشرقت الأرض بنور ربها كما أشرقت أرواحنا فالأرض مشرقة وأرواحنا مشرقة ولكن اشراق العوالم التي تحيط بنا على ﴿ قسمين ﴾ اشراق ظاهر تدركه الحواس واشراق باطن لا تدركه إلا العقول فأما الاشراق الظاهر الذي تدركه الحواس فقد اشترك فيه الحيوان والإنسان . فأما الاشراق الباطن الذي اختص بالإنسان فهو ما خزنته في عناصر المادة من النور المتراكم المتلألئ المستور عن أعيننا الخبوء الذي منعه عن الإبصار ولم

ولم تعمله للناس إلا بعد طلبه والجد في تحصيله وشوقت نفوسا ونفوسا الى استخراجيه والاستضاء به . ماذا تقول يا الله في عوالمك التي أحاطت بنا ، ماذا تقول في جبال رائع وحسن باهر . ماذا تقول وقد أودعت في هذه الدنيا عجائب وعجائب تحسن بها حواسنا ولا تنفها عقولنا إلا بعد النصب والتعب ونسمعك تقول - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - ونسمعك تقول أيضا - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب -

أنت وعدتنا أن نعرف وقرنت الوعد بأن أمرتنا بالجد والجد يستوجب معرفة النعمة ومعرفة النعمة لا تتم إلا بمعرفة سابقة ، فالمعرفة شرط للحمد فلا بد من المعرفة حتى يتم الحمد ، نحن نحمد على ما نعرف وهذه المعرفة تستدعي معرفة أخرى وهذه الأخرى يتبعها الحمد وهكذا معرفة معها جد يتبعها أخرى . إذن شرط المعرفة اللاحقة أن تتقدمها معرفة سابقة تحت عليها ، فإذا لم تكن معرفة سابقة عدنا اللاحقة وهذه حال المسلمين في القرون المتأخرة ، نظروا الهواء والماء والملح فلم يظنوا فيها خيرا إلا ما تعرفه العامة ولم يبحثوا عن سر هذه المخلوقات مع أنك ذكرت في قصة سليمان المذكور في مقام آخر أنك سخرت له الريح . فلريح سخرت سليمان ثم قلت - وإن له عندنا زلزال وحسن ما تب - إذن الذي سخرت له الريح أعطاه الله زلزال وأعطاه حسن ما تب . فلنظر في الهواء الذي به يكون الريح . نظرنا فوجدنا أن هذا الهواء مركب من نيتروجين وأوكسوجين ومعهما بخار الماء وكربون (خم) فلفظ نيتروجين كلمة انجليزية يرادفها بالفرنسية آزوت فهذاان العنصران منهما يتركب الهواء والنيتروجين نحو أربعة أخماس الهواء فكل أربعة أجزاء من النيتروجين معها جزء واحد من الاكسوجين . ومعالم أن الاكسوجين أحد جزئي الماء أيضا

هذا النيتروجين الذي هو أهم أجزاء الهواء . ذلك الهواء الذي يحمل السحاب وبه تسير السفن في البحار ويهب على بيوتنا فيطرد المواد والحيوانات الذرية الضارة بنا وهكذا ينشروض الشمس على الأرض ولولاها لكان ضوءها خاصا بما يحاذي قرص الشمس وبه يكون لون الجو أزرق فلولاها لكان سوادا حالكا أقول : هذا النيتروجين الذي في هذا الهواء الذي هذه صفاته هو أهم جزء في حياة النبات وفي حياة الحيوان هو المكون لعصلات الحيوان ولأهم أجزاء النبات . فالهواء الذي أهمه هذا العنصر يحيط بالناس من يوم أن خلقوا على الأرض ولم نعرف عنه شيئا إلا ما ذكره الله في القرآن من أن الريح وهو الهواء المتحرك سخر لسليمان وقد مدحه الله ولم يذمه حتى إذا ارتقى الانسان وكثر علمه وازدهرت الأرض رأينا السماد الذي به يسمد الزرع أهم أجزائه هذا النيتروجين . وقد وفق العلماء في الدنيا لتقليل النترات المهلكة للانسان في الطاعون والأمراض والله رحيم فليس من المعقول أن يوفق الناس لتقليل الطاعون ثم هو لا يعطيهم غذاء . كلا . فإن هذه الأرض كلها مشرقة بنوره . فعقولنا من نوره والأرض مشرقة بنوره . هنالك بحث العلماء في الدنيا عن الأسمدة غير المعروفة لنا وهي فضلات الحيوان المشتتات على مقدار كبير من النيتروجين فإذا فعلوا ؟ وجدوا مناجم في (جزيرة شيلي) وفيها مادة تسمى (نترات الصوديوم) فهي مركبة من النيتروجين والصوديوم وقد استخرجوا منها (٧٠) مليون طن ولما كان علموا أن هذا المورد قليل لا بد من فائه فن أن يأتون بالسماد الذي يكفي الأرض لأن نوع الانسان كثير والدواب كانت فضلاتها تكفيه قديما أما الآن فلا فإذا نفدت مقادير النيتروجين المركب مع غيره من جزيرة شيلي هنالك يكون خطا عظيم في العالم لا يقبله الماء والمطر بل يقبله السماد . هنالك وفق الله عالما ألمانيا اسمه (فرتزهاير) قتال في نفسه : ونحن نحتاج الى النيتروجين ولولاها هلاك كثير من الناس في المستقبل فهل من طريق بها ثبت هذا العنصر ونستخرجه من الهواء حتى تسمى منروعاتنا به ، فكما نرى أن جزيرة شيلي فيها النترات أي مركبات النيتروجين وزبل البقر مثلا فيه ذلك . هكذا نراه في نفس الهواء وهذا يحزن لا ينفد . هنالك رجع الى الكهرباء وقال في نفسه :

« لابد من استخدام الكهرباء » تلك الكهرباء التي لم تكن الى عهد قريب إلا مجرد لعبة وتسليه وهي التي لما خطب فيها (فاراداي) خطبة قلت له سيده : « هب ان أبحاثك هذه وتجاربك صحيحة كما تقول فما الفائدة المرجوة منها عملاً ؟ فقال : إن قيمة هذه الاكتشافات هي كقيمة طفل ولد حديثاً لاحول له ولا طول ولكنه سيصير يوماً من الأيام رجلاً ذا بأس شديد ، ولما زاره (غلادستون) الشهير ومعه كبار رجال الدولة واطلع على أبحاثه سأله : ما الفائدة العملية من هذه التجارب . فأجابه قائل : لا يمضي زمن طويل حتى تنجني منه الدولة التي ترأسونها المبالغ الكثيرة من الضرائب » واقد تحقق قوله ، فمن استخدمها في ارتقاء الصناعة والزراعة (فرتزهابر) الذي نحن بصدد الكلام عليه بعد ذلك بنحو قرن وهو في زماننا حتى يرزق فإذا فعل ؟ رجع الى الكهرباء التي جعلوا لها فرناً اسمه (الفرن الكهربائي) وهذا الفرن الكهربائي آلة غريبة بديعة مذهشة كأنها السحر الخلال ، فهو مبرد ومسخن ، أما التبريد فانه يبرد الغازات تبريداً يصير به تحت الصفر الى درجة (٤٥٩) ومعنى التبريد الى هذه الدرجة أن (فهرنهايت) الألماني لما وضع آلة مقياس الحرارة (الترمومتر) في مخلوط الملح والجليد هبط زئبقه (٣٢) درجة عن درجة الجليد فتوهم انه بلغ أدنى درجات الحرارة فدعا تلك الدرجة درجة الصفر ولكنه بعد ذلك ثبت أن الصفر المطلق هو تحت صفر فهرنهايت بنحو (٤٥٩) درجة . هذا معنى ما قلته لك أن الفرن الكهربائي يبرد الى هذه الدرجة التي هي غاية البرودة وبهذه الطريقة أمكن العلماء تحويل الغازات أجساماً صلبة ، وفي أمريكا يبردون الغازات التي تشبه الهواء فتجمد كما يجمد الماء بالتبريد ويبعونها بمصر مثلاً

هذا هو التبريد ، أما التسخين فان الحرارة بلغت (١٤٠٠٠) فوق الصفر وهذه أعلى من حرارة الشمس (٣٠٠٠) درجة ، إذن الحرارة التي يتحكم فيها الصانع بالفرن الكهربائي نحو (١٤٤٥٠) درجة . فهذه الدرجات يتحكم الصانع في الأجسام لأن الحرارة تمنع تماسك الأجسام وتباعد دقة تقها فتتحول الى بخار ثم ترجع الذرات الى عناصرها الأولية ثم تطير من تلك العناصر بعض كهارب لأن الأجسام كلها ترجع الى الكهرباء والجزء من تلك الكهارب المحملة يعادل جزءاً من (١٨٠٠) من ذرة الهيدروجين ، وهذه أصغر وحدة في هذه الدنيا ، فهذا الفرن الذي هو أشبه بالسحر تحولوا الكربون الى ألماس وحولوا الفحم الى الجرانيت المستعمل في أقلام الرصاص ، وهذا الفرن نفسه هو الذي استعمله (فرتزهابر) في استخراج النيتروجين من الهواء واستعمله بدل السماد الطبيعي من الدواب ومن جزيرة شيلي وبه أصبح العالم الانساني الآن لا يخشى من نقاد السماد من الأرض

ومن أعجب العجب أن ألمانيا في أيام الحرب انفصلت عن العالم فنع عنها (نترات شيلي) أي المركبات النيتروجينية الآتية من شيلي التي كانت تعتمد عليها في تسميد أرضها ، فلولاً استعانة هذا العالم بعلم الكيمياء بطريق الفرن الكهربائي وجعل هذا الغاز الهوائي جسماً جامداً تسمد به الأرض ما بقيت ألمانيا تدافع عن نفسها خمس سنين ، وهذا النيتروجين المركب كما ينفع سماداً ينفع في مركباته الكيميائية كالنشاير ومادة تسمى (النتريك) وما اشتق منهما في صنع المفرقات في الحرب ، فهذا النيتروجين نفع ألمانيا زمن الحرب في تسميد زرعها وفي قتال عدوها ، وبهذا العالم أمكنها أن تعيش خمس سنين وحدها منعزلة كما تقدم . هذا هو الهواء وفوائده التي تنفع في غذائنا وفي قتال عدونا فالأمر رجع الى التبريد والتسخين ، فهذا غاز وبهذا الفرن يرجع جامداً بعمليات لا يصح ذكرها لصعوبتها ومثالها سهل : اننا نرى البخار أخف من الماء نحو (١٧٢٨) مرة والهواء أخف من الماء (٨٠٠) مرة ومع ذلك نرى البخار صامداً والماء صارتلجاً والثلج نخلطه بالملح فتزل درجته فيكون أبرد . إذن البخار الذي هو أطف وأخف من الهواء صار صلباً هكذا هنا النيتروجين الذي هو جزء من الهواء الذي هو أغلظ وأثخن من البخار صار جسماً صلباً . فهذا أمر أمكن فهمه

لنا في هذا التفسير بدون أن ننظر القرن الكهر بأى . ومع صعوبة أذكر الطريقة اجاليا فوق ماضرته من المثل ليقترب على الأذكاء فيخرجون بنعمة العلم فأقول :

طريقة ذلك انهم يطلقون الشرارة الكهر بائية في مزيج الاكسوجين والنيتروجين (وعبارة أخرى) في نفس الهواء لأن الهواء أهم أجزائه هذان العنصران ، فهذه الشرارة يتحدان أى تكون بينهما ألفة تامة كالألفة بين الاكسوجين والادروجين إذ يتكوّن منهما الماء ويقال لهذا المتحد هنا (فوق أكسيد النيتروجين) كما قيل فيما تركب من الاكسوجين والادروجين ماء فذا عوّلج (فوق أكسيد النيتروجين) بالماء صار (حامض النيتريك) إذن النيتروجين عومل مرتين : مرة مع الاكسوجين ، ومرة مع الماء حتى صار حامض النيتريك . هنالك نستخدم الأفران الكهر بائية ويمرّ في أنابيب يحيط بها الماء البارد ويعامل بالجبر ويباع الناتج في الأسواق باسم (ملح النرويج) أو ملح الهواء وباللسان الكيماوى (نترات الكالسيوم) وهذه الطريقة تستعمل في البلاد ذات المناخ الكهر بائية الرخيصة كبلاد (نروج) التي تكثر فيها مهابط الماء التي تستخدم في توليد الكهرباء من غير نفقات طائلة ، والشركات في بلاد نروج تستخدم في توليد الكهرباء قوة نصف مليون حصان من القوة بالاستمرار في تثبيت (النيتروجين) الجوى وأن الحكومة المصرية الآن تدرس مشروع توليد الكهرباء من خزان اصوان فاذا نجحت أمكن تثبيت نيتروجين الهواء بهذه الطريقة وتوفير مبالغ طائلة تستخدم بها الأيدي العاطلة

اللهم إنك أنت متقن الصنع مبدع ، أحسنت كل شئ ، من ذا كان يظن أن الهواء فيه أسمدة ومفرقات وآلات قاتلات ، من ذا الذى كان يظن أن القوة الكهر بائية في السلك الكهر بأى الذى يحدث في الناس رعدة قد كانت مخبوءة في أكثر المخلوقات وباستخراجها أمكن تسخير الهواء لتسميد الأرض فيغذى بها الزرع كما تغذى دماونا ! من ذا الذى كان يظن أن الماء المنصب من أعلى كماء الجنادل والشلالات في أعلى النيل يؤثر في حياة الشعب فيرفعها ، من ذا الذى كان يتفطن الى أن أجزاء الهواء يؤثر فيها الكهر باء فتتعد ويعاملتها بالماء وجرىها في الأنابيب ومعاملتها أيضا بالجبر تصبح ملحاً يباع في الأسواق يسمونه (ملح الهواء) إذن في الهواء ملح ، الهواء الذى يضرب به المثل في انه خال من كل شئ يستخرج الناس منه مادة يبيعونها جامدة نافعة . هذا هو الجلال الالهى والحكمة العالية اه

هنالك لما اطلع صاحي العالم الذى اعتاد أن يخاطبني في هذا التفسير قال : إن هذا الموضوع قد وضع وضوحا تاما وقد كنت أقرأ مثل هذا فلا أفهمه وكنت أسمع أن الألمانين عندهم سبع معامل في بلادهم بها حولوا النيتروجين الى آلات مهلكات وأن تلك المعامل قد حولوها بعد الحرب الى مصانع للسجاد فكنت أعجب من هذا وأقول كيف يحول النيتروجين الى آلات مهلكة والى سجاد تسمد به أرضنا حتى عرفت الآن فله الحمد

هذا ولكن الآن أريد مسألة أخرى ، أنت ذكرت الملح أيضا مع الهواء ، فأى شئ في الملح فوق ما قرأنا في هذا التفسير سابقا . فقلت له : فيه عجائب كثيرة بطريق الكهر باء . فقال : وما هذه العجائب ؟ فأننى والله لفي شوق شديد لما تقول ، وإنما كان ذلك الشوق لأنى أدهش إذ أرى الهواء الذى يملأ هذا المكان يخاطبني الآن ويقول لى : أيها الانسان . أنا كما أجل لك الروائح الذكية لسرورك والخييثة لتحترس منها ، وكما أجل طلع الأزهار من ذكورها الى إناثها ، وأجل اليك كلام من يكلمك فتعقله وتفهمه هكذا أنا أدخل جسمك وجسم الحيوان فأغذيكم جميعا وأغذى نباتكم

هذا هو الهواء يخدثنى عن نفسه ويقول : أنا أجل العلم في الكلمات اللاتي هن حركات تسمونها أتم أصواتا فى . فهذه الكلمات أنا أجلها وأوصلها من العالم الى المتعلم . فأنا نعمة من حيث لقاح الأشجار وجرى

السحاب وسماح العلوم والأخبار . وفوق ذلك أنا أدخل في تركيب أجسام الأحياء فأكون لهم عضلات . قال صديقي : فلما سمعت هذا من الهواء زاد تعجبي ودهشي . فرجع الهواء يقول لي أيضا : فإذا لم تعقلوا هذه النعمة فوالله ليحولن الله النيتروجين الذي في ويجعله آلات مهلكة لأجسامكم مخربة لمساكنكم كما خربت مساكن عاد وثمود

هذا خطاب الهواء لي الآن سمعته ، فهل تحدثني حديثا آخر عن الملح عسى أن أسمع عنه خبرا يسرني فاسمع خطابه لأن لذة الحياة أن نسمع خطاب هذه المخلوقات حولنا ، ومن لم يسمع مات أصم جاهلا وأكثر الناس صم بهم عي فهم لا يعقلون . فقلت :

﴿ الملح وفوائده ﴾

إن الملح تقدم الكلام عليه في آخر ﴿ سورة آل عمران ﴾ وانه مركب من الكلور والصوديوم والكلور جسم رائحته مفسدة مميته مهلكة ، والصوديوم تقدم وصفه قريبا في هذه السورة وهو جسم يحترق متى لامس الهواء فيتكونه في الماء ومنهما تكون هذا الملح ، فهذا الملح يكثر في ماء البحر وفي بعض طبقات الأرض ومتى مر التيار الكهر باء في محلوله المائي كما مر في النيتروجين مع الاكسوجين كما تقدم يخرج منه ثلاث مواد مهمة ﴿ أولا ﴾ الكلور ﴿ ثانيا ﴾ الهيدروجين ﴿ ثالثا ﴾ الصودا الكاوية

فهذه المواد الثلاث يستخرج الناس منها اليوم قناطر مئة نظرة كلها من نفس ملح الطعام المحلول في الماء ويظهر ذلك عند شلالات (نياغرا) بأمريكا . فقال : كلمة كلور كلمة غير معروفة عند قراء التفسير . قلت له : ولكن فوائدها عظيمة . فيها :

(١) انها تضاف الى ماء الشرب فتطهره من الجراثيم القاتلة لاسيما جراثيم الحى التيفوذية ، فقد كان هو السبب في منع انتشار ذلك الداء الفتاك ، وقطرة منه واحدة تكفي لقتل الجراثيم في ثمانين لترا من الماء
(٢) ومنها انه أى الكلور يضاف الى الجير فيكون منه مادة تزيل مافى المادة التي يصنع منها الورق من الألوان فتفسخها ويصير أبيض

(٣) ومنها انه يضاف الى مواد أخرى فينفع في الطب وهو (الكلور فورم) فيحدث التخدير فهو اذن قاتل الحشرات ، مبيض الورق ، مخدر الانسان في حال الأعمال الجراحية

(٤) ومنها انه هو نفسه غاز سام استعمل في الحرب

(٥) ومنها انه يوضع مع مواد أخرى تكون منها غازات وأبخرة سامة

(٦) ومنها انه يدخل في المفرقات

(٧) ومنها انه يدخل في تركيب المواد المهلكة للحشرات في فن الزراعة

سبحانك اللهم . تباركت يا الله . ملح الطعام الذي أماننا نأكله ونراه كل يوم يصبح مطهرا لشربنا قاتلا للحيوانات التي تقتل آلاف الآلاف منا . الملح إذن قاتل للحيوانات القاتلات لنا ، مبيض لورقنا منظف له . مزيل الآلام عن جرحانا . مهلك للأعداء في الحرب إذ يكون غازا ساما أو بخارا متحدا مع مواد أخرى مخربة للباني . فهو يقتل الأعداء من نوع الانسان ومن الحيوان محافظة على سلامة الأبدان . فقال صاحبي زدنا من هذا

فيأسعد حدثنا بأخبار من مضى * فأنت خبير بالأحاديث بأسعد

نحن عرفنا فوائد الكلور الذي هو أحد جزئي الملح . فافوائد الهيدروجين . وفوائد الصودا الكاوية التي حللناها من الملح مع ماذاب فيه من الماء . فقلت :

(الهيدروجين)

{ الهيدروجين }

أما الهيدروجين فإنا إذا أحرقناه في الهواء فإنه يتحد بالأكسوجين ويتكوّن منهما الماء و يبقى الاوزون
أى النيتروجين ويتحد هذا الغاز الأخير بالهيدروجين في أحوال خاصة فيتولد من اتحادهما غاز (النشادر)
المستعمل في صنع الجليد

فلما سمع صاحبي ذلك قال : مامعنى هذا ؟ قلت معناه أننا لما أمررنا التيار الكهربائى بالملح المذاب في
الماء وانفصل الكلور والهيدروجين والصودا الكاوية أخذنا ندرس الكلور فعرفنا صفاته وفهمناها . قل
نعم . قلت : فأما الايدروجين فهو أحد العنصرين اللذين يتكوّن منهما الماء فلما أحرقناه في الهواء والهواء
فيه الاكسوجين أيضا وجد في الهواء حبيبه . فقال مامعنى هذا ؟ قلت انه وجد في الهواء حبيبه وهو أكسوجين
الهواء كما قال الشاعر

جمع الهواء مع الهوى في مهجتي * فتكاملت في أضلعي ناراني
فقصرت بالممدود عن نيل المنى * ومددت بالمقصود في أكفاني

فقال مامعنى هذا . قالت : سافر الشاعر الى محبوبة في سفينة فقارمه الهواء الجوى ولم يسعفه فمات بسبب
الهوى المقصور بعد ماعاقه عن الوصول الهواء الممدود لأنه لم يصل لمحبوبة . ثم قلت : فهكذا هنا الهيدروجين
قبل أن نحرقه في الهواء . نظر فوجد محبوبة الذى يتحد به عادة وهو الاكسوجين مقيدا في الهواء مع
النيتروجين فظن انه سيعيش في حسرة ولوعة وقد عاقه الهواء عن حبيبه فلما أحرق في الهواء وجد الفرصة
سائحة فاتحد مع حبيبه وكوّن الماء مرة أخرى . فالهيدروجين قبل الاتحاد أصبح كأنه مذبذب بالكفن بسبب
الحب وأن غاية العاشق أن تتحد روحه بالمحبوب . فأما الشاعر فإنه مات بسبب الفراق . فاتحد الروحين المطلوب
الحب كما قيل

أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدانى
وأنتم فاها كي تزول حرارتى * فيزداد ما ألتى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله * سوى أن يرى الروحان يتدان

فالهيدروجين هنا كان كأنه في كفن قبل الاتحاد الذى هو المطلوب للحبة وهذا المعنى آخر
ماقرره العلامة الشيرازى في الأسفار

فقال هذه المعاني أدبية فانرجع الى ما نحن فيه . فقلت نعم : لما اتحد الهيدروجين بحبيبه وهو الاكسوجين
اعتزلهما العذول وهو النيتروجين . والنيتروجين نفسه يتحد بالهيدروجين بشروط خاصة فيكون منهما النشادر
المستعمل في صنع الجليد

فقال صاحبي : الله أكبر . إذن الهيدروجين الذى هو أحد عنصرى الماء ان اتحد مع الاكسوجين صار
ماء وان اتحد مع النيتروجين صار نشادرا . قلت له نعم . وأهم فوائد النشادر أن يستعمل في تحضير السماد
للزراع . فمن مركباته كبريتات النشادر ومنها صفات النشادر . وهذه المركبات ترسل الى البلاد الزراعية كصير
تغذى شجر القطن . قل : حسن . إذن الملح الذى حللناه بالكهرباء أفادنا السبع الفوائد المتقدمة ثم أفادنا
النشادر الذى فيه النيتروجين سمادا للزراعة وهذا ثامن الفوائد . وهالك تاسعها وهو :

ان القطن اذا أصيب بأمراض يطهر بمواد كيمياوية مثل مادة زرينخ مركب مع الكالسيوم وهذه المادة
لا تحضر إلا بواسطة الكلور المتقدم . وعاشرها أن القطن بعد غزله يحتاج الى ما يقصره أى يبيضه . ولا سبيل
لذلك إلا بغاز الكلور أو بمسحوق آخر يدخله الكلور . وحادى عشرها أن الناس في حاجة الى جعل خيوط
القطن لامعة كالحرير . ولا سبيل الى ذلك إلا أن تعالج بمحلول الصودا وهو المادة الثالثة التى حصلنا عليها لما

سلطانا الكهرباء على الملح كما تقدم فيصير القطن بهذه الطريقة أبيض ناصعا برّاقا . وثاني عشرها : اذا أردنا صنع القطن بالسواد أو بغيره من الألوان استعملنا أصباغ القطران وهذه الأصباغ لا تعضر إلا اذا كان من عوامل ذلك العمل (غاز الكالور)

فهذه اثنتا عشرة فائدة انتفع بها الناس وكلها ناجمة من الملح وحده ، ذلك الملح الذي يأكله الناس وأكثرهم لا يعقلون إلا ما تحسّ به حاسة الذوق للطعام لا غير

تباركت يا الله ، جال بديع وحسن وبهجة في هذا الوجود ، ملح منبوذ ، قليل القيمة ، كثير الوجود لا يابى له الناس نستخرج منه هذه القوائد ، فهو يقتل الحيوانات الذرية القاتلة لنا ، ومنه غاز لا يهلك العدو ومفرقات ، وهو منظف مبيض للقطن الخ وهكذا الصودا التي جعلت القطن أشبه بالحريز - فتبارك الله أحسن الخالقين -

فقال صاحبي : هذا جيل وجيل ، فهل من معدن آخر تصفه لنا . فقلت : لم يبق في ذا كرتي إلا

(الالومنيوم)

هذا المعدن كان يستخرج قديما من (ركازه) بواسطة غم كوك فكان يعسر تخليصه من مركباته فكان الرطل منه يباع بنحو (٢٨) جنبا ولكنها لما ظهر شاب أمريكي فقير يسمى (هول) ولم يصل سنة الى (٢٣) سنة من العمر حتى كشف طريقة لاستخلاصه من ركازه بأن سلط عليه التيار الكهربي فأثرت في السكتل الى أكسوجين والومنيوم كما ينحل الماء الى أكسوجين وأدروجين ، وهذا الشاب الفقير قبل كشف هذه الطريقة لما مات سنة ١٩٢٤ ترك ثروة تقدر بالآلاف الآلاف من الجنيهات . وسبب ذلك أن الالومنيوم له هذه الصفات

- (١) هو معدن متين
 - (٢) لذلك تصنع منه أواني الطبخ والمائدة
 - (٣) ويقوم مقام النحاس في أعمال الكهرباء
 - (٤) يجعل في الطيارات والسيارات
 - (٥) نجعل منه صفائح للتفويض لأنها تحفظ بريقها ولا تسود كما تسود النضة في الهواء
 - (٦) مسحوقه يستعمل في بعض الزيوت كدهان للحديد لمنع صدئه
 - (٧) يركب مع النحاس فيكون معدنا ذهبيا إذ يكون سبيكة من النحاس والالومنيوم لها مظهر الذهب ولا تصدأ بالهواء
 - (٨) والالومنيوم اذا خلط مع القصدير يستعمل بدل النحاس وهو أفضل منه لأنه أخف وزنا وأقل تلفا
 - (٩) الالومنيوم يستعمل في لحم المعادن ، وكان ثمن الرطل الواحد (٢٨) جنبا قبل الكشف المتقدم كما قدمنا فأصبح اليوم (٥) قروش
- فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا جيل ، انه جيل جدا أن يصبح الهواء ويصبح الملح عجائب سحرية تدهش العقل وهكذا الالومنيوم ، فإذا نقول الآن في أمة الاسلام التي قلت فيها العلوم ؟ قلت : أمانة الاسلام التي قلت فيها هذه العلوم فإن أمرها لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قال : اذن أنت تريد أن تقول ان الأمة آتمة بترك هذه العلوم بعد ظهورها لهم . قلت أوتشك في ذلك ؟ أليست تذكر أن هذه فروض كفاية ، ولقد ذكرت في مواضع كثيرة من هذا الكتاب . ألم تقرأ ما نقلته عن (جمع الجوامع) وعن الاحياء للغزالي وهذا اجماع علماء الاسلام . فهذه علوم واجبة وتركها حرام يورث عذاب الخزي والذل في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون

قل هذا أعرفه ، ولكن أريد ضرب مثل توضح به هذا التحريم . فقلت : ماذا تقول في عناية الله عز وجل بحياة الناس وأموالهم ، ألم يأمر بقتل القاتل ، وتغريب الزاني وجلده أورجه ، وقطع يد السارق . أليس ذلك كله محافظة على الأنفس والنسل والمال . قل بلى . قلت : فإذا قطع اليد على ربع دينار أفليس هذا معناه انه يريد المحافظة على أموالنا كما حافظ على أنسابنا ونفوسنا . قال بلى . قلت : فلأن لك أبناء عدة وسلمت اليهم أرضك ليزرعوها ، ثم قلت لهم من أخذ من أرض أخيه زرعاً يساوي (٢٥) قرشاً آذنته أذى كثيراً حافظاً أبناءك كلهم على ما أعطيتهم من الأرض وغرسوا فيها الحنائق والجنان والزرع ، وبقي لك ابن واحد فترك أرضه بلا زرع ولا عمل حتى صارت وحوشاً يباباً ، فإذا تفعل بابنك ؟ أأنت تسأله وتقول له لم أهملت أرضك ؟ أفأنت إذا قل لك يا أبت إني امتثلت أمرك فلم أسرق زرع اخوتي فكيف تغضب علي ؟ أأنت إذذن تقول له : يا بني أنت ولد شؤم ، أنا قات لكهم فليعاقب من أخذ درهمات من مال أخيه حرصاً على أموالكم جميعاً . فهم لما رأوني حرصاً على ثروتهم زادوها لأنهم علموا اني محب لثروتهم وغناهم في سبعين **السبب الأول** اني حرمت عليهم أن يأخذ أحدهم مال الآخر **السبب الثاني** انهم رأوني سلمت لهم الأرض . ففاسمى الأرض لهم معناه الرغبة والمحبة لهم أن تومزروعاتهم . فأما أنت يا بني فلم تفهم واقتصرت على عدم الأذى ولم تراع نعمتي ولم تستثمر أموالى ومثلك جدير بالطرد والحرمان فلا من اخوتك أن يملكوا أرضك ويستعملوك فيها فتكون عاملاً تاكل بعرق جبينك وهم للأرض مالكون

أفأنت تفعل ذلك مع ابنك الذي ترك نصيبه من الأرض التي وهبتها له فعمل الأرض وعطل مواهب جسمه . فلاهبتك من الأرض قام بحققها ولا مواهبه الله من الحواس والأعضاء قام باستعمالها فهو مطرود مبعد منك ومن الله . أليس كذلك ؟ قال بلى . قلت : فهذه حال بعض المسلمين اليوم مع الله . فأنه أعطاهم أرضه فتركوها وناموا فتركوا نعمها فلم يستعملوها فألمح أن يستخدموهم في أرضهم التي ملكوها الحق والحق أقول ان الأمم الاسلامية اليوم إن لم تقم بما قلته في هذا التفسير ليكون هذا القرن آخر قرونهم ويهلكون ولا يترك الله أرضه في أيديهم بل يحرمهم من الهواء ومن الملح ومن الماء تلك التي استخرج الناس منها هذه العجائب التي يقول الله فيها هنا - وقل الحمد لله سير بكم آياته فتعرفونها -

يا الله : إنا نحمدك . عرفنا نعمك وفهمنا قولك وشاهدنا صنعك وهأنذا يا الله أكتب هذا للمسلمين وهأنذا تارك الأرض وذاهب اليك

فقال صاحبي : أنت ذكرت مواهب الأرض . فما للهواء والماء والملح مثلاً كيف يحرمهم منها . قلت : الأرض ضربتها مثلاً ولكن الهواء والملح والماء وأمثالها جهلها بعض المسلمين كما جهلوا نعم الأرض . فإذا كان الله أمر أن من قتل يقتل . أفليس هذا محافظة على أرواحنا كما قدمت . قل بلى . قلت : وأنت إذا رأيت ابنك جالساً وأمامه نار تحرق بيوت وقصوراً بئناك ثم هو أمامه صنوبر يمكنه أن يفتحه وعنده مضخة عظيمة وهي الآلة المصاصة الكابسة التي يمكنه أن يطغى بها النار فلم يفعل ذلك حتى احترقت تلك القصور والدور فلم يفعل ابنك شيئاً من ذلك . أفأنت تكرهه . قل بلى . قلت حسن . هكذا فعل الله مع المسلمين . هذا الكفور وهو في ملح الطعام أشبه بالآلة التي تطفى النار فهو قاتل للكروبوات في حبي التفوذ كما تقدمت والمسلم قد سمع هذا أفر به في هذا التفسير . أفليس إذا ترك هذه العلوم يغضب الله عليه بل الغضب هنا أشد لأن غضبك لأجل نفوس أبنائك وهم يعتون على الأصابع . أما هنا فهي لمنافع أمم وأمم جيلاً بعد جيل وأنا موقن كل الايقان أن هذا التفسير متى انتشر هو وأمثاله يهيب المسلمون مرة واحدة لحوز هذه العلوم واذن تصبح الكرة الأرضية لها شأن غير شأنها بالأمس . فقال وماذا يصنع المسلمون اليوم وكثير منهم عندهم محتلون بلادهم . فقلت : إن أكثر بلاد الاسلام اليوم مستقلة اليمن والحجاز مع نجد وبلاد الفرس والأفغان

وأما لها فهوؤلاء من قرأ من هذه الأمم هذا الكتاب وفهمه هو أو أمثاله وجب عليه أن يعلن الفكرة في بلاده بأى وسيلة كانت بل يجعل حياته وقفا عليها ويحمل حكومته على الإسراع بإرسال تلاميذ حلالا لدرس جميع العلوم كما فعلت اليابان ويرسلهم للأمم المختلفة للأمة واحدة ، وهكذا يجب على الأغنياء أن يرسلوا أبناءهم على حسابهم ويدرسوا تلك العلوم ثم يفتحون المدارس في بلادهم كما فعلت اليابان كما قدمنا . فأما الأمم التي احتلتها الأجانب فإن كانوا مستعبدين جدا فكلأى هذا لا يصل اليهم وان وصل اليهم فهم لا وقت عندهم لفهمه فأما الأمم التي احتلتها الأجانب ولأبنائها ذكاه فليكونوا جمعيات ويرسلوا أبناءهم في بلاد مختلفة لتعلم العلوم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فلما سمع صاحبي ذلك قال عرفنا جلال العلم والحكمة الناتجين من الهواء ومن الملح اذا سلطنا الكهرباء عليهما وعرفنا أن المسلمين متى قرؤوا هذا أسرعوا اليه وان قصروا أذنبوا ولكن هذا المقام مقام غزير الفائدة جليل العائدة ، فهل لك أن تأتي لي بمثال غير ما تقدم لأننى أحسن في نفسى بنور واشراق وبهجة حين أسمع هذا القول منك وأنا موقن أن الناس اذا قرؤوا هذا بهذا الاسلوب الذى يفهمونه زاد تفهمهم وفهمهم وارتقت بلادهم . فقلت إن المقال قد طال . فقال . كلا . إن هذه الآية تجمع العلوم كلها فليس بدع أن نرينا منه زهرات نشم رائحتها ونبتجع برآها ونشرح بها صدورنا ، فان العلم على هذا الاسلوب نعمة ورحمة وبشرى وإباج لنا وروح وريحان وجنة نعيم ، إلى أحسن بنعيم في نفسى حينما أسمع هذا الشرح والبيان نعم أنت لست من الاختصاصيين في هذه العلوم ولكن هذا التعبير أحسن فيه بنور وانشراح صدور قزدنا منه زهرة أخرى واجن لنا من بساين العلم ثمرة أخرى لتكون لنا نورا وسرورا وبهجة وجالا . فقلت : ألم نسمع بنبا أدهش العقول وهو :

﴿ زجاج بلاس ﴾

فقال زجاج بلاس ! وما هوذا زجاج بلاس ؟ فقلت زجاج بلاس زجاج له صفات غريبة وسيملا الأرض قريبا . فقال صفه لى . فقلت :

- (١) هو زجاج قريب في منظره من زجاجنا
- (٢) زجاجنا سريع العطب ، أما هذا الزجاج الحديث فانك اذا ألقيته على الأرض وأردت كسره فانه لا ينكسر ، ولو أتيت بفأس أو قاذوم ثم أخذت تضربه فانه لا ينكسر مهما أوتيت من قوة ، وانما يشقق ويتحطم أما الكسر فلا ، فقال هذا عجب
- (٣) وهو تدخل منه الأشعة التي هي فوق البنفسجية من الشمس ، ومعلوم أن تلك الأشعة لها مزية كبرى في الطب وزجاجنا العادى لا يسمح بدخولها ، ولقد علم الناس أن عند بعض الناس نوعا من الزجاج يدخل الأشعة فوق البنفسجية وهو غال جدا ، ومعلوم أن الزجاج المعتاد مصنوع من المواد الرملية مع نحو البوتاسا والرصاص ، فأما الزجاج (بلاس) الجديد فانه من مواد أخرى ولكنها قليلة الثمن

- (٤) يصنع من هذا الزجاج ألواح على صورة قشر السلحفاة وعلى شكل الرخام ، ويصنعون منه أقذاح الشاي وأقذاح الماء فلا تحطم ولا تنكسر ، وقد صنعوا منه (القلم الأمريكى) وجهاز اللاسلكى والاسطوانات ، ولا جرم أن القلم الواحد منها يكفى الانسان طول حياته
- (٥) ويصنعون منه نظير الشاي فان هذا الزجاج يسهل تلويثه ، فاذا غمست إبرة في هذا المحلول ونقشت بها الشاي صار لها منظر جميل بهيج بلا مشقة في العمل . وهناك شركات تقوم بتجارب في

الملابس وتطريزها بهذه المادة الزجاجية الجديدة . وهناك شركة لها مصنع كبير في ضواحي مدينة (نوتجهام) ولها مصنع آخر نام المعدات في (مدينة فينا) بالنمسا ، وهذا المصنع يحجز عن الطلبات المقدمات له لأجل ألواح النوافذ ونحوها والأدوات الداخلة في أعمال الكهرباء .

(٦) إن المخترع لهذا الزجاج (المستربالي) أستاذ الكيمياء بجامعة ليفربول هو ونجله هذا هو الذي أردت أن أخطبك فيه الآن ، أفلاترى بعد هذا أن نوع الانسان لا يزال طفلا ، فاذا كان هذا العالم وابنه سيقبل عالم الصناعة بعمل جيل أجل من الزجاج الذي نعرفه ، أفليس معنى هذا أن هذه الانسانية طفلة الآن وإن تكون كاملة إلا اذا استخرجت القوى من جميع العقول والقوى من جميع المواد حولنا . أيها الناس : أتمم جميعا في حاجة الى علماء يحولون عقولكم عما أتمم عليه من استعباد بعضكم بعضا الى استخدام جميع العقول الأرضية في استخراج جميع المنافع المادية والمعنوية

هذه الأرض مملوءة بالجمال ولكن أهلها لا يزالون أطفالا فاذا داموا على قولهم شرقي وغربي وقوى وضعيف فهم جميعا على خطر يجب على جميع الناس في الشرق والغرب أن يتعاونوا على استخراج عقول كعقل (المستربالي) ، وليس (المستربالي) لا نظير له بل في بلاد افريقيا وآسيا وجميع الأمم عقول فيجب استخراجها لاستخرج ثمرات الأرض . إن أهل الأرض جميعا مقصرون ولا سعادة لهم إلا اذا ارتقت جميع العقول والمواهب فاستخرجت جميع المنافع في الأرض لأن ربنا واسع وعليم وخلق لنا عقولا وقل أعمالوا والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(مسامرة)

ثم قلت : هل لك أن أحدثك حديثا غراميا هو أليق بهذا التفسير ليكون ترويحاً للنفس وتنويعاً للفكر وانشراحاً للصدر . فقال : إن ما تقدم لانسام منه النفس . انه بهجة ونور وانشراح صدر لانسام منه النفوس ولا تأف من الاطالة فيه الطباع . فقلت : ولكن اذا تفننا في الحديث (والحديث شجون) كان ذلك أعون على الدرس وأسرع للفهم وأصفى للذهن وأقرب لانشراح الصدر . فقال : أحب ذلك . فقلت : إن هذه المحادثات الصناعية العلمية التي ذكرتها بمناسبة قوله تعالى - ما يفتح الله للناس - الخ قد كنت أحدثك بها وأنا أشبه بأهل الحب الجسمي والغرام لأن الحب يتبع الجمال والجمال جسمي وروحي . فالجمال الجسمي في الأنف والشم والحد والعين وحسن انساقتها وجمال تركيبها . قال نعم . قلت وهذا الجمال الانساني في الوجه اذا ساعده حسن الصوت وجمال الرائحة ونور العلم وبهجة الأخلاص والذكاء والحلم كان هذا المحبوب مما لا يطاق فراقه . قال نعم . قلت : ومعلوم أن كل جيل في الأرض لم ينل كل هذه الصفات . والجمال الظاهر - كسراب بقية يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا - . قال نعم . قلت ولذلك تجد الشاب بعد الوصال بزمان معلوم يرى أن بهجة الجمال تغيرت وأخذت الزوجة ترضع ولدها وهو محبذ في طلب الرزق وينقلب الحب اللفظي الظاهري الى حب قلبي هو حب المنفعة والاتحاد في أمر الحياة . قال نعم . قلت : ومعلوم أن العالم محبوب والشجاع محبوب والمحسن محبوب وحب العلماء لا يزول لكن حب المعشوق لظواهر الجمال يتغير سريعاً على مقتضى تغير الجمال . قال نعم . قلت : إذن في الأرض عقول تعشق العلم وتعشق العلماء ومنهم من يعشقون خالق العلم والعلماء لأنهم اذا رأوا جالا في الوجه أوفى العقل أوفى الخلق . قالوا إن مبدع هذا الجمال أجل من هذا جالا لم نره

فالليت وإن لم ألقه فقد تصورت خلقه * والبحر وإن لم أره فقد سمعت خبره

والأذن تعشق قبل العين أحيانا . قال نعم . قلت : بعد هذا أقص عليك قصصا جرى في أيامنا وهو خبر

(فون شونبرج) ومحبوبته (ستوستود) . قال فما خبرهما ؟ قلت : يحكى فى أيامنا هذه أن (شونبرج) منذ ثلاث سنين من تأليف هذه المقالة أثناء طبع هذه السورة ذهب الى (نيويورك) بالممالك المتحدة فيينا هو سائر فى المدينة إذ رأى صورة فتاة من الصور التى توضع على الحائط عادة فى جميع العالم . وكانت هذه الصورة فى معرض الصور فما وقعت عينه على هذه الصورة المعينة حتى ذهل لمرآها وتعجب من جمالها ، وهورجل عنده لقب (كونت) ومثل هذا لا شئ يشغله عن المناظر لكثرة المال عنده ولم يجد دليلا يدل على اسمها ولاصفها ولاأحوالها فأخذ يضرب فى الأرض شرقا وغربا وهذه الصورة لاتفارقه فى جميع أحواله وبينما هو صرة فى (برلين) بألمانيا إذ رأى نفس الصورة التى كان رآها فى (مدينة نيويورك) فالتفت المحبة فى قلبه وزاد الغرام والهيام وأنشد قول ابن الفارض

ما بين معترك الأحداق والمهج * أنا القتييل بلا إثم ولا حرج
ودعت قبل الهوى روحى لما شهدت * عيناى من حسن ذاك المنظر البهيج

وقد زاد به الغرام واشتد به الهيام حتى صار يغدو ويروح كل صباح على هذا المعرض ببرلين ويقف أمام الصورة كالعابد أمام محرابه فيقف جامد الحركة لا يسمع له صوت ولا ينس بيت شقة مبهوتا مسحورا متغير اللون ، مشغول القلب ، مكلم الفؤاد ، فيينا هو على تلك الحال إذ سمع رجلا يقول : « ما أشبه هذه الصورة بصاحبتها » فتقدم الى المتكلم وسأله عن اسمها فقال اسمها (ستوستود) من مدينة نيويورك فأسرع الى نيويورك وخطبها من أيها فردة أهلها بلطف ، أما هى فلما رأت إلحاحه رحلت من البلاد وفرت الى أوروبا فسافر هو معها ولم يفارق كل قطار يستقل بها أو بلدة تدخلها أو فندق تأوى اليه أو سفينة تقف بها ، وكانت بلادنا المصرية خاتمة المطاف فقد جمعهما فى النيل زورق وهما قد ذهبا معا من اسوان الى الشلال ، فأماهى فهذا رأيها ، وأما هو فأنما هو تابع لها . هنالك أذن الله للعاشق أن ينال ما طلب فاتفقا معا على الزواج ونال العاشق مراده اهـ

فقال : هذه نادرة عجيبة وماذا تريد من هذه القصة ؟ قلت : إن هذا منطبق على هذا النوع الانسانى مع هذا العالم الجليل وصانعه الحكيم . إن الله فعل مع الناس ما فعله المصورون مع الناس . ألم تر أن الله قد ملأ أرضنا وسمواتنا بالصور الجيلات فى الشمس والأقمار والكواكب وكل معدن ونبات وحیوان . ألم تكن الأرض أشبه بما ورد فى الآثار من أن هناك يوم القيامة سوق تباع فيه الصور . قل نعم . قلت : فهامى ذه أرضنا سوق تباع فيه الصور . ومن أراد صورة نالها . إن (فون شونبرج) لما رأى الصورة أغرم بها . لماذا ؟ لأنها موافقة لمزاجه . وقد رأى آلاف من الناس هذه الصورة كل يوم فلم يفرموا بها ولم يبحثوا عنها لأنها لا تناسبهم إذ ليس كل جيل يناسبنى . ولولا أن هذه الصورة جيلة لم تعلق فى ذلك المكان . إذن كل صورة هناك جيلة ولكن الطلب راجع الى الذوق والمناسبة بين العاشق ومعشوقه . هكذا الله سبحانه أمر بصور هذه الدنيا الجيلة فجعلها منشورة أمامنا لم يحجبها ولم يمنعها وقال : - هاؤم اقرؤا كتابيه - وانظروا فقرأنا . فكل من أدركت نفسه جالا فى عالم من عوالم المادة بحث فيها واستخرج للناس فوائدها . فهذا العالم الذى صنع (زجاج بلاس) وهو الزجاج الحديث القوى المتين . رأى مواده وهو فى مصنعه نغطر بباله أن يستخرجه لأن هذا الجلال ملائم لعقله ولكن الصور الجيلة الإلهية متمنعة أكثر من تمنع الفتاة الأمريكية . فإذا رأينا هذه الفتاة الأمريكية فرت من وجهه عاشقها شرقا وغربا لما أحسن قلبها بأنه مخلص وبأن المخلص يستحق تسليم مطلوبه . هكذا الصور التى زوّق الله بها المادة والصفات الجيلة المحبوبة فيها (التي تشبه صفات العلم والحلم والاحسان فى النفوس الانسانية) فهذه الصور متى طلبها الانسان بجدة وشوق وإخلاص فان صاحب المعرض وهو الله يعطى هذا الطالب العاشق مطلوبه كما فعلت الفتاة الأمريكية إذ سلمت نفسها لمن أخاص فى حبها لأن هذه الفتاة من صنع الله

وانته هو الذي وهبها الجلال ثم علمها مقابلة الحب بمثله . هكذا أقول وأنا واثق بما أقول : إن هؤلاء العلماء الذين نبغوا في الأرض وأحدثوا فيها انقلابا عظيما كانوا في طلبهم أشبه بهذا الكونت وفعل الله معهم ما فعلته الفتاة الأمريكية مع الكونت العاشق لها - ولله المثل الأعلى - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - وعليه أقول : إن أحبائي قراء هذا التفسير ستحدث لكثير منهم شؤون وشؤون وسيصبح كثير منهم مغرمين عاشقين لهذا الوجود وهذه العلوم ولرب العلوم وسيعلمهم الله هذه المعاملة عينها وهو لا يعطي إلا العاشق أما المتكافئ الذي لم ينقلب تكافئه عشقا فهو من الصالحين لأن الحكماء المحققين ، وأقول أيضا : وإذا كانت الفتاة الأمريكية وإذا كانت العلوم والمعارف المخبوءة في هذا العالم يحجبها الله عن الناس ولا يعطي بها إلا العاشقون لها ، الباذلون فيها مهجهم الفرحون بها المولعون ، فبالك ينزل العلوم وخالق الصور الجسيمة ، فهو الكبير المتعال وإذا كان مخلوق الكبير المتعال هذا شأنه فبالك به ! وهو الذي إليه يرجع جميع العالمين

(الاتحاد المادى والاتحاد المعنوى)

(وهذا الأخير قسمان : صناعى ، وطبيعى . ومعنى السلام على الصالحين فى الصلاة)
فلما سمع صاحبي ذلك قال : أود أن تزيدنى فى معانى الحب لأن الحب حياة العلوم وكلما زدنا به علما زدنا سعادة . فقلت : إن علوم الكيمياء اليوم قد أوضحت أبواب الحب وشرحته وفسرت لنا معنى قول المصلى ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ . فقال وأى مناسبة بين الصلاة وبين علم الكيمياء . فقلت : رعاك الله . ألم تسمع كلام الهيدروجين المتقدم ذكره وإلام يشير ألم تسمعه وهو يتحدث نارة بالاكسوجين الذى فى الهواء ، وتارة بالنيروجين الذى منه . فى الأول كان منهما الماء . وفى الثانى كان منهما النشادر . وبالماء حياة كل حي . وبالنشادر مع مواد أخرى سواد مزارعنا . فقال : ما سمعت من الهيدروجين شيئا . فقلت : إن الادروجين لما أحرق فى الهواء ورأى حبيبه وهو الاكسوجين انطلق إليه حالا وعانقه وقال :

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب إلا للحبيب الأول

وقال

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتنا أبصرته * وإذا أبصرته أبصرتنا

فهو عاشق للاكسوجين وليس عاشقا تمام العنق للنيروجين فاحتاج فى الاتحاد مع الثانى الى أحوال خاصة أما مع الأول فكان مسرعا إليه . ثم لى فهمت من هذا الاتحاد وأمثاله أن الاتحاد على (ضريين) اتحاد جسمى واتحاد روحى . والاتحاد الروحى أو المعنوى على ضريين أيضا : اتحاد طبيعى واتحاد صناعى . أما الاتحاد الجسمى فهو ما نراه فى المادة من اتحاد الهيدروجين بالاكسوجين ثم اتحاد النيروجين أى الأوزوت واتحاد ذرات الغذاء والماء الداخلات فى أجسام النبات والحيوان فانها بالاتحاد كان منها هذه العوالم كلها ومن عجب أن يكون هذا العالم يسعى لهذا الاتحاد . أما الاتحاد المعنوى أو الروحى العلىمى فهو اتحاد الصور العلية بالأنفس الإنسانية فان هذه النفوس لما نزلت الى الأرض لم يكن عندها علم ولا حكمة بل كانت غفلا ساذجة فأتى إليها العلم من الخواص ومن العقل . وما العلم إلا صور معنوية . فهذه الصور اتحدت بهذه النفس كما اتحد الاكسوجين باليدروجين فتكون الماء . هكذا هذه الصور المرئية والمسموعة والمشمومة والمذوقة كلها قد اتحدت بهذه الأرواح ففعلت بها ما فعلته الأغذية بالأجسام العضوية . فالجسم لم يكن جسما إلا باتحاد العناصر الداخلة فيها اتحاد الاكسوجين مع النيروجين . هكذا الروح لم تنم ولم تكمل إلا بالاتحاد مع الصور

التي وردت لها من الحواس فيها تمت وبها عقت . فكما رأينا أن الطفل في أول أمره وهو جنين في الرحم (انظر في سورة طه عند قوله تعالى - قل ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى -) لم يكن إلا بيضة لا تراها العين في الرحم ثم تغذى بماء الحيض وأخذ ينمو شيئاً فشيئاً ومرت على أدوار مختلفة ، هكذا كان ادراكه أشبه بهذه البيضة الصغيرة ثم أخذ ينمو بما يرد اليه من الصور الواردة من الحواس ، فإذا كنا نرى أن البيضة الأولى في الرحم أصبحت لا تنفصل عن المواد التي وردت لها واتحدت بها هكذا هذه الروح الانسانية أصبحت لا تنفصل عن معارفها . فقال لي : هذا القول لا دليل عليه فأننا ننسى ما عرفنا وإذا كبرنا أصبحنا نهرف بما لانعرف . فقلت له : الاتحاد باق كما هو في حال النسيان وفي حال الهرم ، وغاية الأمر انه أصبح مريضاً في عقله كما انه مريض في جسمه ، فإذا كان اتحاد الجسم لم يبطل بمرضه هكذا اتحاد النفس بالصور لم يبطل بمرضها ، وأيضاً يقال : إن كل ما عرفناه مخزون في نفوسنا مهما طال عليه الأمد فهو أثبت من الأحوال المادية الأتري أنا اذا رأينا ذانا جيلة ثم مرت عليها سنون فرضت أوماتت فأنها في عقولنا محفوظة لم تتغير ، فالفلاسفة استدلوا بهذا على أن نفوسنا أصول للصور وأوعى لها من المادة وأحفظ لبقائها ، ومعلوم أن الناس في أحوال المرض يتذكرون أموراً قد نسوها في حال الصحة فهذا دليل على أن النسيان ليس معناه أن الصورة قد زالت . كلا . بل معناه انها مغطاة عن الذاكرة اعراض عرض لها . إذن عندنا اتحاد جسمي مادي وهو المشاهد واتحاد روحي أو معنوي وهو ما نحس به في نفوسنا وهذا هو الاتحاد الطبيعي

أما الاتحاد الروحي أو المعنوي الصناعي فهو اتحاد رجال الحكومات والشركات ووضع النظم في الأرض واتحاد الجمهوريات والمجالس النيابية ، فهذه كلها اتحاد صناعي ، فهم يعملون للدولة وللحكومة واسكن الشهوات غالبية على كل واحد منهم فليس اتحادهم كاتحاد الأكسوجين باليدروجين ولا كاتحاد الصور بالأنفس الانسانية والعالم الذي نحن فيه لا تنال فيه نعمة إلا بالاتحاد ، فلو لا اتحاد عناصر أجسامنا ببعضها ولولا اتحاد الصور بأرواحنا ما كانت أجسام ولا كانت مدنية وحياة ، إذن الاتحاد بجميع أنواعه هو الذي عليه نظام هذا الوجود ، والذي عرفنا قيمته جهرة هو علم الكيمياء وهو العلم للشريف البهيج الجليل

فقال صاحبي : هذا موضوع يرجع الى الفلسفة والحقائق وما نتيجته عملاً ؟ قلت الآن وصلنا الى ما قصد إن نتيجة هذا الموضوع أن هذه العقول الانسانية الى الآن لم تتحد اتحاداً طبيعياً ولا صناعياً فهم أشبه بعناصر متفرقة قليلة الفائدة والعائدة ، إن أهل الأرض اليوم لا يزالون في حال الطفولة أو المراهقة ولم يزالوا في مبدأ أمر الحياة ، إن الله حكم على هذا النوع الانساني أن لا يرتقي مرتبة إلا اذا ارتقى اليها بنفسه ولم يأذن لهم أن يخرجوا من جهلهم إلا بأعمالهم الخاصة . والدليل على ذلك أن أهل الأرض لم يعطوا الكهرباء إلا بعد ما اجتروا لها ، ولا أعطوا الحديد ولا النحاس إلا بعد ما بحثوا عنهما . ألم تر الى قوله تعالى - وأن ليس للانسان إلا ماسى - وأن سعيه سوف يرى - فمن ظن أن سعى الانسان خاص بالأعمال الصالحة الفردية فقد ضلّ وغوى

أيها الذكي : إن كتابي هذا ليس خاصاً بالمسلمين . إن كتاب الله عز وجل لم ينزل للمسلمين وحدهم . إن كتاب الله للعالم قطبة لأن قوله عام لم يخص بأمة دون أمة . فالمرسوم عليه أن يوجه اهتمامه للعالم كله وهأنذا أجدني مسوقاً لهذا المعنى . أجد قلبي ولساني وقلبي يتسابقون الى فهم النظام العام ومخاطبة الأمم كلها إن كتاب الله لسائر الأمم فلا جعل كلامي للصالح العامة الانسانية . وإذا كنت منذ (١٨) سنة ألفت كتاب (أين الانسان) وخاطبت الأمم كلها وأنا عبد من عباد الله فما بالك بما أكتبه في تفسير كلام الله ففي هذا التفسير أخطب الأمم كلها من باب أولى والله هو الملهم والله هو المتولى أمور الناس عامة وخاصة وهو الذي يعلم نتيجة هذا وليس على إلا أن أسطر ما امتلأت به نفسي وبرز لي قلبي وعلى لساني . فلذلك أخطب الأمم

الانسانية في هذا التفسير فأقول :

أيها الأمم الانسانية : أنتم قد خلت من قبلكم أمم فسرت في الأرض فنظرت كيف كان عاقبتهم ، كان الأولون من نوع الانسان لا يعرفون من العلم إلا أن يستعملوا الحجارة في أدواتهم ، قللة لم يكن لهم بأكثر من هذا ، ثم جاء العصر البرنزي والحديدي ثم البخاري والكهربائي ولم يرد أن يعطيهم شيئا من ذلك إلا بجهدهم واجتهادهم ، إذن ثبت بالفعل هنا ﴿ أمران في الأول ﴾ ان الخزان مقلدة أمام الانسان ﴿ الثاني ﴾ ان هذه الخزائن لا تفتح إلا بجهدنا . ثم يظهر لي أن للأرض مستقبلا يكون الناس فيه سعداء . ذلك هو اليوم الذي ورد في القرآن - حتى تضع الحرب أوزارها - فهناك يوم يصبح الناس فيه اخوانا في الحياة متحدين اتحادا كاتحاد الاكسوجين والادروجين وكاتحاد الصور الممتزجة بأرواحنا . ذلك يوم تكون فيه الانسانية في الدنيا كأنها في جنة . فالجنة للصالحين بعد الموت ويوم القيامة لامتزاج أرواحهم واتحادهم في أخلاق وعادات . والأرض تكون فيها سعادة نسبية لأهل الأرض

أيها الأمم : إن هذه الأرض لم تحظ قبل اليوم بانكشاف الحقائق واطلاع الغربي على ما عند الشرقي وبالعكس ولم تكن هناك مواصلات ولا محادثات على بعد مثل ما هو حاصل اليوم

أيها الأمم : إن النبي ﷺ آخر الأنبياء وهو ينادي بهرة بالسلام العام . نعم هو استعمل الحرب مؤقتا في الزمان الذي كان الانسان مضطرا اليها فيه . ولكن الاسلام يسعى من جهة أخرى الى السلام العام . ويود الاسلام أن الأمم كلها تكون على وتيرة واحدة في الارتقاء والأعمال العاقمة كما قال علماؤنا ﴿ لا يبقى في الأرض إلا مسلم أو مسلم ﴾

إن أهل هذه الأرض قد آن لهم أن يعملوا بما كتبته في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ بحيث يتعلم كل امرئ ما قدر عليه ولا تذرون فردا ولا أمة بلا تعليم ولا تذرون أرضا ولا هواء ولا ماء ولا ضوا بلا بحث لاستخراج منافعه وإن تناولوا هذه النعم إلا بتعليم جميع الأمم وجميع الأفراد تعليما على مقدار الاستعداد . إن الاستعداد في الأرض موضوع فيها بقدر وعلى مقتضى سعادة أهلها فالتقص عنه نقص في السعادة

أيها الأمم : إنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارقبتم وغرتكم الأماني . أنتم أمامكم العلم والعمل وأمامكم أرض الله الواسعة . لنظر في الانسانية الحاضرة . إن الأمم القديمة لم يفتح لها ما فتح لنا . إن العلوم قد فكت أبوابها والمادة قد أخذت تنادىكم أن هلموا اليها والسعادة أصبحت على الأبواب . تقولون نحن كشفنا . نعم كشفتم ولكن كشفتم جزءا من آلاف الآلاف . انكم اتبعتم خطوات الحيوان في كشفكم كما تقدم (في سورة طه عند قوله تعالى - قل ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى -) ولكن لم تلتحقوا شأوه

ألم تدرسوا المرجان وجزائره . ألم تنظروا بأعينكم (انظروا مصورة في سورة الفرقان عند آية - وهو الذي مرج البحرين -) هل اتحدتم كما اتحد المرجان . لالا . أنتم قلتم الخمل في حربه والعنكبوت في صيده والغارة في جر الأنهار للنازل ولم تتجاوزوا أعمال الخمل في استخدام الاسرى وفاتكم حيوان المرجان . ذلكم الحيوان الذي أخذ المادة السلكية التي في ماء البحار وحولها الى هيئة أشجار ثم هيئة جزائر وتلك الجزائر تعد بالآلاف تنبت فيها النباتات وتعيش فيها الحيوانات آمنة مطمئنة . فبالسك عن عمله مقصرين . تعتمد الأمة منكم الى أمة أخرى فتتجهج عليها فتأكل خيراتها وقد علمكم التاريخ أن من أسكل على غيره في اصلاح نفسه أوجب طعامه كان ذلك سببا في ضعف نفسه جسما وعقلا ثم يكون الانقراض

اتحد حيوان المرجان فتفنن في صنعه حتى كوّن جزائر وتلك الجزائر كانت سببا في الحياة لأمم وأمم من الحيوان تعيش في أمن وسلام

أنا لست أقول إن هذه الأجيال تستطيع ذلك . إن علومها ومعارفها وقلة عددها لن تسمح لها باحداث

قارات جديدة في البحر . ولكن لتنظر أرم الأرض الآن في الأرض التي نسكنها الآن . اللهم إني أقول ما ألهمتني وأنت شهيد وأنت المهيم على الأمم وعلى الأفراد

إني أضرب لكم مثلا مما في هذه الأرض : إن مساحة الجزائر الهندية الشرقية التي تحكمها (هولانده) وحدها بقطع النظر عن الباقي مليون وتسعمائة ألف كيلومتر مربع أو (٧٣٣) ألف ميل مربع وهو يعادل مساحة بريطانيا العظمى وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وسويسرا والدنمارك والسويد (أو بعبارة أخرى) يساوي نصف مساحة أوروبا تقريبا من غير روسيا

فلتنظر إلى السكان فإنا نجد جزيرة جاوه وجزيرة مدورا وهما من تلك الجزائر نحو (٣٦) مليون نفس و ٤٠٠ ألف نفس تقريبا ومساحتهما معا نحو (١٣١) ألف كيلومترا أي (٥٠) ألف ميل تقريبا ، وتعاود مساحة انكلترا بدون اسكتلندا وويلز وارتلندا . وسكان سومطره (٦) مليون وربع مليون تقريبا مع ان مساحتها (٤٢٠) ألف كيلومترا أي (١٦٢) ألف ميل مربع فهي أكبر من مساحة بريطانيا العظمى

فأنا لا أطيل في سرد الأمثلة ، فإذا كانت (سومطره) بمقدار جاوه في المساحة نحو ثلاث مرات ولكن سكانها أقل منها ست مرات فعنا انما تسع نحو مائة مليون نفس ، وإذا كانت جزائر الهند الشرقية التابعة لهولانده وحدها مساحتها بمقدار مساحة نصف أوروبا تقريبا وسكانها ما هم إلا (٥١) مليوناً من النفوس والأرض خصبة والمناخ أرق من مناخ أوروبا لأنه عند خط الاستواء وخط الاستواء مهد الجنس البشري كما قيل « وهو مهبط البركات ومعدن النعم الإلهية التي يلقها الله بأشعة شمس على الأرض » فهذا معناه أن هذا النوع الانساني الآن لم يزل طفلا قد عطل أرضه وتقاتل في أراض ضيقة متبعا خطوات الجهالة كما قال تعالى - قتل الانسان ما أكفره - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا - فالانسان لم يؤتمن على الأمانة التي سلمت له وهي هذه النعم . إن جزائر الهند الشرقية التي اتخذتها مثلا تمتد من آسيا إلى أستراليا بين درجة (٩٥) ودرجة (١٤١) من خط الطول شرقا وبين الدرجة (٦) شمالا من خط الاستواء و (١١) جنوبا منه وأطول خط من الغرب إلى الشرق خمسة آلاف كيلومترا فتتمخر فيها السفينة البخارية في (١٤) يوما في وقتنا هذا ، وهذه المسافة (الخمس آلاف كيلومترا) تعادل تقريبا المسافة بين الشاطئ الغربي لارتلندا في الاطلنطيق وبين الشاطئ الشرقي للبحر الاسود في آسيا ، وأبعد مسافة من الشمال إلى الجنوب (٢٠٠٠) كيلومترا وتعاود المسافة بين البحر الأبيض الشمالي وروسيا . وبمجموع طول شواطئ هذه الجزائر يعادل طول دائرة الأرض . جزائر الهند الشرقية ضربتها مثلا لما في الأرض من منسع عظيم . وكما في أمريكا الشمالية والجنوبية من أرض خالية من سكانها وكما في العقول الانسانية من مواهب لم يستخدمها ولم يستخرجها الانسان

إن المسلم يقول في صلاته - اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم - ويقول المسلم في صلاته ﴿ السلام عليك أيها النبي - السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ . المسلم يسلم على الناس وعلى أهل منزله ويسلم على نفسه وعلى الصالحين اذا دخل المسجد . إن الصراط المستقيم بال هو صراط الله وصراط الله هو الصراط الذي قامت به السموات والأرض والصراط الذي قامت به السموات والأرض هو صراط يوجب الاتحاد لأننا لم نجد نباتا ولا حيوانا ولا انسانا قام على الأرض إلا بعناصر متحدة فقام ذلك الخلق وهو الاتحاد المادى الجسمي كما تقدم في اتحاد الهيدروجين بالأكسوجين نارة فكان الماء وبالنيروجين نارة أخرى فكان النشادر . إذن صراط الله يرجع إلى النظام والنظام أوجب الاتحاد وهكذا اتحدت الصور العلمية في نفس هذا الانسان فكان العلم وكان العمل وهو الاتحاد المعنوي الذي قتمناه

يقول المسلم - اهدنا الصراط المستقيم - والصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في

الأرض . فلكه في السموات والأرض لم يتم إلا بالنظام والنظام أوجب الاتحاد والاتحاد قمت به الحياة . فاتحاد ذرات الأجسام واتحاد الصور العلمية في العقول قام بهما هذا الوجود ، فليسلم يقول اهدنا نفس هذا الصراط ونفس هذا الصراط هو صراط المنعم عليهم الذين هم غير المغضوب عليهم وبهذا الصراط يكون السلام العام الذي يقوله المسلم في التشهد ويقول لمن يقابله ويرزقه والمسلمون قد فرقهم الله في الأرض وانتشروا فيها في كل صقع وبلدة وهم يقولون هذا القول في صلواتهم ويريد الله بهذا أن يرقى الإنسانية كلها لأن الأرض ملوثة بالخيرات ، وقد كان الإنسان قديما تحمده المجاعات والحروب والأمراض والطاعون وهاهوذا الآن يسمى ليل للحر والمرض ككاسي وخفف وطأة الطاعون ، فهاهم أولاء يكثرون وينفثرون في الأرض والطرق سهلت للتقارب

فليعمر الناس كل أرض لاساكن بها . ولقد كتبت في كتابي (أين الإنسان) أن كل أمة عندها أرض واسعة وقل رجالها عليها أن تقبل في أرضها أقواما من أمم أخرى كما تفعل الممالك المتحدة ، هذا واجب محتم ، فلتعمر الأرض الموجودة الآن ، ثم لتوجه الهمة من الآن الى تعليم جميع الأمم جملة وأفرادا حتى اذا امتلات هذه الأرض بنوع الانسان وكانوا أضعاف أضعاف الانسان الحالي كانت عقولهم قد أخذت كلها حظها من العلوم والصناعات مع رياضات الأبدان وقوتها ، فهناك هذه الأمم تتصافر وتصنع قارة جديدة في المحيط الهادى مثلا أو تحدث جزائر للسكنى فيها ، فاذا كتمت أيها الناس اليوم قلتم العمل في حربه وأسراه وقلتم العنكبوت في نسجها وصيدا وقلتم الآساد في افتراسها فأنتم والله أعجز مخلوق على الأرض اذا أنتم تركتم مواهبكم واحتجتم الى أرض جديدة بعد دهور ودهور ثم عجبت أن تصنعوا ما صنع حيوان المرجان من أحداث أرض جديدة

أنتم الآن لستم في حاجة الى أرض جديدة . أنتم في حاجة الى عقول كبيرة مرشدة ترشدكم الى طرق نظام أرضكم هذه والاتحاد في تعميمها ، فاذا ظهر فيكم هؤلاء الرجال عرفتم جميعا أن الانسان محتاج الى الانسان وانهم جميعا يكونون أشبه بأعضاء جسم واحد فيما تقدم ، أو بصور علمية في نفس واحدة

فاذا قال المسلم - اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم - فليعلم المسلم وغير المسلم أن من كانوا متعاونين مخلصين من أهل الأرض وهم خلاصتها فإن هؤلاء يكونون في العالم الأخرى أوفى عالم الأرواح أشبه بنفس واحدة ، ففكر الواحد ففكر الجميع ولهم هناك نتائج لانعالمها وهكذا أهل هذه الدنيا في مستقبل الزمان حين يكثر وتعمر أرضهم ويكونون كأنهم رجل واحد أو نفس واحدة ، فهؤلاء حتما منعم عليهم كأهل الآخرة الصالحين ولذلك يقول الله في أهل الجنة - ونزعنا ما في صدورهم من غل - اخوانا على سرر متقابلين -

فالأرواح العالية أراؤها كلها رأى واحد فما يراه أحدها يراه الآخر ، فاذا ارتقى أهل الأرض وكانوا هكذا فيها بعد أجيال وأجيال فهم أيضا غير مغضوب عليهم لأن هذا مطلوب الاسلام لأنهم على صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض

ألاهل أذكرك بحياة الخلية الواحدة في العالم الحي . فقال : ما معنى هذا ؟ فقلت : قد كشف للناس بسبب اختراع المنظار المكبر أن أنسجة الجسم مركبة من خلايا . قال : نعم هذا معروف . قلت : وكشف هذا أمثال (شون) و(شليدن) و(فيرشو) وذلك أن كل حي يبدأ حياته بهيئة خلية وهذه الخلية تنقسم ويستمر الانقسام وهذه الخلايا تقسم أنفسها أقساما كبيرة وتعمل لكل قسم عمله الخاص به فن هنا كانت الأعضاء والأجهزة المختلفة فانظم المجموع مع ان لكل خلية حياتها المستقلة وهذا هو تفسير نظرية الحب . فكل من الحبيبين يود الاتحاد بالآخر ليحسن بالسعادة بذلك الانفصال . فبينما ظهر الأمر . كل خلية في كبد أو أمعاء أو

هذه مستقلة في حياتها منضمة الى غيرها فرحة بذلك وكل عضو كالسكبد وكالقلب عنده هذا المبدأ مستقل في عمله فرح بالاشتراك مع غيره لتكامل حياة المجموع ، وهذا بعينه هو سياسة الأمم في المستقبل ، يسعد كل فرد باستقلاله وحياته وهو فرح باندماجه في جماعة والجماعة فرحة لانضمامها للامم الأخرى . هذه هي الانسانية المستقبلية . أما الانسان الخالي فهو طفل لم يعرف شيأ من ذلك ، وسيصل لهذه المرتبة في مستقبل الزمان ، والأرواح التي تخرج من الدنيا الآن وهي غير مستعدة لهذا الاتحاد مع غيرها تكون أقرب الى جهنم والعكس بالعكس

فلما سمع صاحبي ذلك قال : وهل قول المسلم - صراط الذين أنعمت عليهم - معناه ذلك ؟ قلت : أليس تعلم أن المنعم عليهم هم الصديقون والشهداء والصالحون الخ قال بلى . قلت : أليس هؤلاء يسعون لسعادة الأمم . قال بلى . قلت : أوليس العالم أو الملك تكون منزلته على مقدار ما أسدى من المعروف للانسانية . قال للمسلمين . قلت : كلا . إن الأمم الاسلامية واجب عليها أن تحافظ على من تحكم من الأمم وعلى من تسلم أو تعاهد وهكذا . إذن نحن جئنا لمنفعة الانسانية كلها . قال نعم . قلت : ثم إن الانسانية كلها كانت أكثر تضامنا كان أفرادها أوفر سعادة ، فإذا سلطنا فرضا أن منفعة المسلم والصالح إنما تكون للمسلم أولم يدخل في سلطانه فان هؤلاء تكون سعادتهم أوفر اذا اتحدنوع الانسان كله ، وعليه يكون قول المسلم - صراط الذين أنعمت عليهم - له حال أرقى أحواله وهو وفرة المنافع بكثرة العقول المتحدة للنفع العام وذلك بأهل هذه السكرة ، كيف لا وقد رأينا أن مخترعي الآلات البخارية بجميع أنواعها والكهربائية وصانع الآلة الحماكية (الفونوغراف) والتلغراف الذي له سلك والذي لاسلك له والطائرات والبالونات لم يقتصر نفعهم على أهمهم بل عموا بنفعهم الأمم كلها ونحن منهم . فإذا كان العمل من قوم لم يقولوا « الحمد لله رب العالمين » ولم يقولوا « اهدنا الصراط المستقيم الخ » أي أنهم لم يوجهوا وجوههم قبل العالم كله في دينهم وقد نفعلونا ونحن نقول : إن الله محمود لأنه يربي العالمين لا المسلمين وحدهم ونطلب من الله أن يهدينا صراطه المستقيم الذي به نظام السموات والأرض المعبر عنه بالعالمين ، فلامعنى هدايتنا لذلك إلا بأن توجه قلوبنا للمنافع العامة لأن هذه صفة هو التي نحمد الله عليها والتي طلبنا الوصول اليها . وكلما كان النفع للناس في الدنيا أشمل كان الارتقاء في الآخرة أكثر فإذا طلبنا في صلاتنا أن نكون مثل الأنبياء والصالحين في عمل الخير انرقى به في الآخرة فكماله أن يتم نفعنا الأمم كلها . وإذا مررنا جميع الناس على فعل الخير في الدنيا كان هذا المران عدة لهم يوم الدين . إذن أفضل أحوال المسلم أن يكون في الأرض مع انسانية سعيدة في الأرض كلها حتى يكون ذلك أسعد له في الآخرة وهذا أفضل من السعادة القاصرة على أمة أو على أمم . فلا كمال في الآخرة إلا بعد الكمال في الدنيا ولا ثمرة هناك إلا بما غرس هنا والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

فيا أيها المسلمون : اذا نحن طلبنا من الأمم كلها أن يتحدوا للمنافع العامة وأنتم - خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله - فقولوا وخبروني أيها المسلمون : هذه أم الأرض الآن لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر وأضرب لكم مثلا :

هذه الأيام أيام انقلاب وقد كانت أم الشرق كلها غافلة نائمة وكان للفرنجة سفراء في بلاد الاسلام وهؤلاء السفراء كانوا يبقرون في القرب من ملوك الشرق ومعهم نساؤهم وملوك الشرق يكرمون الضيوف فأعطوهم امتيازاً في بلادهم كما هو شأنهم في اكرام الضيوف . فإذا جرى ؟ أخذ الشرق يضعف وأخذ الغرب يقوى . أصبح الامتياز مهلكة للبلاد وإذلالاً لهم . فنهض الشرق اليوم نهضة الآساد ومنعوا تلك الامتيازات كأهل ايران والترك والصين واليابان . إنما الأمر المحزن المألوم أن هذه الأمم لم تنازل عن الامتيازات إلا بحد السيف . وليس هناك للانسانية نصيب وقد بقيت مصر وفيها امتيازات للاجانب وقد كانت تابعة لدولة الترك ولكن

الترك منعوا ذلك الامتياز ولم يبق بلد فيها امتياز مثل مصر ومصر جيشها ضعيف لأن الانجليز منعوها أن تنظم جيشها ، فبقيت الامتيازات ظلماً في البلاد فلم نجد هذه الدول نهى بعضها بعضاً عن هذا الظلم . إذن المدنية الحاضرة داخلية في قوله تعالى - كانوا لا يقنأون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون -

ولقد جاء في كلام (اللورد أفبيري) الانجليزى نقلاً عن عالم يابانى ما ملخصه : « ان أوروبا لما كنا نابغين في العلوم سمونا نصف متمدينين ، ولكن لما قتلنا منهم مئات الالوف وأرسلناهم الى عالم الآخرة اعتبرونا متمدينين » إذن المدنية الحاضرة ناقصة وأهلها ليسوا شهداء على الناس . إن الأمم المستعمرة جميعها قد حتمت أن تنشر الجهل بين من تحكمهم من المسلمين ، فالجهل هو الذى أهلك المسلمين وأذلهم . إن هذه الأمم وهم بهذه الحال لا يصلحون لاسعاد أهل الأرض ، وكيف يصلحون لذلك وهم لا يعرفون المصلحة العامة ؟ ولن يصلح هذا النوع الانسانى مطلقاً لرقى النوع الانسانى إلا اذا كانوا جميعاً مثل الشهم النصف الانجليزى وهو (المستر بلانت) فإنه ألقى خطاباً في بلاده نهى فيه قومه عن احتلال بلادنا المصرية واعتبر هذا عسفا وظلماً ، وخطب رئيس الحزب الوطنى المصرى بما معناه :

« إنكم يا أهل مصر تريدون أن نعطيكم استقلالاً ، فاعلموا أن الأمم الأوروبية لا تعطى إلا مكرهه ، ولا يمنحها عن ظم الأمم إلا السلاح ، أما إعطاء الاستقلال بلا سلاح فبئسذا مستحيل ، إن من يغركم بأنكم ستأولون استقلالاً بغير هذه الطريقة فلا تصدقوه » اهـ

هذا خفى خطابه والمسيو (بلانت) هذا رجل حرّ مخلص للانسانية وهذه شجاعة منه ونزعة شريفة ولعمري لن يكون نوع الانسان سعيداً إلا اذا كان كله على أخلاق كأخلاق هذا الانجليزى

فعلى المسلمين أن يتعلموا علوم الأمم كلها وأن يساووهم ثم ليكونوا عوناً لأُم الأرض كلها . إنهم وسط بين الأمم وهم كالمالح في الطعام ، فليمنعوا الأقوياء عن الضعفاء ، هنالك فقط يكونون خيرأمة أخرجت للناس - يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، وبهذا يسعد نوع الانسان

أيتها الأمم الاسلامية وغير الاسلامية : أتسبقكم (الأرضة) التى شرحتها في سورة الفل وسورة سبأ ، تلك الممالك العظيمة من هذه الحشرة العمياء التى تبنى مدناً عظيمة تمتد أميالاً وأميالاً وترتفع (أ) أمتار فوق الأرض وهذه الحشرة العمياء تقوم بنظام عملها بغاية الدقة والأوامر مطاعة من ملكتها ، لوعدت هذه الحشرات فى المملكة الواحدة منها لزادت عن نوع الانسان ، فهل يحجم نوع الانسان عن تكوين مملكة كملكيتها ؟ وهذا حيوان المرجان الذى قدمت ذكره هنا وقلت انه أرجد فى البحر جزائر ، فهل عجز الناس أن يتحدوا ويأتوا بالجائب . وكيف يتحد المرجان فى البحر والأرضة فى البر مع ان عدد الانسان على الأرض ضئيل بالنسبة لعدد الحشرات فى هذه الممالك . إن الانسان فى المستقبل سيصل لغاية يجهلها الانسان الحاضر . إن الشمس لا تهدأ فى جريها وكذلك القمر والنجوم نشاط مستمر والبحر لا يهدأ ولا يسكر وفى الطبيعة نشاط مستمر عجيب . فسبحانك اللهم نراك حوّلت الماء فى القطبين أراضى واسعة تلجية وخلقت من الماء جبالات تلجية عظيمة تعوم على وجه البحر وعلمت الناس طريقة بها حوّلو النيتروجين الذى هو أحد عنصرى الهواء حوّله مع الادروجين الى النشادر وهو قد دخل فى سماء الأرض وفى المفرقات فتارة يكون طبقة تسمد الأرض وتارة يكون منمياً للزراع فى أنحاء الكرة الأرضية

الهواء صار أجساماً جامدة والماء حوله المرجان أى حول ما فيه من المواد الى آلاف من الجزائر العاصرة فهل عجز الانسان عن الأمرين : الاتحاد العام كاتحاد المرجان والأرضة وإيجاد جزائر فى البحر عند الاضطراب نعم الانسان اليوم طفل والطفل انما يفرح بالمفرقات فهم قد أطمعوا اليوم صنع المفرقات لأنهم أطفال فأما غدا فسيكثر نوع الانسان ويكونون أعلم من هذه الأجيال وحيدئذ يفهمون روح هذا الوجود ويعقلون قيمة

الشمس والقمر والكواكب وكيف ركب فيهم عقول قادرة على الابداع واسعاد أهل الأرض - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - ومتى جاء ذلك اليوم أى يوم الاتحاد العام يظهره نبي حديث البخارى الذى يفيدنا أن الرجل يأخذ الصدقة فلا يجد من يأخذها . إذن ذلك يوم يستخرج فيه من الأرض منافعها ومن العقول مواهبها . ذلك هو اليوم الذى يكون المسلمون فيه شهداء على الناس لأن أهل الأرض اليوم عن هذه المرتبة قاصرون . انتهى ليلة الأحد بعد نصف الليل فى ١٣ يناير سنة ١٩٢٩ م

﴿ ضوء الجوهرة ﴾

وعدنا الله أن يرينا الآيات - ولن يخاف الله وعده - إن الله لا يخاف الميعاد - . أنت وعدتنا يا الله أن ترينا آياتك ، وآياتك هي التي ذكرتها فقلت : - سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - . وقلت - ولقد أريناه آياتنا كماها فكذب وأبى - . وقلت - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون - وأنت ترينا الآيات فى خلقك من شمس وقمر وكوكب وأرض وما عليها من نبات وحيوان ومعادن ، أنت ترينا والأنبياء يرونا - فأراه الآية الكبرى - والطيور ترينا فقد جاء فى الغراب - ليريه كيف يوارى سواة أخيه -

اللهم أن كل شئ فى مخلوقاتك يرينا . هذا وبيننا أنا كتب هذا إذ حضر صديق العالم وقال : ماذا تريد أن تكتب بعد ما جاء فى هذا التفسير من هذه المعاني ؟ إن هذا المعنى قد تكرر فى كل مناسبة . فقلت : لا مكرر فى هذا . ألا ترى رعاك الله أن هذه ألوان الكلام وفنون العلم وأصناف المعرفة ، ومن عادة النفس أن تحب التنفن فى الأساليب كما تحب شهوة الطعام التنفن فى المأكول وتحب العين أفانين الصور والأذن أنواع النغمات . إن النفس أشوق الى هذه الأفانين ولكل وقت فن وفيض خاص وابداع ومناسبة . فقال : فإذا الآن ؟ قلت : إن الله يقول - سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - ويقول أيضا - . وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها -

اعلم أيها الذكي أن أصل كل تلك المعارف إنما يقصد بها نفوسنا ، فلنبحث فى أمر هذه النفوس وقواها فهي عندي أصل الحكمة ، وأصل الفلسفة ، وأصل الابداع فى الدنيا ، انظر قواها . إن لها أفانين من الغرائز وأنواعا من العواطف . وعادة الناس أن يحبوا من الطير ومن الأنعام ومن الكواكب . أما أنا فى هذه الساعة فكأننى منفصل عن نفسى وكأنها أمانى أشرحها شرحا جيلا . أرى نفسى يعوزها الطعام والشراب والكساء والزواج والعلم . لم هذا ؟ إنما حدث هذا لأن الله يرينا أنه لاعمى شهوة الطعام والشراب ولا شهوة النساء وللمدافعة العدو إلا للعلم . فكل ما فى وجودنا لا يراد منه إلا العلم حتى العبادة هي ممران النفس لتستقر على حال وتحصل لها ملكة تثبت عليها من الأخلاق أو العلم . قال أوضح هذا المقام إذا شئت . فقلت : إن الله أحوجنا للطعام والشراب ودفع نفوسنا الى طلبهما وركب فينا شهوة لتقبل الطعام وهذا مبادئ أول من مبادئ العلم لأن الحواس أخذت تهتم وتميز الحلو من المالح والحامض . فهذه مبادئ العلم وهكذا يمتاز الماء العذب من المالح . كل ذلك مبادئ للعلم فان احساس الحواس مبادئ العلوم . فقال لاشك فى ذلك . فقلت وقد علمت فيما تقدم فى هذا التفسير كيف كانت جميع مآكلنا وماكل كل حيوانا عبارة عن مواد محرقة . فانظر لطعام جئ به لعمدائنا لتبني كيف آل الأمر فيه الى أن تنبت فينا قوة العقل فأصبحت (بعد أن كانت خامدة) نارا متأججة تنقب وتبحث

سبحانك اللهم . أن تكون شهوة الطعام والشراب ولذة الوقاع وحب الانتقام من الأعداء هذه كلها للعلم فى الحقيقة . أليس من العجب أن دراسة طعامنا تنتهى بأن نرى (كما تقدم) أن المالح ماهو إلا الصوديوم

والكلور وكلاهما مادة مهلكة . فلو صوديوم يحترق اذا تعرض للهواء والكلور يدخل في الغازات الخفيفة والمواد المهلكة كما نه قتل للحيوانات الذرية المهلكة لوع الانسان

هذا الملح وحده مثال من بقية الأغذية في أنه أرى العقول الانسانية أنه من مواد مهلكة تزعج سحابا من الغاز على الجيوش فتهلكهم ، إن النفس الانسانية تدهش وتجب من هذه العجائب في نفوسنا ، إذ ذاك ترى عظمة لاحد لها وتعشق الحكمة والعلم ويزول عنها الجول ، فتسكون دراسة هذه العجائب موقظات للنفوس ، وكأن هذه الدراسة تباركها باقى سلط على النفس فيزقواها كما ان (الكهرباء) تحلل (بطريق خاص) العناصر ، وكأن الملح بانفصال كل من الكلور والصوديوم وحده تظهر قواهما وعند الاجتماع تسكون لهما قوة غير قوتيهما الأصلية . هكذا هذا الانسان ما دام لم يعرف العلم تبقى نفسه جامدة خاملة لا اشتراكها مع القوة الغضبية والقوة الشهوية . فاذا اطاعت على العجائب أخذت تتعالى وترفع عن القوتين الأخريين وتشمخ بأنفها وترتقى وترجع الى عالمها العالى وهو عالم الفكر كما يرجع الصوديوم الى حله النارية اذا وضع في الهواء . فنار الصوديوم كانت محبوبة في الملح فأنارها انفصال الصوديوم من الكلور . هكذا غريزة حب الاستطلاع وتأجج نيران النفس تظهر أتم ظهور متى اغترفت النفس من بنايع الحكمة لأنها ذاق ومن ذاق عرف وقبل أن تذوق كانت خاملة . لجميع العاتمة من سائر الأمم يأكلون الملح وأمثاله ولا تحترق أفئدتهم بحكمته وعلمه . فأما الذين أدركوا نظام الملح وأمثاله فأولئك تتأجج في قلوبهم نار الغرام بالحكمة والعلم ويقولون إذن : نحن نأكل ناراً منطفئة . فالقمح والشعير والذرة وأمثالها فيها (الجير والمغنيسيا وحض الكبريتيك وحض الفوسفور والكلور والصوديوم والبوتاسا . وهذه كلها مواد نارية . إذن الجبار القهار قهر هذه العناصر وأخذ نارها حتى خضعت لنا وأطاعت وأنت صاغرة . هنالك يفهم معنى اسم الله القهار الجبار والمتكبر والقابض والمذل والحكم والعدل واللطيف والمقيت والواسع والحكيم والقوى المتين والقادر المقدر والمنقسط والصار والنافع . هنالك يفهمون معنى هذه الأسماء . فهو جبار على الكبريت والصوديوم والبوتاسيوم وقوى عليها ومقدر ومذل فأذلها وأخضعها وأزها من حاراتها وجعلها منقادة حتى أكلها الانسان وجعل النار بالاحراق كالصوديوم نافعا في الأغذية بحسن اللطف في صنعه وهو مقسط عدل يجمع العنصرين بأوزان لا نقص فيها ولا زيادة ولولا ذلك لم تأتلف وهذه ظاهرة في علم الكيمياء أتم ظهور في جميع مركباتها

كل هذه المعاني محبوبة في أغذيتنا . فهذه الأغذية ظاهرة لاقامة حياتنا مع ان الحياء كان يمكنها أن تقوم بغير هذه المواد ولكنها توقفت عليها لتدرسها فلما درسناها أيقظت قوانا العاقلة وهكذا كل ما نحس به من ذل أو عز أو قوة . كل ذلك يستدعى عملا في مادة والعمل فيها يستدعى دراستها ودراستها تفتح للعقل باب النبوغ والحكمة . وهالك ايضا لبعض أسماء الله الحسنى في عناصر الطبيعة أوسع مما تقدم

قد تقدم في سورة البقرة وغيرها أن النبات مركب من العناصر وما يقرب منها . انظر الى العناصر الداخلة في القمح وفي القطن وفي البرسيم مما شرحناه في سورة البقرة وفي غيرها فانك تجد مقادير محدودة لانعيد شرحها وهذه المقادير قد حكم عليها أن لا تزيد ولا تنقص . فهنا يلبس المسلم القطن ويأكل القمح وهو لا يعلم أن الذي ازدرده من الطعام إنما هي كلمات الله بحكمة أو معاني الأسماء مشاهدة . وأنا أقول هذا الآن حقاً لا مبالغة

لم خاق القطن ؟ خلق من مواد منها الصوديوم والبوتاسيوم والجير والمغنيسيا الخ يلبس الرجل القطن وهو يجهل ما يلبس ! انه يلبس مادة محترقة ولكن عناية الله قد حلت بهذه المواد فاتحدت فصارت ملبسا . الصوديوم محرق وكذا البوتاسا والجير فتجلى عليها اسم (١) السلام (٢) والمؤمن (٣) والجبار (٤) والمتكبر . فلم المرء من نارها . فأمن من عودتها . فخصعت القوة المحرقة . ولا يبرز هذه المعاني لمن ليس أهلا لها (٥) الخالق لأنه قدرها (٦) البارئ لأنه أوجدها (٧) المصور لأنه صور ما خلقه

(٨) الغفار لأنه ستر هذه العجائب عن الناس وشفر لهم جهلهم كما أغفر نحن للأطفال (٩) القهار قهر حض الكبريتيك وحض الفوسفور يك فانطفاأت الحرارة وتكاملت القوى (١٠) الوهاب : لأنه لما أخضع هذه المواد واكتملت وهبنا (١١) الرزاق : فافتعنا بها (١٢) الفتاح : يفتح أبواب العلم فنعرفها وأبواب الرزق انعبش به (١٣) القابض : قبض ناراها فلم يسلطها (١٤) الباسط : بسط لنا الرزق بهذا التدبير (١٥) الجامع : لهذه العناصر هيئة نظامية بعدل لأنه (١٦) المقسط (١٧) العدل : وبهذه المخلوقات تكثر خزانته الناجية من قدرته فهو (١٨) غني و (١٩) مغنى لنا بها وهو (٢٠) مانع ضررها و (٢١) ضار و (٢٢) نافع . فالضرر بوضعها في غير موضعها كملح الطعام اذا كثرت والنفع اذا اعتدل المتعاطى لها (٢٣) الهادي : هدى الناس لعلهم واستعملوها (٢٤) النور : وهذا الاسم هو سر هذه الدنيا لأن القوم علموا أن لكل عنصر من العناصر التي تبلغ نحو ٩٠ نورا خاصا عند احتراقه وقد قابلوا أضواءها كضوء الحديد والنحاس والذهب والفضة والصوديوم والبوتاسيوم فوجدوها تختلف اختلافا بينا في أضوائها ثم نظروا في أضواء الكواكب وبحثوا فيها فوجدوا مشابهة بين الأنوار الواصلة من السماء وبين الأضواء الناجية من هذه العناصر كضوء الحديد والنحاس الخ لاسيما الخطوط المظلمة التي تتخلل تلك الأضواء . فهذه الأحوال تختلف في العناصر عندنا وتختلف في أضواء الكواكب الواصلة إلينا . وقد وجدوا أن الأنوار الكوكبية تحتوي على أنواع من الأضواء مشابهة لأضواء العناصر عندنا فحكموا بتركيب تلك الكواكب من عناصر مشتمل عناصر أرضنا . وعليه يكون اسم الله تعالى (النور) هو سر الكون ولذلك سميت سورة باسم النور وقال الله سبحانه - الله نور السموات والأرض - بل ثبت فيما تقدم في تفسير الآية أن أصل العالم نور . إذن اسم الله النور هو سر هذه الدنيا لأن عالمنا نفسه نور وثوب القطن الذي كلامنا فيه نور بمجد تجلي عليه الله بأسماء أخرى آتية من صفاته فتراكم النور فلبستاه . فالثوب القشيب والثوب الخاق سيان في أنهما نور عند العالم ولكن الجاهل لا يرى إلا الظواهر فقد تجلى عليه باسمه (الميت) وعلى العالم باسمه (الحى) وهو قادر ومقتدر بما صنع في الثوب من صناعات مختلفة إذ خلق نساجا وخياطا وهكذا وعلمهم صنائع حتى لبسنا ثوب القطن وهو وال بلى أمر الملك ومنه هذا الثوب فقد تولاه بهذه الأعمال مع انه متعل فليست ولايته بالمشابكة بل هو متعال . هذا وبقية الأسماء ظاهرة منطبقة على هذه الدنيا بأسرها . فلاشجر ولا حجر ولا جبل ولا طير إلا وقد دخلتها صناعات وأعاجيب حولتها من حال الى حال وقد تجلى الله عليها بتجليات ظهرت لنا من مبدئها الى منتهاها فلا يس الثوب وآكل الخبز قد اشتمل عملهما على آثار أسماء الله الحسنى التي دخلت في معاني صفاته . إذن - فات الله تعالى كأن لها أمثلة محسوسة بالبصر . فهذه أمثال مضروبة للناس . ففى أشرفت الغلوب تجلت لها الأسماء فيما تشاهده في أنفسها وفي الآفاق . وخير معوان لها العلوم الحديثة لاسيما الكيمياء والا فما هذا الجبال وما هذا الإبداع . كيف يكون النور هو مبدأ كل شئ ؟ كيف يكون ثوبى وخبرى نورا أو نارا قد جدا وخدا . كيف يأكل الناس في الدنيا نارا قد أخذت

بمثل هذا يفهم الناس قوله تعالى - وقل الحمد لله سبركم آياته فتعرفونها - وقوله تعالى ها - ما يفتح الله للناس من رحمة - الخ وبهذا يقرب لنا فهم قوله تعالى - هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم -

(اختلاف نتائج الطعام في أحوال الناس)

أثبت الاستاذ (مكلم) بتجاربه على الفيران التي ظهر للعلماء انها تأكل اللحم والخضر كالإنسان فلها شبه به من حيث التغذية فجعلها العلماء محل تجارب الطعام . فهذا الاستاذ وهو مدرس لعلم الصحة بجامعة (جوز هيكزن) قد جعل أربع فيران في ناحية وأربعة في ناحية أخرى فغذى الفريق الأول بالماء والخبطة وغذى

الفريق الثاني بنفس الطعام مضاف اليه أوراق لفت أو بنجر فسكر الفريقان وزادت أفراد الفريق الثاني في أحجامها ضعف أقسام الفريق الأول ولم يحصل بينهما فرق إلا في ذلك وهكذا صنع علماء اليابان فقد أخذوا يغذون فريقا من التلاميذ بغذاء أهل اليابان وفريقا آخر بغذاء الأمم البيضاء فزاد الفريق الثاني في الطول بضع بوصات وهكذا في الوزن وهكذا علماء أمريكا جربوا هذه التجارب في التلاميذ بمدينة (بالمبور) الأمريكية فوصلوا الى ماوصل اليه علماء اليابان من النتائج ، فكانت النتيجة أن الصينيين واليابانيين والكوريين وأهالي جاوه وغيرهم من الشعوب انما قصرت قاماتهم للاغذية التي يتعاطونها بخلاف الشعوب الطويلة القامة فان الأغذية أثرت في أجسامها فطالت ووضخت

وفعلت هذه التجارب نفسها بواسطة (الكولونل ماكر بسن) من أطباء مصلحة الصحة الهندية إذ وجد (قبائل السنج) و (الباتان) أكبر من (قبائل المدراسي) ونحوهم من الهند ، فوجد الأولين يتناولون الألبان والحضر ونحوهما واللحم ، والآخرون ليسوا كذلك ، فخرّب هذه الحال في الفيران كلاسند (مكلم) فكانت النتيجة كما تقدم تماما ، وهكذا فعل هذا الفعل في الجرذان فأطعم طائفة منها طعام فقراء العمال الانكليز وطائفة أخرى طعام اليابانيين ، فكانت الفيران التي تناولت طعام الانكليز الفقراء خشنه الجلد مائلة الى النزاع والحرب ، والفيران التي تناولت طعام اليابانيين وسكان فيليبين وجاوه صغيرة الأحجام والقامات وظهرت فيها بعض صفات هذه الشعوب

هكذا رأى العلماء أن مرض (البري بري) يصيب ملايين من سكان الهند والشرق الأقصى على الأخص فميت منهم نحو مائة ألف كل سنة ، وذلك بسبب أكل الارز الأبيض المقشور لأن مادة الفيتامين لا تكون إلا في الارز الأسمر ، فلامادة المغذية انما تكون في قشرة الارز ومرض (البلاغمرا) يصيب سكان الولايات الجنوبية بالولايات المتحدة الأمريكية وهو يقشرون القبائل التي يقل الغذاء فيها ، وغالب طعامهم الذرة وهي لا تعطي جميع المواد المغذية فهي قاصرة ، والعين قد تصاب بفساوة بسبب فقد الفيتامين من الطعام وهكذا يحدث مرض الجلد بسبب حذف بعض عناصر الغذاء من الطعام ، وبعض أطباء اليابانيين أحدث قرحا في المعدة على هذه الطريقة ثم شفاها ، ومرض الكساح سببه قلة التغذية ويشفيه تناول زيت كبدالحوت وهو المعروف بزيت السمك . انتهى ملخصا من المقتطف

كل هذه العلوم عرفها الانسان بسبب أن شهوة الطعام أوجبت على الانسان تعاطي الغذاء وتعاطي الغذاء دعاء للبحث ولما بحث وجد أن اختلاف الغذاء بوجب اختلاف القامة والخلق وهكذا . إذن هذه الأغذية من أعظم المؤثرات في هذا الانسان

﴿ الثواب والعقاب ﴾

إذن ثواب الناس وعقابهم سيكون كنتائج الأغذية فكما أن العقول البشرية لا تعترض على قصر قامته الياباني لاقتصاره على طعام الارز ونحوه ولا ترى أن هنالك ظلما في قصور قامته الياباني عن نظيره من أهل الشرق الأدنى والاورو بين طوال القامات . فالنتائج لها مقدمات ولاغبار على تلك النتائج بعد المقدمات . إذن شهوة الطعام وغيره انما خلقت في الانسان لتفتح عين بصيرته . فالجاهل يرى في الطعام لذة في حاسة الذوق ولكن العالم يرتقي للذة العقل فيقول للجهال أتم تأكلون كما تأكل الأنعام لانعلمون إلا ما تحس به حواسكم . أما أنا فان عقلي يستلذ بأدراك المعاني المحبوة في الأغذية والفواكه وينسى الشهوة الصغرى التي اشترك فيها الحيوان والانسان

هنالك فتحت للانسان بصيرته فماذا فعل ؟ تمادى في الكشف والعلم فحفر الأرض واستخرج كنوزا

وسافر في البر والبحر وفي الطيارات وبحث عن العوالم المخلوقة في القطبين
فقال صاحبي : هذه شهوة البطن لاغير . فقلت : كلا . هي شهوة علمية ، والدليل على ذلك أن الذين
توجهوا للقطبين مات كثير منهم ، فهذه شهوة معرفة الحقائق أو الذكر والصيت ونحوها
نشط الانسان في زماننا هذا نشاطا لم يعهده ، واختلط الغرب بالشرق وظهرت التكنوز والعلوم المدفونة
فالنقود والحلى والخزائن الذهبية والجواهر المخزونة ظهرت في أقطار كثيرة وابتدعوا الناس وانتشروا في الأرض
وطاروا في الأقطار بطياراتهم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وسار الانسان سيرا حثيثا سريرا لا سيما ما ارتقى الطيران
فامتطى الانسان غارب الهواء بالطيارات والبالونات كما امتطى غارب الماء بالراكب وامتطى صهوات الجياد في
الفلوات فسافر الناس الى القطبين في هذه الأيام . كل ذلك سر ما يفتح الله للناس الخ

﴿ وصف مناطق القطبين من حيث علم الفلك ﴾

تلك البلاد التي جعلها الله من أعجب العالم ، سنتها يوم واحد ، فالقطب الشمالي يبتدئ يومه من أول فصل
الربيع وينتهي بأخرفصل الصيف وهناك يبتدئ ليله وهكذا القطب الجنوبي يبتدئ يومه في أول فصل الخريف
وينتهي في آخر فصل الشتاء ثم يبتدئ نهاره وهكذا ، وصفة الشمس هناك انها تجرى جريا رحويا أى كما
تدور الرجا فهي تدور حول سكان تلك الأقطار مدة ستة الأشهر كما يدور الثور في الساقية والبقرة في الطاحون
والكنها في أثناء الدوران ترتفع شيئا فشيئا الى نحو (٢٣) درجة من السماء ثم تهبط راجعة ثم تغيب
سمى الناس في أيامنا لكشف تلك الأقطار كأنهم قرؤا هذه الآية - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم -
وكانهم قرؤا قوله تعالى - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا - فقلوه جميعا يراد به أن لا ندر شيئا إلا بحسنه
وعرفناه ، فإذا عرف الناس هناك ؟ عثرفوا البترول والفحم والحديد والنحاس وغيرها

إن احتياج الناس للطعام ومايعين عليه أذاهم الى كشف الأقطار البعيدة بشغف علمي وقد فهموا من
صنع ربهم انه خلقهم للعلم والعمل وقال لهم ما قاله طارق بن زياد « العدو من ورائكم والبحر أمامكم » قلها
للجيش الاسلامي وهو يغزو بلاد الأندلس ، هكذا الله يقول للناس : « ذل الحياة من ورائكم والموت أمامكم
فلا بد من العمل » فشمروا عن ساعد الجد وكشفوا القطب وكثرت الطيارات وارتقى نوع الانسان ارتقاء
نسبيا لكنهم الى الآن لم يصلوا الى عشر معشار ما يقدرون عليه لأن أكثر الانسان معطل في هذه الأرض .
أكثر الناس معطلون . فكم من عقول ضاعت لعدم استعمالها فيما خلقت له وهذه الأرض قد ملئت خيرات
وأهلها لا يزالون أطفالا ، فهذا غزال (الرنه) التي رأيت رسم صورتها في ﴿ سورة النور ﴾ مع غيرها يعيش في
القطب البارد ، وهكذا تلك النباتات التي تعد بالمئات قد حرم من الانتفاع بها الانسان وكذا الحديد والنحاس
وغيرهما هناك ولم يعرفها الناس إلا في زماننا . إذن ابتدأ الانسان الآن يتعلم

هذه بعض الآيات التي أراها الله للناس في هذا الزمان وهي الآيات التي عرفها الناس بسبب احتياجهم
للغذاء ونحوه وهي مما فتح الله للناس من الرجات

﴿ الآيات التي عرفها الناس في زماننا بسبب قوتهم الغضبية ﴾

اعلم أن الانسان كما عرف عجائب النبات وتركيبه وخواصه ومهلكاته وامتلاء الأقطار النائية به كالقطبين
هكذا نراه عرف بسبب قوته الغضبية علوما أخرى عظيمة . ذلك أنك قرأت فيما تقدم تاريخ المسلمين بالأندلس
وبالشرق ، وهكذا تقدم أيضا تاريخ قسدماء المصريين فكانت النتيجة أن الترف والتعيم يهلك الأمم ومعنى
هذا أن دولة العباسيين سقطت وذهبت ريحها ومنزقت كل مزية بسبب نظامهم السياسي المبني على أن الملوك
هم المتصرفون فاتبعوا الشهوات وأضعفوا الأمم الاسلامية وهكذا تبعهم في ذلك سكان الأندلس إذ تفرقوا
عشرين دولة وهم بين فكي الأسد في أوروبا فعضموهم قضا والنهموهم التهاما وأكلوهم أكلا . ولقد

تقدم واضحا وعرفنا سر نشأت الأمم العربية شرقا وغربا ورجع الأمر الى الشر والجهل والترف والبطر واتخاذ النساء من أم أخرى حتى فسدت الدولة وساء المصير

نعم نحن رأينا هذا وعرفناه . إذن فلنقب من هذا ولنستغفر الله ولنسر بسيرة غير سيرة آبائنا الأولين فقد أيقنا الآن ﴿ أمرين ﴾ الأمر الأول ﴿ ان نتائج الأغذية لا تخطى قوة وطولا وضما وقصرا هكذا نتائج الأمانة المستعبدة التابعة لأهواء الأمراء فانها مضمحلة ذاهبة ، إذن قد صدق الله وعده فانه نظم التاريخ وخلق المؤرخين فالتقوا العلم اليقيني وأصبح العلم أملا والتاريخ يحدثنا حديثا صحيحا عن آبائنا اهتم وقعوا فيما أخبرهم به النبي ﷺ إذ قل في الحديث الصحيح « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا الخ » فهذا الحديث قد تم وظهر أن النبوة قد أخبرت بالمستقبل وأخبر ﷺ بما وقعنا فيه الآن من الذلة بسبب فتوح البلدان لآبائنا فانكلو على ما بأيديهم ولم يتعلم الشعب كيف تستفيد الأمم من أرضها وأعمالها وذلك بعد القرون الأولى وهذا قوله تعالى - وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال - وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال - إن هذا القول منطبق علينا الآن وأن هذا التفسير قد جمع زبدة هذه المباحث وسيكون والحمد لله لها آثار قريبة المثال هو وأمثاله إن شاء الله تعالى

فنحن معاشر المسلمين جميعا سكننا في مساكن أم خلت وأكثرها ظلمت أنفسها وعرفنا بالتاريخ (كالذي قرأته فيما تقدم قريبا عن ابن خلدون وغيره) انهم كانوا مترفين ظالمين كما علمت و بعضهم من آبائنا العرب إذن هذا هو قول الله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - ، فالآيات قسمان : آيات في الأنس ومنها تاريخ العرب الاسلاميين ومن عاشوا معهم من المسلمين ، وآيات في الآفاق وهي التي عرفناها في تحليل الغذاء الى عناصره وفي عجائب القطبين ونحوهما ، وفهمنا فهما لاشك فيه أنه لا فرق بين كون طعام أهل الباطن يوجب القصر وغيره يوجب الطول ، وبين كون الترف والتنعم في الأمم يورث زوالها والنضال والعمل فيها يورث بقاءها ، إذن العلوم والتاريخ الآن مضبوطات ونتائجها لاشك فيها ، إذن الله أرانا فعلا آياته فعرفناها وأن حياة الأفراد بالأغذية نتائج تابعة لها كما ان حياة الأمم تبع لأخلاقها الفاضلة وموتها تبع لخسرتها وتزفها والله حكيم عليم . لقد علمت يا الله أمم عن حولنا تاريخ الأمم فعملت به فاحترست فطالت أيامها أكثر من طول أيام دول أخرى قديمة . وهذه المباحث مما فتح الله للناس من الرجات تفسيرا للآية ﴿ نتائج تعليم الله لنوع الانسان في هذا الزمان ﴾

اعلم أن نتائج التعليم في العصر الحاضر أن النوع الانساني قد اعترته حال جديدة زحزحته عن أكثر ما لديه من أحوال التعليم ، ثارت نائرة هذا الانسان ، أخذ يسير في الأرض وقد زلزلت زلازلها وأخرجت أثقالها ففتحت خزائنها وظهرت كنوزها وأخرجت موتاهم من القبور بأجسامها لا بأرواحها وعرفوا المعادن وأنواع السوائل المخزونة في الأرض فاستخرجوها وسارعوا الى القطبين فرأوا ما لم يره السابقون وأخذوا يستنطقون الأحجار فنطقوا وأخبرتهم بما حلّ بالقرون السابقة والأمم الحالية وأخذ الناس يسأل بعضهم بعضا ماذا يحلّ بآلنا بعد الآن وأخذ الناس يركبون الطائرات ، ولا يمضي إلا زمن قليل حتى يركب الناس الطائرات ويكونون في غدوهم ورواحهم كالطيور الصافات . هنالك فقط ينتفعون بنعم هذه الأرض كما انتفعت الطيور برحلة الشتاء والصيف المذكورة في ﴿ سورة النور ﴾ عند قوله تعالى - والطيور صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه -

ستكثر الطائرات وتعمل للأفراد ويشارك الناس الطير في جو السماء فيصير هذا الجسم الثقيل الانساني كالطيور ويجوب الأقطار ويقنح الأسفار وهنالك تحصل للناس حال جديدة إذ أصبح جميع الناس في عمل ويقل الكسل والجهل ويم التعليم . ولا يعيش في هذه المدنية المقبلة إلا المنعمون تعليما حقيقيا . ولا يكون في

الناس من يكون عالة على غيره إلا المرضى والأطفال . والتعليم يكون عاما بواحدة نفس الأمة . هنالك ترقى الإنسانية ويكون ذلك حالا نسميها التوكل لأن التوكل حق التوكل هو أن يعمل الإنسان كل ما في طاقته ويترك الأمر في نتيجة عمله لله عز وجل . هنالك يظهر لنا ﴿ معجزتان ﴾ الأولى ﴿ الحديث الوارد في الصحاح ﴾ أن الرجل يأتي بصدقة فلا يجد من يأخذها ﴿ وقد ذكر في هذا التفسير سابقا ﴾ الثانية ﴿ هو قوله ﷺ ﴿ لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصا وتروح بطانا ﴾ فهذا تلويح الى زماننا هذا إذ يطير الناس كما تطير الطيور في الجو ويجوبون الأقطار . فلا يحسرون في الأعمار كالطيور ، والطيور تجوب وتقطع مهامها لا يعرفها الإنسان ، وأذكرك بما تقدم في هذا التفسير من أن القوم يبحثون بالطيارات عن قارة مجهولة جهة الأقطار الشمالية لأنهم رأوا الطيور ترحل اليها ، فتوكل الطيور هو أجل توكل لأن الطير لا يشكل بعضه على بعض ، ولكن هذا الإنسان لنفس نظامه تستبد طائفة منه بالثروة وترك الباقي فيقل العلم والصناعة . فذلك ترى هذا الإنسان ناقصا نقصا فاحشا محزنا مؤلما . فاجتهاد جميع الأفراد كاجتهاد الطيور يرفع الإنسانية رفعة لاحد لها . هنالك تزول الزكاة كما ورد في الحديث إذ لا يحتاج فان الرزق موجود في كل مكان بل ربما كانت هناك منابع للرزق غير مانع عنه تحقق معنى الحديث . إن هذا الزمان زمان انتقال وهو بعض ما يفتح الله للناس من رحمته

- (١) لقد زاد الطيران بسرعة فصار (٣٠٠) ميل في الساعة للطيارة في الجو
- (٢) وهذا سيجعل القفر عامرا فسكان استراليا انتقلوا فجأة بالطيارة من أوائل القرن التاسع عشر الى العشرين أى من السير على المركبات والخياد الى ركوب الطيارات إذ تمكنوا بالطيارات من قطع مسافة (٥٠٠) ميل فوق القارات التي بين مدينتي برث ودربي في استراليا ٤٨٠٠ ميلا من ادليد الى ملبورن . و٥٠٠ ميل من ملبورن الى سدني و٥٠٠ ميل من سدني الى بريسي
- (٣) بعض المستأجرين الأراضي هناك وهو شيخ بلغ السبعين قطع مسافة (١٢٠٠) ميل في يوم واحد وكان يقطعها قبل في ستة أسابيع على جواده

﴿ مصادر القوة ﴾

يقول الاستاذ (صدي) البجاجة في أشعة (الراديوم) وغيره من مصادر القوة والضوء . إن مصادر القوة التي يعتمد عليها أبناء هذا العصر قرية الزوال

- (١) لقد استخدم أهل (النروج) الضباب الصناعي لوقية الحاصلات من الصقيع . وذلك بتغطيتها بالبخار الساخن
- (٢) الاستاذ (لوسيان دانيال) ولد نباتا ينتج طماطم فوق سطح الأرض و بطاطس تحت سطحها في (مدينة رين) بفرنسا

وقد تنبأ بعض علماء الفسيولوجيا والكيمياء بأنه يأتي يوم يتخذ الإنسان غذاءه من نفس القوة الحيوية المحبوسة في الجوهر الفردي لأن قوته مستمدة من قوة الشمس وذلك بأن يوصل بدنه بآلة كهربائية خاصة تنصل بتلك الجواهر الفردة بحال خاصة فيمتلئ جسمه بما يحويه ويغنيه وهذا رأى (المستروزل) والعلماء اليوم كلهم يقولون : « إن كل قوة في الأرض انما هي من الشمس » فكل القوى في أرضنا مستمدة منها لذلك يقولون وجوههم وهمهم نحوها

هذه أماني العلماء في المستقبل وهذه منتهى أبحاثهم . كل ذلك تفسير للحديث : « ترزقون كما يرزق الطير الخ » وحديث الصدقات إذ لا تجد من يأخذها . وهذا يدل على أن أرضنا ستكون فيها أيام سعادة لأجيال قادمة . هذا هو المقصود من انه ﷺ رجة للعالمين وانه آخر الأنبياء والرسل

واياك أن يصدك عن هذا أن المسلمين جهل . فهوؤلاء الجهال سرشبون وثبة واحدة تهتز لها الأرض . وهذه لوثة ليست للحرب وإنما هي للحكمة والعلم وسيعرفون آراء الأمم ويقروون لأن هذا مما فتح الله من الرحمت (١) - رأى المسيو البرت أودن في كتابه أصل الرجال العظيم

إذ ذكر الذين اشتهروا بالأدب الفرنسي شعرا ونثرا في خمسة القرون الماضية فأثبت أن تسعة أدياء من كل مائة أديب اشتهروا من أولئك الفقراء ، والفقراء في فرنسا (٩٧) في المائة ، فطبقة الغنية القليلة هي التي أحببت النابغين فيها في خمسة القرون الماضية ، وطبقة الأشراف في فرنسا وهي جزء من مائة منها أنجبت (٢٥) في المائة من النابغين في الأدب الفرنسي في القرون الخمسة المذكورة ، والوضعية لم تنجب سوى (٣) في المائة ، وروايات الأشراف هي التي أحدثت الانقلاب في فرنسا

(٢) ويعرف المسلمون رأى (السرفرنس غلتن) العالم الانكليزي الذي بحث في مدة (٢٥) سنة فوجد في كل (٤٠٠٠) شخص من العامة ينبغ واحد في القضاء . أما القضاة الذين هم أبناء قضاة فيكون واحد من ثمانية يشتهر الشهرة عينها

(٣) ويعرفون أيضا رأى الاستاذ (امبرتوسافيتي) الذي بحث في تلاميذه بميلان فرتبهم هكذا :

٥١٨٩	(١) أبناء أصحاب المهن الحرة
٥٠٨٨	(٢) أبناء الطبقة التجارية العليا
٤٧٢٢	(٣) الطبقة التجارية العادية
٤٤٨٤	(٤) الخدم
٤١٨٧	(٥) الصناع

فقد امتحن قوة ذكائهم فوجد هذه النتيجة

(٤) ويعرفون رأى عالمين من علماء السيكولوجيا في تلاميذ مدرسة في بروكسل ببلاد البلجيكي ولا يؤمها إلا أبناء الأغنياء فوجدا ذكاءهم يفوق المتوسط لمن في سنهم . وقد ظهر لهما في امتحان أولاد الأغنياء الذين لا يزيد سنهم على (٩) سنوات في إحدى المدارس فوجدوا انهم مثل أولاد الفقراء في العاشرة ذكاء (٥) ويعرفون رأى (العالم السيكولوجي سيريل) إذ وضع أسئلة فوجد الأولاد الذين يعيشون في أرقه (لفربول) القدرة يستغرقون (١٢٣) ثانية في الاجابة وأبناء التجار يستغرقون (٩١) ثانية وأبناء الأساتذة والمطارنة (٧٤) ثانية

(٦) ويعرفون رأى الاستاذ (لوس ترمين) الأمريكي إذ يقول : « إن التفوق في الذكاء يزيد (٥) أضعاف في أبناء الطبقة العالية والاجتماعية عن أبناء الطبقة الواطئة

(٧) ويعرفون رأى الدكتور هفالك الس فيلسوف الانكليزي إذ بحث (١٠٣٠) نابغة من الانجليز رجالا ونساء سنة ١٩٠٤ فكانوا على هذه الصفة

٦٨١	الجيش والأسطول	١٨٥	الطبقة العالية
٣٢٢	صغار الموظفين	١٦٧	رجال الكنيسة
١٨٨٨	التجار	٧١	رجال القانون
٩٢	الصناع	٣٦	رجال الطب
٦٠	الفلاحون	٧٦	المهن المختلفة

(٨) ويعرفون رأى الدكتور (كانل) رئيس « مجمع تقدم العلوم الأمريكي » إذ جمع سير (٩٥٠٠) رجل من رجال أمريكا المتفوقين في العلم فوجد أن أصحاب المهن يبلغون (٣٨) في المائة من المجموع وقد

أنجبوا (٤٣١) في المائة من النابغين و (٤١١) في المائة من المجموع يشتغلون بالزراعة أنجبوا (٢١٢) من النابغين و (٣٤١) من المائة من المجموع هم أهل الصناعة والتجارة أنجبوا (٣٥٧) في المائة من النابغين ، إذن ثلاثة في المائة من سكان أمريكا وهم أصحاب المهن الحرة أنجبوا نصف علمائها (٩) ويعرفون رأى الدكتور (اديون لفت كلارك) إذ بحث في أصل ٦٦٦ رجلا من رجال الكتابة والتأليف فوجد أن أصحاب المهن الحرة أنجبوا (٤٩٢) في المائة من الرجال الذين تناولهم البحث والمستغلون بالتجارة أنجبوا ٢٢٧ والمستغلون بالزراعة أنجبوا ٢٠٩ وغيرهم ٨٢.

(١٠) وسيعرفون رأى الدكتور (كلارك) إذ يقول : « انظر لا يخلق النبوغ ولا الغنى ولكن الغنى يساهم وهو أكبر معوان على اظهاره » والمستقبل يقول : « إن النبوغ لا يكون لغير المتعلم » والله أعلم هذه آراء عشرة من رجال العلم في الأمم المختلفة المحيطة بنا ، أثبتوا أن القضية المشهورة عندنا معاشرة المسلمين أن الفقير يدفع الى النبوغ قضية خاطئة ، نعم إن ذلك دافع للعمل ولكن يحتاج لمساعدة المال . وبعد هذا سيعلم المسلمون علما لبس بالظن أن ما هم عليه من سوء الحال ناجم من جهلهم بنظام ربهم إذ حرم على هذا الانسان أن يرقى إلا متحدا والمسلمون منع عنهم الرقى ، إن كل امرئ منهم لا يريد إلا نفسه أو أقربيه وهذا جهل محض ، قاله يقول - اهدنا الصراط - ويقول - إياك نعبد وإياك نستعين - فلست أستعين بالله وحدي ولا أعبد وحدي ، والمسلم يقول في الصلاة أيضا ﴿ السلام عليك أيها النبي ، السلام عليك وعلى عباد الله الصالحين ﴾ فهو يسلم على الأمة مرتين في ضمن الصلاة على نبيها ﷺ لأنه رمز لها كلها فالسلم عليه مسلم على الأمة ضمنا لاتحاده معها ، والمسلم عليه مصل عليها معه ، فهو يطلب من الله رحته وهي ظل له فكأنه طلب لها الرحمة معه . إذن الصلاة في معناها رمز للوحدة العامة الاسلامية ، فعلى قادة الأمم الاسلامية أن يجعلوا التعليم عاما ، وأن يبذلوا للصبيان كل ما يحتاجون اليه بحيث يكون أبناء الفقراء في ذلك كأبناء الأغنياء تقريبا وهناك يظهر النبوغ وترقى بلاد الاسلام

لما سمع صاحبي ذلك قال : إن هذا الموضوع جليل ولكن أراك أدخلت معنى قوله تعالى - إذا زلزلت الأرض زلزالها - في ضمن هذا المقال ، هل تريد بهذا القول أن قوله تعالى - إذا زلزلت الأرض زلزالها - يرجع الى هذه الحركة العامة ؟ هل هذه زلزلة ؟ وهل اخراج الأرض انتقالها هو ما تراه من علوم الآثار الخ وهل قراءة أخبار الأمم على أحجارها مثلا مثل القوانين التي كتبها حوراني

كل ذلك تفسير للآية ، وهل أعمال الناس في الكشف الحديث والجدي في العمل يرجع لقوله - أشتاتا - وهل قوله - ابروا أعمالهم - معناه أن كل امرئ يعمل ويعطى الرزق غالبا من عمله ولا يتشكل إلا على ربه وأن عمله له سواء أكان قليلا أو كثيرا . قلت : هل أخذت هذا من كلامي ؟ قال نعم . قلت : اعلم أن السورة واردة في القيامة ولكنهم منطبقا تماما على أحوال عصرنا فلما أن نقول هذا كناية ؟ ولا جرم أن الكناية تشمل المعنيين معا : المعنى الأخروي ، والمعنى الدنيوي ، وما الآخرة إلا صدى الدنيا والأمر سهل في هذا . وإذا كان العذاب في الآخرة فهو في الدنيا ، وقد قررنا هذا في مواضع كثيرة من هذا التفسير

يقول الله في أول ﴿ سورة فاطر ﴾ - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - ثم ظهر أن هذا العصر هو عصر الخروج . فاستبان للناس أن الفرنجة قد استخرجوا من بلاد اليمن أخبارا كثيرة من أحجارها التي رسموها وهكذا أتى بنفس هذه الجملة في أول ﴿ سورة الحديد ﴾ للإشارة الى أن معدن الحديد مما يخرج من الأرض . فإذا دل أن الأرض زلزلت وكان المعنى أن ذلك يوم القيامة فليس هناك مانع أن يكون رمز الحال العالم الآن من الحركة العلمية والحربية التي زلزلت لها الأرض زلزلة بالحرب والأعمال العظيمة . وهما هي الكوز العلمية والعملية قد أخرجت . وما هم أولاء الناس شرقا وغربا يتساءلون قائلين : الى أين نحن سائر

ولاجيب ! ولكن الجواب ظاهر في الآية . ذلك أن كل امرئ سيقوم بعمله الخاص ويكون الناس كالطير تغدو خالصا وتروح بطانا . فهاهي ذه الطيارات أخذت ترتقي ، وفي هذا اليوم وهو ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩ م بقيت الطيارات الأمريكية ستة أيام في الجو ولم تنزل من خلالها على الأرض ، ومعنى هذا أن الطيران سيرتقى ويم قريبا ويكون للناس شأن آخر فتعمر الأرض التي لازرع فيها وتقوم حكومات توزع الأرض التي لامالك لها على العاطلين من الأمم ، وهناك يتكلم الناس على ربهم فلا تحارب بينهم ، وأيضا لا يأكل القوي مال الضعيف ولا يتخرب الناس مالا بل تكون الأرض كلها أشبه بدار واحدة لأسرة واحدة . وهذه الطيارات مقدمة لذلك العمل وبها يصبح الناس كالطير وذلك من عجائب النبوة ومدعشاتها ، وهذا المقام واضح في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة ٢٣ يناير سنة ١٩٢٩

﴿ آيتان في الكشف الحديث ﴾

(الآية الأولى . كشف الحيوانات الذرية)

من آيات الله التي ظهرت بعد ذلك كشف الحيوانات الذرية (المكروبات) . وقد تقدم في سورة ابراهيم ذكر كشف علوم كثيرة في تفسير قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - ذكرتها في بيان تذكيري للمسلمين بأيام الله

أنا أكتب هذا اليوم أعني يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨ فأقول : وإن الناس قبل ٢٥٠ سنة لم يكونوا يعلمون شيئا عن الحيوان فاتفق أن رجلا اسمه (ليونهوك) من دلفت بهوللندة لايعرف علما من العلوم ولالغة من اللغات الأجنبية ، قد جعل أوقات فراغه في صنع العدسات إذ سمع أن الانسان اذا صنع عدسة كبيرة من الزجاج يقدر أن يرى بها الأشياء ، فأخذ يطحن الزجاج ويصبه ليخرج العدسة المطلوبة وبقي في هذه الشاية عشرين سنة فصنع مئات ومئات منها لتحسينها حتى استطاع أن يصنع عدسة تقية مضبوطة ولكنها لدقتها أمكنه أن يرى منها الأشياء الصغيرة في أحجام كبيرة على غاية الوضوح فأخذ ينظر كل شئ بها مثل الشعر والنسيج وقطع من الجلد وزبان النحل ورؤس الذباب فكان ذلك تفككه له وسرورا لما في ذلك من الغرابة والسرور والبهجة . واستمر يفعل ذلك الى أن اتفق له ذات يوم أن يكون أول كاشف لأعجب وأعظم العلوم الطبيعية وهو ذلك العالم الكبير الذي لا يحصى عدده ولا يعرف أمد

(الآية الثانية)

﴿ حيوانات شتى في الماء الصافي ﴾

ذلك انه وضع نقطة من الماء النقي تحت العدسة فلما نظرها أخذته الدهشة فسمعت ابفته وهو يناديها « تعالى أسرعى ، تعالى انظري الحيوانات الصغيرة في الماء الذي نشربه ، انها نعوم ، ها هي ذه تجرى وتلعب ويجرى بعضها وراء بعض ، ما أعجبها ، انها أصغر بالآلاف المرات من أى حيوان نراه بالعين المجردة . انظري انظري هذه الحيوانات التي أكتشفها ،

فهذا الكشف انتقل من حال الى حال وعرفه الناس وعظم قدره وظل يجاهد طول حياته ، وأحدث بهذه المعلومات ضجة كبيرة ، ولقد قيص الله بعد وفاته لهذا العلم قسيسا ايطاليا اسمه (سبالاتزاني) فزاد هذا العلم درجته وتقدم به خطوة إذ برهن أن هذه المخلوقات ليست توجد هكذا بغثة بل هي تتناسل كما يتناسل الحيوان المعروف . انتهى الكلام على الفصل الأول فيما فتح الله به على الناس باستخراج ما في العناصر الأرضية والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الثاني ﴾

(فيما فتح الله به على الناس بكشف خيرات كانت خافية عليهم فظهرت لهم)

نذكر في هذا الفصل إحدى عشر موضوعا وفيما يلي بيانها :

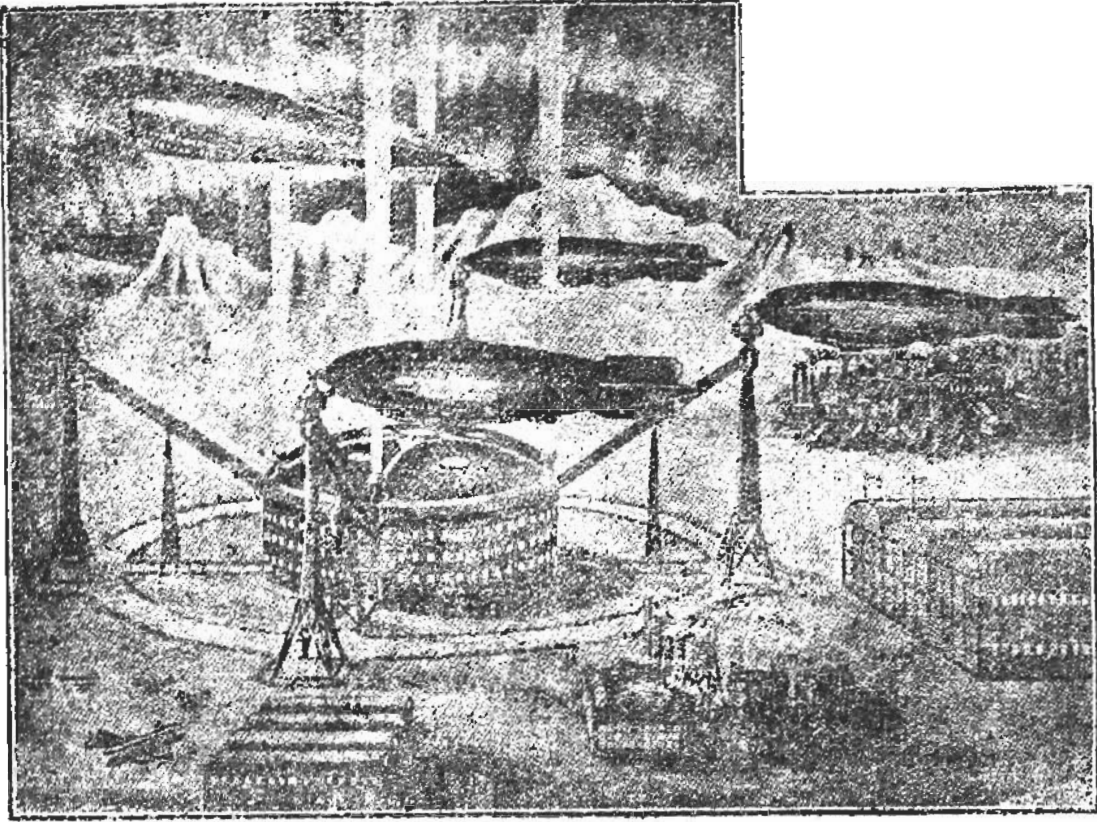
- ﴿ أولا ﴾ ثروة القطب الشمالى
- ﴿ ثانيا ﴾ أرض كشفت في دائرة القطب الجنوبي
- ﴿ ثالثا ﴾ مانا كاه من نور الشمس وتداوى به ؟ والكلام على المنسوجات الكمائية
- ﴿ رابعا ﴾ أعجوبة مدهشة في البناء
- ﴿ خامسا ﴾ ما استخراج من الألماس
- ﴿ سادسا ﴾ من أحدث الاختراعات وعجائب العلم الجليد السخن وصنع الورق من حطب الذرة
- ﴿ سابعا ﴾ الغاز الطبيعى
- ﴿ ثامنا ﴾ ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس . وساعة تشتغل بنفسها أمدا طويلا
- ﴿ تاسعا ﴾ عجائب العلم الحديث التسع
- ﴿ عاشرا ﴾ أغرب غرائب أمريكا
- ﴿ حادى عشر ﴾ الأطفال ذوو العقول الجبارة

أولا - ﴿ ثروة القطب الشمالى ﴾

جاء في جريدة كوكب الشرق بتاريخ ١٤ يناير سنة ١٩٢٩ م مانعه :

يقول المكشف ستفانسون : إن في القطب الشمالى مناجم من الفحم والبنرول والحديد والنحاس . وإذا كانت هذه المناجم لم تكتشف وتستغل للآن فإن علاماتها اسكها واضحة . اما النباتات فكثيرة وخصوصا تلك الغابات المؤلفة من الاشجار المخروطة . وفي القطب الشمالى من النباتات للزهرة ٧٦٢ نباتا وأقدر أنواع الحيوان التى تستطيع المعيشة في برودة القطب هو الرنة الغزال المعروف . وتقدر مصلحة الزراعة في الولايات المتحدة ان في الاسكا وحدها من الاعشاب ما يكفى أربعة ملايين رنة . ويعيش في القطب غزال المسك ويمكن تدجينه بسهولة ، وتستجمل الطيارات للقطب الشمالى مركزا عظيما تحط فيه وتقلع منه في اسفارها بين أوروبا وأمريكا وآسيا ، انتهى . وسترى في الرسم التالى ما يحقق ذلك (انظر شكل ١) في الصفحة التالية

(القطب الشمالى ملتقى الخطوط الهوائية)



(شكل ١ - رسم محطة الطيارات والبلونات فى القطب الشمالى كما تخيلها أحد المهندسين)

ثانيا - « الأرض فى دائرة القطب الجنوبي »

جاء فى جريدة المقطم بتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٩ م
 مات أشهر رواد القطب الجنوبي فقضى امندسن الغوجى وسكوت الانكايلى وغيرهما من أولئك الابطال
 الذين ازدروا المخاطر وتحشموا أعظم المشاق لاشق الحجاب الذى كان يحجب دائرة القطب الجنوبي عن عيون
 البشر فكان لهم ما أرادوا . ولوعاشوا إلى اليوم لأبصروا دول العالم تنسابق لامتلاك تلك القارة التى كانوا
 يعتقدون بوجودها ولو انها لم تكن الغرض الأكبر والأول من رحلاتهم . فقد وصفت التلغرافات الخصوصية
 والتلغرافات العمومية أمس ماهو واقع من المنافسة بين الاميركيين والبريطانيين والاستراليين على رفع الرايات
 على بلدان هذه القارة القطبية الذى تقول بعثة بيرد الاميركية انها اكتشفت . انها بالطيارات مامساحتها أربعون
 ألف ميل مربع . وقد سبق أن عينت حكومة استراليا بعثات برئاسة المسترموسون . هذا الذى ورد ذكره
 فى التلغرافات أمس للايغال فى دائرة القطب الجنوبي ودرس طبيعة أرضها وبحارها وجوؤها لما لذلك كله من
 العلاقة الجوية بالبلدان التى تتلوها شمالا ولما يرجى أن يجنى منها من الفوائد المادية كصيد الحيتان واستخراج
 بعض المواد . فهل تصير تلك الجهات مسكنا للبشر متى غشت الأرض بسكانها ولم يعد فى القارات المجاورة مجال
 لخلق جديد . هذا ما يحتمل أن يكون إلا اذا مكن العلم البشر قبل ذلك من التماس مقام لهم فى العوالم
 الأخرى المجاورة لعالمهم كالريح من السيارات اه

ثالثا - كيف تأكل نور الشمس وتداوى به ؟ والكلام على المنسوجات الكيميائية

ظهر في حوانيت البدالين الامريكيين منذ بضعة أسابيع غذاء جديد للفظور من القطاقي (١) (مشبع بضوء الشمس الصناعي الذي ينبعث من مصابيح كهربائية قوية) فكان هذا الغذاء أول مادة صحية مشمسة تشميسا صناعيا عرضت في الاسواق . وسوف تعقبها أنواع شتى على مر الزمن . ويعتبر الغذاء المتقدم ذكره باكورة ثمار الاستنباط العلمي الذي استنبطه الاستاذ هارى ستينبوك من أستاذة مدرسة ويسكونزين الجامعة بامريكا (متوخيا به وقاية الانسان من فتك الامراض . وقد كان في وسع المخترع استقثاره بطريقة العلمية هذه ففدّر عليه الملايين من الجنهات بيد أنه استصوب ألا يرضى بها على الخلق ، فنزل عنها مدفوعا بعوامل الشفقة على الانسانية المعذبة بالأوصاب . وماعتم ذلك العالم أن أماط اللثام عن استنباطه هذا المدهش . وخفواه وأن الغذاء المشبع بضياء الشمس خبر وراق من الكساح (داء العظام الرهيب) وأنه يرجو نجحها أيضا في منع التدرن وفقر الدم ، حتى خشى عاقبة وقوف التجار ولاسيما من لاخلق لهم على كنهه اختراعه فيتخذونه ذريعة لابتزاز المال من خلق الله) فهرع الى معمله الخاص بالتحليل الكيميائى فخطم ما كان يحويه من المصابيح الشمسية القوية وأعاد الفئران البيضاء التي أتاحت له اختراعه الجليل . الى أقفاصها . ثم عمد الى ديوان تسجيل المخترعات طالبا إعطاءه رخصة باختراعه ليحتكره . ولما أن ظفر بأربه ذاك ، نزل عن اختراعه العظيم المشار اليه ورخصته أيضا وكل ما يتعلق به لجامعة ويسكونزين . وعلم كبار صناع الاغذية بالاخترع المتقدم ذكره فقصدوا الى العلامة ستينبوك مستوفحين . فلم يسعه الا الايعاز اليهم بالتوجه الى أمناء الجامعة السابقة الذكر ليتلقوا منهم الاجابة عما يرغبون . وهناك علم وقد التجار بأنه لا يحظر عليهم الانتفاع باختراع التشميس الصناعي السالف الذكر . بشرط ألا يزيدوا أثمان المأكولات عما هي عليه ، من أجله (فقبلت هذه الشروط طائفة من الشركات المشهورة ومنها شركة كبيرة تدفع الآن سنويا عشرة آلاف جنيه لأمين صندوق الجامعة في مقابلة الاباحة لها بالتجارة بالمواد الغذائية المشمسة بالطرق الصناعية . وكل ما استغلته الجامعة حتى الآن من الاختراع الذى نحن بصدده هي والقطاقي المشمسة ، التي يعرضها التجار المشار اليهم للبيع وسيعقبها باقى الغلات في القريب العاجل . هذا ولا بد من ادراك العلماء ذات يوم كنه تأثير ضياء الشمس ولاسيما الأشعة التي فوق البنفسجى . التي يولدها الدكتور ستينبوك وغيره من العلماء بالطرق الصناعية أى بالمصابيح الشمسية . في حياة الجنس البشرى .

وكان أهالى بلاد يبرو القدماء وطوائف الزور واستر بن القديمة وخلفاؤهم عبدة النار في الهند وغيرها من القبائل القديمة والشيع الدينية تعتقد اعتقادا راسخا (بأن الشمس مصدر الحياة) فأبدت المباحث الحديثة تلك الاعتقادات الدينية العتيقة . وطالما أطلقنا اسم (الفتح الصحى) على تلويح البشرة من التعرض للشمس وما علمنا الا من عهد حديث أن ذلك نتيجة تأثير الاشعة الخفية التي فوق البنفسجى . في الجلد (ثم تحققنا كون هذه الاشعة تمد الجسم بخصائص منعشة) أطلق عليها اسم (فيتامين) وانا اذالم ندخل هذا الفيتامين في أجسامنا مع طعامنا ونحصل عليه في أبداننا من طريق الجلد ما استطعنا التمتع بسلامة الصحة ولا هناة المعيشة زمنا طويلا . والنساء أسبق من الرجال الى تطبيق هذا الرأى العلمي على حياتهن (كما أثبت ذلك الدكتور (افرايم ملفورد) رئيس الجامعة الطبية في نيوجرسي) أمام مجمع الأطباء من عهد حديث . ولا يخفى أنهن أطول أعمارا من الرجال وأشد مقاومة للأمراض وألين عطفا تجاه الاجتهاد . ويعزو الدكتور ملفورد

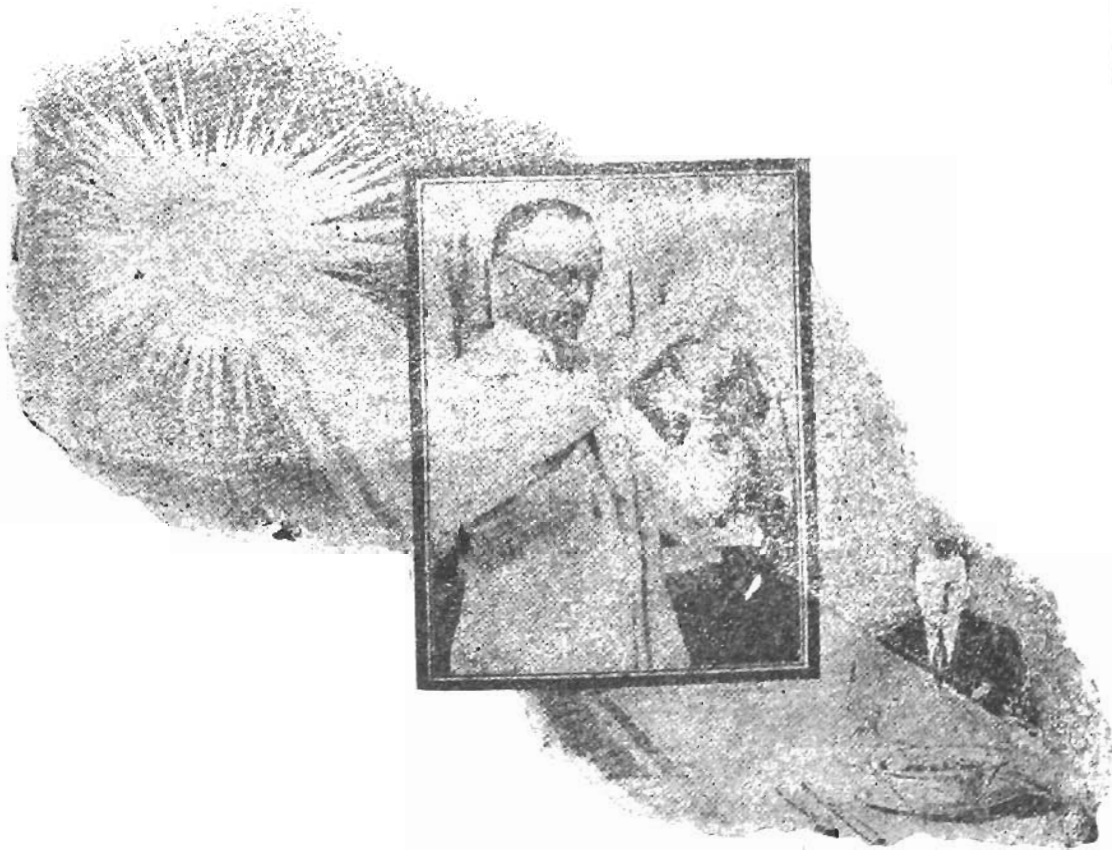
(١) القطاقي (بفتح القاف وتشديد الياء) الحبوب التي تطبخ وذلك مثل العدس والفول واللوبيا والحبس والارز والسمسم

السبب الى الازياء الحديثة (المودة) التي تحتم على النساء لبس ملابس أقصر من اللازم وأقل من الواجب (وهن بذلك يعرضن انفسهن للأشعة التي فوق البنفسجي) بينما الرجال مازالوا مصرين على تغطية أبدانهم من قبة الرأس الى أخمص القدم بالثياب الصفيقة القائمة (يقول المؤام هذا رأى وللدن موقف آخر)

اذن يخلص مما تقدم (أنه كلما اشتد بياض اللباس وتضاعفت مسام نسيجه ، سهل اختراق الأشعة التي فوق البنفسجي اياه كما أثبت ذلك مباحث مصلحة المقاييس في الولايات المتحدة بأمريكا . أما المنسوجات المصبوغة والتي اصغر لونها قليلا لقدمها فنها تكاد تمنع اختراق الأشعة للجلد منعاً باتاً . ومما جاء في هذا الموضوع في تقرير قدمه الدكتور (سيل هاريس) من أطباء مدينة برمنجهام في ولاية مدينة ألاباما بأمريكا الى الجمع الطبي الأمريكي قوله . اننا نحفر قبورنا بأسناننا بنفدنا الأطعمة المحتوية على الفيتامين ، وابقالنا على الأغذية المكونة من السكر والفساء . اذ كل ما يعترى الانسان من ضعف مقاومة الأمراض المعدية التي تصيب الانف والزور والمعدة والامعاء انما ينجم عن التغذى بخبز مصنوع من الدقيق الناصع البياض ، والبطاطس البيضاء والارز المبيض واللحوم الهزيلة والقهوة المشبعة بالسكر ، والنقل المحلى بالسكر ، والمشروبات الحلوة ، والمرببات ونحوها ، وقد عزا زيادة أمراض المعدة الى كثرة استهلاك السكر والأطعمة الحلوة فقال . كان الفرد في الولايات المتحدة مثلاً منذ خمسين سنة يستهلك في السنة ٣٦ رطلاً من السكر فأصبح معدل مقطوعيته الآن ما تفرطل وستة أرطال في السنة . وما الاصابة بالنوازل والتهاب الرئة والتدرن والتهاب الزائدة الدودية وقرح المعدة وداء الصفراء الان نتيجة انعدام الفيتامين في غذاء الأشخاص الملازمين للحياة الجلوسية في امريكا وغيرها فاذا استطاع المرء أكل طعامه نيئاً ، هان عليه الحصول على ما يعوزة من الفيتامين (لان الآلة البشرية ينسني لها أداء وظائفها على خير ما يرام اذا اقتصر الشخص على أكل ما يصيده أو يحصل عليه بعرق الجبين) لأن ذلك يقتضى اجهاد العضلات وتعرضها لضياء الشمس كي تحصل على الغذاء المشبع بالفيتامين لتعرضه هو أيضاً لضوء الشمس . واذا كان أسلوب الحياة هذا لا يتفق ومدنيتنا الصناعية الحاضرة ، فخير بنا الاكثار من أكل المواد الدهنية والجوز والأثمار والخضراوات ولبس أخف مانطبقه من الثياب ، والمشي في ضياء الشمس بقدر ما تسمح به حالنا ثم الوثوق بحسن المصير

وبينما كان الاستاذ «ستينبوك» يغذى الفئران البيضاء بالحبوب في معمله الكيماوي المظلم كان زملاؤه من العلماء في امريكا وأوروبا يجربون حصر ضوء الشمس في قناني لاتتفاع الملا به فقد جاءت الانباء من معامل التحليل الكيماوي في انكلترا وألمانيا بأنه قد استنبطت مادة اذا عرضت لضوء الشمس أو للضوء الذي فوق البنفسجي أصبحت دواء ناجعاً يفوق زيت كبد الحوت «البالكلاه» المعروف باسم زيت السمك (أثواب من المرات) ويقال ان كل ست أواق منها تعادل طناً من زيت السمك من جهة الفائدة العلاجية . وقد سماها العلماء «ارجوستيرول» وهي تتركب من الخبرة وأشبع بضوء الشمس . وتوجد منها مقادير ضئيلة في بدن كل جسم صحيح . فاذا انعدمت من أى جسم أمكن تجديدها بحقنة دقيقة من الارجوستيرول «لا يمكن قياسها لصفوها» . وبلغ من شدة مفعول هاتيك المادة أن الحقنة الواحدة منها اذا زادت على المتوسط بضع حبات أعقبت الموت الزؤام أشد من الزرنيخ . أما طريقة الاهتداء الى المادة السحرية المتقدمة وصفها ، فأمرطريف بدأ بتجارب بأشهرها العلماء قصد تحسين طعم زيت السمك لكيلا يعقيه (١) من يوصف له ليستطب به . وقد أسفرت التجارب الأولى التي تحرى بها العلماء تحسين طعم ذلك الزيت بنقته مما يشوبه من الشوائب ، من ضياع فائدته الطبية . فكانت هذه النتيجة أول دليل على أن رواسب زيت السمك هي العنصر الشافي الفعال فيه . وقد واصل الاستاذ «جورج بارجر» المدرس بجامعة ادنبره البحث في هذا الموضوع فاستدل

أن الفائدة الطبية لزيت السمك كلها محصورة في مادة الارجوستيرول . وهذه توجد كثفل في المواد الدهنية . ثم هذا حقوة الدكتور « أدلف وندوس » الخبير الألماني بجامعة جوتينجن فأثبت أنه بتعريض مادة الارجوستيرول لضياء الشمس أول للنور الذي ينبعث من مصابيح الأشعة التي فوق البنفسجي ، يمكن استغلال مادة ذات قوة شافية مثل قوة زيت كبد السمك (القد) سهلة الهضم جدا حتى على أضعف معدة . وقد نال الدكتور أدولف من أجل هذا الاستنباط جائزة نوبل في الكيمياء سنة ١٩٢٨ وقيمتها أكثر من ٨٠٠٠ جنيه ويستفاد مما تقتضيه أن فائدة زيت السمك في العلاج متوقفة على رواسبه انشاز إليها ومصدر قوتها (الرواسب) ضوء الشمس الذي يرشح من الماء إلى السمك العائم في البحار ، فإذا منس ضوء الشمس مادة الارجوستيرول حوّلها إلى فيتامين من الطبقة الرابعة وهو الفيتامين الدائي (نسبة إلى حرف الدال في الأبجدية) ونعني بها عنصرا من العناصر الخفية الضرورية في الغذاء التي يعتقد العلماء الآن أن فوائدها الصحية إنما هي امتصاصها ضوء الشمس وادخالها إياه ، والفيتامين الدائي هذا هو النوع الشافي للكساح ويتولد في الجسم البشري بطريقة عجيبة لم يوفق العلماء للوقوف على حقيقتها إلا من زمن قريب وتبين ذلك : أن مادة الارجوستيرول المدخلة في الجسم البشري تنطرق منه إلى البشرة حيث تشمس بضوء الشمس ويمتصها الجسم ثانية مشفوعة بالفيتامين المنعش . وبما أنها تساعد في هذه العملية ، يشير الأطباء بالاحتراس عند التشمس بضوء الشمس الصناعي المتولد من المصابيح . هذا ماجاء في مجلة مصر الحديثة والله أعلم . (انظر شكل ٢) و (شكل ٣)



(شكل ٢ - الأستاذ هاري ستيبنوك من أساتذة جامعة ويسكونزين الذي كشف حقيقة كون الغذاء المشمس بضياء الشمس يساعد على منع الادواء ، والذي أسدى إلى الجنس البشري حيويا غذائية صحيحة)

رابعاً - «عجوبة مذهشة في فن البناء»

(كنيسة تنقل بذاتها من مكان الى آخر)

جاء في « مجلة الجديد » مانعه : « كثيرا ما يقال أن أمريكا بلاد العجائب وانها في هذه الحادثة بالذات تعمل أعجب ما عرفناه عنها ، فقد نقلت الأخبار الأخيرة أن بعض كبار المهندسين في الولايات المتحدة نجحوا نجاحا مذهشا في نقل كنيسة السيدة العذراء بشيكاغو من مكانها الى مكان آخر وهي التي ترى في هذه الصورة (انظر شكل ٤) فقد نقلت بذاتها من أحد جانبي الطريق الى الجانب الآخر ، وهذه هي أول مرة يستطيع الأمريكيان فيها أن ينقلوا بناء كبيرا بهذه الضخامة لأن ما حصل قبل ذلك لم يكن إلا في أبنية صغيرة ، وقد استخدم في نقلها أربع ونشآت كبيرة ومائتا رجل وخسمائة ألف قدم من أسلاك الصاب السميكة وثلاثة آلاف عجلة وأربعة آلاف آلة رافعة وخسمائة ألف قدم من الخشب ، وبديهي أن هذه الأعجوبة الهندسية العظيمة قوبلت بمزيد الدهش في جميع أنحاء العالم » انظر صورتها



(شكل ٤ - رسم كنيسة تنقل بذاتها من مكانها الى مكان آخر)

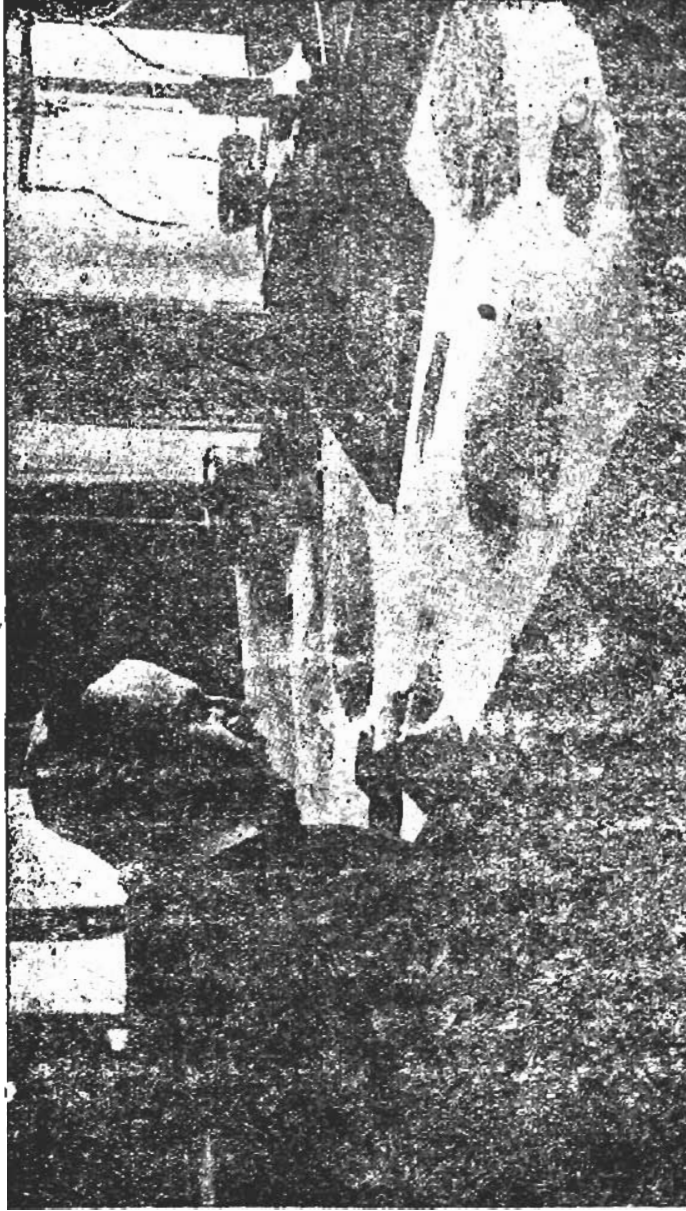
خامساً - «الكلام على استخراج الألماس»

جاء في مجلة « اللطائف المصورة » مانعه : « اشتهرت مدينة (امستردام) في هولندا بتخصص أهلها في فن تنظيف الألماس وتنقيته فن معظم ما يستخرج من هذا المعدن الثمين في ولايات افريقيا الجنوبية يرسل بالحالة التي استخرج فيها الى مدينة امستردام هذه حيث يقوم الأخصائيون هناك بعملية تنظيفه وتنقيته واختيار الصالح منه ووزنه ثم يعيدونه الى أصحابه نظيفا نقيا ، وفي امستردام معامل عديدة يشتغل فيها ألوف من الكيماويين والصياغ وتعد منبع ثروة البلاد ، والألماس عند وصوله الى المعامل ينظف من التراب والمعادن الأخرى التي تكون قد لصقت به وذلك بواسطة آلات أعدت لهذا الغرض . ثم يشتغل أناس من الأخصائيين بفرز ما تنظفه الآلات فتوضع القطع النقية الى جبة والتي فيها عطب أو تشوب نقاوتها شائبة الى جهة أخرى . وبعد ذلك يعمد فوج آخر من الأخصائيين الى وزن هذه القطع جميعها بدقة فائقة نظرا الى قيمة الألماس وعاقبته . والأشكال الثلاثة الآتية (شكل ٥) و (شكل ٦) و (٧) تمثل الأدوار الثلاثة المهمة التي يمر بها الألماس قبل وصوله الى التجار والمشتريين وهذه صورتهم في الصفحات التالية



تنظيف الألماس

(شكل ٥ - منظر عام للآلات التي يجلس اليها العمال المنوط بهم تنظيف الألماس من الأتربة والمعادن الغريبة . والآلات لا تقوم بالعمل كله بل إن العامل يستعمل يديه وحدة نظره . ويرى في الصورة أحد المفتشين الذين يسهرون على العمل ويراقبون العمال)



(شكل ٦ - عملية قطع الألماس واختيار الصالح منها من الطاخ • ويقوم بهذه العملية رجل لا يستخدم إلا يديه ومقطعا صغيرا يتناول به القطع الواحدة بعد الأخرى)



(شكل ٧ - منظر الاختصاصى الذى عهد اليه بوزن قطع الألماس بعد تنظيفها وفرزها . وعمله هذا أدق من الأعمال الأخرى إذ ان على تجميعه بتوقف تحديد غن الألماس وعرضه للبيع)

سادسا - من أحدث الاختراعات والفوائد العلمية

(ومجانب العلم . الجليد السخن وصنع الورق من ورق الذرة)

استنبط الاستاذ (برسى) و (بردجان) أحد معلمي مدرسة هارفرد الجامعة بأمريكا جهازا يستطيع به أحداث ضغط صناعي يقترب ٦٠٠٠٠٠ رطل على ماساحة بوصة مربعة واحدة ، وتسهلا لأدراك كنه هذا الضغط الذي يعتبر أشد ضغط أدركه المخترعون حتى الآن نقول انه يعادل في الوقت نفسه ضغط الماء في قعر المحيط على عمق ٢٥٠ ميلا ، ثم ان ضغطا صرح من الصروح الفولاذية في (نيويورك) التي أطلق عليها اسم (ناطحات السحاب) لعظم ارتفاعها وتقلها لا يعادل بعض ثقل الضغط الذي يتولد من الجهاز المشار اليه وبه يتحول الفولاذ الى مادة لينة يمكن تمديدها ويتحول شمع البرافين الى مادة أصلب من فولاذ الآلات ويصبح الصمغ المرن قاسيا جدا بحيث تصنع منه مقاطع للفولاذ ، وبهذا الجهاز يحمّد الزئبق تحت ضغط مقداره ٢٠٠٠٠ رطل مع انه يتجمد عادة عند درجة ٤ تحت الصفر أو أسفل منها . ومع كل هذا يقول العارفون إن الجهاز في حد ذاته غير معقد التركيب اذا قيس بغيره من الأجهزة العلمية فهو بمثابة طابعة هواء عادية تولد الضغط المطلوب . ولذلك يؤتى بالمواد المراد ضغطها وتوضع في تجويف صغير يحورف في قطعة صلبة من الفولاذ تحفرها خمس بوصات ثم يغطى التجويف بسداد صغير من الفولاذ أيضا يمتد بتأثير الضغط فيقوى محتويات التجويف والهواء من الإفلات . وقد حدث في أثناء التجربة أن انفجر التجويف فانفجرت شظاياه في لوح خشب صنوبري صلب الى عمق ست بوصات في ظهر الجهاز . وفي تجربة أخرى استخرج البيض من ماء جليد سخّن بنهر بضع لضغط مائة ألف رطل فظهر انه مسلوّق سلقا جامدا

(حطب الذرة وصنع ورق الصحف)

من أحدث الوسائل التي استنبطها العلماء لالانتفاع بالمواد الزراعية المهمة والفضلات الحقلية العاطلة تحويل حطب الذرة بالطرق الكيميائية الى عجينة لصنع الورق الملائم لطبع الكتب والمجلات والجرائد . وقد جرت ذلك أول مرة رؤساء تحرير الصحف في مدينة دنفيل بولاية ايلينوا إحدى الولايات المتحدة بأمريكا كي يستوثقوا من صلاحيته للطباعة . فاستبانوا أن هذا الورق سيفاخر الأصناف التي تصنع من عجينة الخشب . ويمارس الباحثون الآن تجارب أخرى يبتغون بها الوقوف على مبلغ ما تنكفه عمليات انتاج المقادير الكبيرة منه وهل ستفضى الى قصد بعض نفقات الطبع أولا

هذا وقد اتضح أن ورق الطباعة المصنوع من عجينة حطب الذرة أشبه بورق عجينة الخشب بل إن ذلك أمتن قواما من هذا وأنصح لونا وأسهل تشربا للداد . وكان أول كتاب تمّ طبعه من هذا النوع الجديد مؤلفا موضوعه مطابق للبحث نفسه وهو المجلد الأول في المنافع الصناعية للحاصلات الزراعية المهمة لمؤلفه الاستاذ (جورج م . روميل) الذي انتدبه حديثا وزارة الزراعة في الولايات المتحدة لبحث مسألة الانتفاع بالمواد الزراعية التي لا يعبأ بها الزراع أولا ينجون منها أرباحا تذكر اه

سابعا - الغاز الطبيعي

الفحم الحجري الذي نشعله في بيوتنا ونطبخ عليه طعامنا يصنعه الانسان بحرق الأخشاب مطمورة بالتراب فتحترق احتراقا بطيئا يزبل منها الأبخرة والغازات ويبقى فيها المادة الخشبية على ماهو معهود ولكن الفحم الحجري الذي نوقده في المعامل والبواخر صنعته الطبيعة في العصور الجيولوجية وخرّنته في جوف الأرض فوجدناه غنيمة باردة ، وكان يمكن أن يكون من المنافع العمومية التي لا تمن لها كالهواء ونور الشمس لولا ما ينفق على استخراجها ونقله من مكان الى آخر

والغاز الذي تناربه هذه المدينة (مصر) وغيرها من المدن الكبيرة يستخرج من الفحم الحجري باستقطاره منه استقطارا . ثم يبقى مما يغالطه من الشوائب ويوزع على الشوارع والبيوت بالأنابيب المعدنية كما توزع المياه واستقطاره وتنقيته وتوزع معه تقتضي نفقة كبيرة فتضاف الى ثمن الفحم الحجري وربما رأس المال وتفرص على المستصحبين به ، ولكن الفحم الذي يستقطر الغاز منه لا يضيع سدى بل يبقى نافعا للوقود وهو المعروف بالكوك ، والشوائب التي تستخرج عند تنقية الغاز يستخرج منها أكثر أنواع الصباغ المعروفة الآن من ذلك ثلاثون لونا من الألوان الحمراء وستة عشر من الألوان الزرقاء وستة عشر من الصفراء واثنان عشر من البرتقالية وتسعة من البنفسجية وسبعة من الخضراء عدا ألوانا أخرى من السمراء والسوداء . وقد يزيد ثمن الشوائب على نفقات استخراج الغاز وتنقيته فيستخرج لأجل استخراجها منه فقط ولولم ينتفع به للإنارة . وفي جوف الأرض غاز طبيعي كما فيها غم طبيعي . وهذا الغاز الطبيعي كان معروفا في بلاد الصين منذ سنين كثيرة . وكان الصينيون يشقون الأرض ثقبوا ضيقة ويستخرجون الغاز منها ويوقدونه لتبخير المياه الملحة واستخراج الملح منها . وعندهم آبار له عمقها ألف متر . وقد عرف في أمريكا منذ أكثر من مئة عام واسكن لم يسع أهلها في استخراج واستخدمه للوقود والاستصباح إلا حين سنة في أواخر القرن الماضي في ربيع سنة ١٨٨٤ ألف بعضهم شركة تجارية في مدينة فندي بولاية أوهايو من ولايات أمريكا لتثقب الأرض وتستخرج الغاز الطبيعي منها وكان عدد أهالي تلك المدينة حينئذ (٤٥٠٠) نفس ولم تشرع الشركة في عملها حتى شهر أكتوبر من تلك السنة فتثقب بئر عمقها (١٠٩٣) قدما ووضعت فيها أنبوبا وأشعلت الغاز المنبعث من الأنبوب فامتد لهبه في الهواء ثلاثين قدما ، وكان هذا اللهب يرى على مسافة ثلاثين ميلا من كل ناحية ، وقدروا الغاز المنبعث من هذه البئر يوميا بمائتين وخمسين ألف قدم مكعبة فتقاطر الناس لرؤيتها من كل فج . وسنة ١٨٨٥ تثقب بئر عمقها ١١٤٤ قدما فانبعث الغاز منها انبعاثا لم يعده له مثيل فيسمع صوت خروجه منها عن ثلاثة أميال ويرى لهبه على مسافة أربعين ميلا من كل ناحية ويقدرّون مقدار الغاز المنبعث يوميا من هذه البئر بأثنى عشر مليونا من الأقدام المكعبة . ومن ثم أخذ سكان المدينة يزدادون بكثرة النازحين اليها فبلغوا ستة آلاف نفس في غرة سنة ١٨٨٦ وعشرة آلاف نفس في ربيع سنة ١٨٨٧ ونحو ١٨ ألف في أواخر تلك السنة واتسعت مساحة المدينة وغلائن أراضيها وأنشئت فيها معامل للزجاج والحديد والآجر والكلس ونحو ذلك مما يقتضي وقودا كثيرا لأن أصحاب الغاز الطبيعي أجروه في أنابيب الى المعامل وأوقدوه فيها بدل الفحم وأجروه أيضا الى بيوت السكان فاستعملوه للطبخ والاستدفاء . واقتدت مدن كثيرة بمدينة فندي في كل ولاية أوهايو وانديانا ويقدرّون الآن انه ينبعث من مدينة فندي كل يوم ستون مليونا من الأقدام المكعبة من الغاز ومن غيرها من المدن المجاورة أربعون مليونا . وأكثر هذا الغاز يستخدم في الأعمال النافعة بدل الوقود على ما تقدم . وكانوا في أول الأمر يحرقونه عند أفواء الآبار فيذهب ضياعا . أما الآن فقد اقتصدوا فيه مخافة أن ينفد . وحالما شاع أمر الغاز الطبيعي أخذ الناس يتفلسفون في أصله وما يؤل اليه استخراج من الأرض فقال بعضهم : إن الأرض بحسب جوفها مملوء بهذا الغاز وهو علة تعلقها في الجوف فاستخرج منه شديدا لخطر لأنها اذا فرغت منه تصدعت وتحطمت ووقعت من مكانها في السماء . وهو من أسخف الأقوال التي طرقت المسامع وقال غيره : إن الغاز ليس مائلا جوف الأرض كلها بل بعض الأجزاء وانه يخشى أن تمتد النار الخارجية الى مصدره الذي تحت ولاية أوهايو وانديانا فيشتعل دفعة واحدة وينسف الأرض نسفا فتصير كل تلك البلاد واديا عميقا فتجري اليه مياه (بحيرة اري) فيصير بحيرة كبيرة . وطلب من الحكومة الأمريكية أن تنظر في هذا الأمر وتمنع استخراج الغاز من الأرض ، وهو أيضا من السخافة بمكان

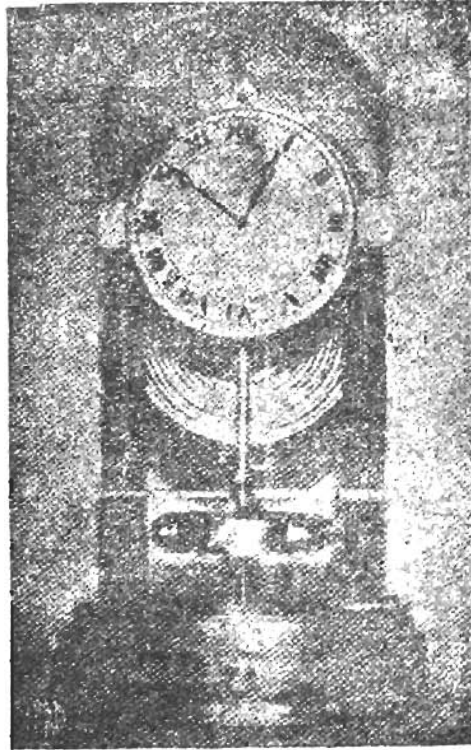
وقال آخر : انه تفحص أحوال الغاز الطبيعي بالتلفون والترمومتر فوجد أن درجة حرارة الأرض ٣٥٠٠

على عمق ميل تحت مدينة فندي وأن تحت المدينة مباشرة تجويفا كبيرا مملوا بالغاز الطبيعي وتحت الغاز طبقة من الصخور سمكها نحو ميل وتحت هذه نار متقدة تذيب الصخور بشدة حرارتها ولا بد من أن تذوب تلك الطبقة الصخرية فتصل النار إلى الغاز فيلتهم دفعة واحدة فيذنب الأرض التي فوقه بما عليها وكل هذه الآراء من الخرافات التي لا يؤيدها العلم لأن الغاز لا يشتعل ما لم يتجدد جانب منه بجانب من أكسوجين الهواء فن لم يمتزج بالهواء فلاخوف من اشتعاله اه

«ثامنا» ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس

وساعة تشتغل من نفسها أمدا طويلا

جاء في إحدى المجلات العلمية ما نصه : « اخترع (المستر جورج فوتشر) من (لوس انجليس) بالولايات المتحدة ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس والأرض في أي وقت في مدة ست سنوات ، وهي تسير حسب النتيجة العبرية القديمة أي باعتبار السنة القمرية واطافة ما تنقصه عن السنة الشمسية وهو سبعة أيام وكسر في نهاية كل أربع سنوات لتكوين سنة كبيسة ذات ثلاثة عشر شهرا اه
« واخترع أحد المهندسين في (بيرن) بسويسرا ساعة عجيبة تشتغل بنفسها أي بدون أن يملأ زبرقها كالساعات العادية وتمكنت كذلك ١٠.٠٠٠ سنة وهي مبنية على استثمارات درجة الحرارة والضغط الجوي»
(انظر شكل ٨)



(شكل ٨ - رسم ساعة تشتغل من نفسها ١٠.٠٠٠ سنة)

وتلحق بهذا هجيتان . العجيبة الأولى — (اكتشاف الطيارات في الجو)

تسكن المستر (بيرد) المشتغل في أبحاث الرؤية من بعد من إيجاد أشعة يمكنها أن تعين مكان أى طيارة على أية مسافة ، وسيعرض هذا الاختراع قريباً فيحضر جهازه ويضعه فوق عمارة ويرسل منه أشعة مرئية ويصوبها نحو الطيارات المحلقة فوقه فانها مهما بعدت فالأشعة تكون متصلة بها ولولم تكن مرئية للناس ونصورها على الشريط مع بيان مقدار بعدها . ثم بعد ذلك يخرج من نفس الجهاز أشعة غير مرئية ويقوم بما فعله في الأول فتطبع على الشريط صور مماثلة للأولى بالضبط ، وعلى ذلك يمكن الجزم بأنه أصبح في الامكان اكتشاف الطيارات مهما اختلفت وبعدت في الجو فلا يمكن استخدامها على غرة في غارة حربية كما كانت تفعل الطيارات الألمانية في الحرب الكبرى

﴿ العجيبة الثانية ﴾

قد اخترعت فونفرافات لتعليم اللغات بالألفاظ والصور فليس على من يريد تعلم أى لغة إلا شراء أحد هذه الفونفرافات والاسطوانة الخاصة بهذه اللغة ، فإذا دارت الاسطوانة دار معها أيضاً شريط مصور ، فكل كلمة تنطق بها الاسطوانة بينها الدليل على الشريط ، وبذلك يستطيع أن يتعلم أى لغة بدون حاجة الى مدرس ويمكنه أن يعيد الاسطوانة كما يشاء حسب استعداده . وهذه ميزة لا يمكن أن توجد في تدريس الأساندة اه

تاسعا — ﴿ عجائب العالم الحديث ﴾

أول ما يلفت النظر في عجائب العالم الحديث أنها من نوع آخر يختلف كل الاختلاف عن العجائب القديمة وان تكون أعلى منها قدراً وأعظم نفعا لجميع الجنس البشرى . فهي انتصارات للعلوم لم توجد بالرق والاستعداد وسامت الانسان زمام القوى الطبيعية يسخرها لنفعه كيفما أراد . وقد يكون ذبوعها وانتشارها في جميع الانحاء العملية في أصقاع الأرض وجعلها طوع كل يد مما سبب عدم حدوث الروعة والدهشة من أجلها في النفوس . ولكن لا ريب في أنها غيرت حياة الانسان على هذا الكوكب في وقتنا الحاضر تغيرا كليا لم تشهده الأمم الماضية حتى عهد قريب . وقد استشارت مجلة العلوم الأمريكية أكبر العلماء عن آرائهم في أعظم عجائب العالم الحديث وقد وصلت عدّة مئات من الرسائل من مشاهير العلماء في كل أمة . فأسفر تلخيصها وحصر ما فيها عن نحو خمسين عجيبة نعت من أكبر انتصارات العلوم في جميع مناحي الحياة العملية والهيئة الاجتماعية . وقد استوجب هذا أن يستشير رئيس تحرير مجلة العلوم الأمريكية الدكتور «ستراتون» رئيس معهد الفنون في «ماساشوسيت» بالولايات المتحدة كي يختار له من بينها سبع عجائب فقط بحجارة للصيغة اللفظية التي يعبر بها عن عجائب العالم القديم . فلما قابله في مكتبه حيث يشرف على مئات من الشبان العاكفين على الأبحاث والتجارب العلمية كي ينقلوا الى يد الانسان مدهشات القوى الطبيعية أحاطه بمهمته فلم يك من الدكتور «ستراتون» إلا أن قابله بالدهشة وأجابه متحجبا «سبع لا غير» كيف يكون ذلك ؟ أيخيل اليك أنه يمكن أن نجعل عجائب الوقت الحاضر سبعا فقط هذا مستحيل بل المعقول أن نقول انه يوجد في الوقت الحاضر ٧٧٧ عجيبة . وأخذ يسرد له قوائم مطولة على ترتيب حروف الأبجدية عن عجائب هذا العصر فذكر الآلات الزراعية والطيارات والسيارات والكبارى . الخ . ولما كانت أعمال الدكتور (ستراتون) لا تسمح له الا بالقليل من الوقت . أمهله رئيس التحرير حتى يفكر في خلونه في انتقاء أعجب العجائب ، وقصارى القول أنه عاد اليه في الموعد المحدد فوجد الاجابة مطبوعة بالآلة الكاتبة على قرطاس من الورق كجالي :-

(١) استكشاف البكتريا واستئثارها فيما ينفع الناس

(٧) تقدم العلوم في معرفة تركيب المادة ومعرفة الشعاع

(٣) تقدم علم الكهرباء واستثماره القوة الكهربائية في إيجاد الضوء والحركة

(٤) الاحتراق الداخلي في الآلات

(٥) طريقة البناء الحديث المعروفة بالاسمنت المسلح

(٦) التعدين الحديث

(٧) طرق حفظ المواد الغذائية بدون تعفن أو فساد

(٨) الطائرات والرحلات الجوية

(٩) تقدم صناعة الآلات الميكانيكية وأنه من المفيد أن نبين بكل إيجاز ما أجمه في هذه الفقرات التسع .

فإن العجوبة الأولى وهي استكشاف البكتريا لا ريب في أنها من أكبر انتصارات علم الكيمياء في العصر الحاضر فقد لبث الناس طوال الأجيال الخالية . لا يدركون شيئا عن فعل الكائنات الذرية التي منها ما يقدم للإنسان أكبر الخدمات ومنها ما يلحق به أشد الأمراض ويهدد حياته بالأخطار المريعة كما كان يحصل في الطواغين وغيرها من الأمراض الويلة الفاتكة . حتى إذا جاء العالم العظيم « باستير » باستكشافاته في هذه العوالم الذرية التي لا تحصى والتي بالرغم من تدخلها كل التدخل في حياتنا نفعنا وضرا فليست تراها العين المجردة ولكنها الآن أصبحت معروفة في كل مكان فالمعروف من أنواع « البكتريا » المفيدة يزيد على ٢٠٠٠ نوع وتوجد في العالم مئات من المعامل الكبيرة لدراسة حياتها وميزاتها وقد درست كذلك أنواع كثيرة من الميكروبات أو الجراثيم التي تسبب الأمراض وعرفت طرق مقاومتها والقضاء عليها ولذلك لم تصبح انسانية كما كانت في القرن السابق عرضة لأن تحصد أبناءها الأروثة والطواغين بل صار لكل مرض ينشأ عن هذه الجراثيم الدواء الفعال الذي يقفه عند حد إن لم يستأصله بالسكينة ونشأ من ذلك استعمال المطهرات في كل شيء وعلى الأخص المياه في المدن المزدهجة بالسكان ، ولذلك يلاحظ ازدياد السكان في كل الأقطار الآخذة بأصول الحضارة وقد ذكر الدكتور ستراتون في العجوبة الثانية : تقدم العلوم في معرفة تركيب المادة ومعرفة التشعيع . فإن دراسة التركيب الذري للذرة قد أدت إلى انتصارات كيمائية وطبيعية تركز عليها كل الأعمال الصناعية وغيرها في الوقت الحاضر . وإن أكبر هذه الانتصارات من غير شك هو اكتشاف الراديو في سنة ١٨٩٨ بواسطة الطبيب الفرنسي (بيروكوري) و « مدام كوري » زوجته . وليس من أحد يجمل ما يقوم به الراديو الآن من المحجزات التي لم يكن يتصور العقل حدوثها . على أن الراديو لم يزل حديث العهد وينظر له من الانتصارات العظيمة في المستقبل مالا يمكن أن يذكر في جانبها ما عرف الآن من مزاياه ومبلغ قوته .

وأما العجوبة الثالثة وهي : تقدم علوم الكهرباء بحيث أصبحت من القوى النافعة الآن في المصانع والدور والديارات الاجتماعية فظاهرة لكل ذي عينين . فإنه يرى الكهرباء في الطرقات في شكل أضواء زاهية لامعة حسب ما يراد من القوة ، ويراه في المصانع قوة محركة تقوم بما لا يمكن أن يقوم به الآلاف من الناس ، ويراه كذلك مستخدمة في وسائل المواصلات والنقل مثل التلفون والتليفون والسكك الحديدية والتلغراف اللاسلكي والتليفون اللاسلكي والرؤيا من بعد الخ . وإن كل واحد من هذه الاختراعات العظيمة يعد عجيبة لا تقدر ولا ريب أن اختراع طريقة الاحتراق الداخلي في الآلات أحدث فوق أديم الأرض كثيرا من التغيير في أحوال المجتمع الانساني حيث سهلت المواصلات بعد أن كانت في العصور الماضية عقدة العقد . فهذه هي السيارات وإن تكن حديثة العهد ولكنها أصبحت الآن في كل مكان ويعرف كل إنسان ما تقوم من الخدمات النافعة . ويوجد منها في الولايات المتحدة وحدها ٣٠٠٠٠٠ سيارة أي بنسبة سيارة واحدة لكل ستة أشخاص ويمكن أيضا تقدير ما يستفيد منه الإنسان في هذه العجوبة إذا فكر في الآلات المختلفة التي تسير بالاحتراق الداخلي لرى : الأراضي أو الأضواء أو الإدارة المصانع المختلفة فهذا ما شهد في كل مكان

وأما الأعجوبة الخامسة فهي : الطرق الحديثة في البناء المعروفة بالاسمنت المسلح حيث يستخدم فيها المعدن والأسفلت في وقت واحد . وقد لا يعد البعض « الاسمنت المسلح » بين عجائب ولكن إذا رأى كيف تبنى ناطحات السحاب في أمريكا وغيرها من البلاد . لا يسهل إلا أن يقر بفضل هذه الأعجوبة التي يمكن أن يتم بواسطتها من البناء في بضعة أشهر ما كان يستغرق فيه بناء الأهرام عدة سنوات وإن حدثت بابل المعلقة التي لا ترتفع أكثر من ٤٠٠ قدم لا يمكن أن تعد أعجوبة إذا قورنت بأى برج من الأبراج الحديثة المبينة بالاسمنت والحديد ولا سيما إذا عرفنا أن القدماء كانوا يبنون بالطين وأكثر ما استعمله قدماء المصريين الجبس ، والرومان المواد البركانية مع الجير . وكان اختراع الاسمنت في سنة ١٨٢٥ ومن ذلك العهد تطور فن البناء وظهرت العمائر الضخمة ذات العشرات من الطبقات (٦) وقد كانت انتصارات التعدين من أول الأمور المحققة لكثير من مناحي التقدم العمراني والصناعي حيث يجد كل صاحب صناعة أو عمل نوع المعدن الكامل الذي يمكن أن يكون أعظم من سواه في العمل الذي يتعهد به ، أو الآلة التي يصنعها (٧) وإن طرق حفظ الأغذية من التعفن والفساد لها قيمتها الكبرى لأن الأغذية من أول العوامل الحيوية اللازمة لوجود الإنسان . وقد كانت تحصل الجماعات في الأزمنة القديمة ويهلك بسببها مالا يحصى من الأمم . بينما توجد بلاد تزيد حاصلاتها على ما تستهلكه فتنطرح للتعفن والفساد بدون أن تستثمر في انقاذ الهالكين في الجماعات . وصارت الحركة التجارية الآن في جميع أنحاء العالم تستثمر حاصلات كل قطر من الاقطار ولولا طرق حفظ الأغذية لما أمكن أن يتم ذلك (٨) وبديهي أن من يعد عجائب العالم لابد أن يذكر الطائرات وتقدمها العظيم كما هو مشاهد للعيان فقد أصبحت تتم بها الرحلات بين جميع أقطار الكرة الأرضية وهي تستخدم الآن في نقل البريد والمسافرين ولها في إبان الحرب أروع الأعمال التي تكسب الجيوش الفوز والنصر . وذلك لأنها أول طرق المواصلات المحررة من القيود المكانية فهي تسبح في الهواء أين تشاء (وأما الأعجوبة التاسعة) وهي : تقدم الآلات فانه يدخل تحتها ما لا يعد من الآلات التي نقوم بأعظم الخدمات للمجتمع الإنساني في أقل مدة من الزمن مع أنها كانت تتم في العهود الماضية بمواصلة الجهود الشاقة في مئات الامثال لهذه المدة ومنها الآلات الزراعية المستخدمة في الحرث والحصاد ودرس القمح ومنها آلات الخياطة والكتابة والحساب والطباعة ويكاد لا يقوم الإنسان الآن بأى عمل من الأعمال بدون أن يستثمر فيه الآلات وقد تكون قوته باستخدام آلة واحدة تعادل قوة عشرات المئات من أمثاله : فهل بعد كل ما استعرضناه من المدهشات يمكن أن يقال أن عجائب العالم الحديث لها عدد أو نهاية . انتهى

أليس هذا وغيره سر من أسرار الفتح الرباني الذي فتحه الله للناس من رحمة وكلما فتح فتحاً جديداً للإنسانية على يد كاشف كشفه قامت في وجهه العقبات من حسد الحاسدين ومكر الماكرين . ولكن الله يقول . كلا . لا ممسك لرحتي . فليكشف المسلم غوامض مخلوقتي وإذا قم في وجهه الحاسدون فليعلم انه لا ممسك لرحتي التي أظهرها لعبادي على يد واحد منهم . فأنا أنصر كل مجتهد لنفع الناس طرّاً . فليعلم شبان المسلمين قراء هذا التفسير وليשמروا عن ساعد الجد وليدلووا دلوهم في الدلاء مع العاملين لنفع الإنسانية كلها وأنا أساعده وأنجحهم . فإذا سبقت كلتنا لعبادنا المرسلين ، فهذه كلتنا لعبادنا الذين ألهمتهم أن يكشفوا عجائب رحتي في العناصر والمادة

ولاريب أن من مقدمات النهضة الاسلامية في الأرض هذا التفسير والله هو الذي فتح هذه الرحمة للمسلمين فلامسك لها . ويلحق بهذا أربع فوائد

أولها - (قياس سرعة البرق الصاعق)

توصل العلم الى قياس سرعة البرق بعد جهاد كثير من العلماء ولا سيما الاستاذ (بوز) الطبيب الانكليزي الشهير الذي مكث ستاً وعشرين سنة يقوم بتجارب واختبارات عديدة في هذا الشأن حتى توصل الى اختراع

جهاز دقيق يحقق هذه الغاية بكل سهولة . وهذا الجهاز عبارة عن آلة فوتوغرافية شديدة التأثير ذات عدستين تتحركان بسرعة كبيرة . وقد وجد أن البرق الصاعق يتم تكوينه في ٠.٠٧ و. من الثانية وأن أى جزء منه لا يمتك أكثر من جزء من (٣٥٠٠) جزء من الثانية

ثانيها - هل يحصل البرق الصاعق من الأرض أم من السماء ؟

كان العلماء يذهبون الى رأيين متناقضين في ذلك فبعضهم من يقول بأن البرق الصاعق يسقط من السحاب الى الأرض ، ومنهم من يقول بوثوبه من الأرض . وقد أثبت الأستاذ (بوير) أن البرق الصاعق ينشأ من الطرفين أى من الأرض والسحاب في وقت واحد تقريباً ، ويتم ما بين طرفيه في الجو في نحو جزء من (٧٠٠٠) جزء من الثانية . وذلك لأن الفوتوغرافية التي صنعها كانت ترسم بعدسيتها طرفي هذا البرق في صورتين ، و بقياس الوقت اللازم لرسميهما بواسطة أجهزة دقيقة تمكن من أن يعرف الوقت اللازم لتكوين البرق الصاعق وسرعته

ثالثها - من أين تأتي القوة ؟

تأتي كل القوة التي في العالم إلا جزءاً قليلاً منها من الشمس فكل الرياح والأمواج والشلالات والأنهار والزيت والبتروول والفحم توجد فيها قوة الشمس أوهى قائمة عليها ، وأن قوة الجزر والمد التي تنسب للقمر هي في الحقيقة مستمدة بواسطته من الشمس

رابعها - مصدر قوة الانسان

ويستمد قلب الانسان وأعضاؤه وعضلاته القوة من الشمس في الحقيقة لأنها ليست ناشئة إلا من هضم السكر والغذاء وهما مستخرجان من النباتات ، ومن الثابت أن النباتات لا تنبئ أنسجتها إلا بتأثير أشعة الشمس انتهى ما أردته من المجلة المذكورة والله أعلم

خامسها - (أغرب غرائب أمريكا)

جاء في مجلة " كل شيء " مانصه :

المستر ولجيسون رجل أمريكي يعيش بنقل الصور الملونة للأشياء وسائر أنواع الحيوان ، وكان أبوه قبطاناً قد اخترع زورقة يفوح تحت الماء وله أنبوبة تتصل الى أعلى لتجديد الهواء ، وكان غرضه من هذا الزورق استنقاذ السفن الراسية ، ولهذا الزورق عين كبيرة من الباور الصافي يبلغ قطرها ثلاثة أقدام فيمكن الانسان أن يرى الأشياء والحيوان تحت الماء بها ، وقد مات القبطان ولم يستعمل الزورق للغرض الذي بنى من أجله وإنما استعمله ابنه المستر ولجيسون في تصوير الحيوان ، وقد مضى عليه (١٦) سنة وهو في هذا العمل

ولما تزوج أخذ زوجته الى الزورق وقضى معها شهراً العسل عند جزر باهاما حيث اشتغل بنقل الصور . وباهاما من جزر الهند الغربية ، والماء عند عمق (٢٥) قدماً يشبه النهار عند ما نعيم السماء ، ولكن لعين الزورق مصابيح كهربائية تشع ضوءاً باهراً في الماء فيمكن نقل الصور كما تنقل على سطح اليابسة في النور العادي وهذا اذا كان الماء هادئاً ، أما اذا حدثت زوابع وهاجت الأمواج بلغ الهياج فعمد البحر فعمد نذ يرتفع الطين الراسب ويكثر صفاء الماء كما يرتفع الغبار عند ما تهيج الريح على اليابسة

ويعيش الآن المستر ولجيسون مع زوجته في هذا الزورق فيقوصان به في النهار ويصعدان الى السطح في المساء . وقد يظن القارئ أن هذه المعيشة تسم الانسان وخصوصاً الزوجة ولكن المستر ولجيسون تصف هذه المعيشة بأنها ليست خالية من الملامح بل تقول انها أحياناً كثيرة تجذبها المناظر فتبقى ساعات لا تدرى بانقضاء الوقت لفرط ما ترى من غرائب الطبيعة وجالها تحت الماء . أما هذه المناظر فهي أعشاب البحر

المختلفة التي تشبه المروج والمراعى وهى فى الواقع كذلك فان السمك وساير الحيوان يسير بينها ويتخللها بأكل منها أو يختبئ فى ثناياها كما يفعل الحيوان فوق اليابسة . ومن المناظر الجميلة حقول المرجان بألوانها الزاهية المختلفة وفى ملاحظة حركات الأسماك وأخلاقها ما يجعل الانسان يقضى الساعات وهو لا يأس . والأسماك تختلف فى المزاج والقوة والأخلاق . فقد ترى السمكة الصغيرة الخفيفة تعتمد الى سمكة كبيرة فتهاجمها وتضربها ثم تفر منها . وأحيانا تأتى سمكة فتترى عين الزورق البلورية فتأخذ فى التحكك بها ومسحها بأطراف فمها . وأحيانا تجرح البلور فيحتاج المستر وللمسون الى صقله بضع ساعات لكي يعيد اليه صفاءه . ويقول المستر وللمسون ان اختباراته تدل على أن سوء الظن بالقرش خير من حسن الظن به فهذه السمكة شريرة وقد رأى قروشا تشاجر فيمزق أحدها الآخر تمزيقا مروعا . وانقرش فى البحر كالنمر على اليابسة يحب الافتراس والقتل ولا ينفك عن ذلك وهو يأكل الرمة ولكنه يحب الأحياء من الناس وبأكلهم . والمستر (وللمسون) يزود السفينة توغرافات بأفلام عن الحياة تحت البحر كما يزود المدارس والمتاحف بصور فريدة للتاريخ الطبيعى اه

حادى عشر - الكلام على عالم الطفولة ﴿

(مدهشات عالم الطفولة)

أولا - الأطفال ذوو العقول الجبارة

يوجد الآن فى (سلوفاكيا) طفل فى الخامسة من عمره حير العقول فى مقدرته فى الحساب حيث يجب على العمليات التى تستوجب من الحاسب أن يحجرها بالقلم على القرباس فى بعض ثوان . ولقد أحضر فى محفل كبير وسأله الأطباء لفحص قواه المدهشة . كم يوما مضى منذ ميلاد المسيح ؟ فأجاب هذا الطفل الجواب الصحيح بغير توقف . وما كان يعطى تاريخ ميلاد أى شخص من الحاضرين حتى يجب بدون تردد عن مقدار ما مر عليه من الأيام والدقائق منذ ولادته غير ناس لحساب السنوات الكبيسة التى تتخلل عمره ورأس هذا الطفل كبيرة للغاية حتى انه لا يمكنه أن يلبس أكبر قبعة عادية . وظهرت أخيرا فى الولايات المتحدة طفلة فى الثامنة من عمرها تجيد التكلم بثمانى لغات وألفت ثلاثة كتب وعدة مقالات وقصائد ، ولما كان سنها ثلاث سنوات كانت تكتب على الآلة الكاتبة وتتكلم بالاسبرانتو والفرنسية وان تكمن اللغة الانكليزية لغتها الأصلية ، ولما بلغت الخامسة من عمرها أخذت تقول الشعر

﴿ الأعجوبة الحققة ﴾

ظهر فى صحيفة من صحف لندن منذ قرن من الزمان ما يأتى :

جوننجن فى ٢٠ مايو : انتظم فى سلك الدراسة فى جامعتنا منذ ثمانية شهور طالب فى منتصف السنة العاشرة وهو من عجائب المخلوقات ، واسم هذا العالم الصغير (شارلس ويت) ويعرف عنه انه لما بلغ الثامنة من عمره كان يجيد الى جانب لغته الأصلية وهى الألمانية اللغات الآتية : اليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية والانكليزية والايطالية ، وهو قوى فيها الى درجة الكمال كتابة وحديثا ، ويستطيع أن يترجم بكل سهولة من (فبرجيل) و (هومر)

﴿ طفل دائرة معارف ﴾

وأغرب من هذا الغلام طفل اسمه (هنرى كرستيان هينكن لوبك) فإنه لما بلغ الشهر العاشر من عمره كان يستطيع أن ينطق كل كلمة فى قاموس اللغة الألمانية مع ما هو معروف عن صعوبتها فى النطق عن أية لغة من اللغات الحية ، وما أتم سنة حتى كان ملما بأشهر الحوادث فى تاريخ العالم . ولما بلغ من العمر سنتين كان على علم تام بكل تواريخ التوراة وقصصها وأنبياؤها ورجالها . ولما كان فى الثالثة كان يجب بمنتهى الدقة على

كل سؤال في جغرافية الكرة الأرضية جميعها وتاريخ العالم القديم وعند ما بلغ الرابعة كان يشتبك في محادثات حادة مع شيوخ الأساتذة في أربع لغات ولكن العمر لم يمهله حتى يتم السادسة

ثانيا - ﴿ أغرب طفل في العالم ﴾

وهو الطفل البلجيكي النابغة الذي تتحدث عنه الصحف الأوروبية والأمريكية وتعدّه أعظم أعجوبة في عالم الطفولة فهو لم يتجاوز السنة الثانية من عمره ولكنه على الرغم من ذلك يعدّ من أكبر الرياضيين وأصحاب المواهب الخارقة للعادة في علم الحساب وهو يستطيع أن يضرب عددا مكونا من خمسة أرقام في عدد آخر من خمسة أرقام في ذهنه أى بدون كتابة وينطق بحاصل الضرب بسرعة وبدون تردد ولم يحصل أنه أخطأ في ذلك مرة اه

ثالثا - ﴿ صبي في الثانية عشرة ينال بطولة مصارعة الثيران ﴾

لك أن تسميه شجاعا أو أن تصفه بما شئت غير ذلك من صفات البطولة وإنما المهم هو أن في جمهورية (بيرو) صبيا لا يتجاوز عمره الثانية عشرة قد اشتهر على الرغم من تحول جسمه بمصارعة الثيران والتغلب عليها وكان الكثيرون يظنون في هذه الشهرة شيئا من المبالغة ولكن حفلة كبرى لمصارعة الثيران أقيمت في (ليما بيرو) وحضرها ألوف من الجماهير وكثير من مندوبي الصحف فبرهنت على أن شجاعة المصارع الصبي واسمه (رافاليتوميحاس) ليست كاذبة ولا مبالغ فيها فإن هذا البطل الصغير لم يصارع ثورا واحدا بل صارع ثورين فتجا من ضرباتهما وكان له عليهما الفوز والغلبة

﴿ رابعا ﴾ وهو ماجاء في جريدة الاهرام في يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

﴿ عبقرية الأُمى الفتى « ترك » ﴾

أشرنا منذ أسابيع في الاهرام الى عبقرية الفتى الأُمى المسمى (ترك) والى مقدرته الحسابية ومواهبه الخارقة للعادة . وعلى أثر صدق هذه السمعة استدعاها حضرة صاحب العزة مدير مصلحة المساحة وامتنحن مقدرته وكتب الى وزارة المالية يطلب اليها تعليم الفتى ترك على حساب خزينة الدولة حتى اذا أتمّت الدراسة عمل في خدمة الحكومة على مقتضى ما تؤهله اليه كفايته وظروفه لاذ ذاك . وقد وافقت وزارة المالية على هذا الطلب طبقا لما أشرنا اليه من قبل

ومما هو جدير بالذكر أن نشير الى بعض المسائل التي امتحن فيها الفتى المذكور ، فقد طلب اليه أن يذكر حاصل الضرب بين الرقمين ٦٤٥٣٢١٥٤ و ٣٤٧٨ فأجاب الاجابة الصحيحة بعد أربع دقائق . وطلب اليه معرفة خارج القسمة للعدد ١٧٦ ر ١٦٦ ر ٢٨٨٦٣ ر ٢٨٨٦٣ على ٥٨٦٤ فأجاب إجابة صحيحة بعد عشر دقائق . وذكر لهذا الفتى أيضا أن المملكة المصرية تشتمل على ٩٩٦٣٢٧ كيلومترا وأن الكيلومتر الواحد يساوى ٢٣٨ فداناً وأن المطلوب معرفة المساحة بالأسمم فأجاب بعد خمس دقائق بأن الرقم المطلوب البحث عنه هو ١٣٦ ر ٥٨٤ ر ٤٧٥ ر ٧٧٦ وشرح له الجذر التربيعي والجذر التكعيبي ففهمه للحال واستخرج الجذور التربيعية والتكعيبية

وهذا الفتى المذكور من « ششت الأنعام » بمديرية البحيرة . وبهذه المناسبة أشارت مصلحة المساحة الى من حفظ التاريخ أسماءهم من أمثال الفتى المصرى حيث ذكر اسم (جورج يعزور) وكان من عظماء المهندسين في العالم والمرجع الهام في أعمال السكة الحديدية ، وقد ولد في انكلترا سنة ١٨٠٦ وكان ذكاؤه باديا في جميع أدوار حياته . وقد حلق في فن الهندسة وعين رئيسا لمعهد المهندسين المدنيين وهناك أشخاص آخرون مثل (جوهان واز) الألماني فترجوا أن يكون للفتى المصرى حظ هؤلاء العظماء . انتهى المقام الأول

﴿ المقام الثاني ﴾

ما عسك من الرجات فلا يفتحه للناس رحمة بهم مثل ما ورد في الأخبار
﴿ أولا ﴾ يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٢٩ م ﴿ وثانيا ﴾ يوم ٢٢ منه أيضا من البرد في أوروبا ﴿ وثالثا ﴾
مثل ماجاء في يوم ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩ م من ثورة الطبيعة في سوريا ﴿ ورابعا ﴾ مثل ماجاء في مجلة
الحديد ، بعنوان « ٢٠٠.٠٠٠.٠٠٠ دولار خسائر الجليد في العالم في كل شتاء » وفيها يلي بيانها

أولا - ﴿ البرد في أوروبا ﴾

لندن في ١٣ فبراير - بلغ البرد اليوم في بريطانيا العظمى كلها درجة تدكر يبرد القطب الشمالي ومن
المنتظر أن يشتد . وقد عرقلت المواصلات بالسكك الحديدية وعلى جميع الطرق في بريطانيا العظمى والييس
الاوروبي الى حد عظيم ووردت الانباء بوفاة كثيرين على أثر البرد - روتر

باريس في ١٢ فبراير - يشتد البرد في جميع انحاء أوروبا ولا سيما في فرنسا وقد صار السفر بطيئا في سكك
الحديد وفي الطرق الأخرى وأصبح العمل في المناجم صعبا ولا سيما في تشكوسلوفاكيا وألقت الذئاب الجائعة
الرعب في بعض جهات البلقان وتجمد نهر الدانوب في القسم الذي يجتاز تشكوسلوفاكيا . وهبطت الحرارة
الى ١٤ درجة تحت الصفر في باريس والى ٢٣ درجة في رنس و ٢٠ درجة في ستراسبورغ - هافس

لندن في ١٢ فبراير - ان البرد القارس الذي اشتد في أوروبا أفضى الى فواجع كثيرة فقد جاء في تلفراف
من وارسو خبر وفيات كثيرة بالبرد وان حراس القابات عثروا على زمرة من « الفجر » تتألف من ٣٤ شخصا
رجالا ونساء وأولادا نزلوا في غاب على مقربة من لوبلن وماتوا بردا

وجاء في تلفرافات برلين أن ثلاثين سفينة محصورة بالجد في جهة بحر البلطيك الغربية وليس في بعض هذه
السفن طعام وقد أصيب بعضها بعطب شديد بحيث لا تستطيع السفروان الطرادات الألمانية المهمة بالاقتاد يعوقها
الجد وتمت طيارات الحكومة السفن المحصورة بالجد بالطعام - روتر

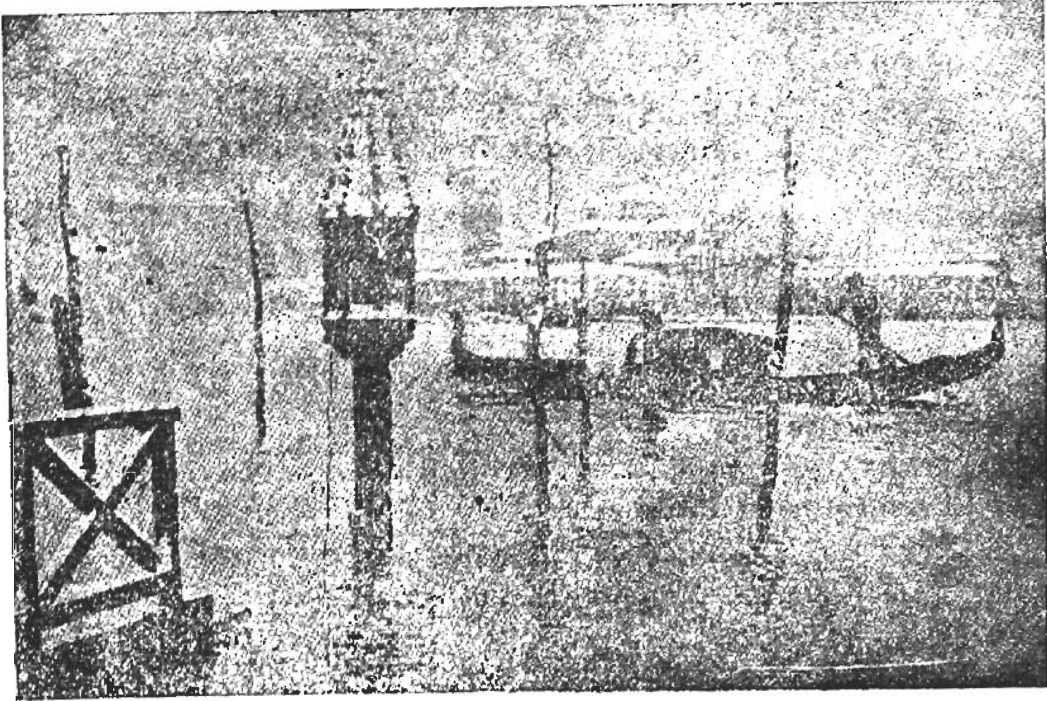
صوفيا في ١٢ فبراير - من انباء قارما وبورغاس البرقية ان الموائى البلغارية على البحر الاسود محصورة
بالجد ومقفلة في وجه السفن ويمتد الجدد على مسافة بعيدة من الشاطئ وهو سميك جدا بحيث يسهل التزحلق
عليه على طول الشاطئ ولم يسبق لهذا البرد من نظير من سنة ١٨٤٩ وقد ازداد صعوبة النقل بسكك الحديد
ويخشون من وقوع أزمة طعام في بلغاريا - روتر

ثانيا - ماجاء بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٩ بالعنوان المتقدم

اثنى في ٢٢ فبراير - لاتزال رداءة الجو الشديدة مستمرة وقد اكتسحت عاصفة ثلج اقليم أثينا - هافس
لندن في ٢٢ فبراير - بينا الثلج يذوب في بريطانيا العظمى يشتد البرد في غيرها من البلدان الاوروبية
فقد جاء في برقية من أثينا أن عاصفة ثلج شديدة اكتسحت بلاد اليونان وان انحاء كثيرة في الاريايف تهددها
الجماعة من جراء انقطاع المواصلات وقد اكتسحت حتى الآن بمبلغ ٣٥٠.٠٠٠.٠٠٠ دارخة اعانة المنكوبين الفيضان في
جنوب بلاد اليونان ومن جلتها مليون من بنك اليونان الوطني ونصف مليون من المسيو فزيلوس . ويؤخذ
من برقيات صوفيا أن البرد عاد وأن حرارة الجو هبطت الى ٢٥ درجة تحت الصفر في بعض الأماكن وسقط
ثلج أسود في روستحق ويظن أنه ممزوج بغير البراكين

رومية في ٢٢ فبراير - يعوق البرد المشتد في ايطاليا حركة سكك الحديد فقد وصل اكسبرس الشرق الى
ميلان متأخرا ١٤ ساعة عن ميعاده - هافس

بوداست في ٢٢ فبراير عاد البرد القارس بشدة عظيمة وبلغ الدرجة الخامسة والاربعين تحت الصفر هنا



(شكل ٩ - إحدى كنائس مدينة البندقية في إيطاليا تحت الجليد)

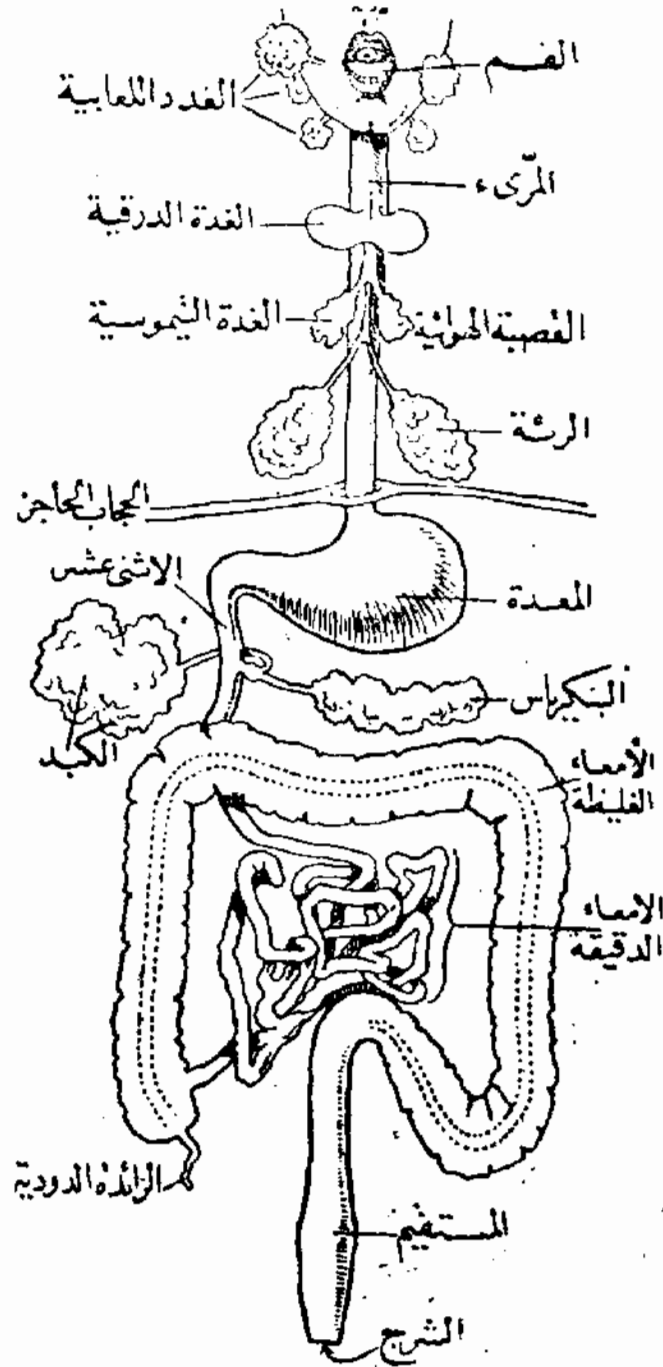
انتهى المقال العام في آية - مايفتح الله للناس - الخ

(لطيفة في قوله تعالى - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا -)

(كتب قبل الفجر ليلة ٣٠ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ)

اللهم إنا نحمدك على نعمة العلم وبهجة الحكمة والهداية للفهم والانعام ، اللهم إن أعظم نعمك علينا هو العلم ، العالم الذي نعيش فيه مادة والمادة لا تبات لها بل هي شبكة نسجتها لتأيد الحواس الخمس لتصيد بها جواهر العلوم في ظلمات بحر الحياة اللحي ، فويل ثم ويل لمن مرت عليه السنون تتلوها السنون وهو في غفلة وهو من المعرضين ، لولم يكن هذا العالم في غاية الابداع والجمال لكانت هموم هذه الحياة وأسقامها عبثا اذا لم تكن الآلام والأسقام موقظات للعناء أن يفكروا فيما خلقوا فيه من الجمال لظل جميع الخلق محجوبين مبعدين عن بهجة ذلك الجمال البارع والحسن والنور والعرفان

أكتب هذا الآن وبين يدي كتاب « الطبيعة وعجائبها البديعة » ، فها هو ذا الجهاز الهضمي (شكل ١٠ في الصفحة التالية)



(شكل ١٠ - الجهاز الهضمي)

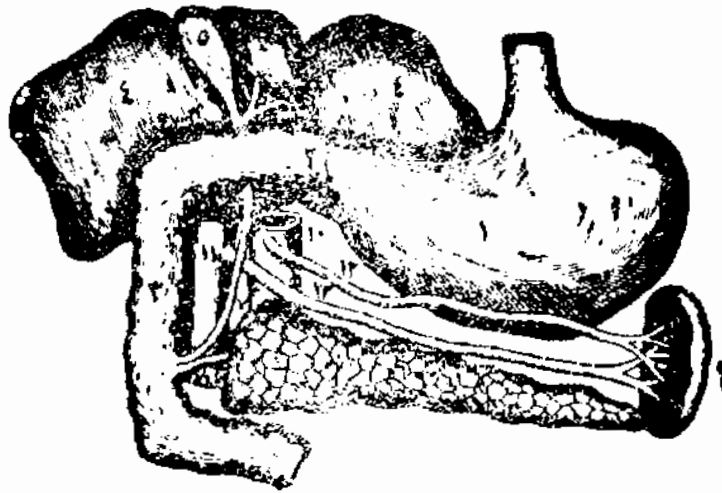
أنظرا له وفكر فيه . أليس هذا هو الخلق من النطفة المخلوقة من تراب ، هاهو ذا التراب فانظر كيف خلق منه نبات حيوان فالإنسان فأكل هذا نباتا وحيوانا فاجتمعت العناصر فكان منها أمثال هذه القناة الهضمية هذه يراها العالم والجاهل فتظهر تارة بهيئة حقيرة لقذارتها أو هيئة مشبهة اذا طبخت وكان الناظر جائعا وهي في نظر الجزار سلعة تقصد لثمنها ، أما الحكيم المفكر فانها في نظره لوح يقرؤه وكتاب يفهمه وتبصرة وذكري ، فأول ما يصادفه بعد الفم وما فيه من الاثنتين والثلاثين سنا (الغدد اللعابية) فينظر فيرى هناك ثلاثة أزواج من الغدد كلها تفرز اللعاب الجارى في قنوات ، وذلك اللعاب سائل شفاف غير حصى بل هو قلوئى

بواسطة خيرة اسمها (المنفحين) ولا جرم أن وسط المعدة حصى بخلاف وسط الفم فهو قلوى ولكل منهما خاثر تناسبه ولا عمل لخبرة إلا في مكانها الخاص

ثم انه لا بد في فهم حقائق بقية هذا الموضوع من معرفة ماهى الأغذية اللازمة للإنسان انها :
 (١) مواد عضوية غير آزوتية أى ليس فيها عنصر الآزوت الذى هو جزء من الهواء الجوى وهذه إما مواد كبريتية مثل الفشار والسكر . وإما مواد دهنية كأنواع الزيت والسمون والشحم
 (٢) ومواد عضوية آزوتية وهذه تستهلك في أنشطة الجسم . وهذه مثل (البروتين) كزلال البيض والجلاتين المستخرج من العظام المغلية والمادة الجينية في اللبن ومادة (الميوسين) التى في اللحم وهكذا يكون (البروتين) في المواد النباتية لاسيما في بذور البقول مثل الفول والبسلة والعدس . وفي الحبوب كالقمح والذرة
 (٣) ومواد غير عضوية وهى الماء والمواد المعدنية والماء ثانيا الجسم والمواد المعدنية منها :

(أ) كربونات الجبر وهى في العظام والأسنان
 (ب) وفوسفات الجبر وهى في العظام أيضا وتكون نصف وزنها تقريرا وان فوسفات الجبر وكربوناته داخلات بمقادير كافية في الأغذية النباتية والحيوانية

(ج) وملح الطعام
 (د) وأملاح أخرى بمقادير قليلة تدخل في الجسم من الغذاء . اذا عرفت هذا فان الحكيم المفكر الذى نكلمنا عنه ينظر في سبر الطعام أثناء سيره (انظر شكل ١٢)



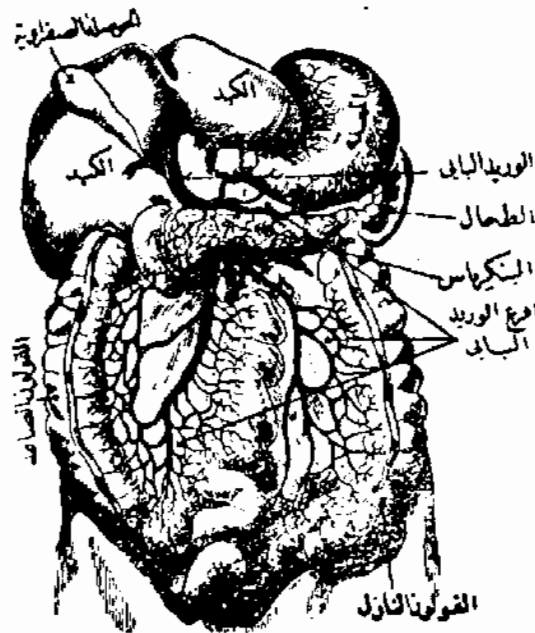
(شكل ١٢ - المعدة والاثنا عشرى والكبد والطحال والبنكرياس (١) المعدة (٢) البواب (٣) الاثنا عشرى (٤) السطح السفلى للكبد (٥) الحوصلة الصفراوية (٦) غدة البنكرياس (٧) القناة الصفراوية (٨) القناة البنكرياسية (٩) الطحال (١٠) الأورطة (١١) الوريد البابى (١٢) الشريان الطحالى (١٣) الوريد الطحالى)

فيرى أن هناك القناة الصفراوية (مرة ٧) في هذا الشكل توصل الصفراء المطبوخة في الكبد الاثنا عشرى ومثلها القناة البنكرياسية الآتية من البنكرياس (مرة ٨) في الشكل فإذن يرى هاتين العصارتين تصبان في مكان واحد وتخرجان بمدة الكيموس الآتى من المعدة ذى القوام الغليظ . وهذا الكيموس يمر بالامعاء فتقبله عصارة أخرى تفرزها الامعاء نفسها . فهذه العصارات الثلاث تذيب من المواد مالم يذيب من قبل وينقلب بسببها الكيموس الى كيوس ذى قوام سائل لئلا . وهنا استعداد الطعام لأن يرتقى درجة أخرى فتتمصه الخلات التى في الامعاء الدقيقة ويمر الباقي الى الامعاء الغليظة ولا يزال الامتصاص مستمرا هناك أيضا وما فضل

عما لم يمتص أولم يصلح للامتصاص يخرج بالتبرز . وهنا يرى هذا الحكيم أن القناة الهضمية فيها مصانع تجهيز أنواع الهواضم . فأما في الفم فتلعب وفيه جراثيم تذيب المواد النشوية كالسكر والنشاء وما بقي في المعدة وفي الأمعاء بالعصارة البنكرياسية والمعوية والصفراوية

هنالك يرى ذلك الحكيم درجة جديدة للطعام ، فنه أولا كان نباتا وحيوانا وماء ومعادن ثم أصبح في الفم ذائبا باللعاب أو كيموسا في المعدة بأنواع من الهواضم ثم انتقل الى الأمعاء فسلطت عليه العصارات الثلاث المتقدمة من البنكرياس والصفراء والأمعاء فصار كيلوسا ثم ارتقى فتقبلته شبكة دقيقة من الأوعية الدموية تحت الغشاء المخاطي بعد أن تمرّ بذلك الغشاء المبطن للأمعاء . وهذه الشبكة تسلمها الى الدورة الدموية والدورة التنفسية

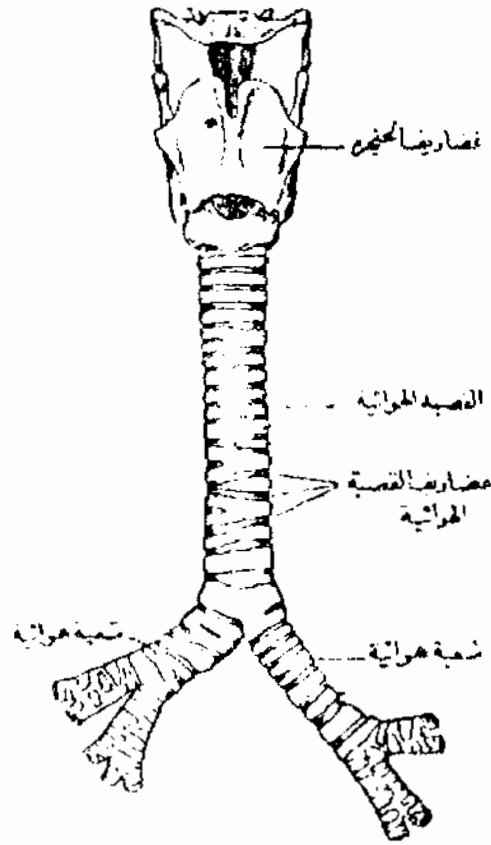
ههنا ينظر في الدورة الدموية فإذا يرى ؟ يرى هذا الرسم (انظر شكل ١٣) وهذه الدورة تقدم شرحها مرارا وتكرارا في هذا التفسير ولكن هذه الصورة البديعة لم يتقدم لها نظير من حيث وضوحها (شكل ١٣)



(شكل ١٣ - الوريد البابي والفروع الرئيسية التي يتكوّن منها)

وهناك يرى الدم الشرياني في يسار الصورة والوريدي في يمينها والأول يتدفق في الاروطة الخارج من البطن الأيسر وقد تفرّع الى فرعين : أعلى وأسفل لتغذية الجسم كله أعلاه وأسفله فهو أشبه بنوع الانسان حينما يكون جاهلا فاذا تعلم صار كالمواد المهضومة ثم يرق فيصير نافعا لمجموع الأمة كما صار الدم غذاء للجسم فأما بقية المواد التي لم تهضم أو هضمت ولم تمتص فقد خرجت بالتبرز فهي أشبه باولئك الذين رسبوا في المدارس لأنهم لم يجيبوا في الامتحان أو كأهل النار الذين لم يصلحوا سكنى الجنة لأنهم في الدنيا لم تتوافر فيهم صفات الكمال حتى يصلحوا لمعاشرة أهل الجنة الذين هم علماء وحكماء . ويرى الدورة اللفاوية العليا والسفلى . والوريد البابي . والوريد الكبدي الأعلى المتصلين بالكبد وهما مملوآن بالدم الوريدي ثم يبحث فيرى الدم الشرياني متى انصل بأجزاء الجسم تحوّل الى دم وريدي فيعرف انه قد اسودّ بسبب المواد الفحمية التي خالطته بسبب التفاعل الكيميائي ثم يرى ذلك الدم الوريدي أخذ يرجع ثانيا فأخذ يصبّ في الأذين الأيمن ثم ينزل منه الى البطن الأيمن ومن البطن الأيمن يخرج هذا الدم في طريقه جاريا في فروع الشريان الرئوي

متصلا بفروع الشعب الهوائية وهناك يبحث عن هذه الجوانب كيف تكونت فبرى القصبة الهوائية (انظر شكل ١٤)



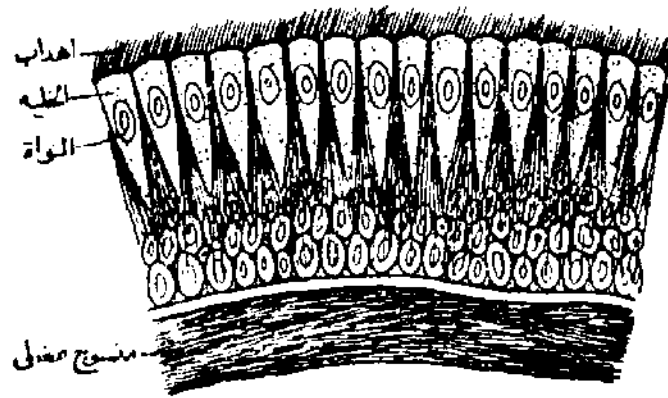
(شكل ١٤ - القصبة الهوائية وفروعها)

وهذه القصبة الهوائية تكون منها شعبتان هوائيتان وهاتان الشعبتان يخرج منهما ما يشابه الأشجار ويسمونه بالحوصلات الهوائية (انظر شكل ١٥)



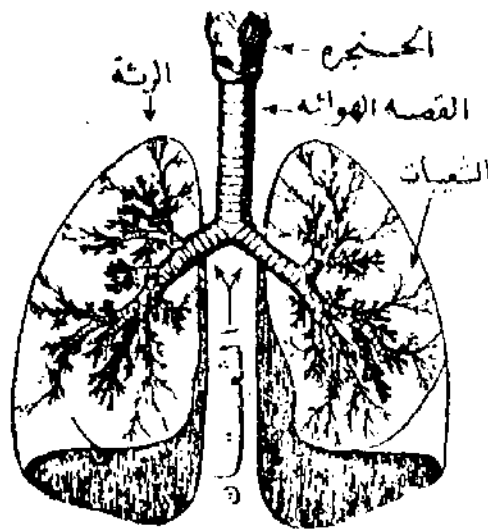
(شكل ١٥ - الحوصلات الهوائية)

وعند تأمله في القصبة الهوائية يجد فيها عجبا ! يرى نسيجا هديبا مبطنا للقصبة (انظر شكل ١٦)



(شكل ١٦ - النسيج الهدبي المبطن للقصبة الهوائية)

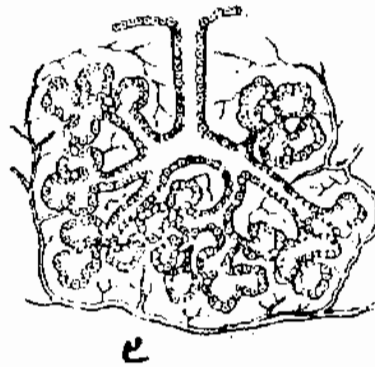
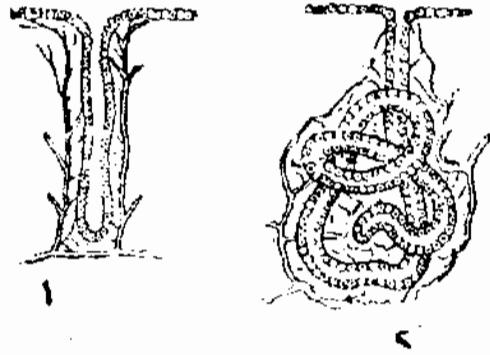
فيقول : « ما عمل هذا النسيج ؟ إن فيه لأهدابا وخلايا ومنسوجا عضليا » ثم يهتدي أخيرا الى أن هذه الأهداب أشبه بالكناسين والزبالين لأنها دائما ليلا ونهارا تتحرك من الداخل الى الخارج ، لماذا هذا ؟ لتطرد الغبار الداخل مع النفس في القصبة الهوائية ، فهذه الأهداب حوافظ وخفراء تطرد الأجانب لئلا تفسد المملكة الرئوية الخادمة للمملكة الدموية ، فلقاب يرسل جنوده الدموية المنهكة القوى المتعبة فتأني الى الرئة فيقابلها الخدام والحفظة فينظفونهم ويحملون ماخالطهم من الأدران ويرمون به في الخارج فضلا عن امداد هؤلاء الجنود بالغذاء وهناك يسافرون الى الجسم كره أخرى ويفعلون ما فعلوه سابقا ، وفي أثناء سيرهم يتقابلون مع جنود أخرى يأتون اليهم من الغذاء المهضوم التي الذي تمتصه الشبكة الدموية في الامعاء ليكون عوضا عن الدم الذي تمثل بالجسم ، فيقول ذلك الحكيم إذ ذاك : « كيف يفهم المسامعون آية - وكل شيء فصلناه تفصيلا - إلا بهذا وأمثاله ، أو آية - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - أو آية - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - الخ » (انظر شكل ١٧)



(شكل ١٧ - الرئتان وتفرع القصبة الهوائية فيهما)

ثم يقول : « هاتان شعبتان هوائيتان قد تشعبتا في الرئة وهناك قبلا الأوردة والشرايين » هناك يهوله الأمر ويزيد عجبه إذ يرى ما يشبه الأشجار التي في الحدائق قد نبتت من القصبة الهوائية وأخرى

امتدت من القلب وتقابل الأعلى والأدنى من فروع ودرجات مماثل أذناها أعلاها حتى يمكن الاقتباس والافتناس والأعمال الكمائية ، وهناك ينظر ذلك الحكيم نظرة أعلى فيقول : وما هذه الغدد التي أراها على أنواع مختلفة فمنها البسيطة والأنبوية والعقودية ، (شكل ١٨)



(شكل ١٨ - رسم بياني للغدد)

(١) غدة بسيطة (٢) غدة أنبوية (٣) غدة عقودية

فماذا يرى بعد البحث ؟ يرى أن هذا الدم الذي لم ينله الجسم إلا بعد مشاق ومشاق ونصب ومصانع تحضر مواد في التمث في المعدة والأمعاء والكبد والبنكرياس لإزالة هو بحاجة إلى اصلاح . إن هذا الدم عيب لا حيلة له ولا قدرة على اصلاح هذا الجسم بمفرده ، وكما أن الأغذية لم تصدر إلا بعد مواد صنعت في مصانع خاصة ، هكذا هذا الدم لا يصلح لعمارة هذا الجسم إلا بعد أن يقوى ويؤيد بمواد نافعة تؤهله لهذه الأعمال العظيمة وإيجاد هذا الخلق الجديد . إن الدم منه تصنع جميع العظام والأعضاء والحواس (١) فيرى أولاً أن أعضاء التناسل ونمو الشعر والعظام لابد لها كلها من عمل آخر حتى يتم لأن الدم بمفرده لا يصنع ذلك . هالك يجد أولاً الغدة الصنوبرية وهي قدر حجم الحصة موضوعة بين المخيخ والنصفين الكوريين للمخ وهذه الغدة إذا صارت ضخمة فإن الإنسان يبلغ السن المعتادة ويحوشعره قبل أوانه وعظامه الطويلة تنمو بطريقة غير منظمة . إذن هذه الغدة أشبه بالمهندسين من نوع الإنسان أو الصناع الماهرين فإذا اختلفت صارت أشبه بالصانع الجاهل الذي يعمل بلا نظام

(٢) ويرى ثانياً الغدة النخامية وهي جسم بمقدار حجم الترسمة وهو متصل بأسفل المخ وله فصان أمامي كبير وخلفي صغير في تجويف بالفص الأمامي ، ولتفص الأمامي الكبير من الغدة النخامية يفرز مادة نافعة في تكوين العظام كالغدد السابقة ، فإذا زاد نشاط هذا الفص زمن الشباب فإن الجسم يزيد طوله طولاً فاحشاً حتى يصل صاحبه إلى طول العملاقة ، إذن هذا أيضاً مهندس آخر كالسابق أو صانع ماهر فإذا أسرع في عمله قبل أوانه فهو صانع غير ماهر وتعليمه قليل ، فأما إذا زاد نشاط هذه الغدة بعد تقدم السن فإنه ينشأ مرض

يسمى (ا كروميجاليا) وهو كبر الأطراف إذ تصير بعض عظام الجسم أكثر ضخامة لاسيما الفك السفلي والأبدى والأقدام

هذه أعمال الفص الأمامي ، أما الفص الخافي فن له تأثيرا على أعضاء التناسل وله صلة بضغط الدم ودقات القلب وبعض العضلات التي ليست ارادية وبافراز اللبن . إذن الغدة الترمسية والغدة النخامية ينصبا أعمالهما يتم بعضها بعضا تقريبا

(٣) ثم يجد الحكيم ثالثا أن في العين مادة ملحية سائلة فيجب ويقول : « من أن أتى هذا الماء وملحه ؟ » فيبحث فيرى هناك غدة في حجم اللوزة موضوعة في جهة العين الخارجة فهي تفرز سائلا ملحيا يحفظ سطح العين نظيفا ، ثم يقول : « إن هذا عجب ، هاأنا إذا اطلعت في سورة الفرقان عند آية - وخلق كل شيء فقدره تقديرًا - وفي سورة العنكبوت على صورة الجهاز الذي فيه السم الذي تقذفه النحلة والعنكبوت على ماشاءات والجهاز الذي فيه غزل العنكبوت ، فهذان الجهازان جعلتا مناسبتين للحاجة فأحدهما فيه السم للدفاع والثاني فيه الغزل للاقتناص وغيره ، وههنا هذه الغدة قد جعلت لمصلحة العين فجعل فيها سائل ملحيا (٤) ثم ينظر أيضا فيرى الغدة الدرقية (غدة ١) في الشكل المتقدم وهذه الغدة واضحة في الرسم أمامك وهي جسم لين في الجهة الأمامية من العنق تحت الحنجرة قائمتها تكوين العظام وعمل الاحتراق في الجسم ولها علاقة بالغدد التناسلية ، وإذا زاد إفرازها جف الجلد ونحل الجسم و بطؤ الكلام وضاق النفس واضطربت التغذية ، وإذا انعدمت الغدة في سن الطفولة ظهر نقص عظيم في النمو في الجسم والعقل أو وقوف تام لهما

(٥) ثم ينظر خامسا فيرى غدة مجاورة لهذه تسمى (الغدة جارة الدرقية) وهذه إذا عطلت حصل التشنج عند الأطفال والشلل مع الرعشة وأن تصير العظام هشة سهلة الكسر ، وإذا أزيلت هذه الغدة كثرت في الجسم التشنجات العضلية وقلت تغذية الشعور والأظافر وقد يصير في العين ماء أزرق

(٦) ثم ينظر سادسا فيرى غدة التيموس الموضحة فيما تقدم في (شكل ١) بعد الغدة الدرقية فيقول : « فبالت شعري ما عمل هذه أيضا ، هاهي ذه واضحة بأعلى المنطقة الصدرية تحت الفص وبعد البحث براها لا تبلغ أشدها إلا في السنة الثانية من عمر الطفل ويبتدىء خودها واضمحلالها عقب سن البلوغ ثم تختفي تقريبا . فهذه تؤثر في نمو الأطفال وتكوين أعضائهم التناسلية ، وإذا اختفت قبل أوان اختفائها يحصل اضطراب في الجسم لاسيما في تكوين الأعضاء التناسلية

(٧) ثم ينظر سابعا فيرى غدة البنكرياس المرسومة في (شكل ١) أيضا المقالة للكبد فإذا يرى أن فيها غدتا أخرى غير الغدد المتقدم ذكرها لأنها فيما مضى أفرزت مادة ذهبت إلى الامعاء ولكن الغدد الأخرى هنا في البنكرياس تذهب إلى الدم مباشرة . فإذا تصنع ياترى ؟ انها تعرف بالانسولين . إن (الانسولين) يساعد الكبد في تحويل المادة المسماة (جلوكوز) إلى مادة ألطف يسمونها (جليكوجين) فالمادة الأولى سكر وهذا السكر لا تقدر خلايا الجسم على احتاله وادخاله في تكوينها . فإذا لم يساعد الانسولين الكبد على ذلك التحويل بقيت تلك المادة السكرية عالية على الجسم فلا يحصل للجسم من التخلص منها بواسطة الكليتين في البول بدون أن ينفع الجسم بها فيحصل ضعف تدريجي وأعراض أخرى وهذا هو مرض البول السكري . إذن هذه الغدة جعلت في الجسم لمنع البول السكري المعروف . والكبد وهو مقابل للبنكرياس في الجسم أكبر غدة فيه هوفي أعلى الفراغ البطني وهوالى الجهة اليمنى أقرب وهونحو ثلاثة أرباع ويربع في الانسان البالغ تقريبا وسطحه العلوي محتب والسفلى مقعر وهو يفرز الصفراء المتقدم ذكرها وتخزن في الحوصلة الصفراوية وهذه الصفراء :

(١) تساعد عصارة البنكرياس في تجزئة السكريات الدهنية ويكون هناك مستحلب

(ب) وتلين الامعاء فتساعد على الحركة الدورية في القولون والمستقيم وتمنع التعفن في الأغذية التي تزيد في الامعاء

(٨) ثم ينظر ثامنا فيرى غدتين فوق السكايتين (شكل ١٩) وهاتان الغدتان اذا اعتدلتا في افرازهما اعتدل النشاط الطبيعي في الشرايين والعضلات الارادية وغير الارادية واذا قل نشاطهما حصل مرض في الجسم يسمى مرض (اديسون) ذلك أن الجلد يلون بلون آخر هو اللون (البرنزي) ويكون هناك ضعف وفي وانهاك نصفي ينتهي هذا كله بالموت ، واذا نزع هاتان الغدتان يحدث الموت في مدة قصيرة وهذه صورتها



(شكل ١٩ - الغدتان فوق السكايتي)

(٩) ثم ينظر ثامنا فيرى الغدد التناسلية وهما الخصيتان في الذكر والمبيضان في الأنثى ، فالحيوانات المنوية تتخلق في الخصيتين والبويضات في المبيضين وهذا ما هو إلا افراز كالافراز الخارجى في الغدد الأخرى وهذه الغدد افرازات أخرى بها يمتاز الذكر من الأنثى في مظهرهما ، فاذا رأينا شعر الشارب واللحية والشعر المنتشر على الجسم وخشونة الصوت وظهور بروزات عظام الجسم وانحناء في الرجل ورأينا ذلك كله في الأنثى على خلاف ذلك وهي تزيد نمو الغدتين الثدييتين واستطالة شعر الرأس وازدياد المواد الدهنية المتخزنة تحت الجلد فتخفى زوايا العظام البارزة . أقول : اذا رأينا ذلك كله عرفنا انه يوجد سبب مانفرزه الخصيتان والمبيضان من المواد لتكوين ذلك كله فضلا عن تكوين الحيوانات المنوية والبويضات لظهور النسل . وللخصيتين والمبيضين آثار فوق ما تقدم إذ هما بما يفرز منهما يوقظان الوظائف الحيوية في الجسم لاسيما ما كان له علاقة بالتناسل

(١٠) ثم ينظر فيرى في الجند غددا عرقية منتشرة تحت الطبقة الجلدية وهي أنابيب طويلة تفرز السائل العرقى

(١١) ثم ينظر فيرى غددا دهنية وهي في العادة بجانب الشعر وهي تفرز مواد دهنية لها ثلاث وظائف حفظ الشعر لدينا وتغطية الجلد بطبقة دهنية تحميه من المؤثرات الخارجية ومنع تشعع الحرارة من الجلد بكثرة (١٢) ثم يرى غدتين في الانسان بأعلى الجزء الأمامى من الصدر وتوظيفتهما في المرأة افراز اللبن لارضاع الأطفال اه

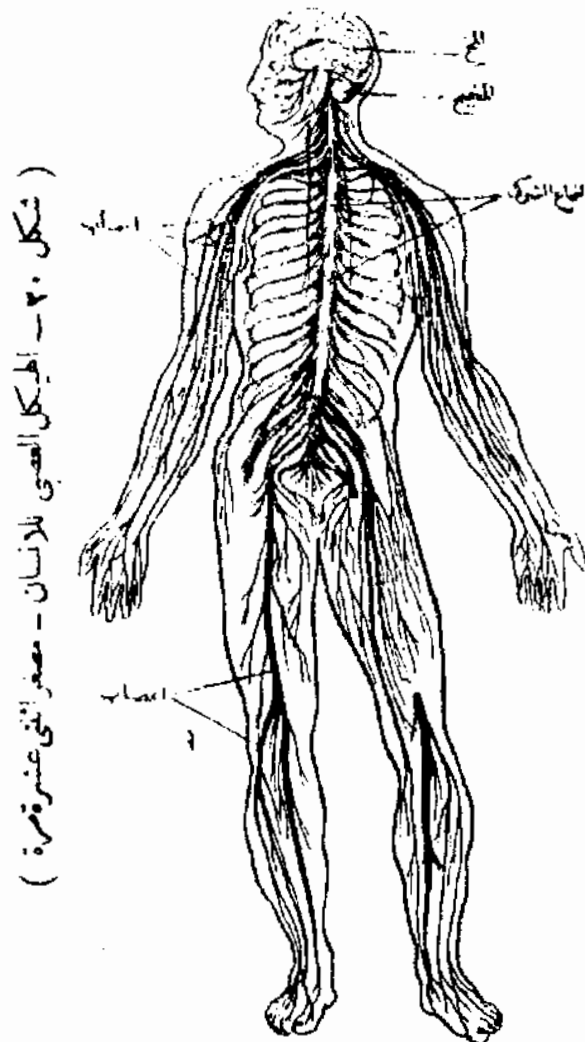
إن الحكميم حينما يطلع على هذا يقول هذا من العجب ، غذاء مختلف الأشكال حل في الأجسام هضمه الحيوان وصبت عليه مواد مختلفات في الفم والمعدة والامعاء وخف ولطف وارتقى فصار دما فدار الدم في الجسم وأخذت تهذب عصارات وعصارات وتقبله في سيره ، وهناك مصانع تصنع فيها تلك العصارات ، فمنها ما يمنع التشنج ، ومنها ما يحفظ اللون المعتاد ، ومنها ما يحفظ أعضاء النسل ، ومنها ما يحفظ الهيكل العظمى منظما جيلا معتدلا وهكذا . وأخيرا منها ما جعل لمنفعة الجيل المقبل . إذن الحيوان والانسان مخلوقون عجيبان دراستهما عند الحكميم روح وريحان وهما عند الجاهل مخلوقون للعذاب - وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعين -

فهذا الحكيم حين يرى هذه العجائب يشاقق الصانعها ويحقق الى افاقته ويسكاد روحه بفارق جسمه من شدة الولوع بذلك الصانع لولا لطفه به إذ يلقي عليه العقلاء والشهوات فتلقيه عن هذا الجمال فيعيش محبوبا في هذا الهيكل الى أن يرجع الى موجد هذا النظام البديع

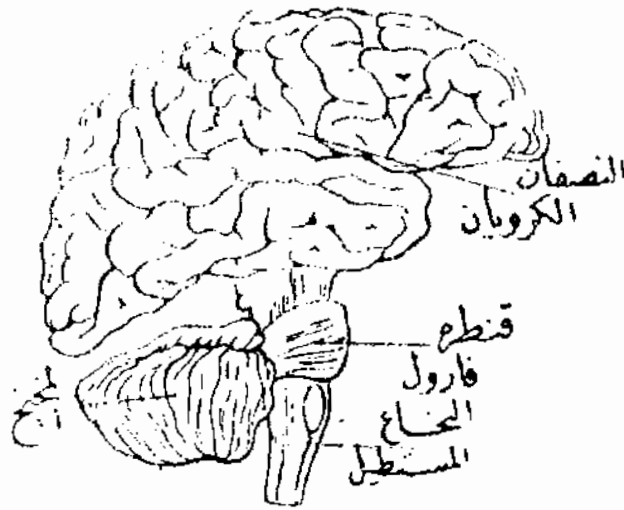
(نظرة عامة في أعصاب الحس - وأعصاب الحركة لذلك الحكيم)

ثم ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى ويتتبع سير الدم فيقول إن الدم الآن قد تحول الى هذه العظام وهذه العضلات وهذه العروق وهذه الأعصاب وهذا الشعر فلا نظر

إن الناس يشاققون الى صعود الجوّ بالطيارات والى قراءة علم السموس والأقمار بل يودّون الصعود الى تلك العوالم ، ولكن لماذا حبسني الله الذي وضعني في هذا الجسم وألقاني فيه الى أمد معلوم ؟ فيظهر لي اني حبست فيه لأدرسه ، واذا عجّزت عن دراسة جسمي فأنا عن دراسة العوالم العلوية التي أشتاق اليها أعجز وعن فهم ما فوق ذلك أشدّ أعجزا ، إذن انظر في هذا الهيكل الذي كان أصله هذا الدم الذي كان غذاء والغذاء كان نباتا وحيوانا ومعادن . ولقد درست هذه العوالم من قبل لأنها مقدمات لحياي فلم يبق لي إلا أن أدرس نفس جسمي لأنه نتيجة ذلك كله ، ولقد وجدت الأمم تبدأ بما حولها أولا ثم تنظر في أجسامها ثانيا لأن ما حولنا أسهل فهما من أجسامنا فضلا عن انه مقدّمة لها والله يقول - وفي الأرض آيات للوقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون - فقدم ما في الأرض لأنه أسهل وأيضاً أنا محتاج اليه في حياي وحياة أمتي ، إذن ينظر فيرى عوالم أخرى وهي عوالم الحس والحركة (انظر شكل ٢٠)



وهذه الصورة لانكشافها مع صور الانسان المتقدمة في (سورة المؤمنون) وغيرها لأن هذه للأعصاب وتلك للأعضاء والعضلات ونحوها ، وههنا ينظر الحكيم فيجب من عالم جديد . ماهو هذا العالم ؟ هو عالم لاهوتيات ولاحيوان ولا معدن ولا هو كيموس أو كيلاس ذو قوام لثني ولا هو دم ولا هو لحم وعظم بل هو عالم يقرب من العالم الروحي وعالم الأثير وعالم الملائكة لأن هذه الأعصاب خارجات من المخ والنخاع الشوكي . أما المخ ففيه أولاً نصفان كرويان أكبرهما تسعة أعشاره تقريباً وهما قسمان : أيمن وأيسر . وهذان النصفان هما مركز الحس والشعور والذكاء والفكر والذاكرة والإرادة . ثانياً فيه المخيخ وهو الجزء الصغير الحجم الظاهر في الرسم وهو منظم للحركات العسلية وربطها وحفظ توازن الجسم لأنه متى اختل هو اختل نظام توازن حركات الجسم فليس له إلا التنظيم . ولكن مصدر الحركات هما النصفان المتقدمان . وثالثاً النخاع المستطيل وهو ٢ سنتيمترا ونصف ويوصل قنطرة فارول بالحبل الشوكي . وهذا النخاع المستطيل يحكم وينظم حركات التنفس والقلب والبلع وينظم إفراز العرق وحجم الأوعية الدموية وهكذا وفيه تجميع التيارات العصبية الصادرة من المخ الى الحبل الشوكي الآتي ذكره والتيارات الواردة من الحبل الشوكي الى المخ . وإذا أصيب النخاع المستطيل بضرر مما ظهرت أعراض خفارة ، ورابعا (قنطرة فارول) التي هي ألياف متصلة من أعلى بالمخ والمخيخ ومن أسفل بالنخاع المستطيل وهي موصلة التيارات العصبية المتبادلة بين الحبل الشوكي والمخ والمخيخ هذه الأربعة هي المخ (انظر شكل ٢١)



(شكل ٢١ - المخ)

أما الحبل الشوكي فهو يمتد من النخاع المستطيل الى أسفل . يمتد داخل القناة الشوكية في العمود الفقري و يبلغ طوله (٤٥) سنتيمترا تقريباً وقطره ثمانية مليمترات . وهو ينقل الاشارات بين المخ وأطراف الجسم وبالعكس وهو مركز منظم للحركات القلبية الآتية

ههنا يعرف ذلك الحكيم أن المخ والنخاع الشوكي هما الجهاز العصبي المركزي . ثم ينظر في المخ نظرة أخرى فإذا يرى ؟ يرى هناك اثني عشر زوجاً من الأعصاب تخرج منه موزعات في المنطقة الرأسية وما حولها لأن المخ أشبه بقصر الملك والملك معه الآلة التلفونية والتلغرافية فيصدر أوامره بتلك الأزواج العصبية الى أعضاء الحس كالعين والأذن والفم واللسان . فيقول للعين يا عين أبصري والموصل عصبها وللأذن اسمعي والموصل عصبها وعنده هو جهاز الآلة التلفونية أو التلغرافية (البرقية) وبعض الأعصاب أيضاً محرك فهو يأمر العين مثلاً بالنظر فتخبره فيصدر أمراً أسرع من البرق الى أعضاء الحركة بواسطة أعصاب الحركة وهكذا

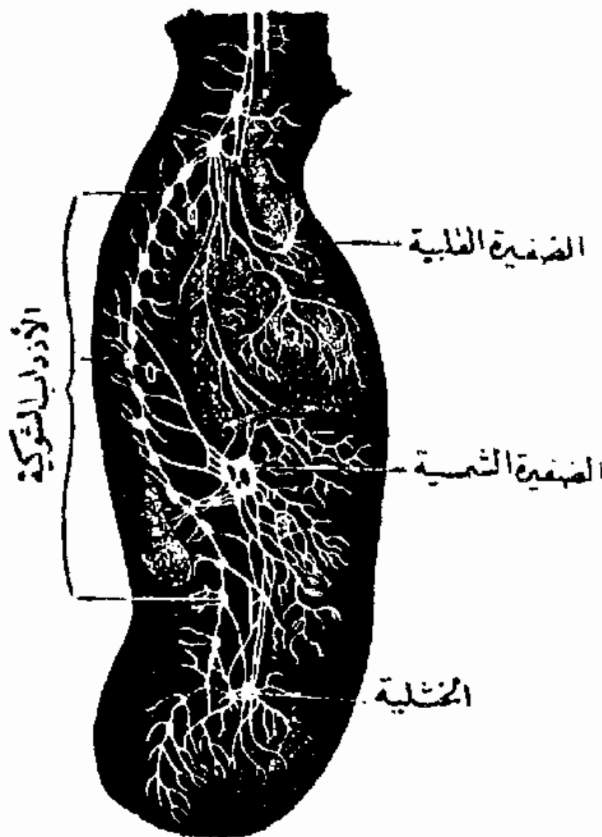
ثم بعد ذلك ينظر نظرة أخرى في الحبل الشوكي فيجد أمراً عجيباً مدهشاً . يجد هناك ثقباً موضوعاً بين الفقرات يمر بها أعصاب متقابلة من الجانب الأيمن والأيسر وتخرج من تلك الثقوب ، وعدد تلك الأعصاب ٣١

زوجاً موزعاً في جانبي الجسم بالقساوى وكل عصب من تلك الأعصاب الشوكية عند خروجه من الحبل الشوكى له (جذران) أحدهما أمامى مركب من ألياف محركة ، والآخر خلفى مركب من ألياف حساسة وبه اتفاح صغير هو عقدة عصبية ويتحد الجذران بعد مسافة قليلة ويكونان عصباً واحداً يتفرع الى فروع منتشرة في الجلد والعضلات الارادية

ثم ينظر ذلك الحكيم فيرى أن الاثنى عشر زوجاً الخارجة من المخ والاحدى والثلاثين زوجاً الخارجة من الحبل الشوكى لاسلطان لها إلا على الأعضاء الارادية كاليدن والرجلين

أما الغدد اللعابية مثلاً في الفم وهكذا القلب والأوعية الدموية وأجزاء القناة الهضمية المشروحة سابقاً والمثانة وأعضاء التناسل والغدد العرقية وهكذا ، فهذه كلها لاسلطان للجهاز العصبي المركزى عليها الذى يتفرع منه الأعصاب المتقدمة البالغة (٤٣) زوجاً يسمونها الجهاز العصبي الطرفى ، فما الذى يؤثر إذن في الأعضاء التى ليست تحت ارادتنا ، وبعد البحث يجد هناك جهازاً آخر غير الجهاز العصبي المركزى وما هوذا ؟ هو عقد على جانبي السلسلة الفقرية ممتدة من أول العنق الى الحوض يسمونها الأذراب ، ومن هذه العقد تخرج أعصاب تتوزع في الغدد اللعابية والرئتين وهكذا الى آخر ما تقدم أى في الأعضاء التى لاسلطان لنا عليها ، وهنا يدعش الحكيم ويقول : يا سبحان الله . نظام بحكم وآداب حجة . إن الذى لاسلطان عليه كانت له عناية خاصة فكان نفس المخ ونفس الحبل الشوكى قائمين بتدبيره وتدبير الحبل الشوكى متجه الى الأطراف وتدبير المخ متجه الى الحواس التى بالقرب منه . فالأعلى يدبر الأعلى والأسفل يدبر الأسفل

أما هذه العقد الشوكية فلها تدبير منزلى وتسمى هذه العقد وما تفرع منها (بالجهاز العصبي الاشتراكى) السبائوى وهذه صورته (انظر شكل ٢٢)



(شكل ٢٢ - الجهاز العصبي الاشتراكى)

فهنا يقول ذلك الحكيم : ماهذه الجائبات ؟ جهاز للحس بالامور التي ليست تحت ارادتنا . ثم ان الزوج الواحد من الثلاثة والأربعين زوجا عصبيا الخارجات من المخ والحبل الشوكي فيه عصب للحس وعصب للحركة . ففي أحسن الانسان بشئ من الخارج مثلا انتقل الخبر حالا في عصب الحس فوصل الخبر إما الى المخ ان كان من أعصاب المخ أو الى الحبل الشوكي إن كان من أعصاب الحبل الشوكي ومنه ينتقل الى المخ وهناك يأمر المخ حالا عصب الحركة فيوصلها حالا الى ظاهر الجسم فيبعد العضو عن الخطر أسرع من البرق

ثم يقول حيثذ ذلك الحكيم : إن الجهاز العصبي عبارة عن عالم مباشرعالم حية . فهذا العالم أرقى من عالم الغذاء ومن عالم التنفس . هو عالم يشبه عالم اللائكة . فقول إذن : هذا هو درس الوجود بأكمله لأن هذا الجسم هو لوحى الذى أفرؤد واقد قرأته في هذا التفسير بصور مختلفة وكأها أمور عظيمة ، مدحشة ثم يقول : بهذا عرفت « من عرف نفسه عرف ربه » وهنا ينظر نظرة أخرى فيقول : إن الانسان قد يكون نائما فيؤذبه برغوث فلا يحس به ولكن العضو نفسه يتحرك . فما الذى حركة ؟ القوة الحاكمة في الدماغ نائمة وبعد البحث والدرس الطويل يفهم أن هناك حركة تسمى الحركة العكسية إذ يجد أن النخاع الشوكي اذا قطع من موضع معين فان جميع الحركات الارادية والحسية في الأعضاء التى تنفرع فيها الأعصاب الخارجة من النخاع الشوكي أسفل هذا تقف أى انه يحصل هناك تخدير وشلل . إذن النخاع الشوكي هو الواسطة في نقل التيارات العصبية الحركية والحسية كما تقدم . ولكن اذا قرصنا هذا العضو الفاقد الاحساس أو المشلول الذى لاصلة بينه وبين المخ أو هيجناه فانا نجد عضلاته تنقبض فجأة وليس للإرادة عليه أدنى تأثير . فهذه هى المسماة بالحركة المنعكسة ، فالتيارات الاحساسية ينقلب في النخاع الشوكي الى تيار حركى يرجع في بعض الأعصاب المحركة وهى تنبه العضلات المنفردة فتدعوها الى الانقباض

واذن ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى فيقول : « هنا أدب جرم في دراسة هذا الجسم ، فهنا ملك سكن في قصره وهو المخ فدير أشرف ما فيه وهى الخواص كالسمع والبصر باثنى عشر زوجا وأرسل من قبيله حكاما آخرين قد ظهروا في الحبل الشوكي ، وهؤلاء الحكماء نواب عنه يتلقون الأخبار بواسطة الاحد والثلاثين زوجا من الأعصاب ويوصلونها الى المخ وهو الأمر الناهى ومن دون ذلك طائفة لها نظام آخر وهى طائفة الجهاز (السمبائوى) وهى العقد العصبية المصفوفة على جانبي العمود الفقرى كما تقدم فهذه أشبه بعمل الزراعة والتجارة والصناعة أى أعمال الدولة الداخلة فأما الملك وأعوانه فلمهم نظام أعلى وأعمال أهم وأعظم ، ثم يقول الحكيم : « إن هذا الملك الذى استوى على عرشه له أعوان ثلاثة هى :

(١) الحس المشترك الذى يجمع كل ما أدركته الخواص ومعه القوة الخيلة التى تحلل وتتركب وتصور صوراً لانهاية لها عما اقتبسته من الخواص

(٢) القوة المفكرة التى لها السلطان على المعاني المعقولة والأفكار السامية والقضايا المنطقية ومعرفة الأسرار

(٣) والقوة الدائكة التى تتذكر ما عرفناه عندنا من الصور والقضايا العقلية

فالخيلة بها جميع العلوم الخيلة من الرسم والتصوير والشعر الخ والمفكرة تعرف نظام الطبيعة ونظام الجسم وتبحث عن وجود الله والعوالم العلوية ، والدائكة بها علوم الموايد الثلاثة والفلك والرياضيات وتاريخ الناس فهذه كلها تحضرها الدائكة إذ تتذكر ما مضى بحسب درجاته

فهؤلاء الثلاثة أعوان للنفس . ولها أيضا ترجمان يترجم جميع ما ذكره هو اللسان . ولها وزير هى اليد فهى تفعل كل ما يطلبه النفس وتبرزه للخارج كما أبرزه اللسان بصورة كلمات وهى صور فى الهواء يسمعون السامعون فيفهمون

ثم ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى فيقول : وإن الحركة العكسية التي لاتصل الى المخ أشبه بتدبير الشخص نفسه في عالم الانسان . فكما أن العضو المشلول أو العضو السليم في حال نومنا يفعل أفعالا عكسية لاعلاقة لها بالمخ هكذا الفرد في الأمة مسؤول عن تدبير نفسه هو وهذا هو علم تهذيب النفس الذي أتت له ابن مسكويه كتابه . ويرى أن الجهاز السمبائي الذي يحكم في الأعضاء التي ليست تحت إرادتنا أشبه بنظام سباسة المنزل والجهاز المركزي وفروعه أشبه بنظام المدينة . انتهى والحمد لله رب العالمين

هذا هو ما فتح الله به في تفسير قوله تعالى - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه - ولولا علمه ما نظمت هذه الأعضاء ولا الأعصاب ولا المخ ولا القلب ولا العلوم ولا نظامها - وأن الى ربك المنتهى - كتب بعد ظهر يوم الاثنين اليوم الثاني من شهر شوال سنة ١٣٤٨ هـ

(تذييل للمقال المتقدم)

بعد ما كتبت ما تقدمت للصلاة ثم للرياضة فطرتلى ما يأتي :

ذلك ان الحكيم الذي يتفكر في هذا الموضوع ويرى هذه المماظرو المعاني يتعجب فوق ما تقدم ويقول : يا سبحان الله . علم التشریح الآن وعلوم المواليذ الثلاثة اليوم أصبحت بسبب التصوير الشمسي واضحة ظاهرة فتعجز الآن في هذا التفسير لم نحتاج الى انسان للشرح ولا حيوان بل كفانا أن ننظر الصور . فيا سبحان الله . إن الله ذم أقواما فقال - ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - وألزم الناس الحجج غيبهم ومقلدهم وعالمهم فقال - وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا - فهؤلاء الشهاداء ليسوا سواسية فمنهم من شهد بالحق وهو الذي قيل فيه - إلمن شهد بالحق وهم يعلمون - ، ومنهم من شهد وهو غافل لأنه غير مستعد وإن كان أعلم الناس بعلم التشریح فهذا يكون علم التشریح عنده أشبه بزرعة الزارع يحتال لتنظيف الأرض من الحشائش ويسقي الزرع ولكنه لا يدري من أسرار النبات شيئا ، كذلك هذا يحتال في حفظ الأعضاء ومداواتها وتغذيتها ولكنه غافل عن أسرارها ومعجزاتها التي يعرفها الأذكاء من قراء هذا التفسير وإن كانوا هم أقل منه علما بالتشریح كما يعرف عالم النبات تركيبه ومعجزاته وإن كان لا يعرف طرق الري ولا أحوال الزراعة ، ومنهم من هو مستعد لفهم ولكنه مقلد ، والى هاتين الطائفتين قال تعالى بعد ما تقدم - أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين - وهذا لمن في استعدادهم نقص - أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم - وهؤلاء المقلدون والفرقي الأول هم الذين شهدوا بالحق إذ أشهدهم الله ، فهؤلاء قالوا بلى وهم يشاهدون نظام أنفسهم والآخرون لا يشهدون بالحق لأنهم مقلدون أو غافلون ، والفرقي الأول هو المذكور في قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فإني يشهد أنه منفرد بالالوهية قائم بالنظام والعدل والملائكة استمدوا الشهادة منه وعلماء الأرض استمدوا من الملائكة فهم يشهدون بالحق ، ومن الشهاداء بالحق قراء هذا التفسير بشرط أن يكونوا أذكاء فهؤلاء هم الموقنون بما شهدوا لأنهم يشاهدون عجائب الخلوقة بأنفسهم ويفهمونها ، وهذه الطائفة الشاهدة هي المقصودة من هذه الدنيا ، فهم بمشاهدة هذه العجائب يرشحون الى الدخول في عوالم ألطيف ويكونون - عند ملك مقدر - لأنهم أولا في هذه الدنيا يؤدون الخدمة الواجبة لهذا النوع الانساني وهم في نفوسهم قد درسوا عجائبها فكملت لهم القوتان العلمية والعملية ، وما الحياة إلا علم وعمل كما أن الأعصاب للحس والحركة ، فالحس راجع للعلم . والحركة راجعة للعمل ، فزوج العصب الواحد نظامه كنظام الوجود كله

ثم ينظر هذا الحكيم نظرة أخرى فيقول يا عجبا : إنا نقرأ النحو والصرف والبلاغة ونلاحظها في الانشاء

فاذا أخذنا نكتب المقالات ونؤلف الكتب نجد أننا غير مفكرين في تلك العلوم اللفظية الثلاثة بل هي أصبحت عندنا غريزة وهذه الغريزة جعلناها شبكة اصطاد بها معاني أخرى ، هكذا نرى هذا الجسم الانساني قد اشتمل على الدائرة الغذائية والدائرة التنفسية والدورة الدموية ، وهذه الدوائر الثلاث عندنا أصبحت كدوائر النحور والصرف وعلوم البلاغة نستعملها ولا نفكر فيها ونطلب بها غيرها ، فهذه الدوائر في أجسامنا تحت اشراف أرواحنا وفي ادارتها ولكننا غير مفكرين فيها ولذلك رأينا لها نظاما خاصا وهو النظام (السمبائي) وهذه طلبنا بها غيرها وهي المعاني العقلية التي تقتضيها بالحواس المستعملة للأعصاب التي تقدم شرحها

ثم ينظر ذلك الحكيم فيقول : « إن قوله تعالى - والله خلقكم من تراب - يتضمن العناصر والعناصر تبلغ فوق الثمانين وهي مادة راجعة في جوهرها الى الحركات والأضواء المتقدم شرحها في (سورة النور) عند آية - الله نور السموات والأرض - في بحث قطرة الماء هناك فان المواد ترجع كلها الى أضواء والأضواء متحركات فترسم دوائر وهمية والدوائر الوهمية باختلاف وتوقع حركاتها تظهر انها مواد فيكون الحيوان والنبات وهكذا لما وصات هذه المواد الى جسم الحيوان أخذت ترتقي مرة ثانية من غذاء الى دم الى حركة وحس في الأعصاب والمخ والعقل ، فأولها حركة مع احساس بعقل عام منظم لها في السكون وانتهت هنا الى حركات وعقل خاص في جسم الانسان الواحد ، وهذا أشبه بثال صغير لآية - كما بدأنا أول خلق نعيده - ولقوله تعالى - يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه -

فهاهي ذه المادة أصلها الحركات والأنوار فرجعت في النهاية الى الحس والحركة في المخ والحبل الشوكي والعقل والقوى في الدماغ - وأن الى ربك المنتهى -

ثم ينظر ذلك الحكيم أيضا فيقول : « نظام هذا الجسم بديع كابداع السموات فانا نجد وضع كل عضو في موضعه ، وهذه طبقات الجسم منظمات أعلاها المخ تحكم فيه القوة العاقلة والقلب في الصدر والمعدة والامعاء أسفل من الجميع ، فهذه مراتب متقنة ، هكذا نرى نظام الشمس مع سياراتها وأقمارها كل منها في مركزه الخاص ، وهكذا حركاتها السنوية والشهرية واليومية والكسوف والكسوف لها أوقات محدّدة ، كل هذا تقدم في هذا التفسير »

ثم ينظر ذلك الحكيم فيقول : « يا عجباً . ما لي أرى هذا الانسان جاهلا . وكيف يغفل عن نظام جسمه ؟ هذا الجسم متقن لم يترك فيه غدة إلا لها عمل . فهذه الغدة الدهنية والغدة العرقية والغدة اللعابية والعرقية والليموسية والذخامية والسكراسية والسكبد والصفراء وأمثالها والاثنيان للرجل والمبيض للمرأة فهذه كلها لها أعمال فلامعطل في الجسم . أما هذا الانسان الجهول فانه متى أعطى ملكا مال الى الراحة وأكل أموال الناس بالباطل فيحصل البطر والبطالة فيموت الشعب . وهذا هو الذي حصل في دولة الرومان ودولة العرب ودولة الترك وأخيرا دولة انكرا . هذه الدولة التي عاشت بفضل مستعمراتها في الهند واستراليا وكندا واراندا وغيرها فألف الشعب الانكالي على الأمم وكثر العاطلون وعددهم في هذا الشهر وهو فبراير سنة ١٩٣٠ فوق ألف ألف وخمسمائة ألف انسان . فهذه ليست سنة نظام طبيعة الجسم لأن طبيعته أن لا يترك عضوا بلا عمل والله يقول - وما خلقنا الحيات والارض وما بينهما الا عبيد ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون - ويقول - وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو - إذن الناس ماداموا محالفين لسنة الله فانهم معدّون . هو لا يلبس ولا يخلق شيئا باطلا وهم يلعبون بتعطيل القوى والمنافع . والدول الأوروبية اليوم تعطل قوى الأمم التي تحتل بلادها فيقتص منها الله بحلول الخلل في نظامها وكثرة الثورات وظهور الاشتراكيين والفوضويين ، وليس من اللعب واللهو الأعمال الرياضية بل هي لتقوية الجسم . إذن هي من أعمال الجد فليست باطلة انما الباطل هو تنصيع المنفعة من قوى الأمم الغالبة بالانكال على أعمال الأمم المغلوبة وتعطيل قوى هؤلاء المغلوبين

التي بها يرتقون عن طبقة العمال ولهذا ذل تعالى - ولكن أكثرهم لا يعلمون - فعدم علم الناس وجههم غشى على عقولهم فلم يفهموا هذا الوجود فظنوا أن الراحة هي نهاية السعادة فغاب فأنهم وصل سعيهم في الحياة الدنيا وجهلوا نظام النحل وأنه يقتل الذكور إذا حلت الملكة من ذكور أخرى من خلية غيرها . فاذن لا داعي لبقاء هؤلاء الذكور في الخلية بلا عمل فيقتل النحل هؤلاء الذكور . وهذه هي سنة هذا الكون . إذن لا يسعد الناس فوق هذه الأرض إلا إذا اختص كل امرئ وكل جماعة وكل دولة بما هم أهل له كأعضاء الجسم وأعصابه وعضلاته وحواسه . هذا ما خطر لي بعد الرياضة البدنية وكتب ليلة الثلاثاء الثالث من شهر شوال سنة ١٣٤٨ هـ والحمد لله رب العالمين

مسامرة في نظام الانسان وجهاله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله . أما بعد ، فاني أكتب هذا فيبيل الفجر يوم الأربعاء (٩) ابريل سنة ١٩٣٠ وهي مسامرة بيني وبين بعض العلماء . ذلك ان بعضهم لما اطلع على هذه الصور الجيلة التي أودعها الله في الانسان . دل : هذا نظام حسن يديع ولكن حدثني رعاك الله كيف أكثر من ذكر هذه المسائل . وكيف لم يفت في أكثر كتبك بأن هذا هو الجمال وأنه يثير في القلوب نائرة الحب والعشق للبدع . فلقد تكرر هذا في هذا التفسير . نحن لا نريد أن نكون مقلدين في أمثال هذا بل نود أن يكون القول مطابقا لما في النفوس فإن أكثر الصوفية وبعض العلماء نسمةهم يذكرون هذا وهي شفتنة أعرفها من أخزم . وهذا ضرب مثل ومعناه أن هذه عادة هؤلاء . فقلت : أنا لم أكثر من هذه الحجاب اعتباطا بل أنا أكتبها وأعلم أن تكرارها وترادفها يحدث في بلاد الاسلام ارتقاء واسعادا للروح وللجسم معا بإشراق القلوب بالحكمة وبالإسراع في ارتقاء هذه الأمم الانسانية لاسيا الاسلامية ، فأما انه باعث على العشق والحب فأنا أبينه الآن فأقول :

إن الله خلق في عالمنا صوراً جيلة وجعل نظام هذا الانسان وقبلة الحيوان على الزوجين الذكر والأنثى وأبدع في خلقهما ما يشاء أن يبدع ، وفتح باب النقش والتصوير والابداع في الوجوه البهجة وجعل الأعلى منها قليلا أي جعل الجمال الأكمل في وجوه الناس قليلا ليكون قبلة الأنظار ويرتسم في القلوب لأن القليل يحفظ والكثير لا يوجب اتجاه النظر ويصبح معتادا عند الناس فلا يهيج لهم بالا ، فهذه الوجوه الجيلة الممتازة نموذج لأعلى الجمال الانساني وهذا بدع والعقل للتفكير في هذا الأسلوب فيقول : لم خلق التناسب والجمال ، وهذا السؤال جوابه ظاهر وهو التواء والتجاذب والانتناس لاسيا بين الذكور والاناث ، ثم ينظر فيرى أن هذا الجمال بعد قليل ينسى ويحل محله جمال النفوس بالنزينة والمحافظة على الأطفال في المنازل ، ويرى هذا الجمال يأخذ في الضعف . والرجة والرأفة بالأطفال تأخذان في الزيادة ، فترى وجهي الأبوين يأخذان في النشوة والتجعيد والتقطيب ويرحل ذلك الجمال الظاهر ويحل محله الجمال الباطن ، فترى أن هذين الهرمين أخذتا بهاتقان أبناءهما وبناتهما بدل معانقة أحدهما الآخر ، وترى هذه الذرية تهوى الى هذين الشيخين حبا في عطفهما لاغراما بحماهما الظاهري . هنالك نعرف أن هنا جالا محبوا في هذه الدنيا فلنبحث فيه عسى أن نذكره فإذا نرى ؟ نرى مدارس وعلماء وحكماء ، وكلما كان الحكيم أغزر علما كانت القلوب اليه أميل ولحبه أسرع ، فبعد أن كان الصبي مغرما بهذين الهرمين في صباه نجد غرامه تحوّل الى الاستاذين والمعلمين لأنه رأى كلاً وجالاً أرقى ونفوساً أسعد وأشرف ، فرجة هذين الهرمين تعطيه الطعام والشراب والكساء لجسمه ، ولكن روحه بفطرتها تعلم أن مغذيات الروح أشرف من مغذيات الأجسام ، فهو يسمع من أفواه المعلمين

ما يسعد روحه وقد تعلم من الأيوين دروس الحب لهما ووازنت نفسه بين الترسين ، فهنا أخذ يسمع العلوم اللسانية والطبيعية والرياضية ، فكما كان يحب أمه لتغذية جسمه هكذا أخذ يحب معلمه لتغذية روحه ، وبعد أن كان يلهج بذكر الأم والأب أخذ يلهج بذكر المعلم وأخذ الحب يرتقي قليلا قليلا . ويكون الحب للمعلم على مقدار ما تعلم منه فان رآه في النحو عالما أحبه بمقدار ذلك العلم وان رآه في علم الفلك بارعا ازداد حبه له وهكذا كلما شارك أستاذه في علم ازدادت نفسه حبا لاستاذه وهناك يترقى في المعرفة ويتبعها الارتقاء في الحب . والحب هو السعادة في هذا العالم ولا يزال يترقى حتى يفكر في عالم هو معلم العلماء وهو الله تعالى . قال : فاضرب لي مثلا لهذا الحب على شريطة أن يكون ذلك في موضوعنا . فقلت نعم . تصور أناسا جلسوا وأخذوا يتحدثون في الألفاظ والحجاجة فقال ذال منهم : أنا أطلب معرفة رقيقين عديدين اذا ضما الى عدد آخر مركب من هذين الرقيقين أنفسهم معكوسا ترتيبهما يكون مجموع العددين المذكورين (٥٥) واذا طرح أحد الرقيقين من الآخر كان الفرق بينهما (٣) فما هما العددان ؟ فهنا شغل أفهام السامعين في هذا العزاذ هم ملزمون أن يكون العددان مجموعتهما (٥٥) مع انه يشترط شرطان : أن يعكس ترتيب وضعهما . وأن يكون فرق ما بينهما عدد (٣) ولا جرم أن هذا يدعو الجالسين أن يجربوا عدة مرات وهيهات أن يتم لهم ذلك بالحدس والتخمين . فني جاء رجل وكان يحسن علم الجبر فانه يفعل هكذا في حال ما اذا كان العددان (١١٠) والفرق بينهما (٦)

$$\begin{array}{rcl} \text{س زائد ١٠ ص زائد ١٠ س} & = & ١١٠ \\ \text{أوس زائد ص} & = & ١٠ \\ \text{س} & - & \text{ص} \\ & = & ٦ \\ \text{س} & = & ٢ \\ \text{س} & = & ٨ \\ \text{إذن ص} & = & ٢ \end{array}$$

فيكون أحد الرقيقين ٨ والآخر ٢ أي ٢٨ و ٨٢ مجموعهما ١١٠ والفرق بين الرقيقين ٦ واذا جعل مجموع العددين (٥٥) والفرق بين الرقيقين (٣) مثلا كما تقدم حدث عندنا ٢ س = ٣ زائد ٨ = ٨ أوس = ٤ إذن ص = ١ فيكون العددان ١٤ و ٤١ والفرق بين الرقيقين ٣ ومجموعهما ٥٥ فني قل هذه ذلك العالم للتناظرين وحل هذه المسألة فرح به الجالسون وأحلوه الحل اللاتي به وأحبوه وأقبلوا عليه ، فاذا سمعوا منه حل المسائل في الهندسة والفقه والنحو والصرف والبلاغة والسياسة أخذ بمجامع قلوبهم على مقدار علمه وهذا ينسب المتسامرين حب سواه . واذا سأل سائل فقال : رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص اشترائهم فسالوه عن ثمنها فذكر لهم فقال أ كبرهم لأوسطهم إن أعطيتني ثلاثة أخماس مامعك من الدنانير صار لي ثمن الفرس وقال الأوسط للأصغر : إن أعطيتني أربعة أسباع مامعك من الدنانير صار لي ثمن الفرس ، وقال الأصغر للكبير : إن أعطيتني خمسة ثمان مامعك من الدنانير صار لي ثمن الفرس فكم كان ثمن الفرس ديناراً ، وكم كان مع كل واحد من الثلاثة من الدنانير

فكم يكون سرورك حينما تحل المسألة - لا عجيبا فتقول (س) رمز للا كبر و (ص) رمز للأوسط و (ع) رمز للأصغر . ثم تقول س يساوي ص زائد ٣ ص و ص يساوي ٤ ع زائد ع وع يساوي ٥ س زائد س والثن كله يساوي ٣ في ٤ في ٥ زائد ٥ في ٧ في ٨ يساوي ٣٤٠

وس يساوي (٧ في ٢) زائد (٣ في ٤) وكلاهما يساوي ٢٦ و ٢٦ في ٨ يساوي (٢٠٨) هو مامع الأكبر فلنطرح ٢٠٨ من ٣٤٠ يصير ٣٢ مامع الأوسط وهو ١٣٢ و ١٣٢ زائد ٣ في ١٣٢ يساوي ٨٨ و ٨٨ زائد ١٣٢ يساوي ٢٢٠ وهو مامع الأوسط . وذلك أن ٨٨ هي خسان أضفناهما الى ١٣٢ وهي ثلاثة أخماس

أما مامع الأصغر فثنا نعرفه بطرح ٢٢٠ من ٣٤٠ فيكون الباقي ١٢٠ وهذا هو مامع الأصغر
فإذا زدنا عليه ٢٢٠ منه يكون هو مامعه ٢٢٠ في ١٢٠ يساوى ٩٠ و ٩٠ زائد ١٢٠ يساوى ٢١٠ فالذى مع الأصغر
٢١٠ إذن الذى مع الأكبر ٢٠٨ ومع الأوسط ٢٢٠ ومع الأصغر ٢١٠

أقول : انك اذا أجبت السائل بهذا الجواب بعد هذا الجهد فى هذه المسألة الجبرية فانك تجد فى نفسك
سرورا وبهجة وهى مسألة مادية جزئية فمن فرس فما بالك اذا رأيت نفسك قد أشرفت على هذه العوالم كلها
وأخذت تحل مشكلاتها وتعرف مخبأتها . إنك إذن تكون أرفر سعادة وأكثر لذة

وهناك حديثى مع المرحوم الشيخ محمد عسكر وهو كان مدرسا بالحديوية قبل ولادى ثم اجتمعت به وهو
هرم ولم أره من قبل جلست معه يومين بلياليهما وحوله شبان ذور جمال وثروة وعلم . فقلت له : أيها الأستاذ
لماذا أرى قلبى يميل لك مع ان حولنا الجمال البديع . فقال : لأنك لا ترى الجمال الحقيقى إلا فى أنا . وهذا
الجواب حقيقى منطبق على كل عالم أخذ الناس عنه علوما . إذن فالرجع الى ابداع أجسامنا ولننظر هذا الجسم
الانسانى ولنقصر الكلام عليه .

فقال صاحبي : ولكنك مثات بمثال من علم الجبر . وهل كل قرءاء التفسير يعرفون الجبر ؟ كلا . فقلت
هذه الحروف والاشارات الجبرية لابد منها لحل المسألة ووضعها لا يضر . ذلك لتحدث عند من لم يقرأ هذا
العلم شوقا اليه وهو قد عرف النتيجة . واذا أدرك أن هذه المسألة تشرح صدر المتسامرين وتجعل فى قلوبهم
حبا لمن حلها واعظاما فهناك يقيس النظام العام على النظام الخاص . فقال : وكيف ذلك ؟ فقلت : العقلاء
يدركون الفرح والحب والاعظام لمن حل هذه المسألة . فقال : حقا ذلك : فقلت : فإذا عرفوا أن أجسامنا
وتغذيتها ما هى إلا لغز يحتاج الى أضعاف أضعاف هذا الحل ثم أدركوا حل لغزه دهشوا وأغرما بمن حل ذلك
اللغز . إن هذا النوع الانسانى أمره عجب . هو نفسه لغز ولا يدرك ذلك . ومتى درس علوما كثيرة رجع فوجد
نفس هذا الجسم كله علوما فيقرؤه فيعجب من ملأه بالعلم المرموز فيه . ألم تر أن الانسان يدesh اذا قرأ فى
(سورة يونس) نظام الهرم بمصر وأن أبعاده ومقاييسها نسبة الى مدار الأرض حول الشمس من حيث
مقياس أربع جهاته ونسبة أخرى من حيث ارتفاعه الى بعد الشمس عن الأرض ونسب أخرى كثيرة الى
مكاييل المصريين وموازينهم

إن قلب الانسان يدesh ويحس بأعظام لذلك الحكيم المصرى الذى فكر فى أن يجعل نسباً بين
مقاييس الهرم وبين الكيلة والأردب والرطل والدرهم والوقية والندان والتبراط والسهم والذراع البلدى
والمعمارى وهكذا مدار الشمس وبعدها عن الأرض ، فهو إذن يكون أكثر دهشا اذا عرف نسبة هذا الجسم
الانسانى الى المخلوقات حوله ، ولكن لغز الانسان فى كل يوم يحتاج الى حل جديد لأن حله الى الآن لم يتم .
قل أوضح ما أقول . فقلت أذكر لك بعض أمثلة يقولها العلماء فى الطب حديثا : « إن أكل الهندباء (اسمه
فى مصر جعش) وأكل البصل ينفع الكبد . وأكل البقدونس وكشك الماز والفجل ينفع لمرض الكلا
ولمرض يسمى (الرجيح) ينفع الطماطم والليمون . وللجلد الجزر ولاشجاعة البرتقال والليمون . وهكذا
بحث العلماء فى الأغذية وقالوا انها اذا نظمت لاحتياج الانسان الى الدواء . وقد وجدوا الجسم يحتاج الى المواد
الزالية كاللحم والبيض والى المواد الدهنية والشحمية والى المواد النشوية وهكذا الماء والملح

فانظر الى مواد حيوانية وأخرى نباتية وأخرى معدنية لابد منها فى نظام أجسامنا الانسانية كأجسام
الحيوان واذا نقص منها واحد حصل لنا مرض بقدره كما يضعف النبات بنقص عنصر من مغذياته . ولكن
هذه المواد من المواليد الثلاثة ومن الماء أكثرها غليظ . فكيف السبيل الى انتظام هذه الأجزاء وتصويرها
عينا ورجلا وأذنا . فلنحل هذه المسألة . هنالك قال الله لنا : أنا أخلق سنا لا قطع ونابا لا تمزيق وضرسا

للطحن ومجموعها (٣٢) سنا مقسمة على تلك المواد . وبعد ذلك يحتاج الطعام الى الاذابة فكيف السبيل لذلك ؟ فترى ثلاثة أنوار في النعم : تحت الحدين . وتحت اللسان . وتحت الشفة السفلى وهذه الأنوار الست يختص عملها بالمواد النشوية وما بقى منها يحوله عصير آخر في الامعاء الى مادة سكرية والمواد الشحمية تحوّلها الصفراء والبنسكرياس في القناة الهضمية الى مادة كالصابون ليتمكن امتصاصها والمواد الزلالية تحوّل في المعدة بعصيرها . أما الماء والملح فلا يتحوّلان الى شيء . فهنا (٣٢) و (٦) منابع في النعم والصفراء والبنسكرياس والعصارات المعدية والمعوية وهكذا فهي تبلغ نحو (٤٣) كل هؤلاء صناع يصنعون في الطعام داخل أجسامنا ليتهيأ للامتصاص ودخول الدم . وهذا كله يضاف اليه فعل نفس المعدة انقباضا وانقباضا . فهناك يتحوّل الطعام الى سائل سنجاني اللون يتقبل الامتصاص . ألا يجب الناس أن يكون النعم للنشوى والمعدة للزلال كالبيض واللحم بعد البنسكرياس والامعاء لما بقي من المادة النشوية المهضومة في النعم والانساج تحوّل المواد السامة بعد البنسكرياس والصفراء

ولوانا تركنا أكل المواد الزيتية ونحوها لاعترانا مرض كما اتفق لي مرارا . فاني منذ عشرين سنين اقتصرت على الخضار وظننت أن ذلك كاف ونسيت الدهن فأصبح الدم كثير الماء لأنه فقد المادة اللصقية التي يحدّها الدهن فابتليت بالرعاف . ولكن الأطباء ليس لهم عمل إلا المداواة . وقابلني طبيب حاذق وقد نظر في جسمي من الداخل فوجد بقعا ملونة فقال لا تخف هذا مرض لا يعدي ولكنه يدل على نقص في التغذية . إذن نقص التغذية بالمواد الدهنية التي لم أحفل بها (لأن قرأت في السكتب أن الاكتفاء بالخضار نافع) كان سببا لمرضين خروج الدم من الأنف بكثرة وتلوين الجلد ببقع غير حسنة . وبقيت كذلك لاسم لي بهذا النظام حتى قرأت حديثا كتبنا في التغذية فصرت آكل الزيت والفاكهة والخبز مع السن والردة فزال المرض إذ زلت البقع من جلدي ولم يرجع لي الرعاف مرة أخرى منذ أكثر من سنتين بل أنما أنعاط دواء بعد ذلك

الله أكبر . إذن أنت يا الله جعلت أجسامنا لغزا وأمرتنا بحله وقلت لنا : يا عبادي اسمعوا . أنتم تحلون مسائل الجبر والحساب والفلك . ولكن أجسامكم نظامها معقد وإذا أخطأتم في حل مشكلاتها كان الهلاك كما يحصل الخطأ في حل المسائل الحسابية اذا حصل خطأ في الحساب

انظروا الى ماحولكم ، إن جسمكم مشتق منه ، فهو من الماء ومن الملح ومن النبات ومن الحيوان ومن الهواء ولا مرض يحلّ بكم إلا بسبب نقص أو جهل في مقادير الطعام أو الشراب ، هناك يجد الحكماء في نفوسهم سرورا لاحد له وحبا عظيما للبداع الذي خلق المرض فينا ليحدث عندنا فكرة في نظام طعننا ويفتح باب العلم ، فهنا يكون (أمران) صحة أجسامنا بنظام الطعام وأهم منه اسعاد النفس بادراك ذلك الحكيم الذي أنقذ ذلك النظام

إن قراء هذا التفسير المدركين للمعاني المذكورة فيه يرون في نفوسهم حبا وعشقا مقرطين لصانع العالم وهنالك تكون سعادة تزداد بازدياد العلم ، وهذه مبدأ سعادات أخرى في هذه الدنيائهم في الآخرة وتكون هناك أشرف من سعادة الجنة الحسية بما لاحد له

إن قراء هذا التفسير يكون الأذكى منهم سعادات في الدنيا وفي الآخرة ، اللهم إنك بما صنعت في أجسامنا من الاحكام والابداع وتقسيم المصانع التي أبدعتها في القناة الهضمية على الطعام الذي وزعته على مناطق الأرض تدهشنا . لماذا تدهشنا ؟ تدهشنا لأننا نرى أرزا ودقيقا ناعما مثلا يتجاذبهما لعاب المعدة والامعاء ونرى زيتا وشحما وهكذا خوارج من النبات والحيوان قد تجاذبها الامعاء والصفراء والبنسكرياس ونرى بيضا ولحما وأمثالها يتجاذبها البنسكرياس والمعدة . ههنا مناطق أرضية ربيت فيها النبات والحيوان ومناطق في القناة الهضمية وزعت عليها ما ربيت في تلك المناطق الأرضية . فيعجبنا مناطق في أجسامنا مقسمات

على نواتج المناطق الأرضية كما قسمت المناطق السماوية والأرضية على مناطق المخ . فالحساب مناطق في الدماغ وبقية العلوم الرياضية والطبيعية وهكذا . فعارف العوالم كلها موزعات على مناطق الدماغ المقسمات تقسما منتظما على مقتضى العلوم . فيارباه : قسمت قناة الهضم وقسمت الدماغ وأعدتهما لأقسام مناطق الخلقوت صوراً ذهنية وصوراً جسمية وقلت : - وفي أنفسكم أفلا تبصرون -

فيأويل من مات وهو جاهل بهذا النظام عاجز عن إدراك هذا الجدل . جوع نخس به يدعونا الى تعاطي انطعام قنزع ونخصد ونصطاد ونأكل فتستقاه مناطق الهضم بالآلاته ومناطق العقل بتصوراته . حكم أبدعت وآيات نظمت . إذن نحن خلقنا للعلم والافنا هذا الأحكام والجمال . جسم صغير ثمانية أشبار بشبرى يمثل ماحولنا (تمثيلين) تمثيلاً جسمى . وتمثيلاً عقلياً . ثم تمثيلاً متوسطاً بواسطة اللسان إذ هو معبر عن كل ما تقدم . فهنا عقل وهنا جسم وهنا لسان كل منها يمثل العالم بالتمثيل الجسمي والصور الهوائية بالحروف والصور الذهنية المعقولة والعالم كله متصل بهذا الجسم وشؤونه

﴿ مشاهدات لطيفة في بلدة المرج ﴾

قد قلت سابقاً في هذا التفسير في أقوم كثيراً الى جهة المرج للملاحظة أرض هناك زراعية في يوم الأربعاء (٩) ابريل سنة ١٩٣٠ قيلول طبع هذه السورة توجهت اليها فرأيت جندياً راكباً جواداً يقود فلاحاً ويرمح بحصانه فيسلمه الى جندي آخر وهكذا رجلاً وراء رجل والناس يهربون من الجند . وهذا منظر غريب يقل نظيره فسألت فقول انهم يجمعونهم لطاردة الجراد لأنه الآن في الجبل الأصفر وهو قريب من قرية المرج وقد قرأت في هذه الأيام في الجرائد في نفس الشهر أن الجراد هجم على مصر من الشرق والجنوب وأنه خطر داهم وانهم جمعوا من مركز بليس (٦٠) زكية من الجراد وهم يستعملون المواد الملتصقة في إبادته وجمعوا الجند والفلاحين للتعاون على ذلك وأهل فلسطين قد طاردوه قبل أهل مصر . وهكذا تقول جريدة الاهرام يوم الخميس ١٠ ابريل سنة ١٩٣٠ مانصه : « من الطرق المتبعة في بلاد الجزائر لمقاتلة الجراد أن تلقح جرادة أو بعض جرادات بمكروب (كلور الجراد) وتطلق مع الأسراب فتلقحها بهذا المكروب الذي ينتشر في الجراد انتشاراً سريعاً ويقضى عليه ، وقد أثبتنا أن الجراد في (سيناء) أصيب بهذا الداء » اهـ

إذن الجراد له مرض قتال ووباء عام كوباء الانسان العام . ومعنى هذا أننا نحن يجب علينا أن نتعلم نظام الجراد وحياة الجراد وقتل الجراد حتى نخف من منه ، وعلينا أيضاً أن نوحّد صفوف المصريين لمحاربه وصفوف الأمم التي حولنا لمحاربه أي على الأمم كلها أن تتحد في درء خطر الجراد (وبعبارة أخرى) ان هذا الانسان لا كمال له إلا باتحاد جميع الأمم المعروفة على درء المفسد ، إذن الانسان اليوم ناقص نقصاً فاحشاً لأن أهل السياسة وعظماء الأمم لا يزالون أطفالاً ، أو كالأطفال لأن مصر لو كانت في حرب مع فلسطين لأكل الجراد قوت البلدين ، فهنا (أمران) اتحاد الأمم للأعمال العظيمة ، ودراسة كل حشرة وكل نبات وكل حيوان

أما بعد فهذا كله تفسير للآية التي نحن بصدددها ، فهذا كله راجع لما نحن فيه من خلق الانسان من نطفة ، وهذه النطفة أمشاج وأنه ابتلى وجعل سمياً وبصيراً (وبعبارة أخرى) ان الجوع مبدأ لهذا كله الجوع طلب الطعام ، والطعام موزع على سطح الأرض ، وفي الأرض آفات كالجراد . ولا يتم طعامنا إلا بإزالة المهلكات لزرعنا . إذن نحن لم نخرج عن موضوع الآية وكان هذه الدنيا كلها تطبيق على دروس جسمنا كما ان آيات القرآن حقاً وصدقاً تستنبع جميع العلوم فكأن أجسامنا علم الفلسفة الذي يجمع العلوم أو كالقرآن الذي يأمر بها وتحويها بعض جلله كآية - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وأي علم يخرج

عنهما . وقبل أن أنتم هذه الطيفة لأعطيكم لي من الإعجاب بخلق الجراد وخلق آفته . إن الذي خلقنا وخلق الجراد وخلق الشمس قال : لا بد للجراد من آفة تناسبه وهي حيوانات ذرية تناسكه وعلى الإنسان أن يدرس الصغائر والكبائر من هذه الدنيا ويتحد على المنافع وتكون النتيجة السعادة العلمية في الدنيا ، وما هذه العوالم كلها إلا كمدار الصور المتحركة (السبها) وهي التي حدثت في زماننا إذ يرسمون الصور على الشريط بالتعاقب صورة وراء صورة ثم يحفظونه وبعد ذلك يضعونه في مكان مظلم ويضيئون الأنوار الكهر بائية فتأتي على ذلك الشريط أشعتها فتبرز الصور على ما أمامها وانحة جليلة كأنها أجسام حقيقية بحرور وسواء وأرض وسفن وحرب وضرب وسرقة واهلاك وتدمير واصلاح ، فهذا يفرح الناس بما هو خير وما هو شر لأنها كلها ترجع الى الخلق والمهارة والدقة والابداع ، وكل ذلك تحبه النفوس ، فأنا لما كنت في المرح وشاهدت الجندي يقود الفلاح وسمعت بمطاردة الجراد لم أر هذا في نظري إلا انه تمثيل لرواية ونشخيص لحكمة عالية فزلت لنا بهذه الصور ولكن هذه المناظر أحكم وأبدع ولن يعقل انها كذلك إلا قليل فأما الكثير فانهم لا يفرحون إلا بالصور المذمومة عن هذه الصور الحقيقية أو ما تركب منها ، فدور الصور ظل لهذه المظاهر الحقيقية والحقيقة أوضح من ظلها

فيأبها المسلمون : هل يجبكم هكذا أن تعيشوا عالة على الأمم وأتم خير أمة أخرجت للناس أتضيعون قواكم العقلية بالكسل وتذرون منافع أرضكم بالجهل ، لا لا ، لأبها المسلمون ، أنا ناصح لكم أمين فلا تناموا بعد الآن . شمروا وجتوا واقرأوا كل علم . فوالله لاسعادة في الدنيا إلا بما ذكرته لكم ولأسعادة في الآخرة إلا به . ومن ادعى من صغار العلماء أو صغار العقول أن ديننا لا يطلب هذا كله وأن الجراد ووباء الجراد والنمل ودراسة كل شيء لا موجب له وأن الإنسان تكفيه ظواهر العبادة فقولوا له : اسمع ما ذله الغزالي في الاحياء بالحرف الواحد تحت عنوان « بيان السبب في زيادة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا » وهذا نصه

« وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرأس على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الامور الإلهية على الرأس وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا . فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ، الى آخره

وقد نقلت هذه العبارة بتمامها في أول (سورة البقرة) عند ذكر الجنة وملخص ما بقي منها أن الناس يموتون على ما عاشوا عليه وعلمهم يصحبهم وينقلب الى مشاهدة ونعيم الجنة على قدر الحب في الدنيا والحب بقدر المعرفة والمعرفة هي أصل السعادات كلها . ولا جرم أن ما ذكرناه من الجراد ووباء الجراد والقناة الهضمية وتوزيع الطعام عليها كلها موجبات للحب ولسعادة الدنيا معا . فقرأه هذا التفسير أي أذكياؤهم يعطون (جنبتين) جنة في الدنيا بحب العلم والبحث ويترتب عليه إسعاد الأمم . وجنة في الآخرة بسعادة مشاهدة ذلك الحكيم الذي أبدع هذه النفوس وصورها . وإياك أن تظن أن بعض ما ذكرت في هذا المقام يخرج عن معنى آيتنا التي نحن بصدد تفسيرها - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه - فهو بعلمه دبر الجوع ليحملنا على طلب العلم ونزرع ونأكل وندرس الدنيا كلها ومنها الجراد مثلا ونخرج من الدنيا وقد شهدنا مناظر جليلة تحيينا في لقائه . إذن أنت أيها الذكي من الآن سعيد في الدنيا سعيد في الآخرة . انتهى صباح يوم الجمعة ١١ ابريل سنة ١٩٣٠

﴿ لطيفة في قوله تعالى - وما يستوى البحران - الى قوله - لعلمكم تشكرون - ﴾

(وفيها فصلان)

﴿ الفصل الأول ﴾ في بعض عجائب البحر

﴿ الفصل الثاني ﴾ في الفلك المواقف في البحر

﴿ الفصل الأول في بعض عجائب البحر ﴾

إن هذا المقام تقدم منه كثير في أجزاء هذا التفسير . ولكن لأخلى هذا المقام من شذرات تسر القارئ
وتشرح صدور المفكرين ، تباركت يا الله في جلال أعمالك وبديع اتقانك وظهر لك لنا من المحاسن والبدائع
ما يأخذ بالآبائنا ويهيج عقولنا للارتقاء الى عوالم أعلى وأعلى

ما أبهر بحارك ، وما أعجبها ، تحار عقولنا في جلالها وعظمتها ولا نقف في تلك الحيرة عند حد :

(١) أنقف عند دوامها واتساعها وأمواجها وبطشها وعظمتها المذكورة بعظمة مبدعها ؟ أم نقف عند
ما ترى من حياة تتخلل سائر تلك الطبقات تحت الأمواج كأنها جعلت طلاس تستعصى علينا دراستها ما لم نجد
في تحصيلها لنذكر سرها فنعرف من الحيتان أنواعا مثلا مثل (الكاشالوت) ذلك الذي يطوف في البحار
طولا وعرضا وهو يجول كما تجول الآساد في البر وله أنياب محدّدت يسطو بها على ضعاف الحيوانات البحرية
وإذا أصيب بأى جرح من الانسان في السفينة فما أشدّ اندفاعه ومناصرة عشيرته له واجتماعهم على تلك
السفينة فلا تزال تلك الجوع تحيط بها وتصارعها حتى تفرعها انتقاما لما أصيب به أحدها من جراح بل إن
حوتنا منها واحدا هاجم مركبا أمريكيا ولم يزل يهجم عليها حتى حطمها وأثرها في دركات المياه وبش الفرار
(٢) إن عقولنا لا نقف عند هذا الحد فن (الروكالي) أقوى منه وأضخم ، أليس طوله يبلغ ١٢٠

قدما على ما قيل وإن كان فيه مبالغة

(٣) وإذا أردنا التفكير في أغماق المحيط ألفتنا البسمك في عمق (٢٧٥٠) قامة في تلك الأماكن التي
لا نور فيها ، وكيف يصل لها النور ، وهل انور الشمس سريان أبعد من ٢٠٠ قامة ؟ متا قامة فقط وبعدها
ظلام حالك ، ففي تلك الأرجاء السحيقة البالغة ٢٥٥٠ قامة بعد انتهاء نور الشمس تعيش أحياء بغير ضوء
شمس . وكيف تعيش بلاشمس ؟ أتكون حياة بلاشمس ؟ هذا عجب ! ولكننا إذا فكرنا في أمرها بعد
ما كشف منها رأينا ما هو أبداع وأعجب . رأينا أن النور والظلمة خاضعتان لأمر السمكة فلها عضو ينشع منه
النور متى أرادت فن احتاجت الى فريسة أو قوت أضاعت المكان بشمسها الصغيرة وإذا أحسّت بمناجى لها
من أعدائها أطفأت شمسها وغابت في لجج البحر . وقد يجعل ذلك النور إرهابا للعدو واضعافا لبصره فيكون
سلاحا ضوئيا يهزم به العدو الذي به يغشى بصره . وبعض تلك الأسماك في قاع البحر لماع براق (فسفوري)
وبعضها فضي اللون وهناك لطافة وجمال وحسن وبهاء . وأعمق البحار كأعلى الجبال انخفاضا وارتفاعا

(٤) وهناك الجزائر المرجانية ومنها جزيرة سيلان بالقرب من الهند والجزر البركانية والجزر المرجانية وقد
شرحنا كثيرا منها فيما مضى في هذا التفسير . انما الأمر العجيب هنا أن نقول : أليس من العجب أن نجد
(الأرض) المذكورة في ﴿ سورة سبأ ﴾ وتقدم شرح أعمالها وانها وهي عمياء قد بنت في الأراضي القفراء
مدنا أهلة يسكن منها لاعددها تديرها ملكة عظيمة القدر حجمها بمقدار راحة اليد ومعها زوجها المرسوم
معها في ﴿ سورة سبأ ﴾ فهذه الحيوانات الضئيلة قد رفعت بنيانها في اليابسة فبلغ في العلو (٦) أمتار بل
ثمانية واتسعت مدنها فكانت أميالا واعتاصت في هدمها على الانسان فلم يهدمها إلا بالديناميت فهكذا هنا
نجد جزائر في البحر وما بناها إلا هذه المخلوقات الضعيفة المسميات بالمرجان . تباركت يا الله جزائر في البحر

عظيمة في المحيط الهندي والمحيط الهادي (الباسفيكي) يندبها حيوان صغير وتكون فيما بعد مزارع ومروجاً واسعاً تكسوها أشجار (الشكولاته) المرسومة فيما تقدم في هذا التفسير ، أليس من العجيب أن تكون بعض الحشرات البرية وبعض الحيوانات البحرية قد انحدرت على أحداث ما يعجز عن فعله الناس في الأرض وهل للناس من قدرة على أن يحدثوا في البحار جزائر . كلا . انهم لو قدروا على ذلك ما حارب بعضهم بعضاً على أرض من اليابسة ، فلوانهم قدروا على ذلك لصرفوا تلك القوى التي أضاعوها في أعداد آلات الحرب الجهنمية على إيجاد جزائر كجزائر المرجان المعروفة بما يسمونه (باكاديف وملاديف) أي بحيرة الجزائر أي (١٠٠٠٠٠) جزيرة و (١٠٠٠) جزيرة . فلو قدر الإنسان على الجزائر كما يحدثه المرجان لفعل أكثر منه ولأحدث أراضي في المحيط وقارات فسعد وأسعد ولكنه جهول يظن عقله آخر ما وصل اليه الإبداع ولم يظن إلى أن هذه الغريزة المرجانية والغريزة التي في حشرة الأرض المشروحة في ﴿سورة سبأ﴾ كما قدمنا قد أبدعت ابتداء لم يصله هذا الإنسان المسكين الذي يفرح بما عنده من العلم وهو لا يزال في أول حروف هجائية - إن الإنسان اظلم كقار - إنه كان ظلوماً جهولاً -

أما ظلمه فانه إلى الآن لا يزال يفخر بأنه يعيش على نهب المال من أخيه الإنسان ، وأما جهله فهذه هو ذا ظاهر في أنه لم يصل إلى علم حشرة الأرض في نظام المدن والبنية ولإلى علم حيوان المرجان الباني في المحيط جزائر وجزائر ، أليس هذا هو الإبداع والانتقان والجمال (انظر صورة المرجان في أول سورة النحل في المجلد الثامن وفي آخر سورة الفرقان في المجلد الثاني عشر) انتهى الفصل الأول

(الفصل الثاني في الفلك المواخر في البحر)

يقول الله : - وتري الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - فأولاً تری الفلك مواخر وثانياً تبتغي من فضل الله . وثالثاً تشكر الله على ذلك الفضل . فهنا ثلاث جواهر ﴿ الجوهرة الأولى فيما نراه من الفلك المواخر في البحر ﴾

أما الجاهل فلا يدرك من هذا القول في القرآن إلا لفظه وأعرابه وصرفه وبلاغته ، فهذا حد الجاهل وكثير من العلماء المتأخرين في الأمم الإسلامية ، أما الحكيم المفكر فانه ينظر بعقل أحكم ونظراً أعم فيقول : ونحن رأينا الفلك في البحر مواخر ، فأى فرق بينها وبين سيرة الإنسان في الأرض وركوب الدواب وركوب القطارات الحديدية ، نسمع الله يقول لنا بعد ذلك - ولتبتغوا من فضله - ثم أتى بهذه الجلة بعد رؤيتنا الفلك مواخر مع أنه يقول : - والحيل والبغال والجرار لتركبوها وزينة - ولم يقل - لتبتغوا من فضله - وإن كان الجميع من نعم الله وتسهيل أمور الحياة علينا . ههنا يرجع الحكيم إلى العلوم التي أبرزها الله في الأرض فإذا يرى أن قوة الحصان الواحد تنجر على الطريق العادي نحو (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف رطل بسرعة ثلاثة أقدام في الثانية وتنجر على شريط السكة الحديدية نحو (٣٠٠٠) ألف رطل للمسافة نفسها والوقت نفسه أي أن شريط السكة الحديدية يكسبنا في النقل عشرة أمثال ما نكسبه من السير في الأرض المعتادة

فإذا جعلت نفس هذه القوة فوق سطح الماء فتمها تنجر في الزمن نفسه والمسافة عينها (٢٠٠٠٠) رطل إذن الماء أكسبنا تسهلاً فوق سهولة السكة الحديدية نحو (٧) مرات تقريباً وفوق ما ناله في سيرنا المعتاد على اليابسة نحو (٧٠) مرة ، عجب : أن الماء يسهل لنا النقل بنسبة عظيمة جداً لم تصل إليها دوابنا ولا طرقنا الحديدية . إذن البحر نعمة في النقل تعلو على نعمة القطارات في سكة الحديد وعلى الطرق المعبدة (بتشديد البناء) في الأرض . هذا معنى قوله - وتري الفلك مواخر فيه -

فأما العامة وصغار العلماء فلا يرون بأبصارهم من السفن إلا كما يسمعون بأذانهم من القرآن مناظر سطحية

والفاظا مقروءة . فالتريقان في ذلك أشبه بمن يرى أمواج البحر ويظن أن البحر ماء حامل للحياة فيه بل الحياة الدنيا كلها عند أكثر هذا الانسان حياة كالأمواج لاجال فيها ولا بهاء . فلاجال في الحياة الدنيا إلا بدراستها ولا بهجة في ماء البحر إلا بتعلم علومه التي عرفها الناس . ولا فائدة يعقلها الانسان من منظر السفن الماخزات في البحر إلا بدراسة القوى وموازينها كالذي ذكرناه هنا وهناك فقط يفهم لم ذكر الله - ولتبتغوا من فضله - بعد ذكر السفن الماخزات في البحر

ان للماء قوة تدفع الاجسام العائمة عليها الى أعلى فيخف ثقلها ويحسن الانسان بذلك وهو في البحر فانك اذا استحممت في لبحر كشواطئ الاسكندرية وهناك زجاج مكسور تحت الماء وأنواع من الادوات الحادة فانك لاتألم بما يصيبك من هذه الادوات الحادة لان الماء سيرفعك رفعا يحفظك من الضغط على أمثال الزجاج فلا يصيبك الجراح . ذلك سر رفع الماء لأجسامنا فتخف وهذه النظرية معروفة في جميع الدوائر العلمية ولها تدابير لاحل لذكرها وهي المعروفة بنظرية (ارشميدس) فهذه النظرية سر من أسرار الله الذي وضعها في الماء وبه جرت سفننا فكانت أسرع نفعاً من دوابنا ومن قطراتنا لذلك عقبه بقوله

﴿ الجوهرة الثانية - ولتبتغوا من فضله - ﴾

هنا نبتغي من فضل الله لاننا وجدنا طرقاً سهلة معبدات عبدها (بتشديد الباء) الله لنا قبل أن يخلق أبانا آدم . لذلك نبتغي من فضله والمسلمون هم المخاطبون بالقرآن أكثر من غيرهم . فيارب هل الابتغاء من فضلك بالسفن الماخزات قاصر أكثره على غير المسلمين أم المسلمون من عبادك وهم أيضاً يبتغون من فضلك بالطرق البحرية المذلات ولا يقتصرون على الطرق الارضية التي تقل عن البحار (٧٠) مرة من سهولة النقل . أيها المسلمون البحار بحر ربكم وهو الذي سهلها لكم ولغيركم . لم لابتغون من فضل ربكم في بحاره ولو أنكم جاريتم الامم في السير في البحر لنشرتم فضائل الدين في الامم بالعلم والاقناع فترك الناس أصنامهم وأوثانهم وتلغفتم عن الانسانية جهالتها المتراكمة وياكم ان تظنوا ان سير السفن في البحر أمر سهل أو ان الابتغاء من فضل الله بالتجارة بمعاونة السفن أمر يسير . ان هنا عالماً آخر وهو عالم الأثير . ذلك العالم البديع الذي هو ألطف من الهواء . عالم يتدخل في الماء وفي الهواء وفي الارض وفي الاجسام الحيوانية وفي السماء وفي الكواكب وفي الارض هو عالم لطيف ينفذ في كل شئ . هذا العالم أيضاً يسعد الانسان باسراع المواصلات فيه يكون البريد البرقي (التلغراف) بقسميه أي الذي له سلك والذي ولاسلك له وهذا لا بد منه لسير السفن في البحار الله أكبر أصبح الانسان بهذا وبذلك كنه جسم واحد اللهم انك أنت جعلت العوالم كلها كأنها جسم واحد فأرضك مع شمسك وقرنك وسياراتك ومجراتك كلها كأنها جسم واحد هكذا هذا الانسان الجاهل المسكين يظهر لما أنك تسكاد تجعله جسماً واحداً فهل يتنحى المسلمون عن هذه الموهبة بالجسم اله . هل يتنحى المسلمون عن استخدام القوة الكهربائية التي يبعثها الناس في الفضاء فتلقفها السفن في عرض البحار فتستجو من المخاطر وذلك بنعمة الانير التي جعلها الله محيطه بنا . فهي أعم وأرقى من الماء والهواء . واذا شئت شرحاً لهذا الموضوع فقرأ ما نقلته من كتاب الجغرافيا التجارية والاقتصاديه والجغرافيا البشرية تأليف (محمد بك حدى) ناظر مدرسة المحاسبة والتجارة وهذا نصه

﴿ البرق السلكي البري والبحري والبرق غير السلكي ﴾

انتشرت الأسلاك البرية في الفضاء ومدت البحرية في مياه البحار والمحيطات فاتصت أطراف المعمورة برا وبحرا وأصبح العالم كله وكأنه قطر واحد فهانت المناجاة في قاييل من السويعات وانتظمت عقود التجارة الدولية وشاعت أخبارها في الآفاق بالسرعة بسبب سهولة نجاز البيع والشراء والأخذ والعطاء فيما ينفع الناس

واشتبكت المصالح الدولية بشباك أوتادها في كل المدن العظمى وفي الموانئ الكبرى وفي جميع جزر البحار
الحسنة الموقع الجغرافي مما يسهل على الطالب تعيينه من الخريطة
(البرق غير السلكي)

نظيل الكلام في هذا وحده لأن له الآن المكان الأول في جميع أرجاء العالم الرافق في قضاء الشؤون
التجارية وفضله على البرق السلكي برىا كان أو بحريا واضح جلي لأن الثاني معدود الخلو ط محدود الجهات
بواسطة الأسلاك أما الأول فتعم اشارته الأرض قاصبها ودانها على حسب قوة الدفعة الكهربية التي تبعث
بها من أعلى الفضاء هذا فضلا عن إغاثة السفن في عرض البحار إذا ما حلت بها الأخطار فتندركها السفن
الأخرى المجاورة لها وتنقلها من ورطتها وفي ذلك من تأمين الأفس والتجارة ما يرجع بالفائدة العظمى الى
هذا النوع من البرق ولهذا نراه قد شاع ذكره واستعمله حتى لم تخل منه طريق تجارية ولا بلد رئيسية
ولا السفن البخارية وبعض السراعية فقد أصبح لها أثنا وعدة من ألزم العدد واذ قد عم استعماله الآفاق
رأينا عدم الحاجة الى سرد أشهر الموانئ والمدن التي تستخدمه فقد لا يخلو منه الآن موقع ذو شأن في
التجارة الدولية والسياسة الخارجية وإذا كان ينقص جهة فهي عاملة حتما على انشائه فيها في القريب العاجل
و بمصر عدد البروق غير السلكية أشهرها في الاسكندرية وأبي زعبل «وهي قرية من أعمال القليوبية»
وأنشأت وزارة المواصلات حديثا محط «البرق غير السلكي في الاسكندرية» تسهيلا للخبرات التجارية
بين هذا البلد والخارج لاسيما بين السفن المسافرة في البحر والغر الاسكندرية فأقامت ساربتى البرق المذكور
على شاطئ البحر في رأس التين وجعلت ارتفاع السارية ١٣٠ قدما فأصبح للمحط من القوة الأتيرة ما يحمل
الأنباء منه واليه مسافة ستائة ميل بحيث يستطيع أن يلتقط الأنباء من البواخر السابحة في البحر الأبيض المتوسط
كله ومن تفور هذا البحر وما حوالها من الأماكن ولا شك في أن الدوائر التجارية في الاسكندرية وبقية
مدن القطر الكبرى لتعبط بهذا العمل النافع

وجهاز «البرق في أبي زعبل» تابع للحكومة الانجليزية رأسا وهو من أكبر عدد العالم التي من نوعه
وهو عبارة عن (١) آلة ميكانيكية ضخمة تولد الكهربية تسمى المولد «الدينامو» تتولد فيها الحرارة الشديدة
بواسطة (٢) آلة بخارية في بناء آخر كبير مجاور للأول وعلى مسافة بعيدة منهما (٣) أعمدة عدة يبلغ عددها
نحو خمسين عامودا مقامة على أرض مرتفعة جدا وقد يبلغ طول الواحد منها نحو عشرين ومائة متر ويربط
في أعلى كل عامود بطريقة فنية أسلاك تمتد على جوانبه حتى تصل الى نهايته ثم تسير تحت الأرض حتى تصل
بالمولد وهناك حجرة للبرق المنوط به العمل ولديه آلة ذات مفتاح متصل بالمولد فإذا ضرب على المفتاح انفتح
فم المولد وقذف موجة كهربية ذات صوت شديد قاصف فقسيل هذه وما تلاها من الموجات الأخرى مارة
بالأسلاك القائمة على الأعمدة قاصدة أعاليها حتى تخرج من أطرافها الى الفضاء الواسع فتنتشر في جوف السماء بسرعة
عظيمة تحاكي البرق الطبيعي وأمثال هذه الأسلاك موضوعة في فرنسا على برج إيفل وفي البواخر على رؤوس
السواري . والموجات الكهربية التي يقذفها المولد من شاطئ تنشر في الجو كما سبق وصفه وتدور حول الأرض
مارة فوق الجبال والبحار من غير أن يعترضها شيء وقد يبلغ ما تقطعه الموجة الواحدة في الجو ثلثائة ألف كيلو
متر في الثانية أو أكثر من ذلك

والمصطلح عليه في إشارات البرق أن حرف الألف مثلا يساوي نقطة وشرطة والباء شرطة وثلاث نقط والباء
شرطة واحدة وهكذا . والفرق بين الشرطة والنقطة أن الأولى يرسلها المبرق على المفتاح بقوة تساوي ضعف القوة
التي يرسل بها الثانية وعلى هذا القياس يرسل موجاته متتابعة في الجو فتقبلها كافة الأسلاك المهيأة على المرتفعات
الشاهقة في الممالك الأخرى سواء في ذلك البر والبحر ثم يتلقاها المبرقون بواسطة «سماعة» أشبه شيء بسماعة

المسرة «التليفون» فيدونون الكلام بواسطة سمعهم الموجات تطلق طويلا أو قصيرا (شرطة أو نقطة) كما هو مألوف في البرق العادى

والموجات الكهر بائية تشبه في انتشارها الموجات الصوتية فعلى قدر قوة الباعث تكون قوة الموجة وترددها في الهواء وإذن تختلف قوى البرق غير السلكى باختلاف حجم المولد وعدد الأعمدة فعدة الاسكندرية مثلا لها مولد أصغر من مولد أبى زعبل وليس بها إلا عمودان اثنان على حين أن للآخرى خمسين عمودا ومن ذلك يكون نطاق المراسلات بواسطة الاول ضيقا بينما يتراسل الثانى مع جميع أطراف الارض وتتكلف الأعمدة نفقات عظيمة فقد بلغ ما أنفق على الواحد منها مليون جنيه

ويستطيع المبرق عند وضع السماعه على أذنه أن يأخذ أى الاشارات التى تبادلها الممالك الأخرى بعضها مع بعض ولديه طريقة فنية لتمييز الموجات ومعرفة ما يخصه منها وما لا يخصه فليبرق غير السلكى والحالة هذه لا يؤمن على سر إلا ما كان مرسل بالارقام السرية

ولقد اتصل أحيانا مع الموجات الكهر بائية أصوات الزواجع والرياح من كندا أو روسيا أو جبال فرنسا أو أى جهة كانت فيشعر بها المبرق ويسمعها كماهى وقد تضعف هذه الرياح أصوات الموجات على أن اختلاطها بها لا يمنع فهم إشارتها على الاطلاق ولكل محطة برقية علامة خاصة لمزاداتها بها فعند ما تنصل الموجات الكهر بائية بين بلدين يمكن للمبرقين مبادلة الكلام بواسطة تلك العلامات

وفي ساعات معينة من الليل يستعد عمال جميع البروق غير السلكية لتلقى إشارات « روتر وهافس » دون الاشارات الأخرى ولا يستطيع العامل بأبى زعبل مثلا أن يراجع لنسدن في كلمة فاتته ولهذا السبب يوجد دائما في مثل هذه الاحوال عاملان لتلقى الاشارة الواحدة حتى اذا ترك أحدهما كلمة تداركها الثانى هذا ولا يزال البرق غير السلكى آخذا في التقدم من الدقة والاثقان بما سيضاعف نفعه وفوائده انتهى ما أردته من كتاب الجغرافية التجارية الاقتصادية

أيها المسلمون : هاتحن أولاء خلقنا في الأرض يحيط بنا الهواء فاستعملناه في الحروف الهجائية وذلك بالفطرة ولكن العلم الآن أرانا الأثير فاستعملناه بحروف واصطلاحات وكلام الشرقى الغربى وأصبح الصيغى يكلم المصرى والألمانى به . أليس بهذا وأمثاله نبتغى من فضل الله وهذا هو سر التعبير بالفضل في هذا المقام . ولما كانت هذه النعم قبوها واستعمالها شكر وتركها كفر بالنعمة أعقبه بذكر

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾

وهى - لعلكم تشكرون - فبالت شعرى كيف يكون شكر هذه النعم ، نعم الماء المسهل للنقل ونعم الهواء المسير للسفن ، ونعم البخار كذلك ونعم الكهر باء ونعم الأثير الذى يربط الناس بعضهم ببعض ويكون به التواصل والتخاطب ، لا شكر لهذه النعم إلا بتعلمها أولا ثم العمل بها ثانيا

فلا شكر للنعمة إلا بعد العلم بها ومن علم عمل وهناك يحسن في نفسه بحب وغرام بمبدع تلك النعم فيفرح بها وينطلق اللسان بالحمد والاركان للعمل فينفع المسلم الناس كما يفرح بنعم ربه ، فهناك ﴿نتيجتان انتتان﴾ حب الله بفهم هذه النعم ونفع عباده باظهارها . وهل الشكر غير هذا ؟ إن قراء هذا التفسيرهم الشاكرون والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الخميس أول مايو سنة ١٩٣٠

(تذكرة من عجائب البحر)

إن من أجل مأسطرته الدهور . وأبدع ما ظهرته العلوم . مسألة الحياة في أعماق البحار التي ذكرناها هنا
لقد كان العلماء في النصف الأول من القرن التاسع عشر يحكمون حكماً لا ريب فيه ولا جدال . أنه
لا أثر للحياة تحت عمق أربع مائة متر في البحار الملحة مستدلين بأن الضوء لا يصل إلى هذا العمق . وأن الضغط
على أجسام المخلوقات هناك يكون عشرات أضعاف الضغط الجوي . وأن الحياة هناك مستحيلة قطعاً تحت
ذلك الضغط . فصار من البديهي الوجود لأحياء في ذلك العمق . وهذا البرهان ظاهر وأصح حق من كل
الوجوه . ولكن ظهر خطأ هذا البرهان لما ظهرت الأبحاث البحرية بعد ذلك وتكاثرت وصادوا حيوانات
على أعماق مختلفات بآلات صيد خاصة تدل على العمق الذي أخذ منه ذلك الصيد من سمك وقشريات
ونجميات من عمق سبعة آلاف متر أو أكثر كما تقدم هنا : ووجد العلماء الضغط الواقع على أجسام تلك
الحيوانات (٧٠٠) سبعمائة ضغط جوي . لأن ذلك الضغط يساوي نحو عشرة أمتار من الماء فوق الأرض
كما هو معروف في العلوم الطبيعية . وفوق ذلك وجدوا هذه الحيوانات تحية بدرع صلبة تجعل أعضائها
الداخلية في مأمن من العطش : بل إن أغلب هذه الحيوانات طرية اللحم . شأنها شأن نظائرها في المياه
السطحية . وعقول العلماء حائرة أمام هذه الحقائق الظاهرة . وما هذا الذي اختفى في هذه الحيوانات حتى
تحملت ذلك الضغط العظيم

هذا وإذا حولنا النظر عن الحيوان في البحث إلى نفس الماء الذي هو مسكن الحيوان رأينا أمراً عجيباً .
رأينا أن السنتيمتر المكعب من الماء يحتوي على (٣٠) ألف مليون مليون جزيء . وأن متوسط
سرعة الجزيء الواحد نحو ٣ كيلومتر في الدقيقة الواحدة أو نصف كيلومتر في الثانية الواحدة . وأن وزن
ذلك الجزيء لا يتعدى ثلاثة أجزاء من مائة ألف مليون مليون مليون جزء من الجرام ولكن هذا الجزيء
الواحد مركب من ذرتين من ذرات الأوروجين وذرة من ذرات الأكسوجين والحركة المستمرة المشار إليها
اللازمة للذرات هنا أشبه بحركات جماعات النحل تصطدم الواحدة بالأخرى اصطداماً دائماً . وعلى مقدار ذلك
الاضطراب تكون درجة الحرارة زيادة ونقصاً . وبسبب هذه الحركات المستمرة والاصطدام يكون الضغط
من الماء على الأبناء الذي هو فيه أو المكان من البحر الذي هو فيه . والفضل في معرفة ذلك يرجع إلى
(كلارك مكسول) العالم الاسكتلندي من علماء القرن الماضي . ولكن كيف تركيب الأكسوجين المذكور مع
الأوروجين مثلاً في الماء . وكيف تتكونت العناصر الأخرى مع بعضها في جزيئات الأجسام الأخرى . هذا أمر
عجز عنه العلماء في كل عصر من العصور

ثم إن هذه الجزيئات المائية أي التي يتركب منها الماء ونظائرها مما يتركب منه كل موجود في العالم المادي
ليست هي أصغر ما عرفه الناس اليوم بل كل جزيء منها مركب من شئ أصغر منه جداً بمقدار (١٨٥٠) مرة
وهذا الشئ يسمونه (الكترون) وما هذا الكترون الإشعاع ضوئي وهذا الإشعاع الضوئي الدقيق يتركب
منه كل ذرة والذرات تتركب منها المخلوقات

أذن ماء البحر وحيوانه وكل مادة نراها مركبات كلها من مواد نوريه . اختلفت مظاهرها باختلاف حركاتها
وهل هذا إلا قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - أي منورهما . أذن لا ظلام فالعالم كله نور . ماء البحر
نور . الأرض نور . الجبال نور ولكن اختلفت المظاهر باختلاف الحركات وتنوعها وإن شئت المزيد
فارجع إلى آية - الله نور السموات والأرض - وادرس قطرة الماء هناك وافرح بنعمة العلم لتعلم أن العالم كله
نور لا غير ولكن خفي علينا أمره في هذه الحياة لتعلم ولا سبيل لتعليمنا بغير ذلك . ومن لهم قدم صدق في

هذا الموضوع (مدام كورى) وزوجها (المسيو كورى) المكتشفان عنصر الراديوم الذى هو أنشط العناصر كلها شعاعا وقد وجداه ثلاثة أنواع من الشعاع ، فمنها أشعة إيجابية ، ومنها أشعة سلبية ، ومنها أشعة قصيرة الموجات جدا والأشعة السلبية هى التى قدر وزنها بما تقدم وهى داخله فى تركيب جميع لذرات الله أكبر عجبا أصبحت نجيب من حيوان تحت ضغط ماء يفوق سبع مائة ضعف الهواء الجوى الضاغط علينا ونجيب أكثر وأكثر من ضوء صغير جدا دقيق تتركب منه ذرات وبتأخذه تكون هذه المواد ، ان حياتنا عبارة عن مسرح نشاهد فيها الأعاجيب فمن ضوء يتنوع حوتا وذنبا وحجرا وشجرا وماء ومن حيوان صغير طرى اللحم يتحمل ضغطا قويا لا تقدر نحن على تحمله ولا القليل ولا الجبل تبارك الله رب العالمين . هذه بعض عجائب البحار وربك يخلق ما يشاء ويختار . فهل يعجبكم هذا أيها المسلمون أن تناموا وتقوم امرأة وزوجها (كالمدام كورى والمسيو كورى) فيبحثان عن الأشعة وعن الذرات وعن الاضواء ونحن وأبنائنا ونساؤنا عائلة عليهم اللهم انك أنت ربنا وربهم فأنعم علينا بنور العلم واشرح صدورنا وألهم الامم الاسلامية عشق العلم انك أنت السميع العليم اه صباح يوم الخميس ٨ مايو سنة ١٩٣٠

واذ فرغنا من الكلام على آية - وما يستوى البحرين - الخ فلنفض القول فى آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ فنقول :

(لطيفة فى قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ)

لقد جاء فى (سورة الكهف) عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - الخ ما جاء فى كتاب « علوم للجميع » باللغة الانجليزية مترجما أن هناك علما حديثا يسمى (علم الألوان) وهذا العلم يقول المؤلف إن علماء أهل الأرض الآن أطفال فيه ولكن الذى عرفوه منه فعلا يستبين منه للناس أن الألوان موضوعة فى هذه الأرض لمقاصد صادقة وليست انفاقا ولا مصادفة وذكرت لك هناك ما أوردوه فى هذا المقام من الألوان المختلفة البديعة مرسومة مشروحة مبينة أسبابها وأن ضوء الشمس هو الذى يرسمها ويخططها وكلما كان الحيوان أكثر تعرضا للشمس كان أقرب الى السواد وكلما ابتعدت أجزاءه عن ضوءها واختبأت كانت ملونة بلون من الألوان الأخرى كالجمرة والصفرة . ونرى هناك أيضا أن هذه الأحوال العارضة التى ظهرت فى أمثال (أبى دقيق الطاووسى) وفى (حمار الحبشة) المرسومين هناك قد حيرت العلماء إذ وجدوا أن البياض فى ظهر حمار الحبشة المصاحب للسواد فى ظهره وفى جوانبه يحتاج الى علة غير علة إلحاح الشمس على ظهر الحمار لأنها توجب السواد التام ، أما البياض فهو أمر آخر لا يتفق مع إلحاح الشمس عليه . وهكذا تلك الألوان البهجة الزاهية فى أبى دقيق الطاووسى المتزينة ازنا تالما ، الهندسية الشكل البديعة النظام فأنها جاءت بسبب مواد ألصقت بأجنحة تلك الحشرة ووضعت بنظام مدروس وهذه على (قسمين) قسم جاء اللون فيه حادثا من انحباس الهواء فى أوعية خاصة منتظمة فعكس ضوء الشمس عن ذلك الهواء المنحبس وقسم آخر جاء اللون فيه عن انعكاس الأشعة الضوئية عن ذرات منتظمة رتبت ووضعت فى صفوف منتظمة فظهر بها اللون بهجا جليا . انظره هناك

ثم ارجع معى هنا وقل معى : سبحانك اللهم وبحمدك . أرى بنا الجميل . ذلك لأنك جميل . وضعت لنا قاعدة ياربنا وقلت لنا فيها كلما كانت الشمس أكثر إلحاحا على الجسم كان أقرب الى السواد . وكلما كانت أقل إلحاحا عليه كان أبعد عن السواد وتحلى بلون من الألوان السبعة . ثم اتنا رأيناك لوقت التلج بالبياض البروده ولوقت عروق الشجر الخضارية فى الأرض بلون البياض : لماذا ؟ لأنها لم تلاق حرارة الشمس ولم تزل الألوان إلا فيما برز للشمس من أجزاء النبات . فهنا نحن أولاء رأيناك بالله أخذت تتفنن وتبدع الابداع كله وتضع ذرات على أجنحة الحشرات وتلصقها وتهندسها وتظهرها للشمس فيبهرننا لونها ونجد أفانين وأفانين من الجمال . ولو

انك أبقيت حال هذه الحشرة مثلا بلا ابتداء مثل هذا لم تر هذه الأفانين والصور الجيلة . والحق يقال ان العالم الذى خلقنا فيه كله جمال . ورأيناك لم تقتصر على ذرات تلصقها بالأجنحة بل أبدعت فى الأجنحة ابتداء آخر وجبت الهواء فيها وعرضتها للشمس فأخذت أمواج الهواء تلتقي أشعتها على أعيننا داخله فى قرينتها متخالة بلورتها (بتشديد اللام) أى عدستها مرسومة على شبكيتها جارية فى أعصابنا الى مخنا ، فهناك يظهر لنا الجمال والكمال والبهاء

سبحانك اللهم : أبدعت ورقشت وزيفت ، ولما كان ابتداءك فى الصور واتقانك هندستها يراهما الجاهل فلا يابه لهما (وذلك لأن الانسان لا يابه ولا يهتم ولا يحب ولا يطرب ولا يفرح لما آله وعرفه من إبان صغره وميعان شبابه إذ يطالع على هذه الأشياء وهو طفل ثم يشب ويكون فتى وكهلا فشيئا فشيئا وهو فى ذلك كله لا يرى فى هذا الجمال إلا انه أمر عادى لا يستحق التفكير)

أطمت طوائف من كل أمة من الأمم قديما وحديثا أن يصبغوا ويزينوا وينقشوا ويأتوا بأفانين الصور وأحاسن الأشكال وبدائع الجمال وروائع الزينة ومباهج الأصباغ . وأقدم هذه الطوائف التى عثرنا عليها قدماء المصريين الذين زينوا مبانيهم بنقوش غريبة وصور بديعة حارفيها الناظرون وتجبري أمرها النقاشون والمهندسون ، وانما أطمت الأولين والآخرين ذلك لتفتح العقول لهذا الجمال والابتداء الذى نسوه بايلافهم وجهلوه بتكرار مشاهدته وسقوط اعتباره من القلوب ، فهناك هناك الحكمة ، استبان للناس الجمال والبهاء والحكمة . والحكمة لاتعطى إلا للفكرين . والمفكرون لا يعرفون الجمال والحكمة إلا بالتحليل ومعرفة المقادير والأجزاء الداخلة فى تركيب الأجسام والأصباغ

ما الناس سوى قوم عرفوا * وسواهم همج همج

فلا بين الآن لأذكيا الأم كيف كانت الأصباغ عند قدماء المصريين فأقول :

أصباغ النقوش المصرية

قال الشاعر المصرى شوقي بك :

غاب من حولها الزمان وشابت * وشباب الفنون مازال غضا

رب نقش كأنما نقض الصا * نع منه اليدين بالأمس نقضا

ودهان كلامع الزيت مرّت * أعصر بالسراج والزيت وضا

يقول علماء عصرنا ان قدماء المصريين تفتنوا تفتنوا أدعشهم . فهامى ذه هياكلهم العجيبة ومبانيهم الفاخرة وأصباغهم التى مرّت عليها العصور والدهور وهى هى كأنما نقض الصانع عندها يده الآن فلننظر نظرة فيما كشفه القوم الآن لما حللوا تلك الأصباغ ومتى عرفنا بعض ذلك معرفة تامة رجعنا الى صنع الله تعالى فعرفنا تلك العظمة وسعدنا بالجمال الذى ندركه ونفرح به فى هذا الوجود . هنالك يشوقنا جمال هذا العالم ونحس بالسرة والبهاء

لقد كان قدماء المصريين يمزجون الصبغ الأحمر بالأصفر فيكون منهما صبغ برتقالى اللون وهذا اللون عثروا عليه فى مدفن (نقرمت) الذى كان من رجال بلاط الملك (سنفرو) أحد ملوك الدولة الرابعة التى كانت تحكم مصر منذ ستة آلاف سنة وذلك قبل (خوفو) الذى بنى الهرم الأكبر من اهرام الجيزة وهذه النقوش عميقة على هذا القبر وقد ملئت بهذا الطلاء . وكان عندهم طلاء آخر أشد صفرة وأبهى وأجل لونا . وطلاء آخر أخضر خضرة طبيعية وهو من الحجر الملصق الأخضر . وطلاء أزرق من الحجر الملصق الأزرق وكلاهما من مركبات النحاس . وههنا أن أن أذكر لك طلاءهم الأزرق الذى كان كثير الشبوع عندهم فهو كان صناعيا لا طبيعيا . وكانوا يصنعونه قبل المسيح بألفين وخمسمائة سنة . وما هوذا ؟ هو نوع من

الزجاج . وكيف صنعوه ؟ صنعوه من الرمل والجير والسكس والقلى ومعدن النحاس . حرق هذه معا فكان منها فتكون منها زجاج أزرق . وقد حللوا قطعة منها تحليليا كما يواي فوجد فيها جزآن في المائة من (اكسيد النحاس) وثمانية وثمانون جزءا من السكس اربعة من الصودا وثمانية أجزاء من الجير وقليل من اكسيد الحديد ، واذا كان حجر النحاس من جزئين الى خمسة في المائة كان الطلاء أزرق صافيا ، واذا كان حجر النحاس من (٢٥) جزءا الى (٣٠) كان لون الطلاء أزرق قاتما أو بنفسجيا ، واذا كان أكثر صار لونه أسود واذا قلّ القلى كثيرا فالجاصل مادة رملية لا قوام لها ، واذا أكثر كثيرا فالحاصل جسم صلب لا يحك منه الطلاء المطلوب

ولقد جاء في (المقتطف) في يوليو سنة ١٩٢١ م مانصه : « ولذا كان عليهم أن يزنوا العناصر كلها ويعلموا مقاديرها تماما ومن ثم استعمل الميزان في الأعمال الكيميائية » وأنا الآن أكتفي بهذا المثال فان المدار على فهم ما نكتب لا على كثرة المعلومات

هاهم أولاء قدماء المصريين منذ خمسة آلاف سنة نظروا في الأحجار فاستعملوها ولقنوا بها مصنوعاتهم ثم انهم ألهموا أن يتلذذوا ما وجدوه في الطبيعة وهذا التقليد لا يكون سهلا بل مررت عليهم قرون ودهور وهم يجرّبون ، فاهتموا الى البرتنالى بمزج الأجر بالأصفر ووزنوا النحاس والسكس والرمل والصودا والجير واكسيد الحديد فكان منها زجاج أزرق ، فيا عجبا يا الله ، نحاس وحديد ورمل وجير وصودا بامتزاجها يكون اللون الأزرق ولكن بمقادير محددة ولكن النحاس هو المقياس فن قلّ كانت الزرقة وان أكثر كانت البنفسجية أشد منها ثم يصير أسود

هذا المثال يرينا (أمرين * الأول) ان هذه الأصباغ التي نراها في النبات والحيوان مخلوقة في الطبيعة أمامنا مرجعها مزيج موزون بموازين لو اختلفت لاختلت الألوان ولذهب الجمال - والسماة رفعا ووضع الميزان - يا عجبا . هذا هو الميزان . هذا هو ميزان علماء الكيمياء الذي وزنوا به الحديد والنحاس والرمل والجير والصودا الخ حتى حصلوا على زجاج أزرق . يا سبحان الله . إذن الله وزن هذه المواد وأمثالها حتى أبدع لنا أزهار الورد والقطن وأزهار أشجار الفواكه والرياحين ، حينئذ هذه البساتين والرياح الناضرات التي نراها ذات بهجة تسر الناظرين قد وزنت المقادير الداخلة في تركيب هيئتها حتى ازيئت للناظرين . إذن الزينة بالوزن ، إذن الله وضع الميزان في كل مكان ، وضعه في كل شجر وحجر وجبل ، وفي كل شمس وقمر ، إذن ميزان الله علاء السموات والأرض . إذن فهمنا قوله تعالى - شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - وقوله - قائما بالقسط - حال من الله فهو واحد قائم بالعدل . فهذا هو العدل وهو الوزن الحق والوزن الحق هو الذي به ظهرت هذه الألوان وبهرت وسرّت الناظرين . لو أن اللون البنفسجي في البنفسج الطبيعي زادت مادته النحاسية عن (٣٠) في المائة لم يكن بنفسجيا بل كان أسود ولو كان أقل كثيرا لكان أزرق صافيا

هذا هو الوزن في عمل الله ولم نعرف جلاله إلا بدراسة الألوان . فبالدرس أدركنا معنى - ووضع الميزان - ومعنى القيام بالقسط ومعنى القول المشهور « أسست السموات والأرض على العدل » ولو اختلف الوزن في عناصر هذه المواد لم تكن تلك الألوان واختلف النظام وذهب الجمال الذي أبدع الله عيونا لترسمه على شبكتها وتوصله الى عقولنا لنظرائ ذلك الجبل الذي زين الأرض والسماة للناظرين وقال - إنا جعلنا ماء على الأرض زينة لها - . ثم هو ألهم عباده أن يقلدوه وهاهم أولاء قدماء المصريين يقلدوه في الصنعة وقلدته جميع أهل الأرض في زماننا ماعدا أكثر المسلمين ولما قلدوه وزنوا وزنه ، فهو قد وزن في مصنوعاته وهم وزنوا في مصنوعاتهم تبيانا لقوله تعالى - وألّا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا

الميزان - . يقول تعالى : وضعت الميزان ووزنت كل ماؤن وكل ماؤن وكل متحرك وكل ساكن لأجل أن لا تزيدوا في ميزانكم ولا تنقصوا بل تعدلون وترزنون بالتوسط في مصنوعاتكم لئلا تختل وتقيموا العدل في أعمالكم بميزان لئلا يختل نظام مدينتكم ، فالعدل في وزن المصنوعات يجعلها جيلة والعدل في القضايا ووزنها بالقسط وزنا علميا قانونيا يحفظ دولكم ومدنكم ويجعلكم في الأرض سعداء ، ولاجرم أن الصناعات واجبة وجوبا كفائيا كما قدمناه في أكثر مواضع هذا التفسير وأن التقدير فيها يورث الذلة في الدنيا والعذاب في الآخرة ، فياحسرة على أم الاسلام تلك الأمم التي أورثها الله أرض الأمم البائدة ، وقد دفن تحت أرجلهم صناعات قدماء المصريين والآشوريين والبابليين وأهمخت من قبلهم ، فلما زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وظهرت كنوزها وتحذت الأحجار دهش نوع الانسان وقال : ماذا في الأرض ؟ ولقد صدر الناس أشتاتا كل يسعى لعمل يجد فيه ، وقد جنت كل أمة وكل فرد ثمرات ما عملوا في هذه الحياة الدنيا ، والآخرة على مقتضى الأعمال في الحياة من خير ومن شر

كل هذا والمسلمون لم يحركوا ساكنا وأكثروهم نائمون وعلماء أصول الفقه ينادونهم أن شكر المنعم واجب ولاحد إلا بعد معرفة النعمة ونعم الله ملأت السهل والوعر ١ فالكم تجهلونها ولا تعرفونها ، وتكفرونها ولا تشكرونها ! ولاشكر ولاحد إلا بمزاولة النعم وتقبلها وفهمها ، فان نظرتكم فوقكم رأيتم الطيارات مخلقات من فوق رؤسكم وان نظرتكم تحتكم ألفتيم صناعات الأمم الذين من قبلكم ولم تبلغوا معشار عزهم وان نظرتكم في الامم التي معكم في أرضكم هذه ألفتيموهم سبقوكم في الصناعات أجيالا وأجيالا أما أن المسلمين أن يتعلموا صناعات الأمم ويدرسوها - وقل اعملوا فسيروا الله عملكم ورسوله والمؤمنون وسندون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - انتهى صباح يوم الأحد ٢٠ يناير سنة ١٩٢٩

﴿ جوهرتان في آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ ﴾

(الجوهرة الأولى) في صور الأصباغ والزينة والجمال في المصنوعات الإلهية تفسيرا للآية

(الجوهرة الثانية) فيها جاء في علم الألوان حديثا ونحوه

﴿ الجوهرة الأولى في صور الأصباغ والزينة والجمال في المصنوعات ﴾

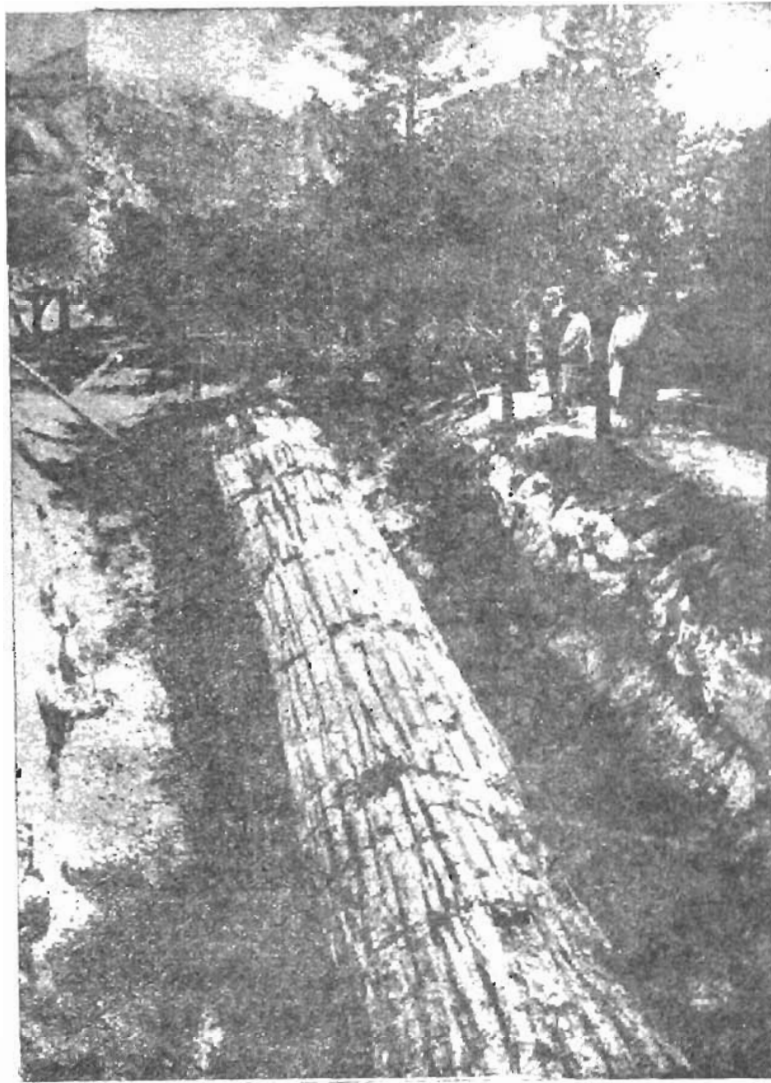
وذلك إما في النبات . وإما في الحيوان . أما الذي في النبات فاقراء في سور كثيرة أقربها ما جاء في سورة السجدة من صور النباتات المحيية ، وأزيد الآن ما جاء في المجلات المشهورة (كالصور) و (الجديد) و (كل شئ) وهكذا وهالك نص ما جاء فيها :

﴿ أشجار غريبة ﴾

يرى القارئ في الأشكال الأربعة الآتية (شكل ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) مجموعة من الصور عن الأشجار العجيبة وهي وان كانت أقل بكثير مما تصوّره رواة القصص الخيالية فهي على كل حال غير مأثوفة لدى القارئ المتواضع الذي لا يجمع به الخيال الى مثل ذلك (انظر شكل ٢٣ في الصفحة التالية)



(شكل ٢٣ - رسم شجرة ذات جدائل)
 (شجرة جديدة من نوع (يوشوا) الياباني في جنوب كاليفورنيا فروعها عديدة ملتفة كأنها الجداول المضفرة)



(شكل ٢٤ - شجرة عجيبة في (حديقة سولزما) بشمال كاليفورنيا وهي من أضخم الأشجار في العالم وأكبرها حجما ، يبلغ طولها عشرين مترا ، وقد أحيطت بسياج يحاذي خلفه السائحون لمشاهدة هذه الشجرة الهائلة)



(شكل ٢٥ - ناطحة السحاب : رسم شجرة هائلة من ناطحات السحاب (اذا جاز لنا أن نستعير هذا الوصف للأشجار) في برلين بألمانيا ويزيد ارتفاعها عن ٢٥ مترا وعمرها تسعون سنة)



(شكل ٢٦ - شجرة الفيل)

(رسم شجرة عجيبة في الحديقة الوطنية في دنفر بالولايات المتحدة وكأنها رأس فيل رفع خرطومها)

﴿ الجوهرة الثانية فيما جاء في علم الحيوان حديثاً ﴾

وأما الذي في علم الحيوان فقد ملئ به هذا التفسير، وأزيد الآن عليه (أولاً) صوراً بهيجة في حيوانات تطير من ذوات الأربع، وثانياً صوراً لأنواع ريش الطيور غريبة بديعة، وثالثاً صوراً لأنواع عجيبة من حيوان البحار، ورابعاً عجائب العلاقة الزوجية بين الطيور.

أولاً - ﴿ الحيوانات التي تطير من ذوات الأربع ﴾

يوجد الآن في الكرة الأرضية أكثر من نصف مليون نوع من الحيوانات المختلفة ولكل حيوان منها طريقته الخاصة في إيجاد ما يأكله والفرار من عدوه حتى لا يفترسه وليس يوجد مصدر للغذاء في العالم لم تطرقه الحيوانات، ولا وسيلة للحصول عليه لم تجربها، وكذلك لم تدع الحيوانات أية طريقة من طرق الخداع للافتراس أو النجاة بالحياة وكلها في نضال مستمر وعداء لا نهاية له، يأكل كبيرها الصغير وقويها الضعيف ويحتالها الساذج، فهن من أجل القوت في حرب عوان وخدع دائمة، فالحيوان الواحد في وقت واحد طالب ومطلوب، فإذا كان يجيد الهجوم على قريسته فلا بد له من أن يجيد طرق الفرار من أعدائه الكثيرة ومن وسائل النجاة التي منحها الله لبعض أنواع الحيوان الطيران في الهواء، فيستطيع الحيوان الذي يطير أن يتخلص من عدوه الذي لا يستطيع الطيران، وتنقسم الحيوانات التي تطير على وجه العموم إلى قسمين (أولهما) الحيوانات التي تطير بحفان الأجنحة إلى أعلى وأسفل بقوة عضلية ميكانيكية مثل الحشرات والطيور والوطواط (وثانيهما) الحيوانات التي يكون طيرانها مثل قفزات كبيرة تختلف في الطول

حسب القوة الدافعة وحسب حجم أجنحتها الغشائية أو الجلدية مثل أنواع السمك الطيار والسحالي الطائرة والسنجاب الطائر

يريد علماء التاريخ الطبيعى إذا قالوا الحيوانات الفقرية ذوات الأربع الحيوانات التى لها سلسلة فقرية سوى الأسمك وتسير على أربعة أعضاء بمثابة اليدين والرجلين فى الانسان ويكون كى اثنين منها متشابهين تماماً فى التركيب والشكل . وتعرف هذه الحيوانات بأنها أرضية أى أنها تثقل على وجه الأرض بتحرك هذه الأعضاء الأربعة . وقد صار بعض هذه الحيوانات بحرياً مثل الحيوانات البحرية الزاحفة والحيتان وانقرضت أعضاءها وصارت زعانف طويلة تستعمل للتجديف فى الماء . واستطاع جانب من الحيوانات ذوات الأربع أن ينال قوة الطيران فى الهواء مثل الطيور والوطايط فتغيرت فيها الأعضاء الأمامية وصارت أجنحة تخفق بها فى الهواء . وانه لمن المفيد أن نقارن بين عظام جناح الطائر وجناح الوطايط وعظمة الحوت وذراع الانسان لئلا نرى تقارب الشبه فى تركيبها وكيف تحولت عن أشكالها الأصلية لتقوم بالوظائف التى تؤدىها فى الحياة حسب عاداتها المختلفة . ففي المنطقة الحارة فى آسيا نحو عشرين نوعاً من السحالي الطائرة . ويرى فى السحلية منها على جانبي الجسم غشاء رقيق يتصل بالأضلاع يطوى ويفتح مثل الشمسية . وان من يتأمل حياة هذه السحالي يجد أن هذا التركيب الغريب نشأ عندها من النظام المعتاد فى حياتها . فان هذه الحيوانات تعيش فى الأشجار وتسير بكل سرعة فوق الفروع باحثة عما تقتات به من الحشرات وتكون أجنحتها فى أثناء ذلك مطوية . فإذا أرادت السحلية الانتقال من فرع الى فرع أو من شجرة الى شجرة نشرت جناحها المطويين ووثبت فى الهواء دون أن تخشى السقوط . وأما الحيوانات الثديية التى تطير أو تقفز فى الهواء فلو اُحدها منها قطعتان كبيرتان من الجلد على جانبي الجسم تعرفان بالجناحين الغشائيتين أو بأسفل الصدر كما فى بعض أنواع الفالنجير وهو حيوان من نوع (الكالنجارد) وأصغر نوع منه الفأر . ويمكن الفالنجران يعيش على الدوام فوق الأشجار بدون أن يضطر الى النزول الى الأرض فينب فى الهواء ناشراً غشاءه لينقل من غصن الى غصن ومن شجرة الى أخرى . وهناك أنواع كبيرة من الفالنجير تشبه السنجاب ويستطيع الواحد منها أن يمرق بغشائه فى الهواء مجتازاً فوق نهر عرضه ٤٠ ياردة

وأما السنجاب الطائر فليس من أنواع الفالنجير ولكنه من فصيلة الحيوانات القارضة وهو يعيش كذلك فوق الأشجار ويمرّق فى الهواء بغشائه الجلدى نحو خسين ياردة . وفى الهند نوع من السنجاب الطائر يمرق فى الهواء ثمانين ياردة . وفى بلاد الملايو حيوان اسمه (الكوبجو) وهو لا يتصل بأى نوع من أنواع الحيوانات . ويرى بعض العلماء انه يقرب من فصيلة الوطايط . ويقرب حجمه من حجم القمل ولكن أرجله صغيرة دقيقة وينتهى بمخالب معقوفة . وغشائه الجلدى يمرق به فى الهواء يغطى جميع جسمه ويتبدل من جميع نواحيه وهو يعيش كالأنواع السابقة فى الأشجار . ويمكنه أن يمرق فى الهواء مسافة قدرها سبعون ياردة . وفى جزائر الفيليبين نوع صغير من هذا الحيوان يعرف القراء كيف تطير الوطايط بأجنحتها الجلدية الخالية من الريش . وان من يتأمل جناح الوطايط يجد مكوّن من غشاء رقيق يتصل بالساق وتخلله عظام هى أصابع العضو الامامى . ويوجد أنواع كبيرة من الوطايط تعرف بوطايط الفواكه . ويبلغ طول أجنحة بعضها خمسة أقدام وتسمى وطايط الفواكه فى الهند والملايو وأستراليا بالتغالب الطائرة لأن لها أذناناً صغيرة ووجوها كوجوه الثعالب . وهى تمام انتهى (انظر شكل ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فى الصفحة التالية)



(شکل ۲۷)



(شکل ۲۸ - الوطایط أثناء نومها رهی تحمل صغارها)



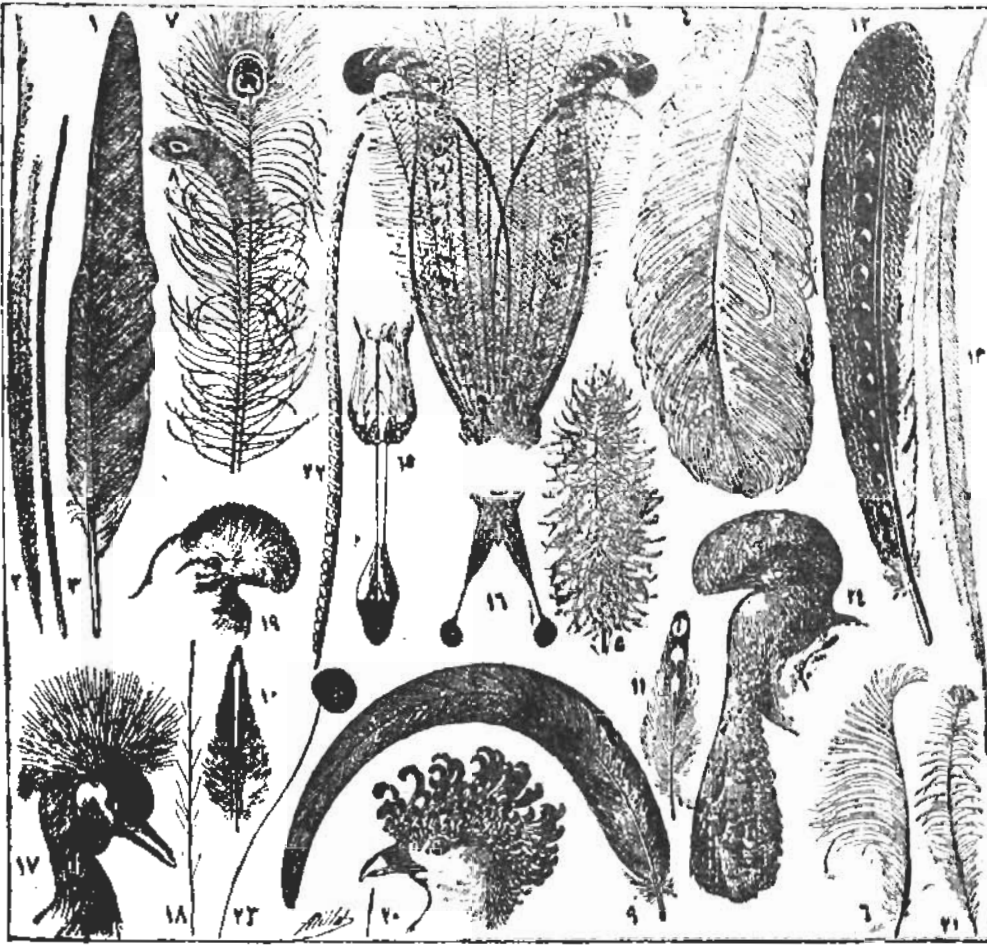
(شكل ٢٩ - وطواط طول جناحيه خمسة أقدام ويسمى بالثعلب الطائر)

ثانيا - ريش الطيور البديع

جاء في مجلة « كل شيء » ما نصه :

بعض الطيور زاهي اللون متناسق الريش تتماوج الألوان وتترقق الأصباغ المختلفة عليه حتى لقد فتن الانسان بجمالها وصار يصيد الطير لكي يحصل على ريشه ويتزين به . والاوروبيات مولعات بريش الطيور يضعنه في قبعاتهن حتى صار جلب الريش تجارة واسعة النطاق يشغل فيها الصيادون من مختلف البلدان . وكان أكبر ضخايا هذا الصيد أنواع (أبي قردان) المختلفة فقد كان الصيادون لالحاحهم على صيدها يبيدونها لولا أن تدخلت الحكومات ووضعت الشرع المختلفة لحمايتها بعض الشيء

وذكور الطير هي التي تزين بالريش الباهر الزاهي . أما الإناث فتبقى عادة في سداجتها وهذا ظاهر في الدجاج فان الديك يزين دون الأنثى وهو وقت مغارة الأنثى يزيف ويتطوس كأنه يشعر بجمال ريشه أو كأنه يدرك أوتوهم أن الأنثى تعجب به وهذا هو الشأن في معظم الطيور وخاصة تلك التي تقتات بالأثمار . أم الجوارح الطير كالعقاب والصقر فلا يزهو لونها لأن زهوتها تتم عليها فتدل فريستها فتحذرها . وقل مثل ذلك في أنثى الطيور جميعها فانها ساذجة لازينة لها . لأنها لا تحتاجها إلى الحضانة تخشى أن ترى وهي تحضن بيضها فيهمج عليها خصمها ويقاثلها أو يأكل بيضها فن مصلحتها ودواعي بقائها أن تختبئ لا أن تظهر . ولكن الذكر ليس في حاجة إلى ذلك (انظر شكل ٣٠ في الصفحة التالية)

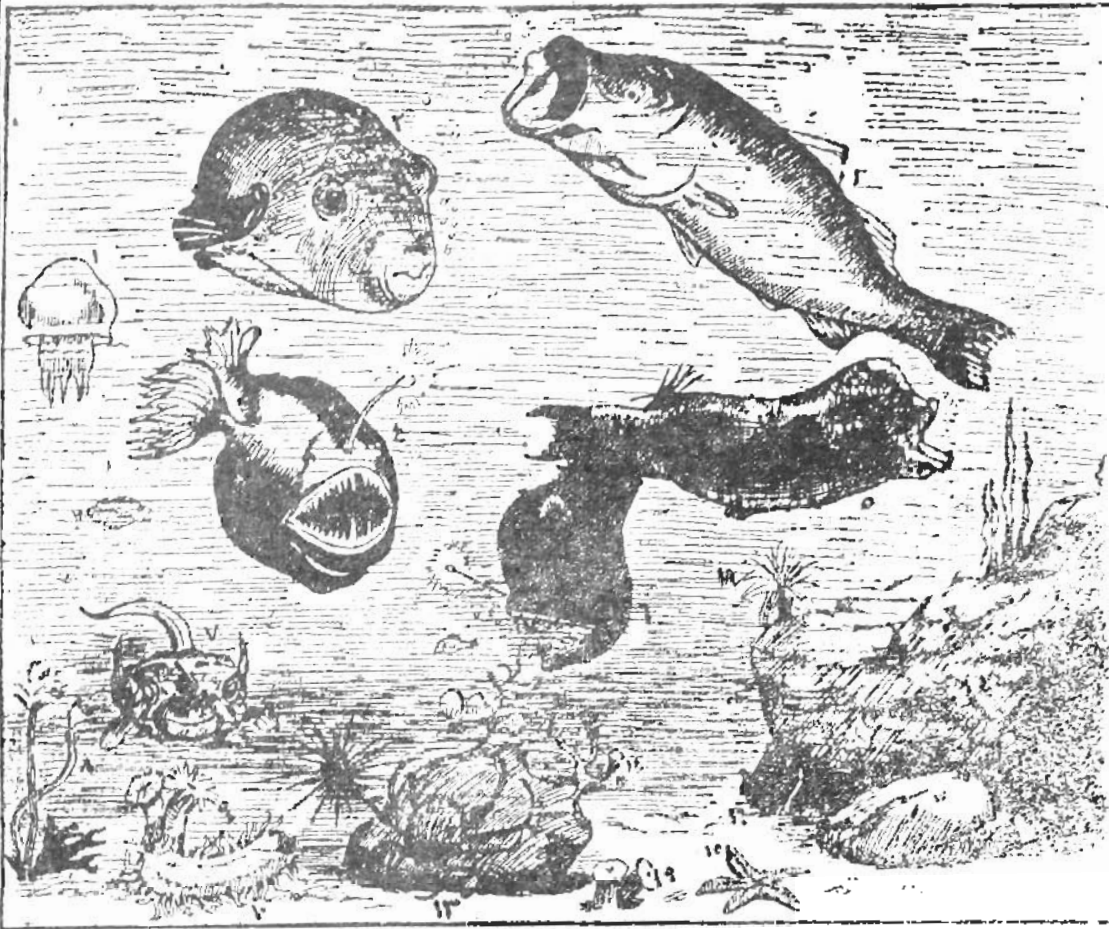


(شكل ٣٠ - رسم ريش الطيور البديع)

الريش عند مختلف الطيور : (١) العقاب (٢) الكاسوار (٣) نوع آخر من الكاسوار (٤) النعامة (٥) اللقالق الهندي (٦) أبو قردان (٧) الطاوس (٨) الطاوس أيضا (٩) و (١٠) و (١١) من ريش الديكة (١٢) الارغوس (١٣) عصفور الجنة (١٤) طائر القيشارة (١٥) الموموت (١٦) العصفور الطنان (١٧) نوع من أبي قردان (١٨) و (١٩) و (٢٠) و (٢١) ريش آخر من أبي قردان أيضا في بلدان مختلفة (٢٢) الابتريدفور (٢٣) المانوكود (٢٤) الكيفالوبير

ثالثا - حيوانات قاع البحار

في قعر البحار والمحيط حيث يبلغ ارتفاع الماء الذي فوقه نحو ميل أو أكثر تعيش أنواع من الحيوان عجيبة فان أجسامها مؤنثة بحيث تتحمل ضغط الماء الشديد لأنها تعيش وكأنها تحمل مدى حياتها عمودا من الماء ارتفاعه ميل ، ولجها لذلك لا تستطيع أكله لأنه جاس لا يمتص ، ثم هي لأنها تعيش في ظلام دامس كثيرا ما تستغنى عن عيونها ولها بدلا منها حساسات تشبه حساسات القطة تتلمس بها الأشياء فتعرف الفريسة وتميز العدو ، وأحيانا يكون لها ضوء يشع ، فإذا كان لها عينان رآته واهتدت به ، ويرى القارئ في شكل ٣١ طائفة من هذه الحيوانات (انظر شكل ٣١ في الصفحة التالية)



(شكل ٣١)

في (١) قنديل يشبه المظلة ، وفي (٢) سمكة تسمى بالون لأنها وقت الغضب تنفخ نفسها فيكبر حجمها وفي (٣) سمكة تعد من أشرس الأسماك وأقدرها على القتال ، وفي (٤) و (٦) سمكتان تعيشان في أعماق مكان في البحر وفي كل منهما أعضاء منسيرة ، وفي (٥) سمكة تسمى الخروف ، وفي (٧) سمكة القنفذ ، وفي (٨) و (٩) و (١٠) نباتات بحرية ، وفي (١٢) بيض سمكة تدعى الأوليغية . وفي (١١) حيوان من الشائكة وفي (١٣) سرطان . وفي (١٤) مرجان . وفي (١٥) نجمة البحر . وفي (١٦) و (١٧) و (١٨) حيوانات أخرى من الأنواع الدنيا

رابعاً - العلاقة الزوجية بين الطيور :

جاء في مجلة « مصر الحديثة » ما يأتي :

ذكر الدكتور (واشرد و دسجود) ناظر علم أنواع الحيوان (زولوجي) أن الطائر الكبير الجليل المعروف باسم (النساف أبي القرن) يحفظ العلاقة الزوجية حفظاً ممتازاً على نمطه من الطيور . وهذه العادة الجميلة معروفة للفرجة في متحف التاريخ الطبيعي بواسطة الأوكار التي يعبأ هذا الطير بيضها . يعيش هذا الطائر في (جزر سومطرة) و (بورنيو) وفي شبه جزيرة ملقا في المحيط الهندي . وبنى اختار أنشاه قصب يها إلى شجرة مجوفة واتخذها مقراً لأنشاه حيث تبيض وتقف فراخها وتربها هناك ولما حال قسرع الأنثى في بناء جدران المدخل في جوف الشجرة بالطين و بمواد أخرى . يساعدها الذكر في ذلك وهو يقف خارجاً ويردد أنشاه من وقت

الى آخر . يحمل اليها ما تحتاج اليه من الغذاء . فتظل الأنثى ساجدة الشجرة مدة البيض والحضانة وتربية الفراخ الى أن تطير ولكن الذكر يحفظ عهد الأمانة لها فلا يتركها ولا يهملها بل يخدم حاجاتها . وهذه العادة الراسخة التي يتصف بها النساف تؤدي الى سلامة الفراخ ووقايتها من السنجاب الذي هو أعظم خطر يهددها . ومن القروء التي تكثر في غابات المناطق الحارة . وهكذا نرى في الحيوان من الوفاء والحرص على ذويه ما لا نراه في كثير من بني الانسان (انظر شكل ٣٢)



(شكل ٣٢ - ذكر النساف خارج باب العش ومتقاربا ناه عمتد من الداخل يتناول منه الطعام)

﴿ جمال العلم وبهجة الحكمة ﴾

رب إن الهدى هداك وآياتك نور تهدي بها من تشاء . هاهي هذه الآيات اللاتي أوجبت النظر في الأبيض والأحمر والأسود واختلاف الأوصاف والأحوال . ولما اطلع على هذا ذلك العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير قال : هنا أمران جديران بالذكر . أمر نباتي ، وأمر حيواني . أما الأمر النباتي فهو الدرة التي أمكن أن يستخرج النجوم من عيونه وورقه ورقا للكتابة . وأما الأمر الثاني فهو الجراد الذي عم البلاد المصرية في هذه الأيام والسورية والحجازية والنجدية والسودانية وكلاهما داخل في الآية لأن الآية تشمل الحيوان والنبات . فقلت له : أما كون ورق الكتابة يستخرج من حطب الدرة فقد تقدم في هذه السورة في قوله تعالى - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها - فهذا من الرحمت التي أطلقها الله للناس فلم يمسكها أحد ، فإذا تريد بعد ذلك . قال : أنا أريد أن تحيط اللثام عن ثمرات هذا الخير للأمم الاسلامية بأن تجعله موضوعا اقتصاديا كما هو شأنك في هذا التفسير إذ نراك تفهم القروش في صغيرات الأمور وكبيراتها فتأخذ منها سلاحا لقتل الجهل وأحياء العلم ، ولكنتك لما كتبتها قديما تقدم رأيك لم تعنق عنها شيئا ولم تحت المسلمين على اقتضاء آثار العاملين النافعين لأمتهم . فقلت : لقد أضرت في قلبي بهذا السؤال نار الحسرة وأثرت في نفسي نائرة الحزن والأسى على أتم منة قت كل ممزق كانت سراجا للعالم مضيقا وشعسا مشرقة فأقبل لي بها وأدبر ظهرها وأصبحت في حلك الظلام ، ذكرتي بما قاله العلامة (سديرو) المؤرخ الفرنسي في (صحيفة ٢٦٨) في النسخة المترجمة وهذا نصه : « وقد استعمل العرب بيت الابرة من ابتداء القرن الحادي عشر في سفر البحر والبر » وخارج الصلاة وصنع الورق من الحرير سنة ٦٥٠ ميلادية في سمرقند وبحاربي ثم استبدل يوسف بن عمرو سنة ٧٠٦ ميلادية القطن بالحرير فصار القطن يستخرج منه الورق المسمى (الورق الدمشقي)

الذي ذكره المؤرخون ، وأنشئ في أسبانيا معامل من الأقمشة البالية وسابق أهل ولطيه وقسطالونية في هذه الصناعة أهل كرتيبوه واستعمل ورق العرب في القرن الثالث عشر بقسطيله أتى شاع منها استعماله في فرنسا وإيطاليا وإنكلترا وألمانيا ، ولكن ورق الكتب العربية المكتوبة بخط اليد يفوق ورق الفرنج لطافة ولعانا كما فقه بما كان العرب تختاره من تزيينها بألوان والأحبار والأزهار . وما أسلفناه هو كيفية ظهور تحم العرب في جميع فروع تمدن أوروبا الحديث ومنه يعلم انه من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر كان عند العرب أوسع ماسمح به الدهر من الأدبيات وأن نتائج أفكارهم الغزيرة واختراعاتهم النفسية تشهد أنهم أساتذة أهل أوروبا في جميع الأشياء كالمواد المختصة بتاريخ القرون المتوسطة وأخبار السيلاحات والأسفار وقواميس سيرالرجال المشهورين والصناعات العديدة المثال والأبنية الدالة على عظمة أفكارهم واستكشافاتهم المهمة ، ولهذا كله وجب الاعتراف برفعة شأن هذه الأمة المحمدية ، الخ

وقد قال قبل ذلك بأسطر : « إن اختراع العرب الورق وبيت الابرة وبارود المدافع قد غير الحلة الأدبية والسياسية والعسكرية في جميع الدنيا » وقال : « ولا عسيرة بما زعمه بعض الفرنج من انه سلب من العرب شرف ذلك الاختراع ونسبه للصين مدعيا أنهم عرفوا ذلك منذ زمان قديم ، وأبطل ذلك بأن الطباعة لو كانت معروفة عند أهل الصين لنقلها عنهم العرب ، فأما بيت الابرة فليس من المعقول أنهم عرفوه وهم لم يزالوا الى سنة ١٨٥٠ ميلادية يعتقدون أن القطب الجنوبي من الكرة الأرضية سميرتلاظي (ومعلوم أن الابرة تنبج للقطبين) وهل عرفوا استعمال البارود استعمالا مختلف الأفانين الذي بقي أثره عند العرب المشهود لهم باستعماله أصنافا من القل في حصارهم مكة سنة ٩٩٠ ميلادية وباستعمالهم في مصر في القرن الثالث عشر البارود المتخذ من ملح السبعجات يرى به نحو قلل ذات صوت كالرعد ، وذكر استعماله أيضا في معرض وصف البحرية التي عقدها ملك تونس مع أمير أشبيلية في القرن الحادي عشر كما استعمل في حصار جبل طارق سنة ١٣٠٨ ميلادية ، وحصار اسماعيل ملك غرناطة لمدينة (بأظله) سنة ١٣٢٤ وحصار طرطوش (سنة ١٣٤٠) وحصار مدينة الجزيرة سنة ١٣٤٢ وحقى المؤرخ (فراراس) أن الرصاص رمى بالبارود في تلك الحصارات فابتدأ نصارى اسبانيا من ذلك الوقت باستعماله ، اه

هذه بعض ذكريات الماضي أيها الذكي التي أثرت أنت نائرتها في قلبي . ماذا أقول وقد عمّ الجهل وطمّ ولم يستيقظ كثير من المسلمين للجهالة الفاشية ولم تطلع الأجيال المتأخرة على أمثال هذه الأقوال التي يذكرها الفرنجة ، نعم قد حكم الترك أبناء العرب وتسمى ملوكهم بأسماء خلفاء الاسلام فنعوا العلم منعابا فأظلم ليل المسلمين لاسيا العرب قرونا وهذا زمان الغز والعلم

هاأنذا ذكرت لك الورق وانهم أخذوه عن الصين ولم يكن له أصل إلا الحرير فاخترع المسلمون في زمن الصحابة والتابعين أي في العصر الأول أن يكون من القطن وارتقت الصناعة حتى صار من الخرق البالية في اسبانيا ، ثم صارت أوروبا كلها تتعلم منهم ولم يصلوا بشهادة المؤرخ الفرنسي لحسن الورق العربي الجليل ، وهاهوذا يقول : « إن أوروبا عالة على الأمم الاسلامية العربية في صنع البارود وبيت الابرة والورق وهذه الصناعات قلبت سياسة الأمم وآدابها وعسكريتها

إن الذي أذل الأمم الاسلامية عموما والعربية خصوصا « أمران أولهما سبب لثانيهما في الأمر الأول « الجهل « الثاني « التفرق : جهلاء متفرقون ، جمعهم الدين والعلم وقد نسوهم ففسهم الله ففترقوا ولكن الله عز وجل يريد اليوم جمعهم بعد التفرق ، وهذا التفسير من مقدمات النهضة الاسلامية ، ومتى وصل علم هذا الكتاب وما فيه الى آذان أمراء العرب وملوكهم وبقية أمراء الاسلام وملوكهم دهشوا ويقولون في أنفسهم لم يكن ليخطر ببال علماء الدين أن القرن الأول النبوي يحتوي على عجائب مثل اختراع صنع الورق

من القطن بدل الحرير . أكثر المسلمين يظنون أن العصور الثلاثة الأولى ليس فيها إلا الحديث والفقه فقد ظهر كذب هذا الرأي وأن الورق والبارود قد استعملوا في أوائل تلك القرون الثلاثة وهذان مع بيت الإبرة سبب للرقى الحاضر في فروع الحياة ، وسيقول ساسة المسلمين حين يقفون على هذا : « إذن نحن لسنا على نهج الصحابة رضوان الله عليهم لأننا حصرنا عقولنا في صغائر الأمور ونسينا ما تكتنه عقولنا من الآراء السديدة والحزم الشديد والحكمة والاختراع ، فلماذا لانفكر فيما لدينا من الزرع والشجر وكيف يكون القوم قد اتخذوا من حطب الذرة ورقا . آواه : لقد فعلوا ما فعل أجدادنا أيام النبوة . أجدادنا استغنوا عن الحرير الذي عرفوا من الصين انه منه يصنع الورق بالقطن . وهؤلاء الفرنجة قالوا بل نحن نستخرج الورق من الخشب بدل القطن الذي عرفناه من المسلمين بل نستخرجه أيضا من حطب الذرة . حطب الذرة الذي لا قيمة له أصبحت له قيمة شريفة اذا صار ورقا . إذن في حقولنا من الثروة مالا حصر له . حطب متروك منبوذ جعل ورقا . وعيدان مبتذلة صارت ورقا . وكم في الأرض وفي الزرع من منافع جهلناها . فلنتقدم على العلم ثم العمل ولنفكر » هذه هي التي يقولها أشرف المسلمين حين يقرؤون هذا القول ويوقنون انهم مقصرون وأن تقصيرهم إنما جاء من الجهل والجهل هو آفة الانسانية الآن . انتهى الكلام على الأمر الأول

﴿ الأمر الثاني وهو الجراد ﴾

فقال صاحبي فأفص القول في الأمر الثاني وهو الجراد . فقلت له : أما الجراد فاني لم أطلع على أحواله كما اطلعت على الكلام في حطب الذرة . فذا سمعت منك فيه قولاً أمكنتني إذن أن أوجه الخطاب لأهم الاسلام ذا كرا ما يناسب المقام . فقال :

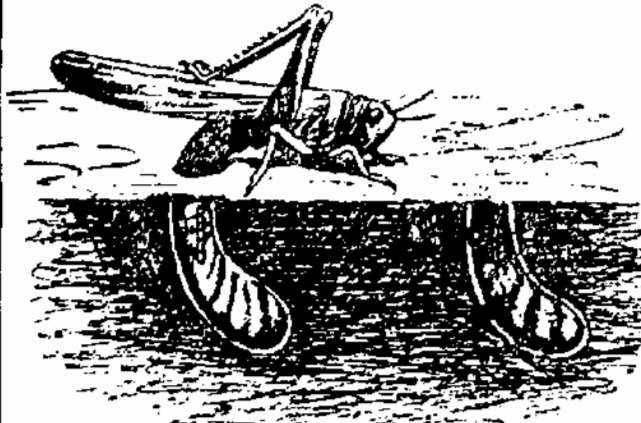
﴿ غارة الجراد الكبرى على مصر في شهر ابريل سنة ١٩٣٠ ﴾

جاء في مجلة « الدنيا المصورة » في ١٣ ابريل سنة ١٩٣٠ ما يأتي :

﴿ غزوات الجراد في مراکش . انظر شكل ٣٣ ﴾

انقضت جيوش الجراد فدمت المزروعات والحقول في ممالك جة . فهي في مصر والأفغان وبلوختان والعراق وسورية والحجاز واليمن والسودان والحبش وشمال افريقيا . وقد خرج الفلاحون من مراکش يلتقون الجراد ويجمعونه في أكياس . وقد خرجوا أيضا مرة أخرى في وقت الفجر تحت ارشاد شيوخ القرية لمكافحة الجراد . ثم جاء مالمخصه ان الجراد أنواع ونوع منه يسمى الجراد الراحل هو الذي يهجم على مصر وهو يؤكل في الهند مقلوا بالزيت ويأكله العرب في بلادهم وفي السودان يحفظونه ويحفظونه فيكون طعاما . ويعتقدون انه يشفي بعض الأمراض . ويقال انه ينشأ في السودان والحبشة وبلاد العرب ويحدث فيتناسل ويفقس ثم يرحل وفي رحلته يسير (٦٠) كيلومترا في الساعة وله مواعيد محددة ، جراد السودان الذي يغير على مصرياً لها في مارس ويرحل بعد أن يكون طاف ببلاد العرب ، وله بين كل عشر سنوات وخمس عشرة سنة غارة كبيرة رهيبه ، وآخر غاراته سنة ١٨٩٠ سنة ١٩٠٥ سنة ١٩١٥ سنة ١٩٣٠ م وقد جمع أهل مصر سنة ١٩١٥ م نحو (١٣) مليوناً كيلوجراماً من الجراد ونصف مليون ، ومن بيضه (٤٢٤) كيلو جراماً من البيض وهو ٢٧ ألف مليون بيضة ونصف مليون والأبني تضع بيضها بأن تمد بطنها وتحني طرفه كأنها زاوية قائمة مع الأجنحة وتحفر حفرة تفرز فيها بطنها (انظر شكل ٣٤) وتضع البيض كتلا كل كتلة أشبه بمنقود كل عنقود يكون ما بين (٨٠) و (١٢٠) بيضة . وقد تكون كتلتها (٥) أو (٦) ثم تسد الحفرة وتفرز عابها مادة بيضاء كزلال البيض فتتجمد وتسد الثقب وبذلك تحفظ الفقس من الحشرات وغيرها . وطول البيضة (٨.٨) مليمترا وعرضها (١.٨) مليمترا وطول الكتلة (٤) سنتيمترا . والدكر ينهش الأتني بعد وضعها فيكسر رأسها فيعض عليها . وبعد مدة من (٣) الى (٦)

أسابيع ينفقس ويخرج الجراد الصغير المائل للخضرة ثم يسودّ بعد ساعات قليلة ويغير جلده خمس مرات كالأفاعى وفي كل مرة تخرج بحجم أكبر ثم تظهر الأجنحة وتكمل في مدة بين (٤٠) و (١٠٠) يوم فيكون أحر اللون شديد الخطر ومنى بلغ قلّ خطره ويهتم إذن بالناسل . نغطره وهو أحر اللون شديد فاذا كبر كان خطره في النسل . وقد هجم الجراد على مصر هذه السنة (١٩٣٠ م) من جهة السودان أولا ثم من جهة (طورسينا) ثانيا . وقد أرسلت بلادنا المصرية بعثة لتعرف مصدر الجراد فرأت تلك البعثة أنه ينشأ في جبل عليّة (بشديد الياء) وفي وديانه في السودان . وقد عرفت أن هذا الجبل وودياته هي أمان حصون الجراد وهو أعظم منطقة للجراد وتناسله (شكل ٣٣) و (شكل ٣٤)



(شكل ٣٤ - الجراد توضع البيض)

(شكل ٣٣ - الجراد)

فلما فرغ من كلامه قلت له : فاذا أقول لك ؟ ان هذه مما احتوته هذه الآية فان فيها الأجر والأخضر والأصفر . فقال أريد أوضح من ذلك . فقلت هي تدخل في قوله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم - . فقال : العموم هنا لا يكفي . فقلت : أليست من آيات الله تعالى - فقال : أنا أريد ما هو أوضح . فقلت : هي آيات مفصلات . فقال : مفصلات ! الآيات المفصلات هي آيات القرآن . فقلت : وآيات الأكوان . ألم يقل الله تعالى - وكل شيء فصلناه تفصيلا - . فقال : ولكن جعلك الجراد وحده آية مفصلة يعوزه دليل خاص . فأولا أذكر الدليل الخاص على انه آية مفصلة . وثانيا كيف كان آية مفصلة وما برهانه وما نتاجه التي ستظهر في بلاد الاسلام بسبب هذا التفسير . فقلت : أما كون الجراد آية مفصلة فهو ما قاله الله تعالى - فأرسلنا عليهم الجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات - فالجهال يسمعون هذه الآيات وتمر عليهم وهم لا يعقلون . وأما حكماء هذه الأمة الذين سيأتون بعدنا فانهم يعلمون أن التفصيل سيظهره العلم الذي يلهمه الله لقلوب واعية اسلامية في مستقبل الزمان . فان حكماء هذه الأمة اذا تدبروا أحوال الجراد الذي يصيب البلاد العربية خصوصا والاسلامية عموما يفهمون أن هذه آيات العلوم

(١) أولا للأحوال الاقتصادية

(٢) وثانيا للأحوال السياسية

(٣) وثالثا للإصلاحات الدينية

(٤) ورابعا لعروج النفوس الانسانية الى عالم القدس والجمال والفرح بالحكمة والبهاء والصفاء فقال : لقد شرحت صدرى بهذا التفسير قبل أن تفصل تلك الآيات فان هذه العنوانات العظيمة لتدلى على علم وحكمة تؤخذ من هجوم الجراد على مصر في الأزمان القديمة والحديثة ، فأشرح لى الأمر الأول وهو الأحوال الاقتصادية . فقلت : لقد خلق الله هذا الانسان في الأرض ورباه وعلمه السياسة والاقتصاد ولكنه الى الآن لازال طفلا صغيرا وهذا الطفل تصيبه الكوارث والنوازل والمواقظات فهو يرتقي قليلا قليلا ولكنه

بطيخ الخمر، هذا الجراد أرسله الله على أهل مصر بلادى فى قصة موسى وفرعون ليكون زجرا لفرعون إذ أذاق بنى اسرائيل عذاب الطوفان، ولكن ليس القرآن لأجل بنى اسرائيل وحدهم ولا لموسى وإنما هو لنا، فالتة يقول لنا: « هذا الجراد أرسلته عقابا للناس على سوء فعلهم » فلتبحث عن سوء أفعالنا فالتا نجده فى أمر واحد وهو الجهل، وعلينا نحن المسلمين اليوم أن نستيقظ ونفهم. أن الله عز وجل هو الذى خلق النبات وخلق الحيوان. ومن الحيوان الجراد. وأعظم حصن للجراد جبل عليه (بقشيد الياء) فى السودان والوديان التى بجانبه. فى هذا الجبل يخلق الله الجراد ومنه يصدر الى البلاد الاسلامية كما تقدم. فلتبحث إذن فى هذه. أمى نعمة أم نعمة؟ إن الله يقول: « فأرسلنا عليهم الطوفان - فهو بدأ بالطوفان وثنى بالجراد. فأى طوفان فى مصر؟ هو طوفان النيل. فكما طغى النيل على مزارعنا فى مصر اتخذنا له جسورا وقناطر لحفظنا فالتفنا به. إذن الطوفان الذى هو آية مفصلة أرسلها الله على أهل مصر قد عرفنا حقيقة أمره والانتفاع به فأصبحت بلادنا اليوم عامرة يسكنها (١٤) مليوناً بعد أن كانت نحو مليونين منذ قرن. ذلك بأننا فهمنا هذه الآية وهى طوفان النيل لحفظنا وانتفعنا بمائه فصار نعمة بعد أن كان نعمة. هذا هو تفصيل آية الطوفان فالتبع الكلام على الطوفان بالكلام على الجراد وهو الآية الثانية المفصلة فنقول:

كما أن النيل يهلك الحرث والنسل إذا ترك وشأنه وينفع الناس إذا حوفظ عليه. هكذا يكون أمر الجراد: الجراد أهمه يخرج من (جبال عليه) فى السودان كما يخرج النيل. والنيل قد انتفعنا به. أفالتفعل هكذا فى الجراد. إن الله يقول هو آية مفصلة. أما تفصيلها لفرعون وآله فأمره ظاهر. وأما تفصيله لنا فانه يحتاج الى حكمة وعلم فأقول:

كما أن الماء يحفظه يخرج الزرع ويدبر الضرع هكذا الجراد فيه منافع عظيمة اذا عرفنا قيمته فهما هو ذا إحصاءه سنة ١٩١٥ ميلادية ببلاد مصر. فهو كان نحو (١٣) مليوناً كىولوجراماً من نفس الجراد و (٤٢٤) كىولوجراماً من البيض. ولما شاع أمر الجراد فى مصر سنة ١٩٣٠ فى أثناء طبع هذا التفسير كتبت للحكومة المصرية فى جريدة الاهرام قائلاً: « أيتها الحكومة. لقد قرأت قريباً أن الجراد فى بعض الممالك قد أخذته شركة أورو باوية وعصرته واتخذت منه زيتاً وهذا الزيت كان خيراً من كل زيت فى الطيارات (أقول وكأن الله عز وجل لم يطلع من قبلنا على ذلك الزيت لأنهم لم يستأهلوا تلك النعمة. أما نحن اليوم فأهل لها) ثم قلت: وما بقى من جسم الجراد بعد العصر جعلوه علقاً للبهائم »

هذا ما كتبتة للحكومة المصرية. ثم لم تمض أيام على هذه الكتابة حتى جاء من بلاد البلجيك نبأ رسمى فى خطاب للحكومة المصرية يقال فيه: « الى أين تصدرين الجراد، وإلى أين تصدرين بيض الجراد؟ » وهذا الخطاب يراد منه أن تلك الشركة تريد أن تقوم بشراء ذلك الجراد وذلك البيض لتصنع ما صنع بالجراد الذى قرأت عنه فى بلاد جنوب افريقيا، وقد أدرجته فى هذا التفسير سابقاً وكتبت به الحكومة المصرية كما قلت آنفاً كل هذا حصل فى هذه الأيام وحكومتنا المصرية لم تحرك ساكناً. والسبب فى ذلك أن البرلمان والحكومة مشغولان بمعاهدة الانجليز والاستقلال بالامور السياسية، ولوانهم كانوا فى حال أحسن من هذه لقال قائلهم « إن أجسام الجراد البالغة (١٣) مليوناً من الكىولوجرامات لو اتنا عصرناها زيتاً للطيارات واستخرجنا منها (٦) مليوناً من الكىولوجرامات زيتاً، فإذا يكون ثمن ذلك كله، فلو أن الكىولوجرام الواحد بقرش واحد لكان عندنا (٦) ملايين قرش وهى (٦٠٠.٠٠٠) جنيه، وليس من المعقول أن يكون هذا الثمن حقيقياً بعد المصاريف بل يكون أضاعافاً مضاعفة، فإذا أضفنا اليه ما بقى من جثمان الجراد وهو (٧) ملايين فانه لا يقدح عن نصف قيمة الزيت المذكور لأنه يكون علقاً للبهائم يعنى عن القول والبرسيم بل هو أجل وأحسن. إذن الجراد فى ظاهره نعمة وفى حقيقته نعمة. فالحكومة المصرية التى صرفت مائة ألف جنيه لاحتراق الجراد ومطاردته

وأنلافه لو أنها عصرت زيتها وجعلت جثثانه علفا لأخذت من ذلك أضعاف ماضوته
فأنا أذكر هذا إبقاءا للمسلمين بعدنا أن يفكروا في هذا ويبحثوا حقيقة ما قرأت أنا في الجرائد ، هل
عصيره زيت للطائرات وهو خير لها من كل زيت ، وهل الجنان الباقي بعد العصر خير علف للبهائم ، فليبحثوا
وليفكروا وليعملوا هذا في مثل مصر من كل أمة لم تعتد أكل الجراد ، أما الأمم التي تأكله كبلاد العرب فالأمر
فيه ظاهر ، هونعمة حقا وصدة ، نعمة ساقها الله لهم وهي ظاهرة واضحة ، فلنأس يدفعهم حب حفظ الحياة
الى الاتحاد على المقاومة كما يتحدون على حفظ جسور النيل ، وهذا الاتحاد بقوى عاطفة المودة بين الناس ويلهب
الشعور العام بين الناس في الوطن الواحد وفي الأوطان المتجاورات . هذه هي الآية الأولى من آياته المفصلات
وهي الاقتصادية

﴿ الآية الثانية من آيات الجراد وهي آية الأحوال السياسية ﴾

اعلم أن أبناء العرب في مراکش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام والعراق والموصل وهكذا في
الصحراء الكبرى والسودان . كل هؤلاء يلبغون عشرات الملايين . فهذه أمة واحدة أصبحت أما متفرقة
لأرأى لها ولا أمير يجمعها ولا عالم يوقفها بل هو قوم مختلفون وطوائف متشاكسون . فأنا الى الله أشكو
واليه أضرع أن يهدي هذه الأمم الى حال سعادتها . ويهديها الى رشدها . هذه الأمم هي أنفسها التي انشرت
في مبدأ الاسلام من أرض الحجاز ونجد واليمن فكانت في العراق شرة والموصل وامتدت الى تخوم الصين
والهند وأيضا بلاد الفرس وسمرقند وبخارى

هذا من جهة ومن جهة أخرى توغلت في السودان وفي جنوب أوروبا فتوطنت في الأندلس ثم ذهبت
الى جنوب فرنسا في وقت ما كانت حكومتها واحدة ثم أختلتمزق رويدا رويدا حتى انحلت عصبيتها
وتفرقت وجهتها وذلك أعقابها لأنهم جاعات لاجاعة واحدة وأمة واحدة . علم الله ذلك قبل أن
يخلق السموات والأرض وأن هذه الأمة بما فيها من الفضائل النفسية والنخوة العربية والقوة الأدبية
وانسكار الذات والحرص على الكرامة والشرف وحسن الذكر والاباء والشمم والكرم وما أشبه ذلك ستنتشر
في الأرض الدين وبها تموج الأمم ويحصل لعملها آثار تظهر في جميع العالم قديمه وحديثه ، وأن الأمم ستنتج
للتعليم العام في الصين واليابان وأمريكا وأستراليا . كل ذلك بما أحدثت هذه الأمة من الفتوحات في أول
نهضتها وما نشرت من صناعة الورق وبيت الابرة والبارود كما تقدم قريبا في كلام الاستاذ (سديو الفرنسي)
فأحدثت في الأرض نهجا جديدا في العسكرية والآداب والنظم

أقول : علم الله ذلك كله فأزل في القرآن (الهم) في أول سورة آل عمران تذكرة بآية - ألم تر الى
الذين أوتوا نصيبا من الكتاب - الخ التي ترجع الى أن اليهود أيام النبوة قوم انكسروا على مجد آبائهم وشفاعات
آبائهم وناموا فأذلم الله وجعل ملكهم للعرب كما تقدم وأضحى هناك ، وأن (الهم) المذكورة في أول السورة
تشير الى (الهم) المذكورة في أول هذه القصة التي بها يتذكر أبناء العرب خصوصا والمسلمون هموما أن الانكسار
على مجد الآباء وشفاعتهم بلا عمل بلاهة وجهالة ، وهذه الجهالة كما أنها انتزعت ملك اليهود منهم هكذا انتزعت
ملك العرب منهم فتفرقوا ، ومتى قرؤا هالوم الأمم المحيطة بهم وعرفوا بالتاريخ انهم أمة واحدة بل انهم هم من
خير أمة أخرجت للناس وانهم لا يلبق بكرامتهم ولا يشرف أصلهم ولا يحقائق دينهم ولا بفضائل الرسول ﷺ
أن يكونوا أجهل الأمم بمنازين بالتفرق والانحلال فلم يساوا أمة ما من أم الأرض ، فالصين ذات لغة واحدة لها
حكومة واحدة ، وهكذا اليابان اتحدت نسبا ولغة فاتحدت سياسة ، ومثلها الانجيز والألماني والفرنسيون
والإيطاليون ، فكل هؤلاء لهم لغة واحدة فكانوا أمة واحدة في السياسة ، فالعجب كل العجب أن يكون
أبناء العرب مثلا من أقاصي السودان الى بلاد الموصل ومن جبل طارق الى حضرموت والعراق لا تكون لهم

حكومة واحدة مع اتحادهم ديناً ونسباً ولغةً واتصالهم في البلاد . كل هذا تقدم مفصلاً في سورة آل عمران أقول : اذا عرفوا ذلك وأدركوه في الكتب المنتشرة اليوم وفي هذا التفسير فانهم لاجرم يسعون للاتصال فيكونون أمة واحدة كما فعلت الممالك المتحدة لكل جماعة منهم رئيسهم الذي رضوه إما من سلالة استتب ملكها عندهم وهم بها راضون ، وأما بطريق الانتخاب هيئة رئيس منتخب وهؤلاء الرؤساء ينتخبون من بينهم رئيساً كما فعلت الممالك المتحدة تماماً

هذا هو الذي تدعو اليه آية (لم) في أول (سورة آل عمران) خزنها الله في القرآن لتظهر آثارها في زماننا عند الحاجة اليها كما خزن الفحم الحجري في الأرض وأبرزه الآن لنتفح به . هذا ولم يقتصر وعظ هذه الأمم على الآيات المسموعة القرآنية بل أنزل لهم آيات فظروها بعينهم وهي آيات هذا الجراد المفصلات ، إن الجراد كما تقدم من الآيات المفصلات ، فهو آية مفصلة في الاقتصاد كما تقدم وهو آيات مفصلات في السياسة ، أرسله الله على هذه الأمم وهو يهاجم مثلاً مصر تارة من بلاد السودان وتارة من طريق طور سيناء ، ويهاجم العراق والشام وهكذا . فهذه الآية واضحة ظاهرة مبينة فإن الجراد يهجم على بلاد العرب من مراكش الى العراق والموصل يذكر أبناء العرب مثلاً ويقول لهم : « أنا الجراد . أمتي أمة واحدة . فإذا هاجت بلادكم المرة بعد المرة ولكرة بعد الكرة وأنتم تقتلونني وتحاربونني وتطاردونني وتحرقون وتملكون مئات الملايين وملايين الملايين من جنودى فهل تفرقنا شيعاً ؟ وهل اختلت صفوفنا ؟ أفليست الجحافل الجراد التي هجمت على دياركم سنة ١٩١٥ هي مثل الجحافل والجيوش الجراد التي هجمت على بلادكم في سنة ١٩٣٠ وهكذا سأرجع لكم الكرة بعد الكرة نذكركم بالاتحاد وستجربون اذا قرأتم العلوم وتورثتم إذ تقولون يا ويلتنا أعجزنا أن نكون مثل هذا الجراد فتتحد مع اخواننا ونكون مملكة واحدة كما اتحدت أمة الجراد كما قال أحد ابني آدم - يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخى - بل ان سوأة التفرق والتخادل في البلاد العربية الاسلامية أعرق في الفضيحة وأظهر في الخزي من جسم غراب وقع فوق الأرض » فهذه أم وأم ربما تبلغ ثمانين مليوناً تفرقت شذرمذروم تعقل ماعقله الجراد يفرزته إذ اجتمع وكوّن مملكة واحدة وقد جعله الله آية يقرؤها المسلمون في أمثال هذا التفسير فيرجعون بحمد الله ويكونون مملكة واحدة . وهذا آت بعد نشر العلوم في هذه الأقطار

﴿ تذكرة ﴾

آيات الله على ﴿ قسمين ﴾ آيات مسموعة ، وآيات منظورة ، والآيات المسموعة هي الكتب السماوية ، والآيات المنظورة هي هذه العوالم المشاهدة ، وللأول الإشارة بقوله تعالى - إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون - وللثاني الإشارة بقوله تعالى - ويرىكم آياته فأى آيات الله تنكرون - وبقوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ وهي الآية التي نحن بصدد الكلام عليها . وبقوله - ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى - وبقوله - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - وبقوله - ألم تر أننا نسوق الماء الى الأرض الجرز - الخ فهذه كلها آيات مشاهدة والآيات المشاهدة يحاسب عليها الناس اذا قصروا فيها لأنها في الحقيقة المقاصد الحقيقية للآيات المسموعة . ألم تر أن الله بعث غراباً يبحث في الأرض ليرى ابن آدم كيف يواري سوأة أخيه . فالغراب إذن مبعوث لنا ليرينا . والجراد مبعوث لنا ليرينا ، وكل هذه آيات مفصلات لنا ، إن جميع الأمم في الأرض وجميع أنواع الحشرات والطيور والكواكب مبعوثات لنا مسخرات لتكون باعثاً لنا على الفكر والبحث والنظر فتنتفع بها في الحياة وتذكر به العقول . واذا كان الغراب علمنا صناعة دفن أمواتنا أفليس هذا معناه أن كل ماحولنا يعطينا دروساً من دروس الحياة . وهل أنزلها الله في القرآن

لمجرد التلاوة . كلا . ثم كلا . بل ان القرآن كتاب أنزله الله للناس مبارك ليذروا آياته وليتذكر أولوا الألباب
إذن هذا القرآن نزل لفتح أبواب العلم على مصراعيه لأولى الألباب . فذا وجدنا فروض الكفايات قدوجبت
بمقتضى آية التوبة - فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة - الخ فليزدنا تأكيداً ذلك الوجوب بما نشاهد من
آيات الحشرات والحيوانات المنظورة اللاتي تعطينا دروساً ودروساً والله هو الولي الحيد . وبهذا تم الكلام
على الأمر الثاني من آيات الجراد المفصلات وهي الأحوال السياسية

﴿ الأمر الثالث وهو الكلام على الإصلاحات الدينية ﴾

إن أهل هذه الأرض قد أنزل الله لهم ديانات في أوقات مختلفات . وهذه الديانات متى تنزلت عليهم تؤل
في آخر أمرها الى أحوال تلك الأمم وأخلاقهم وعوائدهم وهذا دين البوذية والبراهمة . هذا الدين حرم أكل
الحيوان شفقة ورحمة : وذلك نظرياً سطحياً . إن أكل الحيوان هو عين الرحمة . إن من قرأ ما تقدم في سورة
﴿ سبأ ﴾ من أن الأرض (تلك الحشرة التي تبني لها مدناً فوق الأرض وترفعها (٦) أمتاراً كثيراً وتوسع الى
مدى أميال . وهذه المدن لا يقدر على هدمها الانسان إلا بالديناميت كما يفعل في الجبال اذا أراد أن يقطعها
بالطرق الحديدية)

أقول : إن هذه الأرض لها في كل سنة وقت معلوم تصد فيه من ذريبتها ذات الجناح آلاف الملايين تخرج
كلها في ساعة معينة وتطير في الجو طلباً للتناسل ورغبة في ضوء الشمس ولعيم الهواء . بعد الحس في تلك المدن
المظلمة مع آبائها وأمهاتها العمياء التي تدبر مملكة شاسعة لها منافذ ومنافذ عليها حراس أشداء أقوياء من
تلك الجنود العمى ذوات الأسلحة الفتاكة التي لا تدرك إلا بالناظير المعظمة . وهذه النرية ذوات الأجنحة
المذكورة الطائرات في الجو الفرحات بأنما ستتم بالتناسل والزواج وعليها حليتها من الأجنحة البهجة الجميلة
الحريرية لا تلبث في الهواء إلا زمناً قليلاً ثم تقع على الأرض ، وهناك تتلقفها الأفاعي والסקلاب والهرير وأنواع
أخرى من الحيوان حتى الانسان فتصطاد وتؤكل ويحمصها الانسان ويجعلها مع السكروريا كلها

فهذه مخلوقات نظمت بحكمة وصدرت في زمن معلوم لحيوانات تأكلها . وهكذا نرى الاسود والنور
وسائر السباع ذوات الأنياب المحددة والجوارح في السماء ذوات المناقير المتنوعة المحدودة . كل هؤلاء هؤلاء قد
منعت من أكل النبات وأبيح لها أكل الحيوان . وهذه العصافير تأكل الدود وهي مأكولة لغيرها . وهكذا
الحيات والعقارب تأكل الحشرات . وكذلك سمك البحر بعضه آكل وبعضه مأكول . بل الانسان والحيوان
اذا هلكن خلقت أمم الدرد في أجسامها دلالة على انه لا معطل في هذا الوجود . هكذا الجراد هنا يخرج من
مواطنه في (جبل عالية) ووديانه ومن غيره و يغزو الأمم كرة بعد كرة فيكون غذاء لها ومتاعاً الى حين ، فثله
كمثل حشرات الأرض اللاتي تخرج كل سنة في وقت معين والحيوانات تنظرها طعاماً شهياً . فهكذا هذا
الجراد يخرج في سنين معلومة كما تقدم وآكلوه منتظروه فلأمعطل في الوجود . إذن أهل الديانات اذا لم
يتفطنوا لعلوم هذه الكائنات فانهم يعيشون جاهلين ويموتون غافلين . فلبس نظام هذه الدنيا مبني على
مجرد الخواص بل هو يجري بقواعد صادقة ثابتة مبنية على العدل والحساب - لا تبديل لكلمات الله -
والحمد لله رب العالمين . وبهذا تم الكلام على الحال الثالثة وهي اصلاح الديانات

﴿ الحال الرابعة . عروج النفس الانسانية الى عالم الجمال ﴾

وهذه تنتهي ما ترقى اليه النفوس وتخرج اليه الأرواح . فان نفوسنا اذا فكرت في أمر الانسان والحيوان
اعتراها الشك والوسواس وقالت : وهذه الدنيا بأسرها دار وبال وخسران . فأهل الديانات في شقاق
والأمم في ضلال والحيوان آكل ومأكول وهذا الجراد يغزونا ونغزوه . وما هذه الدنيا إلا الوبال والخيال
هذه آراء جميع العقلاء في هذا العالم الانساني إلا قليلاً منهم وهم المنسكرون . أما العاقبة فهم للاحساب لهم

لأنهم آمنوا بظواهر الديانات وهؤلاء في طبقة خاصة يدخلون الجنة . فأما المفكرون فأكثرهم يتخبطون في دياجي الظلمات شاكون متحبرون . وليس يرق منهم إلا أفراد قلائل . فهؤلاء يدرسون العلوم الرياضية والطبيعية ولهم عقول مفكرة وآراء محدودة وتكون آراؤهم متوجهة الى الكليات لا الى الجزئيات . ففي أمثال هذا المقام تكون عقولهم في بحافل الجراد المنشرة الطاغية على بلاد مصر والشام غير مقصورة على آلام الناس من الجراد ولا على أكل الناس له بل يكون النظر متجها الى القاعدة العامة وهي ان هذه الأرض أشبه بشجرة والحيوانات والنباتات من فوقها أشبه بأوراق على أغصانها ، وتلك الأوراق تذبل وتحل محلها أوراق أخرى والغصن ياق الى أمد معلوم . فهذه هي حال الأرض وأحوال هذا العالم . مادة شكت بأشكال مختلفة بنظام جميل مدعش . فالمادة كالشجرة والأشكال كالأوراق ووراءها قوة مدبرة منظمة حاسبة لكل مخلوق حسابه ونظامه . فهي تزوجه وترقشه وتسوقه الى حكمة من الحكم الكونية البديعة النظام . وهذه الطائفة التي لا أشك أن منها قراء هذا التفسير هي التي ترى ربها وتفوز فوزا عظيما بعد الموت وتكون في أعلى عليين وتفوق العباد (بتشديد الباء) الذين جعلوا جميع حياتهم فيها وهم خلو من هذه العلوم الجلية فالعباد هم الصالحون ولهم عند الله أجر عظيم . أما المفكرون بهذا المعنى فهم الصديقون وهؤلاء مقامهم بعد الأنبياء وهم في الدنيا هداة لأهل الأرض وفي الآخرة يرون ربهم ويفرحون به وهم مستبشرون . كتب يوم الأحد ١ يونيو سنة ١٩٣٠

﴿ بهجة هذه الآيات ﴾

(من قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها - الى قوله تعالى - كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور -)
كيف يخشى الله من عباده العلماء ؟

اللهم إنا خلقنا في هذه الأرض ، ولم ندر من أين أقبلنا ، ولا نعرف متى نموت ، وإذا متنا لاندري الى أين ننقل ومع من نعيش ؟ وعلمنا في هذه الحياة علم ضئيل مع ان الحياة بحر لجي واسع الأكنايف عظيم عميق فلاندري أوله ولا نعرف آخره . وغاية الأمر أننا نسمع في كتابك الكريم تقول لنا - بحبهم ويحبونه - ونقول - وهو الغفور الودود - ونقول - إن ربكم لرؤف رحيم - فأنت تحب وترحم وتغفر وتود . هانحن أولاد نظرننا في هذه العوالم المحيطة بنا فألقيناها بحسب احساسنا جوامد وسوائل وغازا كالخجارة والماء والهواء ، ومن هذه تشككت عوالم وعوالم اتفعتها ، ولكننا اذا أقفلنا أعيننا وفكرنا ونحن في حال الصفاء فأننا نحس أن هذه العوالم كأنها نور في خيالنا ونحس بأن وراءها قوة عالية تحمل هذه الأنوار الثلاثة التي نتخيلها أمانات توصلها إلينا وهي الأرزاق والعواطف والعقول ، فأما الأرزاق فما هي إلا نتائج لأحوال خاصة لتلك الأنوار المتخيلة في عقولنا وماهي إلا العناصر التي أظهر العلم أنها جميعها أنوار متراكمة متحركة أبدا ، فإذا تخيلنا العناصر المادية نورا في أنفسنا فهمي في حقائقها نور جفا وإن كان نورا متلبدا حتى أصبح مظلم . وهذه الأنوار الحاملات لأمانات الأرزاق الواصلة إلينا هي أيضا حاملات لعواطف وأخلاق تؤثر في حياتنا كلها . وهذه العواطف نراها واضحة ظاهرة مجسمة في رحمة الأم وفي عشق الفتى والفتاة . رحمة الأم والعشق والحب الشهوانيين في الشبان هما أشبه بأنوار البترول الذي نجعله سببا في اضاءة منازلنا وأشبه بالشمع الذي نوقده فيها أيضا . فإذا كان الشمع المتخذ من أقراص عسل النحل والبترول المستخرج من الأرض قد أضاء آلتنا منازلنا بعد غروب الشمس . فكذلك نرى الرحمة والحنان والعطف ثم الحب المتنزلات من العالم القدسي الساري في الأنوار التي عبرنا عنها بالمادة قد ظهرت في الأم بهيئة

رحمة وفي الذكور والاناث من الانسان وغير الانسان بهيئة عشق ، البترول في الأرض وشمع العسل أيضا آلتا في منازلنا والشمس أضأت العوالم كلها . ما أشبه ضوء الشمع ونور البترول برجة الأم وتحاب الزوجين الذكر والأنثى . وقد جعلت لنا ضوء الشمس العام وانقشاره كضرب مثل لعموم رحمتك وحبك وودك . إن البترول والشمع من المواد الأرضية والأرض من الشمس . ورحمة الأم وحب الذكور للاناث في كل حيوان أثر من آثار الرحمة العائمة التي وضعها الله في الأرض نبراسا وهدى لنا بها نهدي الى فهم رحمتك وحبك وودك حتى اذا درسنا ذلك عشنا سعادة سعادة لاحد لها وأمانا أمانا لاخوف بعده .

فهاك أيها الذكي شذرة من شذرات رحمة تعالى العائمة وموازنتها برجة الأم وودّه وحبه بمودات الناس وحبهم فنقول أولا : ليس الحب من الله والودّ والرحمة كما نرى في حبنا نحن ورحمتنا . إن حبنا ورحمتنا حيوانيان وحبهم ورحمتهم هو قدسيان والله مقدّس عن المادة . فحبنا ورحمتنا انفعال في أنفسنا وحبهم ورحمتهم قدسيان لانعرفهما إلا بآثارهما في الآفاق وفي أنفسنا . ومن آثارهما حقن الأم وحب الذكور للاناث وغرامهم بهنّ وبالعكس . ولا ريب أن نتائج رحمة الأم بولدها مواصلة الجذّ والتشهير والسهر على راحة الذرية وجعل جسمها وآرائها وماها وقفا على تلك الذرية من الشفقة والحنان كما يفعل ذلك نفسه العاشق . ولكن على طريق الولوع بالوصال

ومن عجب أن نتائج رحمة الأمهات وعشق الفتيان لفتيات إن هي إلا حفظ بقاء النوع الانساني مثلا . فتأتي رحمة الأم الحرص على بقاء ولدها ، ونتائج العشق والغرام من أحد الصنفين للأخر إنما هو إيجاد ذكور وإناث يخلفان هذين المتعاشقين

الله أكبر : أصبحت نتائج الرجات ونتائج أنواع الغرام منصبة على بقاء الأشخاص وبقاء الأنواع . فانظر نظرة واعجب من علوم الأشعار التي أذاعها العشاق ، وأنواع المرائي التي يرى بها الناس موتاهم وأحزان الأمهات والآباء على أبنائهم فكأنها موجّهات الى تمحي بقاء هذا النوع الانساني ، فماذا يريد العاشق ؟ يريد الوصال ، وما نتائج الوصال إلا حصول ذرية ، وعلام تسهر المرأة اذا مرض ولدها ؟ تسهر على صحته مؤمنة أن يعيش ، إذن الحب والرحمة منصبان وموجهان معا لغاية واحدة هي غاية حياة الأشخاص وحياة الأنواع فاذا سمعت جيلا يشب في بئنة ويقول :

وأول ما قاد المودة بيننا * بوادي بغض يابئين سباب

وقلت لها قولا وقالت بمثله * لكل كلام يابئين جواب

وسمعه يقول :

واني لأرضى من بئنة بالذي * لو أبصره الواسي لقرت بلا به

بلا وبالأستطيع وبالمنى * وبالأمل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة المحبلى وبالحول ينقضى * وأخزه لانتلقى وأوائله *

ثم علمت بعد ذلك أنه كلما كان الحب شريفا طاهرا كان أبعث على الأعمال الشريفة ورفعته الشأن وكبر النفس وارتقاها مراق عالية في مدارج الرقي في الحياة . وبكس ذلك اذا تنزل للشهوات الحيوانية فانه ينطفي ولا يؤدى مقصوده ، وبالجملة حب الذكر والأنثى إما أن ينتج الذرية وهنالك ينقلب رحمة للذرية فان انتهى بالشهوة نفسها وبمجرد المتعة فانه يكون حقيرا إذ به تسفل النفس وتذل وعاقبته وخيمة ، فأما اذا كان العفاف والشرف فتأججه تحصل في نفس العاشق فان همته تعلو . فتنتج الغرام إما علو في نفس العاشق اذا كان عفيفا . وأما ذرية ينقلب الغرام الذي كان أولا رحمة بها . وأما سقوط مروءة مع الدناءة والخسة اذا انتهى بالشهوة البهيمية وحدها فان الذم والعار في الدنيا يقتربان بالفاسقين

أقول : اذا سمعت ذلك فاعلم أن الحب على (ثلاثة أقسام) حب أدنى . وحب أوسط . وحب أعلى . وقد علمت مراتب الحب الأدنى وهو الحيوانى فان نتيجته الصحيحة (الثبات لاغير) نتيجة ترفع نفس العاشق الى العلا . ونتيجة توجه لاحداث الذرية . فأما الحب الأوسط فانه أعلى من الحب الأول وهو حب العلوم . وحب العلوم إما أن يكون موجها للعمل بحيث تكون مباحث العلوم لها نتائج راجعة للمجموع الانسانى كالعالم الرياضى والطبيعى وعلوم الصناعات . فهذا كالعشق المؤدى الى ايجاد الذرية . وإما أن يكون موجها الى المباحث العامة كالتي فى هذا التفسير بحيث تكون العلوم كلها موجهاة لرفعة نفس النوع الانسانى من حيث بعث الهمم وارتقاء العزائم واحداث اليقين فى النفوس وتوجيهها الى المحبة العامة والاخوة والترغيب فى حوز المعالى . فهذا أشبه بالعشق مع العفة الذى أورت فى النفس انبعاثا الى المعالى ولكن الفرق بينهما أن ذلك انبعاث شخصى وهذا انبعاث عام لأنك علمت أن حب الذكور للامات حب أدنى وغاية الامر أن النفس الانسانية بما لها من السلطان والقوة حوائجها الى منعة لها فأحدث لها همة وعقود نفس . أما حب العلوم فهو أوسط . فاذا جعل الانسان حب العلوم وسيلة لجمع المال له خاصة كان حبه أسفل طبقات الحب وكان ذلك أشبه بمن أحب ولا عفة عنده وانتهى حبه بالشهوة البهيمية كما انتهى حب صاحب العلم بالشهوة المالية (مثال حب العلم الذى أنبأنا انه أعلى من سابقه)

ما جاء فى إحدى المجلات المصرية فى شهر مايو سنة ١٩٣٠ من نبأ بعثة علمية دولية تنسلق الجبال من كبار العلماء برئاسة الاستاذ (ديرنفورث) إذ أخذت هذه البعثة تنسلق جبال همالايا المسماة (كانش جونغجا) وهى الثانية فى الارتفاع بعد (ايفرست) وأهوال هؤلاء المنسلقين أعالي الجبال أشد من أهوال رود القطب الجنوبى ولذلك لما لأن الجليد يغطى قمم الجبال بسمك (٨٠٠) قدم ، وهؤلاء المرتادون يعيشون فوق الجليد والرياح العابثة تعصف بهم ، وسلسلة جبال همالايا ارتفاعها ٢٠٠٠ ألفا ميل ، ومن قممها ما يرتفع ٢٤٠٠٠ قدم وتزيد ، وعدد القمم المذكورة (٧٥) قمة ، ولقد حاول العلماء الوصول الى أعالي تلك القمم فحجزوا ، وقد ذهب العالم (دوجلاس فرشيلد) سنة ١٨٩٩ وقضى سبعة أسابيع فى دورته حوله ووصف المناظر التى رآها فقال انه لم ير فى حياته ما هو أجمل ولا أبهى من مناظر ذلك الجبل الذى تكسوه قطنسوة من الجليد الأبيض الناصع الذى يشبه القطن الذى المنقوش ، ولقد ورد موارد الهلاك أثناء ذلك التسلق مرات كثيرة ولقد حاولت ثلاث بعثات الوصول الى تلك القمم فلم تصل ومات أكثرهم بالرياح العاصفة وبالثلوج التى تنقض عليهم فتهلكهم . أما البعثة الرابعة فهى فى طريقها عند كتابة هذه الأسطر فى هذا التفسير فى شهر مايو سنة ١٩٣٠ م

هذه هى الطبقة الوسطى فى الحب وهو حب العلوم . يسبحان الله . نسمع مجنون لىلى يقول :
وانى اذا ماجئت لىلى أزورها بتأرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الحفرات البيض وده جليسا
وزرى العاشقين فى الدرجة الدنيا يقدمون أنفسهم للهلاك ويقدمون على الموت باطمئنان وراحة بال اذا حرموا من الخطوة بالحبوب . وفى الدرجة الوسطى وهى درجة العلماء نراهم يقدمون أنفسهم للموت سراة من أجل قمة جبل أو مناظر قطب . ولكن لما كان حب العلم أعلى كان غاما فى الشيوخ والشبان . وأما ما قبله فهو خاص بالشباب أيام حرارة الشهوة فإذا كبر قل :

قضيت سنون بالوصل وبأهلنا × فكأنها من قصرها أيام
ثم انقضت أيام هجر بعدها × فكأنها من طولها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها × فكأنها وكأنهم أحلام

هذا كلام الانسان إذ كبرت سنه وتذكر أيام شبابه . أما حب العز فهو لا يختص بسن معينة بل يزيد بكثر السن . أما الدرجة الثالثة فهي العنيا وهذه خاصة بطبقة ممتاز عن سابقتيها . فانظر لأهل الدرجة الدنيا في العشق فانك ترى عشقها محصورا في محاسن انسان خاص وهذه لم تجعل إلا توطئة للدرجة الوسطى والوسطى مقدمة للدرجة العليا وهي درجة العلماء الذين يخشون الله . فإذا خشي العاشق في أدنى الدرجات هجر تلك الفتاة التي افتتن بحماطها . وإذا خشي علماء البعثة العلمية فتك الثلج بهم في (جبال همالايا) وهم يحبون أن يقتلوه . فالعلماء المنفكرون الدارسون مثل هذا الكتاب الناظرون لهذا العالم أشد لله خشية من خشية عاشق امرأة أن تهجره ومن خشية مفلس في جبل أن يهلكه . إن خشية العاشق مقدرة بمقدار جمال المعشوق وعز قدره والناظرون للجبال والشجر والدواب والماء والزرع والثمار وما أشبه ذلك . المنفكرون في عجائب هذه الدنيا عشقهم وغرامهم لاحتله وخشيتهم لمبدع هذا الوجود لاحد لها . فهو لاء ينظرون فيقولون : إن هذا الجسم الانساني قد أخذ من الأرض والماء غذاءه وشرابه . ومن الهواء اصلاح نفسه وحروف كلامه ووصول الروائح له ، ومن ضوء الشمس هدايته للسبل وتدفئة جسمه واصلاح أحواله . ومن مناظر السماء ودوران الأفلاك عدد أيامه وشهوره وحساب سنه . وقد وزعت حواسه على هذه العوالم . فللغذاء والشراب حاسة الذوق . وللواذات كلها من حيث الحرارة والبرودة والثقيل والخفة وهكذا حاسة اللمس وللروائح حاسة الشم وللأضواء حاسة البصر وللحواء حاسة السمع . إذن هو لم يذر مخلوقا حوله إلا وجد في نفسه استعدادا لتناوله تناولا ماديا أو تناولا معنويا

يقول الحكيم في نوع الانسان العوالم كلها متصلات في فلاكواكب ولاسحاب ولاهواء ولأرياح ولاشجر ولاشجر ولانبات ولاحيوان إلا لها اتصال بي . وذلك طبعا يدعو الى التفكير فيها وهناك يبحث في الجبال الذي نقش فيها كما نظر جيل جبال بثينة وتوبة جبال ليلى وكثير جبال عزة فهاموا في ذلك الجبال الجزئي من العالم المادى وكما هام العالم (مالرى) والعالم (سومرفيل) والعالم (نورتن) بحب استطلاع جبال همالايا وطلعوا اليها سنة ١٩٢٤ م فمناصبوا خيامهم ومكثوا أسبوعين على جبل جليدى هناك حتى هبت زوبعة اكتسحتهم واكتسحت خيامهم ، ولكن حب الاستطلاع غلب عليهم ففقد رجوعا كرة أخرى وصمموا على أن يصلوا الى مقصودهم أو يموتوا فرجعوا في ٢٠ مايو من تلك السنة وانضم اليهم غيرهم ، ولكن البرد أهلك أربعة منهم فرجع الباقون كرة أخرى وطلع فوق القمة رجلا من منهم فالتهمتهما سحابة قضت على حياتهما . كل ذلك نتائج حب العلم ، وحب العلم فحيايه أكثر عددا من فحاييه حب الذكور للاناث . إن حب الشرف والمجد وهو الحب الأوسط لا تعد فحايه الغرام المعروف بالنسبة لقائه شيئا مذكورا . وأرق منه وأشرف وأعلى منزلة حب الجبال العام في هذه الدنيا . ولهذا الحب طائفة أرق وأعلى من الطائفتين السابقتين ولذتها وسرورها أعلى من سرور الطائفتين قبلهما بما لاحد له ، فثمن أغرم (الدوق ابروزى) عم ملك ايطاليا المعاصر لنا الى ارتقاء جبال همالايا ، وكذلك العلامة (دوجلاس فرشفيلد) و (الدكتور بوير) وغيرهما وقلوا جميعا . إما هلكا وإما ملكا ، وكذلك غرام كثير بعزة وتوبة بليلى ليكون غرام هذه الطائفة غير محصور في مناظر الثلج في أعالي جبال همالايا ولا جبال امرأة خاصة بل غرامها بالنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والأنهار ، فهم يمدون الجبال في تركيب أجسامهم وتركيب الذرات وخطرات الرياح وهبوب النسيم وتمایل الأشجار ونفحات الحشرات وأصوات الطيور وضوء البرق وبهجة السحاب ورؤية الضباب وسير العلماء وفهم ذرات الكيمياء ونظام الحركات الكوكبية . فالأشجار والأشجار والأنوار والظلمات والنجوم والعلوم وكل دقيق وجليل من هذا الوجود أنواع من الجبال يذكر بمحبوب غائب لم تره عيونهم ولكن أدركته قلوبهم . فهو لاء اذا سمعوا باطوى العذرى في الأمة العربية الذي ينتهى بموت العاشقين هناك قدما

أولهم الياباني الذي بلغنا خبره حديثاً . وأن كثيراً من الشبان يرمون أنفسهم من أعلى الجرف منهم من الاتصال بمعشوقتهم . وإذا سمعوا أيضاً أن عشاق العلوم والكشف للقطب الشمالي أو الجنوبي قد رضوا بالموت طوعاً لما شغف قلوبهم من الغرام الأوسط وهو الغرام بالاطلاع . فهؤلاء إذن يرون أنفسهم في ساحة من الغرام لا حد لها لما يرون من جمال لانهاية له ، وأذن يهون عليهم الموت في سبيل حبهم لذات لم ترها عيونهم هي مصدر جمال عزة وبينة وليلى وجمال الثلج في قمم جبال همالايا الذي افتتن العلماء به فناموا وهلكوا وهم يكشفون عن ذلك المحبوب

إن هذه الطاقة ترجع كرة أخرى فتتغير في أمر راحة الأم وحب الشبان فتتأخر بينهما بذل كل ما تملك الأم وما يملك العاشق . ولكن الذي صنع العالم بذل ملاحظته . فأين المناسبة بين ثياب وطعام وشراب لطفل من أمه وبين هذه العوالم كلها المبذولات للإنسان . وإذا كان ذلك لا يعرفه إلا العلماء ولا يعتله إلا هم فإن خشية الله عندهم أعلى من خشية العاشق لمعشوقه

وقصارى القول وحجاده أن في الحيوان لاسيما نوع الإنسان مبدأ ونهاية . أما المبدأ فهو العشق والحب وبهذا تكون الذرية . وأما النهاية فهو أن ينقلب الحب إلى راحة تلك الذرية وإلى الحب النافع الدائم بينهما . إن غرام الذكور بالاناث وحب الاناث للذكور لم يكن إلا الحكمة وهي حصول الولد . وهناك ينقلب غرام كل منهما بالآخر شيئاً فشيئاً إلى حب وراحة . أما الحب فإن كلا منهما يحب الآخر للتعاون على أمر الحياة وهو أشرف من الحب الأول وهناك يذبل الجمال إذ لا منزلة له فهو كزهرة الرضا يذبل إذا ظهرت الثمرات . وأما الرجة فهي أن كلا منهما يعطف على ولده عطفاً كلياً ويذبل نفسه وماله في إرضائه وهو فرح به قرير العين ، وهاتان العطفان ترتقيان عند الحكماء ، فالعشق والحب الحيواني ينقلب عند الحكماء إلى عشق العوالم كلها من حيث ادراك حقائقها ، فكما نسمع جيل بن مغمير يقول :

وما زلت يا ابن حتى لو اتى من الشوق أسنبيك الحمام بكى ليا

ونسمع عمر بن أبي ربيعة المتوفى سنة ٩٣ يقول في الغيا بنت علي بن عبد الله بن الحارث وكان قد تزوجها رجل اسمه سهيل

أيها المنكح الغيا سهيلاً * عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت * وسهيل إذا استقل يمانى

ونسمع الخزومي يقول في عائشة بنت طلحة لما تزوجها مصعب بن الزبير :

ظعن الأمير بأحسن الخلق * وغدا بلبك مطلع الشرق

ونسمع مجنون ليلى كما يقال وينسب إليه يقول :

وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خالياً

أقول : كما نسمع هؤلاء يقولون ذلك وأمثالهم كثير نسمع عدداً أكثر منهم من الحكماء يؤلفون الكتب ويولعون بالبحث في العوالم ويعشقون العلم عشقاً مفرطاً وكثير منهم مات وهو دائب في بحثه ، ومنهم من يجد لذة في مصه فيزيد فرحه فيموت من شدة الفرح ، وأكثر الكاشفين للباحث العلمية لم يكن ذلك الكشف إلا عن غرام وحب كما اتفق لكاشف أميركا (كريستوف كولومب) فقد خاطر بنفسه وبرجاله وحاولوا أن يقذفوه في البحر ولكن القدر نجاه بظهور أمارات تدل على العمران . إذن عشق العلم عند الحكماء لم يخرج عن كونه عشق الجمال ، فجمال وجه ليلى وبينة ولبنى عرفه الشاب بنظرات العين وجمال العوالم المحيطة بنا يعرف بالعين والعقل والسمع . وهناك يزداد العشق والغرام بازدياد المعرفة إذ لا غرام إلا بمعرفة . فهذا هو المبدأ عند الحكماء المقابل للمبدأ عند الشبان كما قدمنا . أما النهاية فهي (أمران) حب الله

تعالى ورجة المخالفة . فكما ترى الزوجين انقلب غرامهما الى حب أحدهما للآخر ورجة للولد . هكذا ينتج حب العلم ﴿ أمرين ﴾ حب الله تعالى حبا يليق بحمالة ، ورجة النوع الانساني . إذن قراءة أمثال هذا التفسير تنتج حب العلوم وحب العلوم ينتج ﴿ أمرين ﴾ حب الله تعالى على مقدار العلم بمصنوعاته ورجة النوع الانساني إذن كلما كثرت علم العالم بالمجائب في هذه العوالم ازداد حبا في ربه ورجة لعباده وسعد سعادته لاحد لها لأنه قد وصل الى اليقين . وهذا كله نتائج هذه الآية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر - الى قوله - إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور - اذا علمت ذلك وفهمته حق معرفته فهمت ما يقوله الامام الغزالي في الجزء الرابع من كتابه المسمى « إحياء علوم الدين » تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

﴿ بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم ﴾
(وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة)

اعلم أن اللذات تابعة للأدراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة فائدة ولذتها في نيلها لمقتضى طبيعتها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ماركبت في الانسان عينا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبيعتها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبيعتها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالإضافة الى مدركتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى - أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه - وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأساسي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لاسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراك خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الهية ولتسم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا دمه بعض الصوفية والا فالصفة التي فارق الانسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن ندم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها فمقتضى طبيعتها المعرفة والعلم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الغرائز هو لذتها وليس يخفى أن في العلم والمعرفة لذة حتى أن الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتحدث به في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطبق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرد لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك برزناح الطبع اذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لذة العلم بالحرارة والحيطة كلذة العلم وسياسة الملك وتدبير أمر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملاكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك مجده لذة وان جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه فان علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك فان اطلع على أسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألد من علمه بأسرار الرئيس فان كان خيرا بباطن

أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير دكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وجبه له أكثر لأن لذته فيه أعظم فهذا استنبان أن لذت المعارف أشرفها وأشرفها بحسب شرف العلوم فإن كان في المعلومات ما هو الأجل والأكثر والأشرف والأعظم فالعلم به ألد العلوم لأحالة وأشرفها وأطيبها . ولدت شعري هل في الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزيناها ومبدئها ومعيدتها ومدبرها ومرتها وهل يتصور أن يكون - ضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادئ جلالها وعجائب أحوالها وصف الوافين فإن كنت لانتك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها وأجزي ما تستشعر به النفوس عند الانصاف به كمالها وجلالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين أن العلم لذيد وأن ألد العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدييره في مملكته من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين فينبغي أن يعلم أن لذته المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذته الشهوة والغضب ولذته سائر الحواس الخمس فإن اللذات مختلفة بالنوع أولا كمخالفة لذة الواقع لذته السماع ولذته المعرفة لذته الرياسة وهي مختلفة بالقوة كمخالفة لذة الشبق المغتم من الجماع لذته الفاتر الشهوة كمخالفة لذة النظر إلى الوجه الجميل الفائق الجمال لذته النظر إلى مادونه في الجبال وإنما تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها فإن الخير بين النظر إلى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألد عنده من الروائح الطيبة وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل فيعلم به أن لذته الغلبة في الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الخمس وإلى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها إذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق . والمعاني الباطنة أغلب على ذوى السكك من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوز ينجح وبين لذة الرياسة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستيلاء فإن كان الخير خسيس أهمة ميت القلب شديد النهمة اختار اللحم والخلاوة وإن كان على أهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاختاره للرياسة يدل على أنها ألد عنده من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة يعد كالصبي أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما إن لذة الرياسة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعفة . فلذته معرفة الله تعالى ومطالعة جلال حضرة الربوبية والنظر إلى أسرار الأمور الإلهية ألد من الرياسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه أن يقال فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأنه أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعا فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحق الخلق الذين برأسهم له بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالسكودرات التي لا يتصور الخلق عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من إتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وأزانت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالإضافة إليها لذته معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين فمنها خالية عن المراحات والمكدرات مقسعة للتواريدين عليها لا تضيق عنهم بكبرها وإنما عرضها من حيث التقدير السموات والأرض وإذا خرج النظر عن التقدرات فلا نهاية لعارضها فلا يزال المعارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والأرض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذا الموت

لا يهدم نحن معرفة الله تعالى ومحله الروح الذي هو أمر رباني سماوي وإنما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخففها عن جنسها فأما أن يعدمها فلا - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموالا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية ولا ظنن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر أن الشهيد يتجنى في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وإن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لم يردن من علو درجة العلماء فإذا جيع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يقبوا منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جبال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا إلا أنهم يتفاوتون في سعة منزلاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطية أقوى في ذوى السكالك من لذات الخواص كلها وإن هذه اللذة لا تكون لهيمنة ولا أصبي ولا لغتوه وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لنوى السكالك مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يخص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قبل له لأن القلب معدن هذه القوة كما أنه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقوع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنبر لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف . ولعمري طلاب العلوم وإن لم يشتغلوا بطلب معرفة الأور الاطية فقد استكشفوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فانها أيضا معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الاطية فاما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشئ اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثبانه واحتماله لقوة فرجه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه الأشياء وأنه لافذة فوقها ولهذا قال أبو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف السكرخي له أخبرني بأنا محفوظ أى شئ هاجك الى العبادة والانتفاع عن الخلق فسكت وقال ذكر الموت فقال وأى شئ الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأى شئ القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأى شئ هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحببته أنساك جميع ذلك وان كانت بيدك وبينه معرفة كفالك جميع هذا . وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الفتى مشغولا بطلب الرب تعالى فقد أهواه ذلك عماسواء ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل أبو نصر النخعي وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى بأكلان وبشر بن الحرث قال قلت فانت قل علم الله قلته رغبتى في الأكل والشرب فأعطاني النظر اليه وعن علي بن الموفق قال رأيت في النوم كأنى أدخلت الجنة فرأيت رجلا قائدا على مائدة وملكاً عن يمينه وشماله يلقيانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائدا على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا قل ثم جاوزتهما الى حظيرة اقدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرؤوان من هذا فقال معروف السكرخي عبد الله لا خوف من ناره ولا شوق الى جنته بل حباله فأباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث وأحد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لاربعة ما حقيقة إيمانك قلت ما عبادته خوفاً من ناره ولا حبا لجنه فأكون كالأجير السوء بل عبادته حباله

وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما

أحبك حين حب الهوى * وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له * فكشفك لي الحب حتى أراكا
فلا الجد في ذا ولا ذاك لي * وإن كنت لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لأحسانه اليها وانعامه عليها بحفظ العاجلة وبحبه لما هو أهل له الحب لجلاله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحيين وأقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله ﷺ حيث قال ما كيا عن ربه تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقد تتجمل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية . ولذلك قال بعضهم إني أقول يا رب يا الله فأجد ذلك على قلبي أنقل من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جلسيه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة اى يخرج كلامه عن حدّ عهدهم فيرون ما يقوله جنونا أو كفرا فقصص العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرّة العين التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم منها واذا حصلت انمحصت الهوم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلوالتي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لسكالك نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لم يفهم الاحب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأى معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه أعظم النعم بل من عرف الله عرف ان اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم

كانت لقلبي أهواء مفرقة * فاستمجت مذكراتك العين أهوائى
فصار يحسدني من كنت أحسده * وصرت مولى الورى مذصرت مولائى
ترك للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك ياديني ودنيايى
ولذلك قال بعضهم

وهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا الا يثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فأما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو أن الصبي في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بهاستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والنكاح وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى - اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم ونكاح - الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سنّ التمييز وحب النساء والزينة في سنّ البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشغل بعلاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

هذا ما أردت نقله من كتاب الاحياء ، واعلم أيديك الله أن حب الله وحب العلوم المذكورين في كلام الغزالي المذكور قد مهدت له الطرق في زماننا تمهيدا أتم من الأزمان السابقة فان المسلمين في العصور المتأخرة

كانت معارف جمال العالم محصورة عندهم في كتب قليلة غير موفقة ولا منصلة وهي كتب التوحيد وكتب الفلسفة . أما في زماننا فان الله عز وجل قد أوسع دائرة المعارف وبذلها للناس فطبة والمسلمون منهم فعلمهم اليوم أن يعترفوا منها ، ولقد أخذ المؤمنون في دبر الاسلام يتفننون في فنون الحكمة ويعبدون طرقها وأحد الله إذ جعل لمن يقرؤون أمثال هذا التفسير مراقي وسلام يرتقون بها الى الأعمال الثمينة في الدنيا وفي حب الله تعالى وفرق ما بين النابغين في أمة الاسلام قبل اليوم وبينهم بعد زماننا أن النابغين في الأمم الاسلامية المتأخرة أكثرهم كان يجعل همهم الانقطاع عن الناس كما يفعل البراهمة في الهند ، أما النابغون بعد الآن القارئون لأمثال هذا التفسير ، فيؤلا ، يجدون أن الله يوجب عليهم الجنة والتشهير في سوز العالم بجميع أنواعه ، وسينبع قوم في الكيمياء في معاملها ، وآخرون في رصد الكواكب وحسابها ، وآخرون في النبات والحيوان والحشرات وهكذا ، وآخرون في علم طبقات الأرض وتكون العلوم كلها موجهة للغرضين اثنين **بـ** الغرض الأول **بـ** خدمة المجموع بها كما تحنو الأم على ولدها بالعطف والشفقة والسهر **بـ** والغرض الثاني **بـ** ازدياد الغرام بالعلم ونظام العالم مع حب الله والغرام ببقائه ، ومن يعيش يرد ، والحمد لله رب العالمين . كتب ليلة الأحد (١١) مايو سنة ١٩٣٠

(بهجة علمية في الحب والغرام)

اطلما خطر لي في هذه الآونة من المعاني الشائقة في الحب ، اني رأيت أن الأم المحبة لولدها والعالم المحب لأمنه والمحسن المحب لمن أحسن اليهم . كل هؤلاء أكثر حبا للولد وللازمة ولن أحسنوا اليهم من الآخرين الى الأولين كما هو مبرهن عليه . فاذا رأينا الله عز وجل إحسانه ورافته أعم وأدغم . أفلا يكون حبه لمخلوقاته أكمل وأعظم من حبهم له لاسيما انه يقول - يحبهم ويحبونه - مع ملاحظة الفرق بين الحبين إذ حبا له حب حادث ناقص وحبه منزله مقدس له معان غير مأنعها وعلى هذا يكون كل ألم وكل مرض وكل سوء وكل فقر لم توجه لنا إلا لاسعادنا وتكميلنا حتى نصالح للقاءه ونشاهد ذاته ، وأيضا لم نجد أبدا ولا أما ولا ماسكا ولا أميرا له إحسان يوازي احسان الله لمخلوقاته ، واحسان الله للخلق لم يكن عن كراهة إذن هو عن ذلك الذي سمينا حبا منزها عن سمة الحوادث

أقول : فهذه المعاني التي كانت تحتاج في نفسي لم أجدها تعبيرا يليق بها ولا كسوة جيالة تلبسها - حتى أظهرها في هذا التفسير ، أفلا أجد الله إذ رأت نفسي هذه المعاني بنصها وفصحا ظهرت على ألسنة قوم قبلنا فانظر واعجب أيها الدكي لما جاء في الاحياء في الحب وهذا نصه :

« أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام : لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لما تواشوا الي وتقطعت أوصالهم من محبتي ، ياداد هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف ارادني في المقبلين علي ؟ ياداد أحوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني ، وأرحم ما أكون بعبدى اذا أدبر عني ، وأجل ما يكون عندي اذا رجع الي »

وقال أبو خالد الصفار : « اني نبي من الأنبياء عابدا فقال له : انكم معاشر العباد تعملون على أمر اسنا معاشر الأنبياء نعمل عليه . أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق »

وقال عبد الله بن محمد : « سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدتها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا لقاؤه . قل فقلت لها أفعل ثقة أنت من عمالك ؟ قالت لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به . أفتراه يعذبني وأنا أحبه ؟ »

ومن خطاب الله لداود عليه السلام : « ذكرى للذاكرين . وجنتي للطيبين . وزيارتي للمستحقين . وأنا خاصة للحيين »

ويقال : الشوق نار أشعلها الله في قلوب أوليائه حتى يحرق بها مافي قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات ، انتهى

(بهجة الجلال ليلة ١٤ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هجرية)

أكتب هذا صباح يوم الأربعاء من نفس هذا الشهر . هل لك أيها الدكي أن أحدثك عن الجلال والبهجة في المزارع النضرات والنخلات الباسقات في دجنات الظلمات . هل لك أن أريك كيف يكون العلم أثناء الرياضات وتشتق الحكمة من الحقول العطرات والجلال من جوانب الطرقات

ذلك انني كنت يوم الاثنين الماضي وهو آخر أيام التشريق الثلاثة في مزرعتنا بقرب القاهرة وهي قرية من بلدة المرج أنظر في أمر الزرع والحصاد والحساب بيني وبين المستأجرين للأرض ، وهكذا كانت هناك هجمات الجراد على البلاد فقابلني الموكلون بآباده وهم يجمعون الرجال والأطفال ليهلكوا ذلك الجراد من الأرض ويبدوا صغاره اللاتي خرجن من البيضات اللواتي دفنها الجراد في الأرض وقضيت معهم زمنا طويلا حتى اذا أرخى الليل سدوله قفلت راجعا الى بلدة المرج لأركب القطار وأتوجه لقاهرة ، فاكثرت أقرب من بلدة المرج المذكورة حتى شاهدت منظرا بديعا جيلال أشعر بنظيره أمد الحياة ، وما هو ذلك المنظر ؟ هو نفسه الذي أشاهده منذ عشرين سنين ، نعم هو نفسه ولكن هذا المنظر في هذه الليلة يمتاز بالظلام الساكن الهادي فوقت والنخيل حولي من الجهات الأربع فرفعت طرفي الى السماء اذا أماني (منظران مدهشان) منظر البدر شرة ومنظر النجوم غربا . نظرت البدر بوجهه المنمق يطل من بين الجريد والخصوص وعراجين النخلات وهو يفيض على الأرض أنهارا من الفضة الدائبة كأنه ملاءة تغطي جذوع النخل وعراجينه وتغشى وجه الحقول بالبهجة اللامعة والأنوار الساطعة والجلال الباهر . وهناك في جهة الغرب كأن الكواكب قطع من الماس جيلات باهرات تنفذ أشعتها من خلال النخيل . قلبد شرقا والنجوم غربا . ذهبن باي من الجلال والنضرة والرياح عابثات بالغصون والجريد والجذوع والزروع والحشائش ذات الغوير والتمرح . وهناك سمعت غناء الحشرات في تلك الأرجاء . فهي إذن حانة جعت بين رقص الزروع والأشجار وغناء الحشرات وألحان أعواد النخيل وأوراق الزروع والأغصان . وهناك خيل الى أن البدر (وقد علا في الأفق فوق تلك النخلات الباسقات) يخاطبني قائلا : « لقد أعجبك أيها الجوهري منظرنا الجليل وآنسك ماترى من نور باهر وجمال ساحر . لقد مر في هذا المكان قبلك رجال ورجال في قرون مضت وأمم خلت أيام الفراعنة القدماء ودولتي اليونان والرومان والأمويين والعباسيين والاختشيديين والطولونيين وهكذا الى أيامكم هذه وقليل منهم المفكرون هأنت ذا اليوم حبست في الامور الجزئية والأعمال الزراعية والأحوال الاقتصادية والخبرة في أمر الجراد . فنظرنا الذي تراه يمشركم بالسعادة والبقاء . ألا ترى أن أعمالكم الجزئية المدنية من زراعية وتجارية وصناعية ليس لها مستقر ولا بقاء وحياتكم ذاهبة وأعمالكم كلها ستصبح في خبر كان . فالجاهل لا يعقل ما فوق ذلك أما الحكيم فانه يتذكر بمنظر الكواكب في سمائك . أنكم مخلوقون للدوام كما دمت أنا ودامت النجوم قرونا وقرونا فرأنا أجدادكم الأولون وهكذا أنتم لنا الليلة تنظرون . وما أنا أيها الجوهري وما النجوم إلا ضرب أمثل للدوام الروحي فأرواحكم دائمة كما دامت أنوارى على توالى القرون والسنين وأشرقت في نفس هذه البقعة درأها من قبلكم وسيرها من بعدكم . نحن تذكرة لكم بأمرين : جلال الله الدائم الباقي وإن اعترسكم الحوادث المزعجات المهلكات . وبقاء أرواحكم على مدى الزمان »

إن هذه الخواطر كلها قد استغرقت عقلى وأثرت في نفسى وكأني غير واع لما حولي . وكنت أختنى أن يمر إنسان فيكون سلامه على قاطعها للفكر فكان ذلك وسلم رجلا فرددت سلامه ولكن الفكر لم ينقطع بل ازداد وضوحا وكأني أقوأ في وجه البدر الذي فهمت من منظره هذه المعاني آيات أخرى . ذلك ان العباد في

الأهم الإسلامية أشبه بذلك النجم الذي ظهر من خلال النخلات غربا والعالم الحكيم الذي درس العلوم أشبه بنفس هذا البدر والناس بينهما درجات

يعجبنا : إن ذوى العقول الكبيرة في الإسلام إذا قصرُوا أنفسهم على علم الفقه أو العبادة كانوا أشبه بهذا الكوكب يرى صغيرا جدا فإذا درس نظام هذا العالم كان كالبدر بل حقيقة النجم لأنه كثيرا ما يكون أكبر من الشمس . إن المسلم إما قادر على العلم وإما قادر على منفعة الناس وإما عاجز . فالأول كالبدر إذا درس العلم والثاني ينفعهم في دهرهم وأمورهم العامة . والثالث المجزء يقتصر على العبادة وحدها . ومن الجهل والبلادة أن تكون العقول الكبيرة محصورة في العبادة التنظيمية بل عليهم التوغل في العلوم ليكونوا بدورا لأهم الإسلام ولا فليكونوا نافعين بالأعمال ولا فليكونوا في المساجد وهذه آخر المنازل التي تشبه النجم وهو غير في نظر الإنسان . هذا آخر ما فهمته من مناظر البدر والنجوم والشجر والزرع والجد لله رب العالمين

﴿ جوهرة في قوله تعالى - أولم نعمركم ما يتذكرفيه من تذكر وجاءكم النذير - ﴾

(تذكري)

هاأنذا أيها المسلمون قبل أن أفرق هذا العالم أكتب إليكم تذكري ونذري . أكثر هذا النوع الإنساني لا يعيش فوق الستين ، وقليل منهم من يعيش إلى السبعين ، والنادر من يجاوز ذلك إلى المائة ، والشاذ جدا يجاوزها

نظرت في هذا العمر الإنساني نظرة غير نظرة الأطباء . الأطباء في عصرنا يقولون : إن الإنسان يستحق أن يعيش (٢٠٠) سنة ولكنه يجهل وشهره وعدم انتظام شهواته قطع حياته فبات قبل ذلك ، واستدوا على ذلك سكان البادية الذين يعيشون إلى (١٥٠) وأكثر وأقل بلامرض ولاعطب وهم أقوياء الأبدان أهل صحة وقوة وجل ، ويقولون : إن الحيوان يعيش ثمانية أمثال مدة نموه والإنسان يخو إلى (٢٥) سنة وهذه بضرها في (٨) تساو (٢٠٠) فإذا حافظ الإنسان على صحته واستغنى عن العقاقير الطبية واكتفى بالماء كل البسيطة وتعرض للشمس وأكثر من الرياضات الجسمية وعاش عيشة خلوية فانه يعيش إلى المائتين كما عاش كل حيوان ضعف مدة نموه ثمان مرات

هذا حكم الأطباء وقد ذكرته في ثنانيا هذا التفسير ، وقد أجمعوا على أن ترك الشهوات والتعم والاكتفاء بأبسط الأطعمة خير ما ينفع في ذلك ، ويستحسنون أكل الذواكه فإن أمكن الاقتصار عليها فيها ونعمت والا استعان الإنسان بالحبوب والخضر وامتنع عن أكل جميع التوابل ولا يشرب قهوة ولا خرا ولا شاييا وهو الشاي المعروف ولا يدخن النبخ . ويستحسنون أن يستغنى بالقواكه عن السكر ويقلل من الملح ويأكل الخبز بالنخل . اقرأ هذا في سورة الشعراء عند آية - وإذا مرضت فهو يشفين - وفي طه عند ذكر آدم في آخر السورة وفي أول سورة الحجر عند قصة آدم وفي سورة الأعراف عند قوله تعالى - ولا تسرفوا - وفي سورة البقرة عند آية - أنسبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - فستجد في بعضها ما قرره ابن خلدون في مقدمته من أن الذين اقتصرُوا على طعام الذرة والزيت لم يقرهم الطاعون ، أما الذين أكلوا أنواع اللحوم والأدهان ونوعوا الألوان فان الطاعون بيدهم ويفنيهم إلا قليلا ، وقال ابن الأثيرين يتصفون بالصحة والذكاء والجمال والعزم والعبادة وحسن الخلق وصفاء العيش والشجاعة وأن الآخرين يتصفون بالمرض والبلادة وقبح الصورة والجهل وترك العبادة وسوء الخلق وكدر العيش والخبث

هذا كلام الأطباء فارجع إليه . وانما ذكرته هنا لأذكركم بعلم الطب ولترجع فتدرس ذلك قيما بحق

جسمك ورقيا لأمتك واسعادا لك في حياتك اذا كنت مستعدا لها ومع هذا كله است الآن في مقام كلام الأطباء بل أما في مقام آخر وهو انى أفسر آية - أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر - فأريد أن أبين لك ما يحتاج قلبي في هذه الحياة وما أعرفه من نذرها تذكرة لك وتنشيطا للمسلمين وذكرى لقوم يعلمون هذه هي تذكرتى في الحياة ، لقد نظرت في حياة الناس على الأرض فوجدت أكثر الآجال منادية لهذا العالم الأرضي ، فليقل الأطباء ماشاؤا ، وليقولوا إن الناس قد أساءوا في صحتهم وأكثروا ألوان الطعام والشراب والتفانى في المهلكات واللذات اللاتى يمنع لذة الحياة ويحبطن الانسان بالأسقام والعلل وتغيبص الحياة وقصر العمر فليقولوا ذلك ، ولكن هذا الانسان على ما به من عوج رأياه يتعلم في الأمم الراقية وينتهى تعليمه فيما بين العشرين والثلاثين غالبا فيجده حاز درجات التفوق في العلم والفنون وأخذ بعد ذلك بفيض من علمه على أمته (بعبارة أخرى) رأينا مدة النمو التى ذكروها وهى (٢٥) سنة هى المدة التى ينمو فيها علمه فكأن نمو الجسد ونمو العلم فرسا رهان معا يتبددان معا ينتهيان غالبا ، ثم يعقب تلك المدة اننا نراه يأخذ في الأعمال ويؤلف الكتب وينشر العلوم بين الناس وليس لنا في الحياة إلا علم أولا وعمل ثانيا ، فلعل حاصلناه في سن النمو والعمل متصل به ، إذن هذا العمر مع قصره قد أدى الوظيفتين وظيفة العلم في سن النمو ووظيفة العمل في السن التى بعدها ، أما قوطم انه مستعد أن يعيش فوق ذلك فر بما يكون بعض ما قالوه حينما يرتقى الانسان عن هذه الحال ويعرف حقا أن سعادة الحياة ليست باللذات الحسية بل بالصحة والعافية والعلم والحكمة والمساعدة العامة ، تلك اللذات التى لا يعرفها إلا من نالها ، وهيئات أن يقدر على وصفها لغيره من الناس الذين لم ينالوها

هذه تذكرتى في أمر الحياة اجالا ، أما تذكرتى فيما أنذره به الانسان في هذه الحياة فهأنذا أحدثك عنه فانه أهم مما قبله فأقول :

إنى وجدت هذه الحياة ترجع الى (أربعة أشياء) (١) ألم (٢) وأمل (٣) وعمل (٤) وحب وغرام فالثلاثة الأولى مقدمات والرابعة هى نتيجة الحياة

(الألم)

أما الألم فهناك وصفه اجالا فقد ذكرته في غير ما موضع ولكن أخلصه لك تلخيصا فأقول : لا ألم في هذا الوجود إلا لاسعادنا ، الحياة كماء النهر ولا سبيل لحفظ الماء إلا بالجسور هكذا هذه الحياة لاتمام لها ولا بقاء إلا بالآلام فالألم الجوع به طلبنا الطعام فدامت الحياة ، ومثله ألم العطش فتلنا الرى والألم الشبق فكانت الذرية والألم الفقر فتلنا المال والألم الذلة فتلنا العزة والألم الخمول فتلنا الظهور والمجد والألم الظم بوصفنا بالخل فاتصفنا بالكرم والألم الظم بالخور والجبن فكسبنا الشجاعة والألم المرض فتداوينا فرجعت الصحة آلامنا كلها خلقت لاسعادنا ولاشقة في هذا الوجود إلا لننتيجة نافعة . واذا رضينا أن نقطع عضوا من أعضائنا خيفة أن يصاب بقية الجسم بما أصابه واستعملنا الحية في أمراضنا طلبنا للصحة فان النتيجة لذلك كله منافعة . فاذا كانت هذه أفعالنا مع قصور علمنا فهكذا تذكر أن كوارث هذه الدنيا على هذا النمط من حفظ وزلازل واهلاك بلاد واغراق سفن . فهذه كلها أشبه بقطع سلعة من الجسم وان كنا نذكر حكمة قطعها من جسمنا ولكننا نهجز عن ادراك الحكمة في قطعها من الجسم العام كله بل علماء الاقتصاد أدركوا أن الزلازل بها تظهر ترربة جديدة فيها خصب لا نظيره في التربة كما تقدم في أول (سورة سبأ) فاقرأ هناك عند آية - يعلم مايلج في الأرض - الخ

ننظر في أحوال هذه المخلوقات الحيوانية فنجد أربع لذات وأربعة آلام والآلام سابقات على اللذات (١) نرى لذة الماء كل والمشارب والملابس والمساكن سبقتها آلام العرى أو توهمه وخوف البرد والحر

والفضيحة بين الناس . فالآلام هذا النوع من موارد الحياة سبب لطلب الطعام والشراب والملابس والمساكن
فهنا ألم تبعه أمل ثم يكون الجدة والتشجيع في طلب هذه المطالب ثم تكون المائدة بها ، فهنا ألم تبعه أمل
أوجب العمل لحصول المطالب وقد لازمه الشوق والغرام بالمطلوب

(٢) ثم نرى الناس والحيوان جميعا يسعون لاجتماع الذكر والأنثى ، فهناك ألم يتبعه أمل في الاجتماع
فيكون العمل لطلب الشريك من ذلك النوع من الانسان أو غيره والحب هنا قوى متين والغرام لازم ،
فاجتماع الصنفين الذكر والأنثى نزول آلام الشبق ، وبظهور الجلال والمواقفة والأنس تزداد اللذة كما تزداد
السعادة في أنواع الطعام والشراب بجمال المائدة وحسن الطهي وجمال الرواق ويتبع ذلك ما يرى في الزرع
والأشجار من الجلال والبهجة والحسن والاشراق . كل ذلك ترغيب في المحافظة على النبات لئتم اضججه فالجمال
صاحب المطاعم في حقولها وفي إبان تعاطيها وهذا كله يزيد اللذة والانبساط والأنس

(٣) ثم نرى هنا درجة ثالثة أعلى من السابقتين وهي أن الأبوين اللذين تعاشقا لمنفعتهما الخاصة وفرحا
باللذات والجمال فرالت آلام الشبق وحصلت على بهجة وأنس ومواقفة فتعا الأعين بحاسن المناظر والاسماع
بعذب الألفاظ وحاسة الذوق بما يناسبها كما متعا الأعين بمناظر الزرع وبهجة الانتظام في مواعيدهما وما كلفهما
ومشاربهما ومتعا حاسة الذوق بألوان الطعام

أقول : إن هذين الأبوين اللذين ظنا في أول الاقتران انهما اقترنا لحصول لذتهما الشهوية لاغير وأن
مايتعاطيانه من الطعام والشراب والملابس لم يكن إلا لأجل بقائهما وحدهما ، نراهما بعد ذلك قد أخذتا
يربيان البنات والبنين وأن الجلال منهما قد ذهب وحل محله الضعف والنحول وأخذتا يضمحلان وانتقلت
القبلات منهما الى أبنائهما وبناتهما وبعد أن كانا يتهاديان أصبحا معا يقدمان أمواهما ومايلبسان الى الذرية
فيظهر للحكيم من هذا الكتاب المسطر أمام الناس يرونه بأعينهم ولا يفقهونه وهم مسوقون مساكين مسخرون
انه لافرق بين أهل الشرق والغرب في ذلك التسخير ولا بين الانسان وأكثر الحيوان فكلهم مسخرون ولا
يدرون الى أين يساقون ، يساقون في الحياة كما يساقون في الديانات ويساقون في الحكومات . فأهل هذه
الأرض على وتيرة واحدة . تقليد أعمى في الديانات وأحوال الحياة ولأجسامهم إلا بسائق الألم وقائد
اللذة للذوق وللعين ولابقاء لأنواعهم إلا بسائق الشبق وقائد اللذات . فالعين لها نظار الجلال وشهوة الذوق لها
لذة الوصال . وإذا ولدوا للذرية ساقتهم آلام الرحمة المسلمات على قلوبهم الى الارضاع والتربية وشاقتهم صداقة
الأبناء وظهورهم وقيامهم بأمرهم في الكبر وهنا ظهر عالم جديد عالم أرقى من سابقه . نرى الحيوان في الدرجة
الوسطى يتغزل ويهوى الجلال ويموت غراما وينشد الأشعار وينصب أشراك الحب اصيد المحبوب وهو في
كل ذلك لا يدري أن هذا كله وسيلة لاغاية . وما الغاية إلا الدرجة الثالثة التي ظهر فيها رحمة الولد والعطف
عليه قاما مقام آلام الشبق هناك فهذا سائق هنا كما ساق الشبق هناك وأن انتظار نبوغ الولد وأن يقوم مقام
الأبوين بعد موتهم يقوم مقام الجلال المطلوب والأنس المرغوب وهوسائق . إذن الفرح بمنافع الولد هنا قائم
مقام الجلال المطلوب هناك وكلاهما سائق . وآلام القلب والعطف على الولد السائق هنا كالشبق السائق هناك
الله أكبر . وصلنا الى المطلوب في هذه الحياة وهو أن خلقنا يدل على أن سعادتنا العظمى لا نحصل إلا
بتوجيه الهمة لاسعاد سوانا

أنا أكتب هذا القول ولا حجة عندي فيه إلا الطبيعة المشاهدة فأنا أكتبها لأهل الشرق ولأهل الغرب
فهذا علم قام بالحجة ولا مناقض له . فليقل أهل الشرق وليقل أهل الغرب ماشاؤا وليفكر الفلاسفة والحكماء
في هذه الدرجات الثلاث . أليسوا يشاهدونها في نفوسهم . ومن حق الحكماء بعد ذلك أن يسألوا أنفسهم لم
هذه المشاق كلها في الحياة ؟ ولم نجد النبات لا يتعب في تحصيل قوته ولا له أعمال كثيرة في التناسل فالزهرات

تلقح بواسطة الهواء أو الماء أو الحشرات وهن هادئات . وقوت النبات مما - وله . ثم تنظر فتجد أدنى الحيوان لا يكون ذكرا وأنثى . كلا . فقد تقدم في سورة مريم في الكلام على المحار وأن لمحارة تند الانوف وهي هي تقوم مقام الذكر ومقام الأنثى ، فلا غرام ولا عشق ولا هجران ولا حرمان ، وهناك حيوانات ذوات منى كبرت فتجرت فتقطع الحيوان الواحد الى قطع كل منها يصبح حيوانا آخر وهذه الحيوانات تملأ البر والبحر وقد تقدم أن من أدنى الحيوان ما يكون تناسله بالانقسام بحيث يكون (٢) و (٤) و (٨) وهكذا أى ان كل واحد ينقسم الى اثنين وكل منهما ينقسم الى اثنين وهكذا الى ما لا نهاية له وسدوا تلك الحيوانات بالخلقة لأن الحيوان الأصلى موجود ولما انقسم اثنين وهذان انقسما قلنا انه حيوان خالده فأين الميت ! اللهم إلا اذا أحرق أو منع عنه الماء . كل هذا تقدم في هذا التفسير . فهنا نقول لم هذه المشاق كلها في نوع الانسان ؟ ولم أغرم كثير بعزة وجيل بيئته وتوبة بليلى . ولم نسمع بالهوى العذرى الذى يستولى على عقل الشاب فيموت في هوى من أحبها كما نسمع في هذه الأيام بما يحصل في اليابان من الهوى العذرى كما كان عند قبيلة بنى عذرة

الحكيم اذا سمع ذلك يقول : لا معطل في الوجود ولا بد لهذا النصب من نتيجة في أخلاق الانسان . وعسى أن تكون النتيجة في المرتبة الرابعة وهي مرتبة الحكماء . في هذه الأرض أناس عقولهم أرقى ونفوسهم أصفى جاؤا الى هذه الأرض وهم مفسكرون فيها . ف هؤلاء يقولون : « إن هذه الانسانية آراؤها كلها محدودة والحياة عندهم تقف أغراضها عند مقاصد جزئية وهم درجات بعضها فوق بعض يكتفى أحدهم بالمال والآخر بالنساء والثالث بالبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ويتعالى قوم الى أعلى من ذلك فيكونون محافظين على المجموع كالأمراء والحكام والملوك وهؤلاء يعطفون اذا كانوا صادقين على المجموع عطف الأبوين على الذرية ولهم لذات على مقدار ما يعملون أرقى من لذات الأبوين بالذرية ولذات المتعاشقين بدليل اما نجد القواد إبان الحرب لا تتوجه همهم إلا الى غلبة العدو وأن الملك مقدم عند عقلائهم على معشوقه . فاذا توقف حوز الملك على تركها تركها لأن لذة الملك أعلى لأنها عقلية ولذة الاقتران بالأنثى حسية واللذة العقلية أعلى من الحسية . ثم ينظر هؤلاء الحكماء نظرة عاقمة في حال الناس فيقولون :

(١) نحن عرفنا أن السوائق والقوائد في المراتب الثلاث المتقدمة لم نرها إلا في الحيوانات العليا . أما الدنيئة فلا وكلما ارتقى الحيوان وجدنا فيه هذه الأحوال أشد ونرى عطفه على الولد أكمل فلنجعل هذه مقدمة بنى عليها نتأججا في مستقبلنا مع الناس . وابسنا وشربنا وذقنا الحلو والمر وعاشرنا الأزواج . ويقولون أيضا نحن أكلنا وولدنا كما يلدون فوجدنا أن آخر المراتب نتائج المقدمات . وهناك أناس تولوا المحافظة على المجموع ولهم لذة على مقدار تلك المحافظة وهي أعلى كما تقدم

(٢) فأين مزيتنا إذن اذا وقفنا عند هذا الحد . نحن نحب أن تتجاوز هذه المراتب الثلاث وملحقاتها فلانكتفى بالذرية ولا بالملك لأن هذه كلها لذات محدودة مشوبة بالكدر والحزن والأسى وفي الذرية والعزل وكيد الأعداء في الملك واسكل من الناس درجة يصل اليها ولا يتعداها . أما نحن فاما لا نقف عند هذه الدرجات بل لننظر نظرة أعلى فنقول :

(٣) اذا ثبت أن هناك عشقا بين الذكر والأنثى وأن هذا العشق أوسع الذرية . فلدرجة الثانية أنتجت الدرجة الثالثة التي هي أعلى منها فتدجن نعشق عشقا أعلى وهي مباحث هذا الوجود كله فندرسه ونعقله لأننا أهل له وهذا العشق لانقص فيه وحكمة العشق الحيوانى انه مؤهل للعشق العلمى وهذا العشق لانهاية لمناه فهو نفسه لذة لا يشوبها كدر ولا يهترى بها نقص . واذا كان العشق الحيوانى في الشباب فالعشق العلمى يكون في الشباب ويزيد في المشيب وهناك تضعف اللذة الحسية وتقوى اللذة العقلية . ثم يقولون إنا رأينا أن الدرجة

الثالثة وهي النهاية للحَيَوان انه يعطف على الولد ويفرح به . فعطفه عليه بسائق آلام الرأفة والرحمة وفرحه به بسائق اللذة بصحته وعلمه ومنه فعه ، ويرمز هذه الدرجات كلها - لتركبوها وزينة - فلتركوب لدفع ألم المشي والزينة بحصولها في الملك والتباهي بها فهاتان ساريتان في الدرجات كلها

فهاتين أولاء يعطف على المجموع الانساني كله ونجد في السعادة بما نملك من قدرة وما نستطيع من علم وما نقدر عليه من صناعة . إن نحن آباء للناس والناس أبناءنا . فنحن نعشق الوجود كله والعشق يدعو للربط والوصل صور الموجودات في النفس ، فتي أدركنا جبل العوالم العلوية والسفلية بسورها العلمية الجلية فقد نننا محبوسا وحاصلنا في نفوسنا وهذا هو الوصل الحقيقي لأن المحبين لا يطلبان إلا اتحاد النفوس . أما الوصل المشهور الجسمي فهو وصل حسي يعقبه فتور الحب نزعاً ما . أما تحصيل صور الموجودات من حيث حقائقها فذلك هو اللذة التي نحس بها والناس حولنا تاهون جاهلون تائمون لا يشعرون ما نحس به من الجمال ومستحيل أن يصل الانسان لذلك إلا بدراسة مقدار كاف من العلوم الرياضية والطبيعية والحكمة

فنحن بهذا نننا أعلى الذات في مقابلة أخوها التي نلتها ونحن هائمون كبقية الشبان . وإذا رأينا أن نهاية هذا الانسان إنما هي الذرية والتربية . فإن نحن أولاء نسعى لتربية الجميع ، نربي الملوك والسوقة ونعطف على الكبار والصغار والفقراء والأغنياء ونحس في ذلك بلذة تقطع دونها الأعناق

ولنا في هذا الوجود نظرة عممة بعد ذلك فنقول : ههنا اشراق للشمس وضوء للكواكب وللقمر ، أرسات هذه لنا من غير عمل منا ، وهذا الضوء لولاه لم تكن لنا حياة وقد أحسنا في أنفسنا بأعمالنا القليلة واحساننا بسعادة على مقدار مازاولنا من اسعاد أبناء نوعنا ، ورأينا أن العلماء والحكماء يحبون عموم الناس نظراً لعموم نفعهم وأن الآباء يحبون الأبناء أكثر من حب الأبناء للآباء لأن الدائم يجب بقاء المدين والعالم يحب المتعلم ، والمحسن يحب من أحسن اليه أكثر من حب الآخرين للأوليين . فهذه الأنوار المشرقة وأنواع السعادات في الأرض والهواء والماء والأرض والكواكب . كل هذه ليس لنا فيها عمل ، ولقد وجدنا أنفسنا نعيش بينها وتناقي المنافع من ذات لانراها ، أفلا نقول على سبيل القياس التمثيلي وإن لم يكن يقيناً إن هذا الاحسان لم يكن إلا بناء على حب وأن تلك الذات لما أحب وجود المخلوقات نوعها ووضعت كلا في مرتبته وهذه الذات هي التي جعلت بعض الناس فرحين بالبرك والمستنقعات وأفرحت القبان بالمراحيض كما أفرحت النحل بالبناتين وأفرحت العلماء بأدراك ذلك كله وأن استعداد الحكماء أرقى من استعداد جميع المخلوقات في هذه الأرض بعد الأنبياء ، فلذلك كثر إلهامهم وتعليمهم وآثارهم وارشادهم لأهل الأرض اخوانهم وإن أعظم الحب من تلك الذات قد اختص به أولئك الحكماء بعد الأنبياء بدليل انهم أدركوا الجمال فعملوا وألهموا رحمة انبعا . فعطفوا عليهم فهم إذن صفوة الله في أرضه بعد الأنبياء بهذا البرهان ولدتهم الحقيقة أعلى من لذات الناس بعد الأنبياء أيضاً ، ثم يقولون : وإذا كنا نعلم أن تلك الذات المقدسة المحجوبة عنا تحبنا حباً أكثر من حبنا لها بدليل هذه النعم وأن المحسن أوفر حبا لمن أحسن اليهم منهم له وأن كل جنال وبها وحسن وانعام فتمها هي مظاهر ذاته المقدسة . أفلا يكون ذلك يحفزنا الى حبه والغرام به والشوق للاقائه ثم نجعل كل حياتنا وقتنا على رضائه باسعاد عباده وباقتناء آثاره فنفكر في سعادة هذا الانسان المسكين فنجد انه لا يزل في الجهالة مغموراً . ذلك انه في الشرق والغرب عاش مقطوع الأوصال لارابطة تربطه ولا جامعة تجمعهم إذ جعل اختلاف الأوطان والقبائل والممالك أسباباً للقتال . كل ذلك منه جهل وغباء . ذلك انه لم يدرس جسمه ولو درس جسمه لوجد أن جميع الجسم متصل بالأعصاب ومعنى اختلج منها عضو أسرع الطبيب باحضار الدواء وتتوارد الحيوانات التي في الدم من السكريات الحراء والسكريات البيضاء فتجتمع على ذلك المرض ويساعدها الدواء من الخارج فيبرأ المريض . فهكذا فليكن هذا النوع الانساني بعد ما اتصلت الأم بالواصلات في

زماننا . فذا حصل لاحداها ضيق أو كرب فلنقم الأمم كلها لها بالمساعدة والاتصال اليوم سهل . فأما اذا كانت تلك الأمة لاتصلح للمساعدة وزاد توحشها ولم تنجع الوسائل في تعليمها واسعادها فلتقطع من جسم الانسانية العامة كما يقطع العضو المريض اذا لم يفد فيه السواء

هذه هي نهاية آراء الحكماء في مستقبل الزمان ، فهم سيقولون بالآثم : « لتكن أيتها الأمم مساعدات بعضكن بعضا ومن لم يكن عندها استعداد لمساعدة المجموع وغلبت عليها عقائدها الموروثة فلتحتل الأمم كلها في تعليمها . فاذا فشلت جميع الطرق فلتبذل تلك الأمة ولتتركها جميع الأمم مهملة . وآخر الطب السكتي وهناك يسود السلام وتم سعادة الانسان

فهؤلاء الحكماء الذين هذه آراؤهم يفرحون من الآن بالسعادة . وهؤلاء هم الذين يفهمون آية - سلام قولاً من رب رحيم - لأن المربي الرحيم الذي عرفوه قد ألهمهم السلام من الآن . ذلك اهم أيقنوا بأن الأمراض ماهي إلا منذرات تقود للإصلاح والموت خلاص من أسر هذه الطبيعة ورجوع الى الكمال المطلق وأي سلام بعد هذا . فهؤلاء - لا يحزنهم النزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون - بل هذه البشارة عندهم وهم في هذه الحياة والملائكة المذكورون هم معهم الآن يلهمونهم العلوم والمعارف لعلمهم أنهم يبدئونهم لأنهم . فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب يوم القيامة ويلهمونهم هذه العلوم الموجبات للسلام وللأمان فيلقون العلوم للناس وهم بها مطمئنون ولا يبالون بالأعداء ولا بالخصوم والخاصة والدين فهؤلاء لاخوف عليهم في المستقبل ولاهم يحزنون على ماضى والملائكة تنزل عليهم وتلهمهم ذلك في الحياة وان لم يروهم وبعد الموت وهم اليهم ينظرون

هذا ما تذكره عند تفسير هذه الآية وهي قوله تعالى - أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير - . الله عمرني في الأرض سنين وسنين وهذه تذكرني لمن بعدى من المسلمين والناس أجمعين والحمد لله رب العالمين . انتهى تفسير ﴿ سورة فاطر ﴾ يوم الجمعة ٢٣ مايو سنة ١٩٣٠ م ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٤٨ هجرية

﴿ تفسير سورة يس ﴾

(هي مكية)

(إلا قوله تعالى - وما نأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين - فدينية)

(آياتها ٨٣ - نزلت بعد الجن)

والكلام على هذه السورة في ﴿ أربع فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في تفسير البسملة ﴾ الفصل الثاني ﴿ في تفسير الألفاظ ﴾ الفصل الثالث ﴿ في ذكر ما كنت فسرته به منذ سنين لتكون مائدة معانيها أمام القارئ منلخصة مجمعة ﴾ الفصل الرابع ﴿ في المجانب العلمية من سائر العلوم لاسيما علم الكيمياء وكيف كانت لفظة (يس) التي ابتدئت بها السورة تشير إلى التحليل وقد ظهر ذلك في قوله تعالى - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا - مما يبعث في الأفئدة شوقا إلى الحكمة وميلا إلى التعلم وحباً في استطلاع المجانب والحكم الكونية وغرائب العلم

﴿ الفصل الأول في تفسير البسملة ﴾

(مقدمة)

اعلم أن العوالم التي نعيش فيها تجري على وتيرة واحدة وأسلوب خاص لا يتغير ، وذلك أنك ترى اليوم يولد بشرق الشمس ، ويظهر ضحى ، ويشتد وقت الزوال ، ويضعف وقت العصر ، وينتهي وقت الغروب . وهكذا السنة فلها ولادة إذا حل فصل الربيع ونزات الشمس برج الحمل وأخذت الحياة تدب في الأرض وذاب الثلج ، ودبت الحشرات وانبعثت من مراقدها ، وقامت الزواحف من نومتها ، وسعت الحيات لحياتها ، وأورقت الأشجار وأزهرت الأغصان وأثمرت الحقائق وأخذت الأرض زخرفها وأزابت ، فإذا حلت الشمس برج السرطان هناك يأخذ النهار في القصر والليل في الطول وتنضج الثمار وتكون الدنيا أشبه بامرأة كاملة تكلا أبناءها وتحفظ صغارها وتعطف عليهم وهم مبتهجون ، فإذا جاء فصل الخريف وحلت الشمس في برج الميزان فهناك يعتدل الليل والنهار ثم يأخذ النهار في القصر والليل في الطول وتكون الدنيا أشبه بامرأة هزلة ولي شبابها وأدبرت أيامها وساءت حالها ، فإذا جاء فصل الشتاء وحلت الشمس برج الجدى هناك تدخل الحيات في أوكارها وتتوارى الحشرات في بيوتها وتقف الحركات ويخيم السكون على أرجائها وتكون الدنيا أشبه بجثة هامدة لا حراك لها وهكذا تبقى حتى إذا جاء فصل الربيع وحلت الشمس برج الحمل وهكذا دواليك كما قال تعالى - الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء -

فهذا نفسه هو حكم الانسان ، فهو في أول حياته كالיום إذا أشرقت الشمس ، وهو في شبابه كالشمس في فجاجها نهارا ، وفي استوائه رجلا كاملا كالشمس إذا توسطت كبد السماء وكان الزوال ، فإذا ولت أيامه وأدبر شبابه وأقبل هرمه كان كالشمس إذا آذنت بالمغيب وفارقت أهل الأرض وهم لها وامقون ، وهكذا صباه أشبه بفصل الربيع وفتوته واستوائه رجلا أشبه بوقت الزوال . فإذا ولي زمانه وشابت مفارقة وانحلت مفاصله واصفر لونه كان أشبه بالسنة إذا حل فصل الخريف وأخذت تنحل عراها وتضعف قواها فإذا ما حل في الرمس وودعوه كالأمس كان كفصل الشتاء وهكذا دواليك . ومثل ذلك كله الأمم :

(١) فلها ولادة كولادة الانسان تبدأ فيها بقراءة تواريخ الأمم ودراسة الآثار ونضرب الأمثال كالطفل إذا ابتدأ يفتح عينيه فإنه إذ ذاك يأخذ يبعث فيها حوله ليتخذ مثالا يقتدى به ومنوالا ينسج عليه وسبيلا

ينهبه ومهيأ معبدا (بشديد البناء) يساكنه

(٢) ولها أيام فتوة وقوة وعظمة اذا اشتد كاهلها وعظمت مسرتها وقويت شكيمتها كالانسان أيام فتوته وتعلم رجولته وكالسنة في فصل الصيف

(٣) ولها أيام انحطاط وضعف كما تنحط الشمس ذاهبة الى الغروب كل يوم وكلشمس تدخل في برج الميزان وبأخذ النهار في التصغر والليل في الزيادة

(٤) وأيام موت كموت الانسان واقبال الليل وحلول فصل الشتاء

اذا عرفت هذا أيها الذكي فلتعلم أن الأمم الأرضية كانت أيام النبوة قد اعترها خول وضعف تخمول السنين وموتها أيام الشتاء ، فلما أن ظهر الاسلام ثارت العزائم وانتشر العمران وهاجت الأرض وماجت وانبعثت المدينة فيها كرة أخرى إذ تدهورت المدن القديمة في الفرس والرومان وحات محالها مدينت حديثه وأخذ العرب الذين كانوا مبغضين في الصحراء لاجلهم يستخرجون العلوم من مكائنها ويدرسون تواريج أمم الفرس والروم ويقرؤون علوم الأمم شأن الصبي أيام طفوليته والحيوانات في فصل الربيع إذ تخرج من أوكارها وتقوم من أبحارها كأنها مبعوثة من أجداثها منتشرة في الأرض تسعى حثيثا للحياة ، فلما أن استقر قرار الأمم الاسلامية في أواخر القرن الثاني وقد استتب لهم الملك وعظم شأنهم أخذوا يستثمرون ما زرعوها ويحصدون ما أنبت لهم مدينتهم أيام الدولة الأموية فوقفوا الفتوحات قرونا وقرونا حتى اذا كانت أيام الشيخوخة وأيام الضعف كالشمس وقت العصر والسنة في فصل الخريف أخذت أمم التتار تكف عن هذه الأمم فرجع المسلمون أشبه بفصل الشتاء في السنة وبالنهار اذا أدبر والليل اذا أقبل

وهاهي هذه الأمم الاسلامية اليوم قد أقبلت أيام شبابها وحلت شمسها في برج الحمل ، وهاهم أولاء يحشون في كتب الأمم ويقرؤون تاريخها شأن الطفل أيام طفوليته إذ يقلد ماحوله والحيوانات المنتشرات في فصل الربيع وشأن المسلمين في القرون الأولى أيام ظهور النبوة . وهذا التفسير قد ظهر اليوم في إبان صبا الاسلام بعد نوم الأمم الاسلامية في شتاء دهرهم وخوطم ونومهم العميق ويريد الله أن يوقظهم من كهفهم ويحيي مجدهم بعد موتهم . فإذا يفعلون ؟ يقرؤون أمثال هذه السورة (سورة يس) . فإذا يقابلهم في أولها ؟ فأول ما يسمعون منها قسما بالقرآن على صحة الرسالة كالقسم بالنجم اذا هوى على أنه ﷺ ماضل وماغوى . فهذه تفرع أسماع المسلمين اليوم فيقول حكاؤهم : حقا إن النجم هو الذي يهدي الصالحين السارين في ظلمات الليالي الخائزين في الصحاري والقفار لاهتدون سبيلا ولا يحدون دليلا وهكذا سفن البحار تضل في أمواجهها وتصطدم في شعابها فلا تجد لها واقيا يقيها ولا هاديا يهديها إلا بيت الابرة (البوصلة البحرية) فهي التي تدير لهم السبل وتهديهم الى سواء الصراط في لجج البحار . فالنجم في اعجاء هداية لمسالك الجبال وهو في البحر هدى للربان . وقوام الهداية تلك البوصلة التي تتجه بالمغناطيسية شمالا وجنوبا منحرفة انحرافا قليلا بقوانين لها علوم خاصة تعرف الربان الشرق والغرب والشمال والجنوب وهناك يدرس النجوم وأما كنهها فيهدي بها في ظلمات البحر . فهذا هو النجم الذي أقسم الله به حين هوى على أن النبي ﷺ ماضل وماغوى . ولاريب أن النجم اذا كان في وسط السماء لا يهدي وإنما هدايته إذ هوى والقرآن الحكيم في (سورة يس) ها يهدي كما يهدي النجم لذلك أقسم به على أنه من المرسلين على صراط مستقيم لأن هدايته كهداية النجم وكما أن للنجم علوما تعرف أما كنهه في السماء وبوصلة تهدينا الى طريقه هكذا هذا القرآن لاتم الهداية به إلا بعلوم وعلوم . فهداية النجم نفتقر معها الى علوم هكذا هداية القرآن لا بد معها من علوم والعلوم التي في هذه السورة وطرق الهداية فيها الى الصراط المستقيم لاتعدو سنة مسير الشمس في اليوم وفي السنة ونظام الدول في أول ظهورها . ألا ترى رعاك الله أن السورة مبدوءة بضرب المثل بأصحاب القرية التي جاءها المرسلون وكان

لهؤلاء المرسلين أنصار وأعداء وانتهى أمرهم بأن غلب الحق الباطل . فهذا سبيل الأمم في أول ظهورها تقرأ التاريخ وتعتبر به كأن طفل يحبو ويدرس ماحوله والحيوانات خارجات من مخابئها منتشرات في فصل الربيع وكالأمم العربية إذ بزغت شمسها أيام النبوة ، فهذه الأمم الإسلامية تعيد سيرتها الأولى إذ أخذت تدرس تواريخ الأمم العربية السابقة أيام النبوة وقبل النبوة وتدرس تاريخ الأمم التي حدثت بعد ذلك جيلا جيلا وتستخرج خلاصتها وتقوم من نومنها وتستيقظ من رقدتها وتخرج من كهفها

لم يقص الله علينا قصص أصحاب القرية لتقتصر عليهم . كلا . والله . ألم يقل - واضرب لهم مثلا - فهذا مجرد مثل والمثل به تكون الذكري والذكرى تنفع المؤمنين . حياة الأمم شباب ثم قوة وتمام ثم انحطاط وضعف ، فهي في أيام الشباب تقرأ علوم لغاتها وتاريخ أجدادها وتدرس الأمم المحيطة بها ، فإذا أدركت ذلك كنه عرفت أنه لا مناص لها من إدارة شؤون هذه الأرض ، فهناك تغرس الأشجار وتحفر الأنهار وتقرأ العلوم وهذا هو قوله تعالى - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا - وههنا أخذ يذكر الجنات والزروع والثمار والشمس والقمر والسموات . فههنا في هذه السورة (ثلاث درجات)

(١) درجة الاستيقاظ بدراسة الآثار البائدة والأمم الخالدة والأيام الخالية والبحث عن آثارهم في أحجارهم وكتاباتهم في قبورهم وأخبارهم في تواريخهم وهناك يسمعون - يا حمريرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون - بعد ما سمعوا أن صيحة واحدة أخذتهم فاذا هم خامدون . نعمود الأمم أعقبها الحسرة عليهم . فتواريخ الأمم للاعتبار بحوادثها وللاعتداء بعلومها . وهناك يقول الشاعر :

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
وأزولوا بعد عز من مراتبهم * وأودعوا حفرا يابئسها نزولوا
أين الوجوه التي كانت منعمة * من دونها تضرب الأستار والكلال
أجاب سائلهم في القبر قائلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتل
فطالما أسكوا يوما وما شربوا * فأصبوا بعد طول الأكل قدا سكلوا

فهؤلاء أحق بالحسرة وبهم يكون الاعتبار فهم مضروبون لنا مثلا . فإذا سمعنا الله يضرب لنا مثلا بأصحاب القرية فلنقل نحن ما أكثر الأمثال . هذه الأمم الإسلامية التي خلفت تلك الأمم البائدة لما أعرضت وقعت مشمخرة وذبحت كأس الدابر ، فهذه دولة العرب في الشرق ذهبت ريحها وخر عليها السقف من فوقها إذ آبادها التتار وكذلك لما تخاذلوا في بلاد الأندلس سطت عليهم الجيوش الجرارة من أمم الفرنجة وهم غافلون فأخرجوهم من أوروبا وهؤلاء أبناءهم مشتتون في طول الأرض وعرضها وسيجمع الله شملهم كما جمع شمل آبائهم بظهور الإسلام في ثوبه القشيب كره أخرى

تخاذل المسلمون في الأندلس وكانت لهم (٢٠) دولة وهم جاهلون بمن حولهم وقد انفسوا في النعيم ، وذاقوا سوء المصير . وههنا هذه قارة استراليا دخلها الفاتحون فانقرض العنصر الأصلي في البلاد إلا قليلا وهكذا أهل أمريكا الأصليون وهم الجرالمونحشون . هاهم أولاء أخذوا ينقرضون أمام المحتلين

هذه نبذة يسيرة ذكرتها هنا اقتداء بالكتاب العزيز إذ ضرب لنا مثلا فاتبعناه بأمثال نبينا للقرآن وتذكيرا بالفرق لأن الله يقول - لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون - فبمثل هذا يكون التفكير وبمثل هذا يكون التبيان . فهذه هي الدرجة الأولى درجة الاستيقاظ

(٢) أما الدرجة الثانية فانها آتية بعد عدة سنين في الأمم الإسلامية وقد ظهرت بوادرها وفيها يكون تمام أمرهم واليها الإشارة بقوله - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها - الخ . فهذه الدرجة أشبه بالتحلية بعد التحلية . فالأمة تتخلى أولا عن الجهالة وتبذل الكسل وتعتبر بالأمم الخالية ويعقب هذا الدور دور العمل . إذن

الأم الإسلامية اليوم أشبه بآبائنا أيام ظهور النبوة منحن اليوم كآبائنا أيام الصحابة وأيام النبوة ابتدأنا حياة جديدة تراها آخذة في النمو والاستيقاظ في مصر والشام والعراق والفرس والهند وبلاد جلوه والملايو، وهذه كذلك تماماً، فهاهم أولاء أخذوا يقرؤن تاريخ أسلافهم وتاريخ الأمم ولا يحصى لهم من تولى زعامة الأمم وقيادتها كما قادها آباؤهم وكانوا نبراساً للأمم كأيام الدولة العباسية

(٣) أما الدرجة الثالثة فهي أيام الفناء والزوال وهي المذكورة في هذه السورة من النفخ في الصور وانقسام الناس فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير

ومن عجب أن الرحمة المذكورة في آية البسملة أحاطت بهذه الأقسام الثلاثة فبينما نجد الاعتبار بالأمم في أول السورة بقوله تعالى - تنزيل العزيز الرحيم - إذا أنت ترى دخول الجنة مشهولاً بها إذ يقال لهم - سلام قولاً من رب رحيم - فالرحمة في الاعتبار بالأمم البائدة المضروبة لنا أمثالاً كالرحمة في اقتطاف ثمرات الأعمال في الجنان وشرب الرحيق المختوم ختامه مسك هناك فإذا قرأنا تاريخ البائدين فذلك من رحمة الرحمن الرحيم وهي الدرجة الأولى

وإذا غرسنا الأشجار ونظمنا الحقول وقطفنا الأزهار وجنبنا الثمار فذلك من رحمته وإذا دخلنا الجناب وشربنا شراب الحب من كأس كان مزاجها زنجبيلاً فذلك من الرحمت. إذن الرحمة في الاعتبار بالأمم وفي السعادة في الحياة وفي سعادة الجنات واحدة، لذلك ابتدأ السورة بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم » وبهذا تم الكلام على الفصل الأول في تفسير البسملة

الفصل الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لَتَنْذِرُ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَهُمْ إِلَى الْآذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ * وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَرَّرْنَا بِشَآئِلِهِمْ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا بِالْبَلَاغِ الْمُبِينِ * قَالُوا إِنَّا نَطْهَرُكَ بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ

أَنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الدِّينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا
الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُنْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ
تَرْجِعُونَ * ءَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُونَ *
إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ لَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ * بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ * وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنْ
السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ * يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ
مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ
لَا يَرْجِعُونَ * وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ * وَآيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الَّتِي خَلَقْنَا أَخْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا
مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا
مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ * وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ *
وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَتَازِلَ حَقٍّ عَادِ كَالْعُرْجُونِ
الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ *
وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِنْ نَشَأْ
نَغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا
مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا
عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ
لَوْ نَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *
مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ
مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا
مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لَا تُظَلُّمْ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ
الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِدُونَ * هُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ
وَهُمْ مَا يَدَّعُونَ * سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ * وَأَمَّا ذَاكَ الْيَوْمَ أَتَاهَا الْمُجْرِمُونَ * أَلَمْ أَعِزِّدْ
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ *

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * أَصَلُّوْهَا
 الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * الْيَوْمَ نَخَسِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُغْلِقُنَا أَبْصَارَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُصْعِرُونَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ
 عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَضَاعُوا مِصْبًا وَلَا يَرْجِعُونَ * وَمَنْ يَمُرُّهُ نُكْثُهُ فِي أَخْلَاقِهِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ * وَمَا
 عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى
 الْكَافِرِينَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا صِلًا أُولِي الْأَعْيُنِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَصِيرَةٌ لَمَّا سَخَّرْنَا لَكُمُ الْيَمِينَ
 وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا تَشْكُرُونَ * وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ
 اللَّهِ آلِهَةً لَّهُمْ يَنْصُرُونَ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْخَضِرُونَ * فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ
 إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ *
 وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ
 وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ *
 أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا
 أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يس) قد اطلعت على ما كتبه على الحروف التي في أوائل السور في أول ﴿آل عمران﴾ من عدها
 ومناسبتها للأوضاع الفلسفية والفقرات التشريعية الانسانية والعجائب الطبيعية والاستدلال بها على بقاء اللغة
 العربية بعد فناء اللغات الأوروبية كما أوضحه علماء الألمان بالاستنتاج الموافق لرمز القرآن . ولعلك أضافت
 ما جاء في ﴿سورة العنكبوت والروم﴾ وما بعدهما من إشارة الحروف في أوائلها وفوق ذلك إلى استكناه
 العلوم الحكيمة ونظام العناصر الأرضية وعجائبها الحكيمة والالامع هناك إلى أن ﴿الم﴾ في أول سورة البقرة
 تزيد على ذلك بالإشارة إلى الاستفهام التقريري في مسألة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت
 ومسألة إبراهيم والطير والعزير . فهناك قد جاء القول بلفظ ﴿الم﴾ في أوله . ولكن هذا المقام أبعد بيانا
 وأعجب نظاما وأعدل ميزانا وأحسن صنعا وأبدع وضععا وذلك من ناحية الآراء الاستنتاجية التي فهمتها
 والعلوم الحكيمة التي منها عرفتها لامن حيث نفس الآيات القرآنية فانها كلها منظمة موزونة هي آيات الكتاب
 وسرى ايضاح هذا المقام في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى ويسرك منظره من جمال الصنع وبدائع الحكمة
 ونظام الجلال والجلال (والقرآن الحكيم) أي أقسم بالقرآن ذي الحكمة (إنك لمن المرسلين) الذين هم
 (على صراط مستقيم) أي على طريقة مستقيمة نزل القرآن (تنزيل العزيز) في ملكه (الرحيم) بخلقه .

أرسلت (لتنذر قوما ما أنذر آبائهم) أى غير منذر آبائهم قبلك (فهم غافلون) أى فبقوا غافلين (لقد حق القول) لقد وجب القول بالسخط والعذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) ذلك لأن الله جعل استعدادهم كذلك فقلوبهم طبع عليها وهذا يفيد قوله (إننا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) جمع غلّ (فهى) أى الأغلال واصله (الى الأذقن) ملزوقة اليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤسهم . ذلك لأن طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يمكنه من أن يبطأ على رأسه فلا يزال مقمحا ، وهذا كله تمثيل أى منعناهم بموانع عن الإيمان تشبه ما ذكر (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) شبههم بمن أحاط بهم سدان فغطيت أبصارهم بحيث لا يرون ما أمامهم وما خلفهم فهم محبوسون فى مظمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات وتكون نتيجة ذلك ما بعده وهو (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) لأن من يرد الله ضلاله لا ينفع تخويله (إنما تنذر من اتبع الذكر) أى لا ينفع إنذارك إلا من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وهو لإبراهيم (فبشره بمغفرة) لذنوبه (وأجر كريم) إنا نحن نحيى للبعث (ونكتب ما قدموا) من خير وشر (وآثارهم) أى ما سئوا من سنة حسنة أو سيئة (دكل شئ) من أعمالهم وغيرها (أحصيناه فى إمام مبين) كتبناه فى اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) أى اجعل لهم صفة أصحاب القرية صفة ، ثم أبدل من أصحاب القرية إذ من قوله (إذ جاءها المرسلون) وهم رسل عيسى عليه السلام الى أهل القرية وهى انطاكية (إذ) بدل من إذ الأولى (أرسلنا اليهم اثنين) أى أرسل عيسى بأمرنا اثنين وهما (يوحنا) و (بولس) فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب التجار فسألهما عن حالهما فقالا نحن رسول عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن وشئى ابنه المريض إذ مساء فآمن وفشا الخبر فى المدينة بأن الأبرص والآمكة يشفيان على أيديهما فشكاهما الناس الى الملك فحبسهما ، ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متسكرا وعاش مع حاشية الملك وصار من أصحابه واحتال فى ذكر قصة الرسولين أمام الملك وقال له اسمع ما يقولانه فدعاهما الملك فخرأ فسالهما شمعون فوصفا الله بالتوحيد والقدرة ، ثم أتى بغلام مظموس العينين فدعوا الله له فشق له البصر . فأما الملك فاعترف بأن إلهه لا يسمع ولا يبصر وهكذا حى ميت مضى له سبعة أيام بدعائهما فآمن قوم وكفروا قوم وصاح جبريل بمن لم يؤمن فهلكوا وهذا قوله تعالى (فكذبوهما) أى يوحنا وبولس (فعرزنا بثالث) فتقوينا بثالث وهو شمعون (فقالوا إيا اليكم مرسلون) قالوا ما أتم إلا بشر مثلنا) أى لامتزبة لكم علينا (وما أنزل الرحمن من شئ) وحى (إن أنتم إلا تكذبون) فى دعوى رسالته فاقضت الحال زيادة التأكيد لزيادة الإنكار (قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون) هذا استشهد بعلم الله وهو يجرى مجرى القسم (وما علينا إلا البلاغ المبين) الظاهر اليين بالآيات الشاهدة لصحته (قلوا إنا تطيرنا بكم) تشاء منا بكم (أئن لم تنتهوا) عن مقالاتكم (لنرجنكم ولنمستكم من عذاب أليم) قالوا طائركم معكم) أى سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم (أئن ذكركم) أى أنشاءم من أن ذكركم وخوفناكم بالله (بل أنتم قوم مسرفون) أى فى ضلالكم وشرككم متأدون فى غيبيكم (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وهو حبيب التجار (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) فأنتم لانحسرون شيا من دنياكم وترجون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فقالوا له أنبرأت من ديننا ودخلت فى دين عدونا فقال لهم (وما لى لا أعبد الذى فطرنى) خلقنى (والله ترجعون) بعد الموت (أأنتخذ) أأعبد (من دونه) من دون الله بأمركم (آلهة) أصناما (إن يردن الرحمن بضر) إن يصيبن الرحمن بشتة عذاب (لا تنفع عنى شفاعتهم شيا) أى لا تدفع عنى (ولا ينقدون) من المكروه (إلى إذا) إن عسدت من دون الله شيا (لنى ضلال مبين) خطأ بين (إلى آمنت بربكم فاسمعون) أى

فاشهدوا لي بذلك ، فلما قل ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، فلما لقي الله (قيل) له (ادخل الجنة) فلما دخلها ورأى نعيمها (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) حتى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه . وقيل أنهم لما هموا بقتله رفعه الله إلى الجنة على ما قاله الحسن فقال ما تقدمت (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد اهلا كه أورفعه (من جند من السماء) وهم الملائكة لإهلاكهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح في حكمتنا ، ذلك لأن اهلا كههم أيسرهما يظنون (إن كانت العقوبة (إلا صيحة واحدة) صاحبها جبريل (فإذا هم خامدون) ميتون كما تخمد النار (يا حسرة على العباد) أي تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك فقلت أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسول (ما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون بما يروا) ألم يعلموا وهو معني عن المفعولين بكم في قوله (كم أهلكنا قبلهم من القرون) وقوله (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم ، والمعنى ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين إلينا (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) أي وما كل إلا مجموعون عندنا للحساب وهذا على قراءة - لما - بالتشديد ، فأما الخففة فالمعنى ان كانهم محشورون مجموعون الخ (وآية لهم الأرض الميتة) بالتخفيف والتشديد (أحييناها) بالمطر (وأخرجنا منها) من الأرض (حبا) جنس الحب (فنه) من الحب (بأكلون) وجعلنا فيها في الأرض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وجفرا فيها من العيون) أي أكلوا من ثمره أي ثمر ما ذكر وهو الجنات (وما عملته أي ان الثمر يخلق الله لا يفعلهم (أفلا يشكرون) نعمة الله تعالى (سبحانه الذي خلق الأزواج) الأصناف والأنواع (كلها مما تنبت الأرض) من النبات والشجر (ومن أنفسهم) الذكر والأنثى (وما لا يعلمون) وأزواجها لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا إلى معرفته (وآية لهم) تدلهم على قدرتنا (الليل نسلخ) نزع ونكشط (منه النهار فإذا هم مظلمون) داخلون في الظلام (و) آية لهم (الشمس تجري لمستقر لها) لحد لها مؤقت تنتهي إليه من فلكها وهي نهاية العالم أونهاية ارتفاعها في زمن الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء ، وهذا لا ينافي قراءة ابن مسعود لاستقر لها أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبدا إلى يوم القيامة تنتهي كل يوم في مرأى العيون إلى المغرب وتنتهي مدة السنة وتنتهي مدة ارتفاعها ومدة انحطاطها (ذلك) الجري المنتظم العجيب (تقدير العزيز العليم) الغالب المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) أي قدرنا سيره (منازل) أي جعلنا له منازل كما جعلنا للشمس وهي ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة في واحدة منها ثم يستقر ليلتين أوليلة إذا نقص الشهر ، فإذا كان في آخر منازل رقت ونقوس وهذا قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذي عليه الشاربخ إذا أتى عليه الحول فنقوس واصفر ودق ، وهذه الصفات الثلاث تكون للقمر عند انتهاء المنازل (لا الشمس ينبغي لها) أي لا يصح لها ولا يتسهل (أن تدرك القمر) في سرعة سيره أولا يتسهل لها أن تجتمع معه في وقت واحد وتداخله فتطمس نوره لأن لكل منهما سلطانا في وقت خاص فسلطانه بالليل وسلطانها بالنهار (ولا الليل سابق النهار) أي ولا يسبق الليل أي آيته وهو القمر آية النهار فيجعل سلطانه محلها . كلا . لأنهما يجريان بحساب منظم (وكل) من الأرض والشمس والأقار (في ذلك يسبحون) كما يسبح السمك في الماء . فالشمس في مدارها حول كوكب من كواكب الجاني على ركبته ولا يدري مدة دورتها والأرض تجري حول الشمس في سنة وحول نفسها في يوم وليلة والقمر يجري حول الأرض كل شهر . ولما كانت مسألة الأرض صعبة الفهم على النوع البشري قديما قدمها في الذكر وفصل بينها وبين الشمس والقمر بحمل حتى لا يقال انها داخلية في الكمية فينافي ما عرفه الناس إذ ذاك وأتى بلفظ - كل - للدلالة على دخولها ليتفطن لها الناس في هذه الأعصر وليعلموا أن الله خبا لهم الحكمة في القرآن ليستخرجوها مطبقة على الكشف لا لتقف عقول المسلمين عن السير في العلوم خيفة أن تنافي كلام ربهم ، وليعلم الذكي أن هذه الرموز وضعت في القرآن

لنبتشر بها المسلمين أن هذا زمان رقيهم وليسوا كالأمم المسيحية الذين ارتطموا آمدا طويلا في الجهالة وهم
أذلاء جهلاء متوحشون فلم يخرجهم من وحشيتهم وجهالتهم إلا نهضة المسلمين وحروبهم المتوالية معهم في
الشرق بالحروب الصليبية وفي الغرب بالحروب الأندلسية والحروب في القسطنطينية ، انه لم يخرجهم من
مازقهم إلا احتكاكهم بأمم الاسلام لأن دينهم ليس فيه ما به يخرجون من الجهالة من الاشارات للعلوم ، أما
المسلمون أيام تأليف هذا الكتاب فهم على بينة من ربهم فقد ظهر في هذا التفسير أن القرآن كتاب حكمة
وعلم تصريحا وتلويحاً ، وإذا جاءت شبهة في القرآن حلها حتى لا يقف المسلمون زماناً عن الرقي مثل
ما نحن بصدده ، وأقول : سيقراً هذا التفسير المسلمون ويصدقون بمدنيته إلى العلا في أقرب زمن ، هكذا
قضى الله وهكذا سبتم وهو الحكيم العليم . انظركيف يقول - يسبحون - ومعلوم أن السبح للسمك أليق
مع ان الفلك القديم قد جعل الكواكب مركوزة في تلك أوفى تدوير الفلك على ما تراه في اصطلاحات القدماء
فليس للكوكب أن يسبح من تلقاء نفسه بل لابد له من حامل يحمله وذلك الحامل هو الذي يدور به ،
فالكوكب مستحيل عليه السباحة ، وكيف يسبح بالاحرقة له ولا قدره له على الاستقلال في السير بل هو محمول
هكذا كان في الفلك القديم ، ولست أطيل لك فيه لأنه معقد ولا يفيدك إنما الذي يهمنا أن جميع الكواكب
تسير على الرأى الحديث في مدارات وتلك المدارات في عالم الأنير ، فهي إذن كأنها سمك في بحر
هذه حقيقة مدارات الكواكب في العلم الحديث . وهذا هو الذي نطق به القرآن . انظر انظر إلى كلام
المفسرين رحمهم الله كيف تراهم يقولون في - يسبحون - يسبحون ، وذلك لأن الفلك القديم المشهور إذا
ذاك لم يكن فيه إلا الكواكب سبح ، فوجب للقرآن كيف أتى بالكشف الذي يسميه الناس حديثاً وقد شرعناه
بعض الشرح في (سورة يونس) وهو مشروح يبسط في كتابي «جواهر العلوم» وانظركيف أعقب ذلك
بذكر السفن السابحة في البحار للنسبة بينهما وأن كلا له طرق لوتركها اختل في جريه وكل سابح في مداره
ليؤكد للمسلمين بهذا التناسب أن الكشف الحديث يناسب القرآن أشد المناسبة ويشير لهم من طرف خفي أن
يجتدوا في المعقولات والبحث ، فالقرآن أمامكم لا ينفر من المعقولات ولا يأنف إلا من الخرافات والجهالات فقل
(آية لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجارتهم (في الفلك المشحون) أي الموقرة أو المجهزة
المملوءة التي فرغ من جهازها (وخلفناهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الإبل فتمسكوا بالبر ، وقد حل
بعضهم السفينة على سفينة نوح والقرية على الآباء لأنها من الأضداد وما يركبون مثله هي السفن والزوارق . وربما كانت
إشارة إلى الطيارات اليوم فهي في الهواء كالنمل في البحر (وان نشأ نفرقهم) في البحر (فلا صريح لهم) فلا مغيث ،
أو فلا غاية (ولا هم ينقذون) لا ينجون أي لا ينقذون إلا لرحمة منا ولنمنع بالحياة إلى انقضاء الأجل قوله (إلا رحمة منا
ومتاعا إلى حين) منصوبان على المفعول له (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) أي ما نقتدم من ذنوبكم وما تأخر
عما أنتم تعملون من بعد ، أو من مثل الوقائع التي ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة (اعلمكم
ترجون) أي انكونوا على رجاء رحمة الله وجواب الشرط محذوف أي أعرضوا وانما جاز حذفه لأن الجلة التي بعده تدل
عليه وهي قوله (وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) معناه أن دأبهم الاعراض عن
كل آية وموعظة ولا فرق عندهم في الاعراض بين العقائد وبين الأعمال ولذلك أتبعه بقوله (وإذا قيل لهم
أنفقوا مما رزقكم الله) على الفقراء (قال الذين كفروا) بالصانع وهم المعطلون (الذين آمنوا) تمكيا بهم
من اقرارهم وتعليقهم الأمور بمشيئته (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) على زعمكم (إن أنتم إلا في ضلال مبين)
في خطأ بين (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) يعنون وعد البعث (ما ينظرون) ما ينتظرون (إلا صيحة
واحدة) وهي النفخة الأولى (وهم يخضمون) يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم أمرها وأصلها
يختصمون فسكت التاء وأدغمت ثم كسرت الحاء (فلا يستطيعون توصية) في شيء من أمورهم (ولالي أهلهم

يرجعون) فيروا حالهم بل يموتون حيث تبعهم الصبيحة (ونخ في الصور) مرة ثانية (فاذا هم من الأحداث)
من القبور جمع حدث (الى ربهم يسألون) يسرعون (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) أى من أنشأنا
من مضجعنا وقوله (هذا) مبتدأ (ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) خبر أى تقول الملائكة أو بعضهم لبعض
أو بعض المؤمنين لبعض هذا الذى وعده الرحمن والذى صدق فيه المرسلون (إن كانت) النفخة الأخيرة
(الإصبيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) للحساب ، ثم يقال لهم في ذلك اليوم (فليوم لا تظلم نفس
شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) إن أصحاب الجنة اليوم في شغل كضيافة الله والنظر الى وجهه الكريم
حتى ينسوا كل نعيم سواه ، وكزيارة بعضهم بعضاً ، وسماع الأوتار وما أشبه ذلك ، وكل منهم يستلذ بما كان
أهله في الدنيا رفعة وضعة ، وقوله (فاكهون) أى متلذذون في النعمة من الفسادة (هم وأزواجهم في ظلال)
جمع ظل كشعب أو ظلة كقباب (على الأرائك) على السرر المزينة (متكئون) لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون
ما يدعون به لأنفسهم من الدعاء أو يقنونه تقول ادع على ما شئت أى عنه ولهم (سلام) يقوله الله (قولاً من
رب رحيم) أو يقال لهم قولاً كائناً من جهته أى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظماً
(وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة ، ومن جملة ما يقال
لهم تقر بها (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) العهد الوصية إذ عهد الله اليهم
بما ركز فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع ألا تعبدوا الشيطان بالأصغاء الى وسوسته وتزيينه
كما جاء في الحديث في تفسير قوله تعالى - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله - إذ فسر ذلك بأنهم
يشرعون لهم الشرائع ويسنون لهم السنن ، فهنا أصغاء للوسوسة وهناك اتباع للشرائع المزيفة (وأن
اعبدوني) عطف على - أن لا تعبدوا - (هذا) الذى عهد اليك (صراط مستقيم) بليغ في استقامته
(ولقد أضل منكم جبلاً) بضمتين أو كسرتين واللام مشددة فيهما أو كسرل أو قفل لغات ومعناه الخلق في
الجميع (كثيراً أفلم تكونوا تعلمون) هذه جهنم التي كنتم توعدون في الدنيا (اصولها) ادخلوها (اليوم
بما كنتم تكفرون) تعبدون بها وبالكتاب وبالرسول (اليوم نختم على أفواههم) نمنعهم من الكلام
(وتكلمنا أيديهم وتنهأ أرجلهم بما كانوا يكسبون) يرى أنهم يحسدون يوم القيامة ويخاصمون فتشهد
عليهم جيرانهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فيختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي
الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لأجيز على إلا شاهداً من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه انطق
فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بهذا لكى وسحقاً فعنك كنت أناضل ،

واعلم أن هذا القول هو الذى يطابق العقل وعلم الحقيقة على التحقيق ، ألا ترى رعاك الله أن الانسان
في الدنيا وهو في هذه الدار المملوءة أكاذيب وشروراً ونفاق يخجل فتظهر في وجهه الحرة ويوجل فيصفر
ويتخذ القضاء من ذلك أدلة على ادانة المنهم ، وترى بعض الناس يقصون أثر الجنة ويتبعونهم في السهل
والجبل حتى يصلوا اليهم فيقدمون للقضاء ، وهكذا أيدي الجرمين يختم بها على الورق فلا تشابه يد يد ، وإذا
كان هذا في عالمنا الجسماني فما بالك بالنفوس التي هي من عالم الأرواح فإن لكل ذنب أو عمل حسن أثراً في
النفوس بحيث يتر في فيها الخير والشر ، فاذا انصابت الأرواح من الأجساد ظهرت بهيئتها التي كانت عليها من
شر وخير وهذا قوله تعالى - اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - ، فالنفس إذن هي الكتاب
المكتون الذى لا غش فيه ولا كذب ، فاذا صمت اللسان انطقت الجوارح كما انطقت في الآثار اليوم في الدنيا
ولكن هناك انطقها أفصح وعمها أكمل وعلاماتها أنتم وفي حديث مسلم أنه عليه السلام قال : هل تضارون في
رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة قلوا لا يارسول الله وهكذا قل وقلوا في القمر ليلة البدر قال
فوالذى نفسى بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ثم شرح في الحديث لقاء العبد

ربه إذ ذاك إذ يقول له : لم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل فيقول العبد بلى ويقر بأنه ما كان يظن لقاء الله وهكذا الآخر . ثم يقول آخر : يا رب آمنت بكتابك الخ فيختم على فيه ، الى آخر ماتقدم . انتهى ملخصا

ثم قال تعالى (ولولئلا لطمسنا على أعينهم لمسخنا أعينهم حتى تصير مسموحة فاستبقوا الصراط) فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وهو منصوب بنزع الخافض (فأني يبصرون) أي فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولولئلا لمسخناهم) قرادة أو خنازير (على مكائهم) أي في مكائهم ، وقرى - مكانهم - أي لمسخناهم في منازلهم حيث يتبرحون الماشي والكفر (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) فلم يقدرُوا على ذهاب ولا مجيء أو مضيا أمامهم ولا يرجعون خلفهم (ومن نعمه) نزل عمره (نكسه في الخلق) نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه حتى نرده الى أرذل العمر (أفلا يعلمون) أن من قدر على ذلك تدريجا قدر على الطمس والمسخ فجأة (وما علمناه الشعر) رد لقولهم ان محمدا شاعر فلا لفظه موزون ومثني كالشعر ولا معناه مما يتخيله الشعراء كما تقدم بيانه في سورة الفاتحة من الموازنة بينه وبين القرآن (وما ينبغي له) وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان أراد قرضه لأن الشعر سجية في النفس وذهب على الانسان ما لم يهود ، فليس كل الناس شاعرا ولا كل من أراد الشعر يتيسر له ، كيف لا وما كان ينبغ من العرب في كل قبيلة إلا شاعر أو شاعران وتنعى له الولائم متى ظهر ، فهو كالجمال لا يخلقه الانسان في نفسه فكيف يتأتى لمحمد (إن هو إلا ذكري) عظة وارشاد (وقرآن مبين) كتاب سماوى يتلى في العابد وظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز (لينذر) القرآن (من كان حيا) عاقلا فهما (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) قابلهم بالاحياء اعلنا بأن الجهل والكفر موت كما ان العقل والعلم حياة (أولم يروا أما خلقنا لهم مما عملت أيدينا مما تولىنا إحداثه وحدنا (أنعاما فهم لما مالكون) متملكون متمكنون من ضبطها (وذللناها لهم) صيرناها متقادة لهم (فما ركبهم) مركوبهم أو ركبهم في قراءة أخرى وهى بنفس المعنى كالحلوب والحلوبة (ومنها يأكلون) أي ما يأكلون لحمه (ولهم فيها منافع) من الصوف والوبر والشعر والجلد (ومشارب) من اللبن جمع مشرب بمعنى المصدر (أفلا يشكرون) نعم الله في ذلك ، فلو لا خلقه لما تولا وتذليله لما ثانيا ما أمكن تحصيل هذه المنافع (واتخذوا من دون الله آلهة) أشركوها به في العبادة بعد علمهم بتلك النعم الظاهرة (لعلهم ينصرون) رجاء أن ينصروهم فيها بابهم من الامور مع أن الأمر ليس كذلك لأنهم (لا يستطيعون نصرهم وهم لهم) لأنهم (جند محضرون) أي الكفار جند الأصنام يفضون لها ويحضرونها في الدنيا وهى لا تنصرهم وهم جندها أيضا في الآخرة إذ يؤتى بكل معبود من دون الله ومعهم أتباعه الذين عبدوه في الدنيا كأنهم جند محضرون في النار . واعلم أن هذا هو مقتضى علم هذه الدنيا فانك ترى أن الهواء لا يكون موضع الماء والماء لا يكون موضع الهواء والأرض لا تكون موضع واحد منهما وترى العليقة اذا وضعت قطعا منها في الماء تتجاذب ويجذب الأكبر الأصغر أكثر مما يجذب الأصغر الأكبر هكذا القلوب تتجاذب وتضيق كل طائفة مع بعضها كما ترى الطيور والوحوش في الفلوات والحشرات في الحقول والغابات في الحديث « أنت مع من أحببت » فالعالم كله سائر بالعشق في المادة وفي الروح واللوب شواهد (فلا يحزنك قولهم) في الله بالإلحاد والشرك (إنا نعلم ما يسرّون وما يعلنون) فنجازيهم عليه وكفى ذلك أن تغسلى به (أولم ير) الانسان أنا خلقناه من نقطة فإذا هو خصيم مبين) أي جدل بالباطل بين الخصومة كأنه قيل : الحب من جهل الانسان كيف يخصم ربه ولا يتفكر في بدء خلقه ومهانة أصله وأنه من نقطة قادرة ، نزلت في أبي بن خلف خاصم النبي ﷺ في انكار البعث وأما به عظم قدره وبلى ففتنه بيده وقال : أنرى يحيى الله هذا بعد مالم ، فقال ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك النار وهذا قوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) بدء أمره (قال

من يحيى العظام وهي رميم) بآية أى وضرب لنا مثلاً فى انكار البعث بالعظام البالى حين فته يده ونعجب من
يقول ان الله يحييه ونسى أول خلقه وانه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) أى ابتداء
خلقها (وهو بكل خلق عليم) يعلم تفاصيل المخلوقات وأجزاء الأشخاص المفتة المتبددة أصولها وفصولها
ومواقعها وطريق تمييزها (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً) كالبرق والعافقن أراد النار قطع منهما
غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن
الله تعالى ، تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثر منها وذلك أن هاتين الشجرتين
من أكثر الشجر ناراً (فاذا أنتم منه توقدون) تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ، ثم ذكر ما هو
أعظم من خلق الانسان فقال (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) أى وهو
القادر على ذلك (بلى وهو الخلاق) يخلق خلقاً بعد خلق (العليم) بجميع ما خلق (إنما أمره) أى إنمأ شأنه
(إذا أراد شيئاً أن يقول له كن) أى تكون (فيكون) أى فهو يكون أى يحدث وهذا تمثيل لتأثير قدرته
فى مراده بأمر المطاع للطيع فى حصول الأمور من غير امتناع وتوقف واقتدار الى مزاوله عمل واستعمال آلة
(فسبحان) أى تنزيهه عما وصفه به المشركون ونعجب من أن يقولوا فيه ما قولوا (الذى بيده ملكوت)
ملك (كل شئ) وزيادة أوامر والناء للبالغة (واليه ترجعون) تعادون بعد الموت . انتهى التفسير اللفظى
وهو الفصل الثانى من السورة

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فى ذكر ما كانت فسرته به منذ سنين لنكون مائة معانيها أمام القارىء ملخصة مجمعة)

﴿ مقاصد سورة يس ﴾

- (١) ذكر أن النبى ﷺ حق ما أرسل به وانه نذير للائمين وغيرهم
- (٢) بيان أن المنذرين صنفان : صنف يؤمن من صلاحه ، وآخر سعى لفلاحه
- (٣) تبيان أن أعمالهم تخصى عليهم ولهم فسكتب آثارهم وتخصى أخبارهم
- (٤) ايجاز المقصدين السابقين بقصص حبيب النجار وقومه بانطاكية إذ حكم عليهم بالكفر وله بالايمان
فقتل فدخل الجنة بما قدم من الايمان والارشاد وهلك قومه
- (٥) الدليل الطائى العقلى على البعث بعد الناريخى من العوالم السفلية وجنائها والعوالم العلوية وكواكبها
وتبيان لقدرة الله ووحدانيته وعلمه ورجته الشاملة
- (٦) جزاء الفريقين فى الآخرة وهو ﴿ نعلان الأول ﴾ بيان كفران الجاحدين هذه الأنعم وسرعة
أخذهم أخذ عزيز مقتدر وندمهم عند معاينة العذاب ﴿ الثانى ﴾ الجنة ونعيمها وما أعد للمؤمنين فيها
- (٧) توبيخ الكافرين على ما ارتطموا فيه من الجهل واتباعهم الشياطين
- (٨) ثلاثة فصول لثلاثة أغراض سبق فى السورة شرحها بأسلوب آخر وذلك ليستدلوا بما يعلمون من
أنفسهم أعمالهم الخاصة بهم ﴿ الفصل الأول ﴾ قدرته على مسخهم فى الدنيا وطمس أعينهم وأبرز
لذلك دليلاً من الأنس وهو تنكيس خلق المعمر من الناس ، وهذه تقابل قصص حديث أهل
انطاكية فذاك فى الآفاق وهذا فى النفس ﴿ الفصل الثانى ﴾ الانتفاع بالأنعام من مأكول ومشرب
وملبس ، وهذه نعم راجعة لأنفسهم فى مقابلة ما أنعم من نعم عممة من الأرض وجنائها والشمس
وأضوائها والكواكب ودوراتها والسفن وغيرها من النعم العممة فن لم يشكر على النعم العممة فما
بale لا يفقه ما يزال منها بنفسه ﴿ الفصل الثالث ﴾ اثبات البعث بما يعانون لخاصة أنفسهم من الزناد

إذ يقدحونها فيستخرجون ناراها ، أفلا يستطيعون السبيل للهداية مما يزاولون لما يهود على أنفسهم بالمنافع ان جهلوا ما كان مشتركا نفعه من الأرض والسموات

ثم ختم السورة بجوهرتين زهراوين وياقوتين حرارين من اتقانه النظام واصلاحه العام ومن تدمير الناس وافسادهم في الأرض ، فهو مصلح وهم مفسدون . ولقد كانوا خلفاءه في الأرض وما أجدرهم أن يشخلقوا بأخلاقه ويسيروا على الصراط المستقيم ، وايضاح الأولى انه عز وجل نظم جواهر النجوم المرهفات والكواكب السيارات وربطها بأسباب فدارت وأرسل لها من لونه رجة فأمسكتها ومحبة حفظتها فدارت في مداراتها وجرت في أماكنها واجتذبتها جذبا لطيفا بمواسك من التعاشق يسميها (علماء المحسوسات جاذبية) تمسكهم لئلا تزول عن مداراتها وتختل في نظامها ، ولولا ذلك لتفرقت أيدي سبأ وطاحت شذر مذر فباد الوجود وهلك الوجود ، وذلك قوله تعالى - إن الله يمسك السموات والأرض - الى قوله - حلما غفورا - وايضاح الجوهرة الثانية أن الناس أفسدوا وما أصلحوا وعجزوا أن يعقلوا عجائب النظام وبدائع الاتقان فاتخذوا لله أندادا وعبدوا أوثانا فباؤا بالفضب صاغرين ورجعوا بالملت محرومين واذا عاهدوا عهدا نبذوه وان حلفوا أن يتبعوا رسولا ان جاءهم لم يتبعوه ، وطباعهم السكبرياء وشأنهم الإباء فهلاساروا في الأرض فدرسوا أحوال الأمم الظالمة والأجيال البائدة ألا ان عاقبة النبي لهم ودائرة السوء تدور عليهم ، ولولا رجة واسعة أحاطت بهم لأبدنا كل نسمة ولكننا نؤخرهم الى أجل معدود لأن رحمتنا أوسع وفضلنا أعم فليتمتعوا أياما في ساحات رحمتنا ولنورد لهم موارد الهلاك بعدلنا جريا على ناموسنا العام وعدلا في النظام . وذلك قوله تعالى في ﴿سورة قاطر﴾ - هو الذي جمعكم خلائف في الأرض فن كفر فعليه كفره - الى قوله تعالى - إلا غرورا - وقوله - وأقسموا بالله جهد أيمانهم - الى آخر السورة وهم كانوا أكثر منهم عددا وأعز نفرا طعنهم الثرى بكلكله ومنزقمهم بطوله . فلك بيوتهم خاوية وجماعاتهم فانية للاقدر جاتية

﴿ المقصد الأول ﴾

(يس و القرآن الحكيم و إنك لمن المرسلين و على صراط مستقيم و تنزيل العزيز الرحيم)
ابتدأ الله عز وجل السورة بآيات رسالته ﷺ وتوثيق عرى نبوته وتأييد دعونه وتبيان أن القرآن أنزل عليه من ذي العزة والقهر والرحمة والفضل توطئة لما ستسمع من قصص الظالمين وتفصيل بدائع الخلقة الشاملة آثارها الفاضلة أنوارها

﴿ المقصد الثاني ﴾

(- لننذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون - الى - وكل شيء أحصيناه في إمام مبين -)
لما أثبت الرسالة والمرسل به شرع يشرح حال المرسل اليهم من أهل الدعوة اذا هم فريقان . فأما أحدهما فأحاطت به خطيئته وأرهقته زاته وفقد إيمانه وأوثقه طغيانه فثله كمثل من ضم الغل يديه الى ذقنه فلا يستطيع حرا كما أوكثل الذي سدت عليه المسالك وأحاط به السدان من خلفه وأمامه ثم غشى على عينه فسدت عاياه الطارق في نفسه بالعمى وفي الآفاق بالستين . ومن التعذيب تهذيب الذيب . وأما الآخرون فهم الذين اتبعوا الذكر وخشوا الرحمن في خلواتهم فأولئك لهم البشارة والرزق الحسن . ولا جرم أن الفريقين يرتقيان جزاء وفاقا وذلك في المقصد الثالث

﴿ المقصد الثالث ﴾

(- إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم - الى قوله - إمام مبين -)
ولا جرم أن للقدمات نتائج . وللأسباب مسببات . وللشجرات ثمرات . وللبادئ نهايات . والقهان

المذكوران تحصى أعمالهما وتسطر أحوالهما ويحييان بعد موتهما وتعرض عليهما ما عملا من خير قدامه ومن شرّ جنايه ، ولما أن سجل ما ذكر عليهم أخذ يشرح ذلك بالقصص وهو المقصد الرابع

﴿ المقصد الرابع ﴾

(- واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون - الى قوله - أم يروا كم أهلكنا قبلهم

من القرون أنهم اليهم لا يرجعون * وان كل لما جميع لدينا محضرون -)

لما تبين أن لكل حظا مما جناه ، وقسطا مما اقترفه ، من خير وشرّ ، وأن الكتاب أحصى أعمالهم وأظهر أخبارهم ، أخذ يوضح ذلك بالقصص ، ويبينه بالتاريخ ، ويثبت بالشواهد ، كدفع المقام وتثبيت البرهان فعمل خبر أصحاب المسيح عليه السلام من الحوار بين إذ جاء اثنين منهم الى أهل انطاكية ودعواهم للإيمان فأنذروهما مائة جلدة وسجنوهما فجاء الثالث (شمعون) واحتال على أرباب الدولة وعظماء الأئمة والملك المطاع وأرباب الضياع أن يستنطقوهما ولا يؤذوهما فأخرجوهما منه وظهرت الخوارق على أيديهما من إحياء الميت وإبراء الأكف ثم نكسوا على رؤسهم وآذوهما فجاء حبيب النجار الذي كان أسلم من قبل لما شفى ابنه بدعائهما فقتلوهما أجمعين ورووهم في الرسّ ميتين . فهؤلاء هم أصحاب الرسّ . فهلك حبيب النجار ودخل الجنة وهلك قومه وادخلوا النار . فهذا القصص يدعو للاعتبار بالآثم البائدة والأجسام الطامسة إذ كفروا فبادوا وكتبت آثارهم ووعيت أحوالهم وحفظت في كتاب ليوم الحساب . فما أجدر العباد بالحسرة اجهلوا الرسل . ومصير الدول . إن كل إلا لدينا لمحضرون . وإن لم يؤمنوا بما يسمعون . ولم يعقلوا ما يقرؤن . في الكتب السماوية . والأخبار المروية . والكلمات اللفظية . والجل الحكيمية . فهلا درسوا الكلمات العالية . والعلوم الشافية مما كتبناه بأيدينا في طروس السموات وألواح القلوات وفوق الجبال الراسيات وتحت البحار الجاريات وهو المقصد الخامس وهو حكمة الحكماء ودرس الكبراء وأدب العلماء

﴿ المقصد الخامس ﴾

(- وآية لهم الأرض الميتة أحييناها - الى قوله - وكل في فلك يسبحون -)

ألم تر الى الأرض اليابسة أنزل الله عليها الماء فنبت زرا وشجرا فكان الحب والنمر والجنات والأعشاب وجرت الأرض عيونا . وفي الأرض أزواج النبات والحيوان والانسان فيها الذكور والاناث وما من نبات إلا وفيه ذكر وأنثى كما يرى في الذرة والقمح كما تقدم في الفاتحة . ومن عجب تفجير العيون من الجبال . ألم تر كيف برد للماء في الجبال فصار تلجا فكبر حجما ففضط الحجرة فأنفجر ماء . ذلك ان الجبال مخازن للماء والعين بزازها وصورها والوادي مجراها والأشجار والنبات منتهاها . وانظر الشمس والقمر والليل والنهار كيف نظم الميقات وحفظ الحساب . واذا سلخنا النهار عن الليل بدا عاريا وظهر أسود قاتما . وترى الشمس جارية الى مدارى السرطان والجدي وهما منتهاها . والقمر يجري في ثمان وعشرين منزلة لا يتقدم عن وقته ولا يتأخر عما رسم له فهو أبدا مسخر مطيع بحريه السريع وكيف غفل الانسان عن الحساب وسها عن درس الميقات

حكم نسجت بيد حكمت * ثم انسجت بالمتنج

ما للناس يعيشون ولا ينظرون وان نظروا لا يتكروا وان اذكروا لا يدرسون وان درسوا لا يحسبون وان حسبوا لا يتعلمون في باحات العوالم العلية والسفلية . الشمس طالعة غاربة . والقمر في ذهاب وإياب . فهلا درسوا علم الفلك وفهموه واطلعوا في الأرصاد فكشفوه . إذن يعلمون أن الشمس لا تدرك القمر في دورانه ولا يسبق الليل أوانه . فالليل والنهار بحسبان . والشمس والتمر يسجدان . ألا ترى أن الشمس في جريها دائبة على قانون لاتعداه . وسارة على صراط لاتخطاه

انظر وفكر . أنت تعلم أن الفصول أربعة : الخريف والشتاء والربيع والصيف . وأول فصل الخريف في نصف شერთوت في برج الميزان إذ يستوى الليل والنهار في المقدار وهناك يزيد الليل أبدا نصف درجة وهو دقيقتان حتى إذا حلت ركائها بساحة العقرب وزفت بموكبها إلى باحات القوس والأول في نصف بابه والثاني في نصف هاتور فبنالك يزيد الليل كل يوم في الأول ثلث درجة وفي الثاني سدس درجة فتكون الزيادة إذ ذاك ثلاثين درجة وهي ساعتان : ساعة في الميزان ، وساعة في العقرب والقوس وتنتهي الشمس إذ ذاك إلى أول فصل الشتاء زمن يكون فيه الليل أربع عشرة ساعة والنهار عشر ساعات ، وهناك يبتدىء فصل الشتاء في منتصف كيهك فيتدرج الليل في النقص والنهار في الزيادة ، فسدس درجة كل يوم إلى منتصف طوبه وثلث إلى منتصف أمشير ونصف إلى منتصف برمهات وقد تنقلت في هذه الأبراج على التوالي وهي الجدى والدلو والحوت . وهناك يقساوى الليل والنهار وتحل الشمس ساحة برج الحمل وهناك تسمى الشمس الكبيرة ، وإذا نزلت البرج قبله وهو الحوت سموها الشمس الصغيرة إذ يكون الليل ثلاث عشرة ساعة ، وبحلول الشمس في الحمل يبتدىء فصل الربيع ويزيد النهار نصفاً فثلثاً فسدس درجة على التوالي في البروج الحمل والثور والجوزاء من نصف برمهات إلى نصف برمودة إلى نصف بشنس إلى نصف بؤنه . وهناك تكون الشمس في مدار السرطان ويبتدىء فصل الصيف ويأخذ النهار في التقص والليل في الزيادة بسدس فثلث فنصف درجة من نصف بؤنه إلى نصف أييب إلى نصف مسرى إلى نصف توت في الأبراج الآتية وهي السرطان والأسد والسنبلة . ذلك تقدير العزيز العليم - وهذا الحساب تقريري في القطر المصري

فالشمس لا تقتأ تسير على هذا الخط لاتعتاده من يوم خلق الله السموات والأرض إلى الأبد وهذا معنى سجود هائلة . فلشمس والقمر بحبان . والنجم والشجر يسجدان . ألا تعجب كيف سارت الشمس على هذا النظام فلا يتغير سيرها ولم تستأخر لحظة ولم تستقدم دقيقة بل جرت جريها المعروف أبدا وأمدا إلى يوم يعثون أليس الذي حسب نظامها وتدرجها محيط بأعمال العباد ؟

وذلك قوله تعالى هنا - وآية لهم أما جلنا ذريتهم في الفلك المشحون - إلى قوله - ومناعا إلى حين - وإذا لم تقو بصائرهم على الاعتبار بكواكب السماء وسياراتها وشعوسها وأقارها ، فما كم دلائل مما تعملون لتكون أقرب لأفهامكم وأسرع لعقولكم ، فانظروا إلى السفن كيف أقدرناكم على صنعها ، وجرت كما يجري السمك في البحر ، وعليناكم كيف وزتموها بالخيزران (الدقة) فقامت مقام ذيل السمكة حتى تسير يينا وشمالا ، وكيف عرفتم قاعدة (أرشميدس) التي بها تحملون السفينة ما تطيق حتى لا يزيد جرمها وحملها عما أراحت من الماء في جريها ، ولولا ذلك لغرقتم ولكننا نجيناكم في أسفاركم كما نجينا آباءكم الأولين من الغرق مع الظالمين وهكذا فعلنا بكم في طياراتكم أفلا تعلمون

﴿ المقصد السادس ﴾

(- وإذا قيل لهم انقوا ما بين أيديكم وما خلفكم - إلى قوله - ألم أعهد إليكم يا بني آدم -) يقول بعد أن عتد النعم التي خلقها . والحكم التي أودعها . والمجائب التي أبدعها . أنهم معرضون لا يسمعون الناصحين . ومهما رغبوا في الاتفاق على ذوى الاملاق احتجوا بالقضاء وقالوا أليس ربكم أقدر على الاطعام وأرحم بالأنام . وجهلوا أن الحياة اختبار والدنيا امتحان وابتلاء فسبحضرمهم للحساب وتأخذهم بغتة وهم في شقاق وسباب متخاصمين فتأتيهم الساعة بغتة وتحل بهم الحسرة فلا يودعون حبيبا ولا يوضون بمال ولا يرجعون إلى أهلهم بحال . ثم يقومون وهم من كل حذب ينسلون وآخرون في الجنة ناعمون فلهم فيها ما يشتهون من الثمرات واللذات وما تسر به أفئدتهم من اللذائذ المعنوية من سلامة وسلام . وهنا آن توبيخ الكافرين على التقصير وهو :

﴿ المقصد السابع ﴾

إذ قال - وامتازوا اليوم أيها المجرمون * ألم أعهد إليكم يا بني آدم - . في هذا المقام امتاز المؤمنون من المجرمين وفرغ سبحانه الكافر على أن نبذ اليهود وكيف أضل الشيطان رجلاهم (بتشديد اللام) فهلا عقولوا اضلاله ، هذه جهنم التي أغريتم بتكذيبها ، فالיום صمت الناطق وهو اللسان ونطق الصامت وهي اليدين والرجلان ، ولما كانت عناية الله بالناس شاملة ، ولطفه بهم أعم ، أخذ يتلطف بهم في الأفهام ، ليدخل في قلوبهم الإيمان ، من طرق أقرب ، ومسالك أقصر ، مما يعملون ويشاهدون

فتعجب كيف قدم في أوائل السورة قصص أهل النطاكية إذ حاق بهم العذاب في الدنيا ثم أتبعه ببيان مبين من نظرة في العوالم العلوية والسفلية ليعلم الإنسان بالعقل بعد ازدجاره وازعاجه بالعذاب ، فهكذا ههنا أخذ يهيد الكرة بمنهج أقرب ومعنى أدق ، ذلك أنه قابل أول المعنيين بأنه أقدر على طمس الأعين حتى لا يبصروا ومسح الصور فلا يعقلوا - ولونشاء لطمسنا أعينهم - الخ

يقول : ليس العذاب قاصرا على إهلاك أمة وإبادة قبيلة . كلا . بل يقاوم تشويه الأعضاء وطمس العيون ومسح الصور ومحو العقول كما نرى في الأمم التي عمّ جهالها فقلّ خيرها وزاد شرّها فانهم ذوو صور مشوهة الباطن وإن كانت حسنة الظاهر . ولما كان تصوّر ذلك عسرا على العمة صعبا على الجهلة قرّبه بعد ذلك بما هو أوضح محجة وأبين حجة فقال : - ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون - إنا قادرون أن نمسح صورهم كما غيرنا صور المعمرين ونعكس صور العقول فتذل الأمة وترعش في خزي فلاتموت في الدنيا ولا تحيا وهذا هلاك أدنى كإهلاك الأبدى الجسمي في أهل النطاكية . ولا جرم أن في هذا القول تصويرا للعقول بوصف المحسوس وايضا إشارا فذلك نبي أن يكون القول شعرا والنبي ﷺ شاعرا ، فليشعر في الأكثر لم يكن لمثل هذه الأغراض الشريفة - إن هو إلا ذكر وقرآن مبين - يفهمه العاقلون والأحياء ويجهله الغافلون الأموات ، ثم قابل ثانيهما بذكر الأنعام وملوكها وصوفها ولبنها وركوبها ونذيلها . فمن لم يعقل النظام العام من شمس وفر وأرض ونهر مما لا يعتل نظامه العالي إلا الأذكىاء . فليستألفها يزاوله من دابة يركبها وبهيمة يحلبها . أفليس ذلك يكفي دليلا على وحدانيته وبرهانا على قدرته . فأين الأصنام الميتة والأوثان الجامدة ؟ تالله لا يستطيعون نصرهم ولا يملكون نفهم

ولم يبق إلا أدق الأدلة على الميعاد ويوم الجزاء فضرب له ﴿ مثلين دقيقين ﴾ مثلا من الأنفس الإنسانية ومثلا من أعمالها اليومية . فالأول أن التراب صار رجلا والطين صور عقلا . أليس ذلك عجبا ؛ والثاني ترتب عليه فكان نتيجة ذلك أن الأجسام الإنسانية كالأشجار النباتية لها صور ظاهرة وأنوار باطنة . ولستم قدحتم الزئدة والزند من الأشجار لاسيما المرخ والعفار فأدرتم غصنا من المرخ في ثقرة تقرتموها في غصن من العفار حتى أحدثت الحركة حرارة فاتقد شرارة فأنتم منه توقدون . وهل عسرا أن تصوّروا أن في أبنيتكم الجنائية نفوسا نورية يكون لها شؤون وأي شؤون كما انقادت النار من شرر العفار ونفعت أمما وكانت متاعا للمسافرين ونضجا للبحرين . واصطلاء للشنتين . وتسخينا للماء . وزجرا للقطار وللسفن في البحار . وإذا كانت الأشجار كالمرخ والعفار والزناد من الأشجار قد فعلت عظيما وبقيت أجسامها بعد ذلك كثيرا فما بالكم بالإنسان ؟ أفلا يرى أن له نفسا باقية وروحاً خالدة ستلقى جزاءها . على أن الذي خلق الأرض والسموات قادر على أن يحيي الأموات فما لكم لا تعقلون ! إن كانت القدرة على الأحياء يعوزها كثرة الأعمال وضخامتها فهذه السموات والأرض أودقها فهذه النار في الأشجار أومزاولتها من قبل . فهما هي أجسامكم كانت مخلوقة من قبل وهو على إعادتها قدر فلم يبق إلا الأجلال والأعظام والاتصاف بالاعتراف - فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون -

﴿ آيات العلوم في هذه السورة ٢٤ آية ﴾

من قوله تعالى - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها - الى قوله - ومتاعا الى - ين - وقوله - أولم يروا
أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما - الى قوله - واليه ترجعون - آخر السورة
هذه الآيات (٢٤) تشير الى هذه العلوم : (علم الزراعة . النبات . البساتين) وفي قوله - مما لا يعلمون -
الحث على البحث في العالم عما لم يعلم من الحيوانات المكروية والنباتات الخفية ، وهكذا الكرات البيضاء
والجراء في دم الجسم وغير ذلك وعلم النفس وعلم التشريح - ومن أنفسهم - وعلم الهيئة وعلم التقويم وبناء
السفن والخطوط البحرية ومعركة الجهاد اسبرالسفن والنجوم والتيارات البحرية وخطوط البحار وكل آلات
السير من الآلات الجارية كالفطرات الجارية بالبخار والكهرباء ، وذلك في قوله - من مثله مايركبون - وعلم
الأنعام وتربيتها

﴿ آيات الأخلاق ﴾

ليس فيها آيات خاصة بالأخلاق إلا بطريق الإشارة والتلويح

﴿ آيات الأحكام ﴾

من قوله تعالى - أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - الى قوله - واليه ترجعون -
هذه آيات احتج بها الله تعالى على منكري البعث فدحض دعواهم وأثبت أن من قدر على الابتداء
فهو على الاعادة أقدر ، وهذا دليل على أن رد الشبهة مشروع فان القرآن بالحجج كالبحر الزاخر لا يذر اعتراضا
للملحد ولا نكرا لجاهل ، بل يصدع بالحجة ويدحض الباطل ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق
فلا جرم أن حرب اللسان والقلم أقوى من وخز السنن ، وطعن الصارم ، وقتك المدفع ، وحصد الديناميت ،
يطبع بها العاصي ، ويدنو بها القاصي ، وتخبث لها القلوب ، وتخضع لها النفوس
فعلى قادة الأمة نشر النضائل ودحض النقائص وإذاعة أخبار الخير والذرف عن هذه الأمة ودينها وإقامة
الحجج على فضاها ، فعلى كل امرئ أن لا يذر فرصة حتى ياهج بمحاسن الدين ويذب عنه في شرق المكورة
الأرضية وغربها ، وليعلم الصغار وهم في حداثة سنهم كي ينشروه وهم مستبشرون . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في عجائب العلوم التي تشير لها هذه السورة)

﴿ معنى - يس - ﴾

اعلم أن (يس) حرفان ذهب العلماء فيهما كل مذهب . فقال ابن عباس رضي الله عنهما : « معناه
يا انسان في لغة طي » ، ويقول غيره يا محمد ، وقد علمت في سورة آل عمران أن هذه الحروف جاءت في
القرآن لتذهب العقول فيها كل مذهب لا تختص بطائفة دون طائفة . واقد ذكرت لك آتفا أن هذه الحروف
تحليل الكلمات ، وليس في العالم المشاهد إلا اثنان العناصر والحروف . فالعناصر منها تكون المركبات من
حيوان ونبات وشمس وقر والحروف منها تكون الكلمات والجل والخطب والنثر والنظم
هذا ملخص علوم الانسان على هذه الأرض . فهذه الحروف المذكورة في أوائل السور تبلغ ١٤ حرفا
وهي نصف الحروف الثمانية والعشرين وقد تقدم هناك إيضاح حكمها . والذي يهم في هذه السورة بيان أن
ذلك اشارة الى أن الحروف قد حلت اليها الكلمات كما تحلل المركبات الى عناصر . وكأن الله يقول لنا تأملوا
الجل والآيات أليست من حروف ؟ وهل تعرف الجل إلا بتحليلها الى كلمات ؟ وهل تعرف الكلمات صرفا
واشتقاقا وكتابة إلا بمعرفة حروفها

هذا في علوم اللغات . أما في علوم الآفاق المشاهدة فكذلك إذ لا يعرف علم إلا بعرفته حقائقه وارجاع مركباته الى أصولها كما ترى في هذه السورة ذن خروج النار من الشجر الأخضر يرجع الى علم الكيمياء وهو من العلوم الطبيعية . وتقدير اقم منازل يرجع الى علم الفلك وهو من العلوم الرياضية . يقول الله لنا لا علم للناس إلا اذا حللوا المركبات في كل شئ . فيحللون المسائل الحسابية والهندسية والفلسفية وكذلك المركبات الطبيعية

﴿ الكلام على قوله تعالى - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا - ﴾

انظر في هذه الآية وتأمل كيف يقول الله للناس وهم لا يزالون في بدوهم وأول تطورهم . انظروا واعرفوا ما تزاوون من أعمالكم

أيها الناس : تأملوا في العجائب البارزة أى التي سبقت في خواصها بحيث تلمتت اليها الأنظار . انظروا شجر المرخ والعفار كيف يكون الفصان منهما يقطران ماء فاذا حك أحدهما في نفرة من الآخر اشتعل نارا . أليس هذا من العجب أن تروا النار والماء معا ، وكيف يجتمع الضدان الماء والنار . إن هذا الاجتماع يدعو الى الفكر فان التعجب أول العلم ومن تعجب من شئ فهو مشتاق اليه ومن اشتاق طلب ومن طاب نال ونظير هذا الأجر فاذا حكت حجر على آخر اقدحت منهما نار وظهر شرر . أمر الله الناس بالنظر في هذا استدلالا على سعة قدرته وحث الناس قبل ذلك على الاعتبار بما ينتفعون به من دواب للركوب وأخرى لمنافع ومشارب وأمر بالشكر عليها ووج من لم يشكر

﴿ البدو والحضارة ﴾

كل ذلك والقرآن يقرأ في بادية العرب عند قوم أميين في حال البدوة . يأمرهم أن يستخرجوا البراهين من العجائب التي يرونها ويشكروا على كل ما انتفعوا به . هذا هو شأن القرآن . يخاطب الأميين . انظر ماذا حصل بعد ذلك . تطورت الأمة العربية خصوصا والاسلامية عموما . فماذا جرى ؟ انتقلوا من البدو الى الحضارة كان الافناء أولا من صدور الرجال وفهم القرآن . كثرت الناس . سكنوا المدن . نظموا الممالك والبرد والنساء فاضطروا الى التأليف والتصنيف ودوتوا الدواوين واختافت طرق الاجتهاد فكانت مذاهب متشعبة كأغصان شجرة فيها الورق والزهر . ذلك كله في علم الفقه المستمد من آيات لا تزيد على مائة وخمسين آية فقد ألف فيه مؤلفات ملأت خزائن وخزائن في بغداد وقرطبة ومصر وحلب . لماذا ؟ لأن الفقه اضطر له الناس ليحفظ أحوالهم الاجتماعية . فهو في دين الاسلام كجسم والجسم مقدم النظر فيه على النظر في الروح . وروح مجسم ضعيف ضعيفة وأمة بلا قانون مشتتة . تهادى الناس في الفقه واختص بالبحث في العالم وعجائبه أناس ودوتوا الكتب ولكنهم لم يكونوا في الكثرة ولا في نظر العامة كالفقهاء

نبتت الأمة الاسلامية في الفقه تبعاً لنمو الحضارة حتى أمكن أن يستنتجوا من آية واحدة وهي قوله تعالى - فاعتبروا يا أولى الأبصار - ربع علم الفقه وهو القياس . جلّ الله وجلّ العلم هذا شأن آياتنا في علم الدين ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ سياج علم الدين وجسمه

أما روح الدين الاسلامي فهي الأخلاق والعلوم الكونية . والدليل على ذلك أن الأخلاق نحو (٧٥٠) آية وكذلك العلوم بل ان القسمين الأخيرين يشملان أكثر القرآن . فلقصص كلها أخلاق من حيث نتائجها وعلوم . لم يحث أكثر العلماء في القرون الأخيرة على علوم الأخلاق ولا علوم الآفاق . عرف آباؤنا الصوف والشعر والوبر والزناد وكلهم سم الله فقالوا انظروا . تحضر آباؤنا . نظموا المدن . فتحوا مصر والشام وشمال بلاد افريقيا . ولما فعلوا ذلك كله ملكوا الأندلس . ملكوا الهند والفرس . واتسع افقه باتساع الملك فكان مقتضى القياس أن يتسع علم الكائنات وينقل من لبن البقر وصوف الغنم ووبر الابل وزناد المرخ والعفار الى جميع العلوم الكيميائية والطبيعية كما اتسع علم الفقه من الفضايا الأولى المذكورة في القرآن كآية الموارث

وآية الدين وآية الوضوء والصلاة والزكاة الى كتب ضخمة هائلة وعلماء خصصوا لذلك كل القياس أن يكون للعلوم الكونية من طبيعة وفلك ورياضة وسياسة رجال أكثر عددا من علماء الفقه ، ذلك لأن هذه العلوم بها يكون الغذاء والدواء والحياة ، فأما علم الفقه فيوضا بطرما هو موجود ، فعلم الفقه لحفظ ما تملك والكن لانك شيئا إلا بهذه العلوم ، وما مثل الأئمة التي تدرس الفقه وتنسى العلوم الأخرى إلا كمثل من يتغذى بالدواء ، إن الدواء ليس غذاء ، فذلك يعيش مريض ، لذلك ولغيره اضمحلت المماتك الاسلامية في أقطار الأرض ، ولكن الله عز وجل لم يخلها من علماء قاموا بالأمر لاسما المسيحيين والمارسيين فقد نبغ كثير منهم في تلك العلوم . ولما آذنت شمس المسلمين بالغروب انقل علم آبائنا في ذلك الى أوروبا والذي نقله هو الله ، نقل البذرة فتمت هناك وأزهرت وأثمرت ، فعل الله ذلك لأنه هو المهيمن على أهل الأرض وكلهم عباده وهو الذي يعلمهم فلما انحطت دولنا في الشرق نقل علمنا الى الغرب فلما تم العلم هناك أخذ الغرب يطغى علينا وحر بنا بثمرات علوم آبائنا والله هو الذي سلبهم علينا رحمة منه بنا لأننا ان كنا أهلا للحياة اشتقنا فقرنا فنبغنا وهو المقصود ، وان كانت الأمة لم تستعد لذلك فانها تموت والعياذ بالله تعالى ، موت البلاد راحة له ولأهل الأرض ، وحياة الذكي نفع له ولأهل الأرض . فمن هذا ترى أن شكوى الشرق من الغرب خطأ لأن الله هو الذي سلبهم وانما سلبهم لرحمتنا إما بحياة علمية ولما بمرت على شهادة . فأما اذا كان غير ذلك فيكون الناس في الأرض أشبه بمن في جهنم لا يموت فيها ولا يحيا

﴿ علوم الآفاق في مستقبل الزمان في بلاد الاسلام ﴾

علمت أن أهل البادية من آبائنا حكفاهم نظارهم العلمي فيما كان بأيديهم من منافع وآمنوا ووحدها وجاهدوا وملكوا الأقطار . لماذا ؟ لأن الفطر السليمة في البادية أقرب الى الكمال لم تفسد تلك الفطر المدنية فلذلك قنعوا بما حولهم من علوم المادة فكان العلم بما حولهم كافيا لاحتياجاتهم كما كانت حاجاتهم المعيشية البسيطة كافية لأغذيتهم الجسمية . ولا جرم انه على مقدار انتشار المدنية واتساع المدن يحصل ﴿ أمران ﴾ الأول : كثرة الحاجات فتنشأ الصناعات الكثيرة والعلوم العظيمة ﴿ والثاني ﴾ أغشية العقول والشهوات والرذائل وأمراض الأخلاق التي تتكاثر بكثرة المدنية . فهذان أمران متمايان معا : كثرة الحاجات الجسمية في المعيشة . وتطلب العقول لحل المضلات وازالة الشكوك التي يولدها الترف والتنعيم وانتشار الآراء المضلة التي لا يعرفها أهل البدوة . واذن ترى أهل المدن مضطرين للعلوم الآفاقية لترقيتهم المدنية والحاجة لها وتنمية العقول وارتقاها . ولما مال الميزان في لأم الاسلامية ولم تنزن القوى العقلية والقوى الجسمية فيها انحطت كلها إلا قليلا . فترى المسلم أينما حللت في الشرق أو الغرب موصوفا بالظافة لما اشتهر في علم الفقه من الوضوء والصلاة ولكنه مشتهر بأنه جاهل . ولذلك لما رحل العلم الى أوروبا رجعت اليها تعاقبتنا على جهلنا . العقاب من الله . فأوروبا تدار بنا وتحتل بلادنا لما نافعها وهي لا تعلم أن الله أرسلها رحمة منه لنا لنستيقظ لهذا الكتاب الذي نؤمن به ولندرسه حتى ندرسه . ومن دراسته دراسة هذه السورة وفيها أن النار تنقد من المرخ والعفار ومن هذه مع حرفي الياء والسين وأمور أخرى سيرجع للاسلام كرة أخرى مجده وعلومه . وسيكون في هذه الأمة من يقرؤون هذه العلوم على أنها دين بل هي روحه وهي أصل اتوحيده

﴿ محاورات بين المؤلف وبين أحد العلماء ﴾

حضر اليوم وأنا أكتب هذا صديق حميم من أهل العلم . فقال : لقد أطلت في مسألة الشجر وانتقاد نارا وأدخلت كل شيء في شيء واحد وهذا بعيد المنال ليس بما يعتاد احتمال ولا يقبل أمثاله . قلت : إن انتقاد النار في الأشجار رطبة أو غير رطبة من الظواهر السكارية . فقال مامعنى كيمارية ومامعنى طبيعية . فقلت : اذا توعت صفات الأجسام بتأثيره أو ثمرتها كالحرارة والكهربائية أو بتأثير بعض الأجسام . فهذا التسويع يسهونه

(ظاهرة) فان غير هذا التوقع طبيعة الجسم وحوله من حال الى حال سميت الظاهرة كيميائية . وان لم يغير طبيعته سميت ظاهرة طبيعية

فاذا أخذت قطعة من السكر ووضعتها في الماء فانها تذوب فيه وتصبح سائلة بعد الصلابة ، فاستحالة قطعة السكر من الصلابة الى السيولة ظاهرة طبيعية لأن طبيعة السكر لم تتغير لأنك اذا وضعت الماء الذي ذابت فيه قطعة السكر على النار رأيت الماء يتصاعد ويبقى السكر كما كان قبل ذوبانه ، واذا وضع السكر على الجمر المتقد مباشرة فانه يحمر وتشم منه رائحة الخبز المحرق . فهذا التوقع يسمى ظاهرة كيميائية لأنه غير طبيعة السكر واذا حل السكر في الماء المضاف اليه عصير الليمون وسخن المحلول فانه يصير مادة طعمها حلو سكري تركيبها يخالف السكر المعتاد وهذه المادة تسمى (جليكوز) وهي تكون في جميع الثمار السكرية الحمضية . فاذن استحالة السكر المعتاد الى (جليكوز) بتأثير عصير الليمون يسمى أيضا ظاهرة كيميائية . فعرفة الظواهر الطبيعية في علم الطبيعة ومعرفة الظواهر الكيميائية في علم الكيمياء

فقال صديقي : فن أيهما مسألة النار في الشجر . قلت من الظواهر الكيميائية . قل : إذن تريد أن تستمر في شرح الامور الكيميائية . قلت : نعم ما يناسب منها المقام . قال : ولكن المعلوم أن علم الكيمياء علم غير لذيذ وليس للطلاب إلا أن يحفظه عن ظهر قلب ففائدته غير موجودة ونحن الآن في تفسير القرآن . واذا كانت المسائل الكيميائية تصعب على طلابها فما بالك بطلاب التفسير . فقلت : اعلم أيديك الله أن الكيمياء وغيرها اذا درست في التفسير فانها لا تدرس إلا بطريق مشوق لجعلها محبب للاطلاع عليها . ألا ترى الى المثل : « ليست الناشئة كالشكلى » فقد كرم مسائل من هذا العلم هنا على سبيل عرض مناظر الجبال العلى والنور الالهى والحكمة العالية فما أشوق الطلاب حين يطلع على ما أسأله الآن من جبال وبهاء ونور وعرفن

﴿ نظرت في هذا العالم وأنا طالب بالجامع الأزهر ﴾

إني أتذكر اليوم ما كان يجيش بخلدى ويهيجس في نفسى إذ كنت طالبا بالجامع الأزهر ، فلقد كنت أقف على شاطئ نهر يسمى (أبا الأخضر) بالشرقية قرب قرينتنا وأتأمل الأوراق والنسمات تهب بهم من مترنحات ذات اليمين وذات الشمال

والريح تعبت بالغصون وقد جرى به ذهب الأصيل على لجين الماء

فلقد كان يخيل الى أن فى تلك الأوراق أسراراً ويخيل الى أنها تكاد تتحلل أمامى وكأنها مملوءة حكمة محجوبة عني وكأن قلبى يتقد ناراً من الشوق الى معرفة عجائبها وهو يحس كأنها تتوهج وتضيء وكأنها تنطق بلسان الحال بأنها ذات أسرار لا يعرفها الا العالمون . كذلك كنت أنظر الى النجم وأقول :

النجم أخبرنا بأن وراءه بحكمات تجل عن العقول وتنظم

بعد ذلك دخلت مدرسة دارالعلوم . فلما اطلعت فيها على أثارة من هذا العلم انشرح صدرى وكأنى أعطيت ملكاً وكان ذلك أعظم بهجة لنفسى وسرورا وجورا

﴿ ايضاح المقام وتفصيله بالمثال ﴾

فهذه العلوم ان درست مجردة من الحكمة النظامية كانت صعبة المنال وان درست على انها جبال وحكمة وبهاء فن العقل يألفها ويمشقه ويراها سعادته . فلا ذكر لك الآن من عجائب الكيمياء ما به تفر عينك ويشجع صدرك فأقول :

لقد قرأت فى السورة أن الله يأمر بالنظر فى الأنعام وأوصافها وألبانها وفى الأشجار وثمارها ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يقول انظروا فى كل ما حولكم فى السماء والأرض . فهل ذكر الله ذلك للاقتصار عليه ؟ كلا . ذكر ما هو موجود عندهم . فلننظر نحن الى كل مانع مما حولنا . يذكر الله أن الشجر اتقد فصار ناراً . وماهى النار

إن هي إلا اتحاد عناصر الخشب والفحم وغاز الاستصباح والبتروول والزيت وغيرها بالمادة التي في الهواء المسماة (الكسوجين) فهذا هو الاحتراق ، فإذا رأيت مصباحا متقددا بالبتروول أو بالزيت أو رأيت نارا متقدة في خشب أو فحم فمغنى ذلك أن أكسوجين الهواء قد اتحد مع تلك المواد فحصل تفاعل وهذا التفاعل أنتج الحرارة والضوء ، فلنار إذن من التفاعل الكيميائي وهي ظاهرة كيميائية ، وما الأكسوجين ؟ الأكسوجين غاز عديم اللون والطعم والرائحة يسيل بضغطه ضغطا عظيما وتبريده تبريدا شديدا ، وهو أثقل من الهواء قليل الذوبان في الماء ، وإذا وضعت قطعة من الخشب متقددا طرفها في غاز الأكسوجين النقي فلنراها تلتهب حالا وكذا الفحم فإنه يحترق بلعنان شديد ويحول بسرعة ، فهذا الذي رأيته يسمى احتراقا حادا فما ذكره الله في الآية من الاحتراق الحاد

﴿ الاحتراق البطيء ﴾

إذا وضعت الحديد في الهواء الرطب اتحد بالأكسوجين المذكور فاستحال شيئا فشيئا إلى صدأ أي إلى مركب أكسوجيني للحديد ، فإذن الحديد الذي ركبته الصدأ مركب من حديد وأكسوجين ولم تظهر حرارة ولا ضوء لأن الحديد بطيء الاحتراق بخلاف الخشب والفحم والزيت ، فرجال الكيمياء يرون أن الخشب الملتهب والحديد الذي ركبته الصدأ كلاهما في احتراق ، أما الأول فهو حاد ، وأما الثاني فهو بطيء .

﴿ تنفس الحيوان من الاحتراق ﴾

لقد علمت أن الحديد الذي صدئ يحترق واحتراقه بطيء هكذا قل في تنفس الحيوان ، إن الحيوان يأخذ بالشهيق الهواء فيدخل في الرئتين ويترك هناك الأكسوجين وتأخذ الكرات الدموية وتنقله إلى الأوعية الشعرية ، وهذا الأكسوجين يتحد بالكربون والهيدروجين اللذين في الأنسجة فيسكون من هذا الاحتراق جسمان لا يصلحان للبقاء في الجسم فينقلهما الدم الوريدي إلى الرئة ويخرجان منها بحركة الزفير فكان جسم الإنسان أرض سقيت بماء النيل ومأبى من الماء الذي يضر الأرض يصفى من جهة أخرى وهذا هو الذي تم في الأكسوجين ، يتحد بالمادة الكربونية وبالمادة الهيدروجينية فتكون الحرارة في الجسم مستديمة بهذا الاتحاد ، ومائشاً من مادة فاسدة يكون أشبه بالفحم بعد احتراق الخشب ، فذلك يلفظه الجسم بواسطة الدم الوريدي ويخرج في النفس على هيئة مواد تقع على المرأة إذا تنفس فيها الإنسان فيغطيها بطبقة تحجب المناظر عن العيون ، ذلك هو ما تخلف من الاحتراق من المواد الكربونية مع غيرها كما نرى في أعمالنا اليومية فنظريها الذكي كيف كان الأكسوجين قوام الاحتراق في مسألة الشجر والنار ، وكيف كان العلم لا يفرق بين الشجر المتقد نارا في الآية والحديد الذي صدئ وجسم الإنسان والحيوان وهو دائماً يتنفس . فإذا كان الشجر يتقد نارا فالجسم الإنساني اليوم يتقد نارا بطيئة والحديد الذي صدئ كذلك وهذا كله لم يعرف إلا بتحليل المادة إلى عناصرها وفهمها كما فهمنا اللغة بتحليلها إلى حروفها . كل هذا يؤخذ من هذين الحرفين (باء وسين) . فذكر هذين الحرفين في أول هذه السورة يتضمن هذه العلوم . يتضمن أن يدرس المسلمون الكيمياء وجميع العلوم . لادرس لعلم إلا بتحليله كما ستراه . فانظر كيف ظهرت الخواص بالتحليل كما عرفت الكلمات بالهجية

فلما سمع صاحبي ذلك . قل : إن هذا العلم لذيق وشهي . وإن سمعتك تقول الآن إنه كان بجبل لك أن أوراق الشجر كانت تكاد تتحات أمامك وكأن فيها أنوارا . فهل عرفت من هذا شيئا ؟ فإن كان كذلك فأرجو الاسهاب في هذا المقام . قلت : انظر شعر القطن وحب القمح وحب الشعير وحب الذرة وحب الفول والبطاطس والقصب والبرسيم والصابون اللين وملح البارود والنظرون والزجاج . انظر إلى هذه المواد وهي ثلاثة عشر وتأمل في عجب من عجائبها . إن البوناسا تدخل في القطن (٥٠) من المائة وفي حب القمح ٣١٥

وفي حب الشعير ٢١ وفي الذرة ٣٧ وفي الفول ٤٢ وفي البطاطس ٦١ وفي انصب ٢١ وفي البرسيم ٣٤ وتري الصودا تدخل فيما تقدم بنسب تختلف عن هذه ، مثلا تدخل في شعر القطن (٣٥ر) تقريبا وفي حب القمح (٢٢٦) في المائة وفي حب الذرة (٣) وفي حب الفول (٣٣) من المائة ، فاذن كل هذه المواد دخل فيها البوتاسا والصودا ، ثم ان الصودا تستعمل في الصنائع لتحضير الزجاج والصابون وبها تبيض الأقمشة القطنية وتستعمل في المنازل لغسل الأواني وتنظيفها

فقال صاحبي : أنا لا أدري ماهي الصودا ، هذا كلام معي علينا فكيف نقوله في تفسير القرآن والقرآن سهل ومثل هذا صعب لا يعرف إلا في الأجزاء (الصيديليات) . فقلت له : الصودا هي الطرون وهو يوجد في بلاد البحر وفي القطر المصري . وتري في بلادنا المصرية بركا ينبور فيها الطرون في الصيف . وقديما كان يستخرج من النباتات البحرية والآن يحضر من الملح المعتاد الذي يسمى كلورور الصوديوم والصودا المذكورة أو ملح الصودا الذي منه الطرون عبارة عن كربون وأكسوجين وصوديوم أعني انه من المادة الفحمية والصوديوم والاكسوجين المعروف اتحدت فكوّنت هذا الملح . قال : وما الصوديوم وما صفاته ؟ فقلت : الصوديوم فلزّين ذوا لعمان فضي يصير في الهواء من غير أن يلتب . واذا ألقى في الماء اصطر وتحرّك بعضه على بعض فوق سطح الماء وهذا التفاعل يحصل نظيره في البوتاسيوم كما سيأتي وهو يكون في الجيوب التي نأكلها المذكورة ودخل في القطن الذي نلبسه . كل ذلك فيه بوتاسيوم وفيه صوديوم . أما الصوديوم فهو من الأجزاء المركبة للصودا المذكورة . وأما البوتاسيوم فهو من الأجزاء التي تركبت منها البوتاسا المذكورة سابقا فان البوتاسا المذكورة أي الداخلة في الحب والشعر وغيرها عبارة عن بوتاسيوم قد اتحد مع اكسوجين وايدروجين وتسمى (البوتاسا الكاوية) والبوتاسا جسم كاوشديد اذا لامس الأنسجة أحدث فيها استرخاء وأتلفها . ومن مركبات البوتاسا ملح البارود . إنك مهما قلبت نظرك في المواضع الرطبة والحيطان الرطبة في أراضي القطر المصري والهند والحجم واسبانيا فأنك تجد ملح البارود ظاهرا لاسيما في الحبل الخربة . فهذا الملح الذي في تلك الأماكن مركب من الاوزوت والاكسوجين والبوتاسيوم المذكور . فهو إذن من مركبانه فالبوتاسيوم إذن داخل في البارود وفي ملابسنا وفي ما كنا . واذا أردت أن تعرف صفاته قلنا انه جسم من الفلزات لونه أبيض فضي الماع لين كشمع العسل ويصهر على درجة (٦٢٥) ويتطاير على درجة دون الاحرار ولون بخاره أخضر جيل وهو أخف من الماء ويتغير لونه بملابسة الهواء ويحلل الماء على الدرجة المعتادة فيحصل تفاعل بشدة . فاذا ألقيت قطعة من البوتاسيوم في الماء فان كرات البوتاسيوم تدور بسبب شدة ارتفاع الحرارة الناتجة عن التفاعل ويحصل التهاب . وتري بعينك كرات من البوتاسيوم يدور بعضها على بعض سابحة جميعها على سطح الماء . وهذه العملية يحصل بها استحالة البوتاسيوم الى بوتاسا وحينئذ ينقطع التصاعد فتسقط قطعة البوتاسا على الماء فيظهر بخار جفأة بسبب الحرارة وتحصل فرقة

هذه ملخص أوصاف البوتاسيوم . انظر وتجب . لقد عرفت البوتاسيوم الذي هو من أجزاء البوتاسا تلك البوتاسا التي تدخل في تركيب الصابون ويدخل البوتاسيوم أيضا في ملح البارود الذي هو مركب من البوتاسيوم ومن الاكسوجين ومن الاوزوت

انظر الى الصابون الطري والى ملح البارود الذي تراه على الحيطان الرطبة والأماكن الخربة . وانظر الى ثوبك الذي تلبسه من القطن والى حب القمح وحب الفول والشعير والبرسيم . انظر هل يدور بخلك أنها قد دخل فيها عنصر لو وضعناه على الماء انقد نارا . هل كان يدور بخلك أحد أننا نلبس ثيابا محتوية على مادتين لو وضعنا على الماء انقد نارا . الله أكبر . جلّ العلم وجلت الحكمة . نسمع أن البارود يهلك البلاد والعباد والبارود مركب من ملح البارود الذي فيه البوتاسيوم ومن الكبريت والنجم . البارود مركب من الفحم

الذى نوقده في بيوتنا ومن الكبريت ومن ملح البارود وقد اختلفت الدول في المقادير كما تقدم . ففرنسا تدخل من ملح البارود (٧٥) في المائة وألمانيا (٧٤) في المائة وإنجلترا (٧٦) في المائة في تركيب البارود . البارود الذى فزت به أوروبا علينا وأنت وحرار بقاياه ودخل في تركيبه البوتاسيوم ، ذلك البوتاسيوم الذى اذا ألقى على الماء التهاب الماء ، ذلك البوتاسيوم الذى هومن جلة الأجزاء المكونة لملابسنا القطنية والقمح والشعير والقول والبرسيم . جلّ الله . ما أجل العلم . انظرالى علم الكيمياء . لا لا . بل انظرالى سورة يس كيف ظهر من سرّها هذا الجلال وهو التحليل تحليل الحروف في أولها وتحليل الكيمياء في آخرها . انظر كيف دخل البوتاسيوم ودخل الصوديوم هذان الجسمان اللذان يلتهبان في الماء ، يلتهبان أشد من التهاب الشجر الأخضر ، أكثر من التهاب المرخ اذا حكت بالعفار . جلّ الله وجلّ العلم . ما أبهج نور العلم وما أجل الحكمة . إن العلم ملأ السهل والجبل وعرفه الغربيون أما المسلمون فهم نائمون

أيها المسلمون : يقول الله سبحانه - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أتم منه توقدون - ولعلكم سمعتم أن الله خالق ملكا نصفه نلج ونصفه نار ، فلا النلج يطفى النار ولا النار تذيب النلج ، ذلك إشارة الى آثار صنعة الملائكة بأمر الله . ألم تروا كيف اجتمع في ملابسنا جسمان ناريان مصحوبان بالماء العجب في هذين الأمرين : الأول أن البوتاسيوم والصوديوم يلتهبان في الماء على الدرجة المعتادة وهذا عجب عجاب . هذا أعجب من انتقاد النار في شجر أخضر . فهذا انتقاد في ماء وانتقاد الماء نارا أغرب . فاذا ذكر الله سبحانه الشجر والنار المنقذة فيه فهما انتقاد في الماء وهو أبعد وأعجب في الحكمة الالهية كما قال - ويخاق ما لا تعلمون - وكما قل في هذه السورة - سبحانه الذى خالق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون -

أما الأمر الثانى فهذان الجسمان المحرقان . نحن الآن نلبسهما ونأكلهما لأنهما دخلا في تركيب القطن والحب ونحن نفعل ثيابنا بأحدهما لأن البوتاسيوم الذى هومن أجزاء البوتاسا داخل في الصابون الذى نفعل به أجسامنا وثيابنا وانما أكلناهما ولبسناهما لأنهما دخلا بمقادير قليلة في الحب والقطن . دخلا بحساب بديع ونظام متقن في أرزاقنا . أدخلاه الله بحسابه وترك لنا الحرية في ادخال البوتاسيوم والمركب منه وهو ملح البارود فأدخلته الأمم مع الكبريت والفحم . ويمكن ادخال الأمم له ليس كادخال الله له في النبات . إن الناس أدخلوه بكثرة بحيث صار ثلاثة أرباع البارود . أما الله فانه أدخله بقلة . فاذن البوتاسيوم حياة لنا اذا قل وموت لنا اذا كثر والله جعله لنا حياة والناس تصرّفوا فيه فجعلوه آلة للموت . وهذا هو السرّ في هذه السورة جعل الله الحروف مجزأة في أولها وفي آخرها من السور لتعليمنا علم التحليل . فلم يبق للمسلمين عذر بعد هذا البيان . استدّل الله بالنار في الشجر على بديع حكمته واتقان صنعته مشيرا الى التحليل السكماوى في العالم . ثم رأينا المواد المحرقة من البوتاسيوم ومن الصوديوم منتشرة في أكثر النبات ورأيناها مستعملة عند الأمم في البارود . فهى مهلكة نارة ومحبية أخرى ووجدنا هذا كله لا يكون إلا بمعرفة العناصر الكيميائية وسرها وهذا هو سرّ (سورة يس) وقد ورد « قلب القرآن يس »

لقد ظهر أن فيها قلب العلوم وأسها وهو التحليل بالحروف في أولها وبالعلوم الطبيعية والرياضية في وسطها وآخرها . وإياك أن تظن انها قلب القرآن بسبب هذا وحده بل هذا من جلة علومها فثبت مما تقدم ما يأتى :

- (١) الصوديوم والبوتاسيوم باتصالهما بالماء تنقد نار كما انقادت من احتكاك المرخ مع العفار
- (٢) هما عنصران داخلان في أغذيتنا وملابسنا بمقادير قليلة فساكنات من أسباب حياتنا ومنفعتنا
- (٣) هما داخلان في البارود بمقادير كثيرة يستعملان لازالة الحياة
- (٤) سورة يس أشار الله فيها الى ذلك التحليل بالحرفين الهجائين في أولها وبذكر انتقاد النار في المرخ

والعقار انقادا كيمائيا في آخرها أى ان العلوم كلها ترجع إما الى عناصر ان كانت طبيعية واما الى حروف ان كانت لغوية ، وكلاهما لا يعرف إلا بالتحليل واللغة مقدّمة وتليها العلوم (٥) اذا زادت الكلمة حرفا أو نقصت حرفا تغير المعنى وتغير الأثر في العقول ، هكذا اذا زاد المركب عنصرا أو ذرّة من عنصر أو نقص عنصرا أو ذرّة من عنصر تغيرت خواص المركبات ، وهذا مقصود لفظة (يس)

﴿ فائدة ﴾

- (١) من مركبات البوتاسيوم السواريج التي تظهر على هيئة مطر وتسمى سواريج المطر فهي مكوّنة من البارود الناعم ومن الذنجم الخفيف ومن عنصريّن آخرين وهما الخارصين والانيمون
- (٢) ومن مركباته أيضا النيران البيضاء
- (٣) والنيران الخضراء
- (٤) والنيران البنفسجية
- (٥) والنيران الحمراء

فن البوتاسيوم حياتنا بالأغذية . وحفظ أجسامنا بالملايس ، وهلاك الأعداء بالمدافع والبارود وانشرّاح الصدور في المواسم والأعياد بالألوان المختلفة للألّمة . فجّل الله الذي جعل ذلك كله في معنى لفظ يس . بهذا يعرف المسلمون بعض سر هذين الحرفين ياء وسين

﴿ فائدة ثانية . ملح الطعام ﴾

الناس يأكلون ملح الطعام ويعيشون ويموتون وهم لا يعلمون من أى شئ ركب . يعيش الانسان وهو يأكل الملح في طعامه ولا يدري انه يأكل في الملح جسمين متّحدين : أحدهما نارى اذا أُلقي في الماء اضطر وتحرّك بعضه على بعض فوق سطح الماء كما يحصل في البوتاسيوم . وذلك الجسم هو الصوديوم . فالصوديوم يلتهب في الماء وينتهى بفرقة

هذا أحد الجسمين . أما الجسم الآخر فهو الكالور وهو غاز لونه الصفرة مخضر يؤثر بقوة في أعضاء التنفس فيحدث سعالا وتهيجا في الأغشية المخاطية . واذا استمرّ تأثيره أحدث الموت والكالور يزيل المواد الملوّنة وي تلف الجراثيم المعدية والروائح العفنة التي تتكوّن في التخمر العفن ويستعمل في تبييض الأنسجة التي من القطن والكتان والتيل لانتلاف المواد الملوّنة . ويستعمل في تبخير السجّون والمستشفيات والمحال العفنة لانتلاف الجراثيم فيها والمواد المسببة للعفونة . ولا يستعمل الكالور لتبييض الصوف أو الحرير لأنه يتلفهما وهو يبيض عجينة الورق لأنه يزيل لون الخرق المستعملة في المجينة . إن الذهب والبلاتين لا تؤثر فيهما الحوامض ولكن يؤثر فيهما الكالور فيتحد معهما ويسميان كالورور الذهب و كالورور البلاتين

﴿ الماء المملح ﴾

الكالور يدخل في التركيب الذي يسمى الماء المملح وهو سائل أصفر يذيب البلاتين والذهب فيتكوّن كالورور البلاتين و كالورور الذهب . وانما سمي ماء ملكيا لأنه يذيب الذهب الذي هو ملك المعادن . فجّل الله وجلت الحكمة وجلّ العلم . ملح نأكله في هذه الحياة ولا ندري اننا نأكل جسمين : أحدهما نارى يتقد ناراً مع الماء وهو الصوديوم . وثانيهما جسم غازى مخضر اللون يحدث للسعال يميت يميت الانسان اذا طال استعماله ويميت الجراثيم حالا ويؤثر في الذهب ملك المعادن ويضر الصوف وينظف القطن إن الملح نافع لنا والجسمان اللذان تركب منهما أحدهما مهلك نارة ونافع أخرى . كل ذلك لا يعرف إلا بصناعة التحليل في علم الكيمياء وذلك كله في معنى (يس)

بألبت شعري هل بدرى المسلم وهو بأ كل الملح أن هذا الملح سر (سورة يس) وعلومها تحتوى على بسائط ضارة ونافعة وقائلة . عرفت أوروبا ذلك . عرفت سر التحليل فعلمتنا كيف نزيل العفونات ، وكيف نقتل الجراثيم ، ولم ندر نحن أن القرآن يطلعنا بذلك فى لفظة يس . جاءت أوروبا بالغازات الخافقة والمحدثه للسعال ونحن نتعجب ونقول عجبا عجبا ما أعلمهم ونحن فى الوقت نفسه نأكل الملح المحتوى على الكلور والكلور يحدث السعال ويحدث الموت ، ونقرأ يس صباحا ومساء لقضاء الحاجات من رب الكائنات ولا نعلم أن فى لفظة (يس) هذا السر المصون وهو سر التحليل وبه نعرف المواد المهلكة والمواد النافعة وبه نحارب من يحاربنا . لما جهلنا ذلك أرسل الله أوروبا بخار بتنا وغابتنا فانتبهنا فلذلك ظهر بعض سر (يس) فى هذا التفسير . لولا فضل أوروبا علينا وحربها لنا لم يظهر بعض سر (يس) الذى اطلعت عليه الآن

نأكل الملح ولا ندرى أن أحد جسميه وهو الكلور هو الذى ينظم الحرق للمستعملة لهجينة الورق . أنا أكتب الآن على هذا الورق الذى لولا الكلور لم يكن ورقا أى لولا أحد جسمي ملح الطعام لم يكن ورقا . لم يكن ورقا إلا بارالة الكلور الذى هو أصفر اللون مع اخضرار لألوان الحرق . لولا لم يكن الورق أبيض بل كان كثير الألوان فلا ينفع فيه كتابة . إن ملح الطعام منتشرة فى الدنيا فهو فى الجبال وفى أغوار الأرض وفى مياه البحار بنسبة (٣١) جراما فى اللتر فى المحيط الاطلا نطيق والهادى الباسفيكى و١٨ جراما فى البحر الاسود وفى بحر الخزر (٦) جرامات فى اللتر وفى البحر الأبيض (٣١) جراما فى اللتر ويحضر فى ملاحات الاسكندرية ورشيد ودمياط . وقد تقدم ذلك فى هذا التفسير فى آخر ﴿ آل عمران ﴾

هذا هو الملح الذى نأكله . هذا هو الملح الذى ملأ البحر وهو فى الجبل حلل الى جسمين نارى وقاتل أو ممرض ونافع وسر (يس) لاستخراج منافعه . فالتاس يقرؤن (يس) ويتعاطون الملح وهم لا يعلمون . ذلك من سر قوله تعالى - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا - وأكثر الشجر فيسه الصوديوم والبوتاسيوم والصوديوم فى الملح . فهذا كله من سر سورة يس فلا كتف بهذا القدر والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى الكلام على علم الكيمياء

﴿ الكلام على بعض العلوم ﴾

لقد علمت بعض ما رمز الى الحروف التى فى أوائل السور ومنها سورة يس . وإليك تقول : أترى أن ياء وسين تفيد هذه المعانى كلها ؟ أقول نعم إن الله لما أنزل القرآن أراد هذه المعانى التى كتبها والناس سيقولها من بعدنا . فالتعقولات الانسانية اليوم وبعد اليوم مستمدة من الله وهى تفهم من الوحي فهما يؤدى الى الثمرات المطلوبة فى زمانها فما كان حقا بقى وما كان باطلا اضمحل . واذا كان القرآن نفسه محفوظا بالنص فهكذا ما كان حقا من تفسيره أو تأويله أو رمزه

ولعلك تقول أوضح فأقول : إن الحروف التى فى أوائل السور لم تعرفها العرب . لم نقرأ فى المعلقات التى هى أشرف ما قيل فى زمن الجاهلية ولا فى غير المعلقات أن الشاعر قال طس ولاحم ولامر ولاالر ولاالم وانما ينطق بقوله : * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * أو بقوله : * لمية أطلال يرفقه همد * أو بقوله : * آذنتنا بيننا أسماء * أو بقوله : * ألهي بصحنك فاصبحنا * ولم نسمع شاعرا يوما ولا خطيبا يقول : الم قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل الخ وانما هذه الحروف اختص بها القرآن والنبي ﷺ قراها ولم يفسرها ولو فسرنا لوقف العقول عند تفسيره . فعنى هذا انه تعالى يقول لنا فكروا فى هذا . لم أنزل ولم اختص القرآن به مع ان القرآن ليس مدرسة لتعليم الهجاء وانما هو ذكر وقرآن مبين فأين الذكر هنا . ولقد فكر من قبلنا كل بحسب ما وصل اليه فهمه وقد تقدم فى أوائل سورة آل عمران . أما نحن فنقول ان هذه أشبه بخزائن علم أبقيت ليتدبر الناس فيها والخزائن لا تبرز إلا عند

الاقتضاء ووجدنا المسلمين مقصرين في جميع العلوم التي فيها التحليل فقلنا إذن الله يريد أن يذكرنا بما نسبناه وهو ارجاع الامور الى اصولها ويقول لنا امرا سهلا (الم . ي . س) وهكذا يقول ادرسوا اصول الأشياء فلما سمعناه يقول ذلك فكرونا فوجدنا أن أوروبا نبغت في علم الكيمياء وغيرها وعرفت العناصر واستخدمتها في الحرب والتجارة وجميع فروع الحياة فقلنا أيها المسلمون ادرسوا هذا العلم ، انظروا النبات وحلوه كالحل الشجر واحرق نارا

هذا ما قرأته أنت في القول السابق وقول الآن إن ذلك سار في أكثر العلوم ، ألا ترى الى علم الحساب أليس هو راجعا الى تحليل وتركيب . أليس الجمع والضرب يرجعان الى التركيب والطرح والقسمة يرجعان الى التحليل ، كذلك الهندسة وفروعها ترجع جميع نظرياتها الى الاصول التي قبلها وكل نظرية ترجع الى ما قبلها حتى نصل الى الأوائل العقلية مثل الكل أنظم من الجزء والشيان المساويان لشيء واحد مساويان ، كذلك علم المنطق ، ان علم المنطق يرجع الى أربعة أصول وهي التحليل والتقسيم والحد والبرهان ، وأنت ترى أن المنطق اليوم في بلاد الاسلام قد خلا من التحليل فأصبح علما ناقصا لا ينفع ، وكيف ينفع الناس بعلم ينقصه أهم اصوله ، فلنحلل للأشخاص كقولك هذا الانسان وهذه الشجرة وهذا البناء وهذه المدينة وهذه الأمة . فكل هذه من حيث انها أشخاص لا تعرف إلا بالتحليل وعلم الكيمياء المتقدم كله تحليل . فكل مركب في المنطق لا يعرف إلا بمعرفة أجزائه أعني تحليلها وهذا مفقود في المنطق اليوم وقد ذكرته في كتاب الفلسفة الذي ألفتته حديثا

فأما التقسيم فيكون لمعرفة الكليات وتمييز بعضها من بعض . وأما الحدود فلا تنوع وأما البراهين فانها تكون للأجناس . فاذا رأينا المسلمين على هذا النحو من النوم العميق . ورأينا هذه الحروف فاننا نقول إن الله أراد ايقاظ الأمة لهذا النوع من العلوم وحقا هو أراد حين أنزله على سيدنا محمد ﷺ وأما أقول الآن أيها المسلمون جهنم أهم مافي المنطق وجهنم علم الكيمياء والله يناديكم أن هلموا والا فأنتم هالكون

﴿ لطيفة ﴾

حضر صديقي العالم واطلع على ما تقدم فقال : إن هذا منك هجوم على القرآن ، كيف تدعى أن هذه المعاني قمرها الله ، وهل أنت اطلعت على علم الله ان هذا غلو في الدين ؟ قلت : لقد جاء في سورة البقرة (الم) للإشارة الى قوله - ألم تر الى الذين خرجوا - الخ وفي ﴿ آل عمران ﴾ لمساءلة اليهود الخ وهناك يحيى (الم) بل جاء ياء وسين المذكوران في أهم أدلة السورة من نار الشجر المشير للكيمياء ومن خلق ما هو أكبر من الانسان ومن خلق ما ابتداء أولا . فقال : أين ذلك ! قلت في قوله - ونسى - وفي قوله - أوليس - فتأمل إن الله أراد حقا . ألم تر أن علم الكيمياء من الواجبات والفروض الكفائية . قل بلى . قلت : إذن هذا يحرم تركه هكذا التحليل في المنطق ، أليس جزأ من علم وهو فرض كفاية . قل بلى . قلت إذن هو من الدين ويحرم تركه . قال : ولكن كيف تقول أراد من هذه الحروف . قلت : اذا وجدنا أن هذه الحروف قد انطبقت على ما نحن في حاجة اليه وفهمناها بطريق الرمز . وفوق ذلك جاءت ياء وسين فيما ذكرته لك فنقول إن الله أراد هذا المعنى لأن الله لا يستحي من الحق وهذا حق . ولقد قال علماء التفسير إن المعاني الرمزية المعقولة النافعة أرادها الله من القرآن مهما كثرت . إن القرآن أنزل لأجلنا . فاذا وقف قوم بسبب فهمهم فهمما أدنى الى الانحطاط فليكن اليوم هو الذي نفهم فيه ما يؤدى الى السداد والنجاح

على أنى لا أكتملك أيها الذكي الحديث أن وجداني على ذلك وأجده في النفس بدافع قوى شديد بحيث لا أقدر على مدافعتي والله عليم بذات الصدور

وقد قال علماءنا رحمهم الله : « إن الخاطر اذا كان موافقا للشرع فهو إيمان الله أو من الملك » وأقرب

شاهد لذلك أنى منذ ليلتين حين ابتدأت في تفسير هذه السورة كنت أتعاطى طعام السحور فقام في نفسى بدافع شديد قوى أن الدورة الغذائية في الأجسام الانسانية تدخل في سرّ لفظ (يس) فأردت أن أدافع هذا الخاطر فلم أقو على دفعه

﴿ الدورة الغذائية في الأجسام الإنسانية والحيوانية ﴾

لما خطر هذا الخاطر وجدت أمراً عجيباً ، وجدت أن الغذاء يقطعه القواطع وتمزّقه الأنياب وتطحنه الأضراس . فقلت : يا عجبا . هذا كالتحليل ، هذا خبز وخضر ولحم وفاكهة للإنسان وأبّ وورق ولحم وحب للحيوان تقطع وتمزّق وتطحن ، إن ذلك تحليل الجسم الى دقّقه ، ثم ينبع (٦) أنهر من تحت اللسان لتعين الآكل على عجن اللقمة فيمكن بلعها وهذا الريق لتحويل ذلك الطعام حتى ينضم ويقايله البنكرياس فيزيده هضماً ، كل ذلك تحويل للطعام ليصير كقوام اللبن وهو الكيموس ويدخل الى الامعاء فيصير ككيلوسا ويتجه في الشرايين فتتمصه ثم يطبخ فيصير دماً وهناك تفرز منه المواد اللطيفة فتذهب الى الصفراء والمواد الغليظة فتذهب الى الطحال والمواد المائية فتذهب الى الكليتين وتبقى المواد الدموية الخالصة فتذهب الى الشرايين وهذه تمرّ على سائر الأعضاء البدنية ظاهرها وباطنها فتعطي كلا منها ما يناسبه والصفراء لاتذهب سدى بل هي تنبه الشهوة من جهة ومن جهة أخرى تسهل انزلاق الطعام في الامعاء حتى يبرز الى الخارج ، وأما الماء فانه يذهب الى الحالبين فالمثانة فيكون البول ، وأما الفضلة الغليظة فتذهب في المستقيم ، وأما السوداء فانها تساعد كما تساعد الصفراء في أعمال الغذاء ونظامه

﴿ الدورة التنفسية ﴾

وهكذا الدورة التنفسية ، إن الهواء في دخوله الى الرئتين يحمل فيكون الأكسوجين ذاهباً مع الدم الى داخل الجسم ويرجع مابقى من عناصره متحملاً بالمادة الكربونية الراجعة مع الزفير الى الهواء الجوى ، هكذا الدائرة العقلية قد قسمت أعمالها على الحواس الخمس الظاهرة فكل حاسة لها عمل لانتهاه ، هكذا الحواس الخمس الباطنة مثل الحس المشترك والخيال والقوة المفكرة والحافظة والواهمة فكل واحدة منها لها عمل ، إن الله عز وجل يوقظ المسالمين الى التحليل الذي أغفلوه وأظفروا الله في الحواس وفي أعمال الهضم في حروف أوائل السور لاسياً (يس) وقوله تعالى - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أتم منه نوقدون - والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

- (اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - قال ياليت قوى يعلمون - وفي قوله تعالى - يا حسرة على العباد -
- (اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها - وذلك في ﴿أمرين * الأول﴾
- كم عمر الأرض في رأى بعض العلماء ﴿الثاني﴾ في نقصها المستمر
- (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - والشمس تجري - الخ
- (اللطيفة الرابعة) في ضوء الشمس وحرارتها
- (اللطيفة الخامسة) في قوله تعالى - سبحان الذى خلق الأزواج كلها - الخ
- (اللطيفة السادسة) في قوله تعالى - وتكلمنا أيديهم -
- (اللطيفة السابعة) في قوله تعالى - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً -
- (اللطيفة الثامنة) في قوله تعالى - فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ -

﴿ اللطيفة الأولى فيها فصلان ﴾

(الفصل الأول في قوله تعالى - قل ياليت قومي يعلمون -)

نذكر في هذا الفصل ما جاء في كتاب « أخوان الصفاء » تحت العنوان التالي وهذا نصه :
﴿ فصل ينبغي أن نبين كيف يكون توأصل أخوان الصفا وكيف يكون معاونة بعضهم بعضا في طلب معيشة الدنيا وماذا كيف يكون حال من سبقته المنية قبل صاحبه وكيف يكون عيش الباقي منهم بعد صاحبه ﴾

ذكر أن مدينة كانت على رأس جبل في جزيرة من جزائر البحر مخصبة كثيرة النعم رحية البال طيبة الهواء عذبة المياه حسنة التربة كثيرة الأشجار لذيدة الثمار كثيرة أجناس الحيوانات على حسب ما تقتضيه تربة تلك الجزيرة وأهويتها ومياهها وكان أهلها أخوة وبنوعهم بعضهم لبعض من نسل رجل واحد وكان عيشهم أهنئ عيش يكون بتودد ما كان بينهم من المحبة والرحمة والشفقة والرفق بلاتنقيص من الحسد والبغى والعداوة وأنواع الشر كما يكون بين أهل المدن الجائرة المتضادة الطباع المتنافرة القوى المقتتلة الأراء القبيحة الاعمال السيئة الأخلاق ثم إن طائفة من أهل تلك المدينة الفاضلة ركبوا البحر فكسروهم المركب ورمى بهم الموج إلى جزيرة أخرى فيها جبل وعرفيه أشجار عالية وعليها ثمار قدرة فيها عيون غائرة ومياهها كدرة وفيها مغارات مظلمة وفيها سباع ضارية وإذا عامه أهل تلك الجزيرة فردة وكان في بعض جزائر البحر طير عظيم الخلقة شديد القوة قد سلب عليها في كل يوم ليلة يكر عليهم ويختطف من تلك القردة عدة ثم إن هؤلاء نفر الذين نجوا من الفرق تفرقوا في الجزيرة وفي أودية ذلك الجبل يطلبون ما يتقوتون من ثمارها لما لحقهم من الجوع ويشربون من تلك العيون ويستترون بأوراق تلك الأشجار ويأوون بالليل إلى تلك المغارات ويعتصمون بها من الحر والبرد فأنست بهم تلك القردة وأنسوا بها إذ كانت أقرب أجناس السباع شبا لصورة الناس فولعت بهم أناث القردة وولع بها من كان به شبق فخلت منهم وتوالدت وتناسوا وكثروا ونمادى بهم الزمان فاستوطنوا تلك الجزيرة واعتصموا بذلك الجبل وألفوا تلك الحال ونسوا بلدهم ونعيمهم وأهاليهم الذين كانوا معهم بدائم جعلوا يبنون من حجارة ذلك الجبل بيانا ويتخذون منها منازل ويحرسون في جمع تلك الثمار ويدخرونها من كان منهم شرها وصاروا يتنافسون على أناث تلك القردة ويفطون من كان منهم أكثر حظا من تلك الحالات وتمنوا الخلود هناك واشتبت بينهم العداوة والبغضاء وتوقدت نيران الحرب ثم إن رجلا منهم رأى فيما يرى النائم كأنه قد رجع إلى بلده الذي خرج منه وأن أهل تلك المدينة لما سمعوا بمجيئه استبشروا واستقبله خارج تلك المدينة أقرباؤه فأروه قد غيروه السفر والغربة فكروهوا أن يدخل المدينة على تلك الحال وكان على باب المدينة عين من الماء فغسلوه وحلقوا شعره وقصوا أظفاره وألبسوه الجدد ونحوه وزينوه وجلوه على دابة وأدخلوه المدينة فلما رآه أهل تلك المدينة استبشروا به وجعلوا يسألونه عن أصحابه وسفرهم وما فعل الدهر بهم وأجلسوه في صدر المجلس في المدينة واجتمعوا حوله يتعجبون منه ومن رجوعه بعد اليأس منه وهو فرحان بهم وبما نجاه الله عز وجل من تلك الغربة وذلك الفرق ومن صحبته تلك القردة وتلك العيشة النكدية وهو يظن أن ذلك كله يراه في اليقظة فلما اتقه إذا هو في ذلك المكان بين أولئك القردة فاصبح حزينا منكسرا البال زاهدا في ذلك المكان مغتما متفكرا راغبا في الرجوع إلى بلده فقص رؤياه على أخيه فتذكر ذلك الأخ ما أنساه الدهر من حال بلدهما وأقاربهما وأهاليهما والنعيم الذي كانوا فيه فتشاورا فيما بينهما وأجالا الرأي وقالا كيف السبيل إلى الرجوع وكيف النجاة من هنا فوق في فكرهما وجه الحيلة بأنهما يتعاونان ويجمعان من خشب تلك الجزيرة ويبنيان مركبا في البحر ويرجعان إلى بلدهما فتعاقدتا على ذلك بينهما عهدا وميثاقا أن لا يتخاذلا ولا يتكاسلا

بل يجتهدا اجتهد رجل واحد فلما عزم عليه ثم فكرا أنه لو كان رجل آخر معهما لكان أعون لهما على ذلك وكما زاد في عددهما يكون أبلغ في الوصول إلى مطالبهم ومقصدتهم فجاءوا يدكرون اخوانهم أمر بلدهم ويرغبونهم في الرجوع ويزهدونهم في السكون هناك حتى التأموا جاعة من أولئك القوم على أن يبنوا سفينة ويركبوا فيها ويرجعوا إلى بلدهم فيبناهم في ذلك دائبون في قطع الأشجار ونشر الخشب لبناء تلك السفينة اذ جاء ذلك الطير الذي كان يختطف القرود فاختطف منهم رجلاً وطار به في الهواء ليأكله فلما أضمن في طيرانه تأمله فإذا هو ليس من القرود التي اعتاد أكلها فربطه طائراً حتى مربطه على رأس مدينته التي خرج منها فألقاه على سطح بيته وخلاه فلما تأمل ذلك الرجل اذا هو في بلده ومنزله وأهله وأقربائه فجعل يتننى لو أن ذلك الطير يمر في كل يوم ويختطف منهم واحداً ويلقيه إلى بلده كما فعل به وأما أولئك القوم بعد ما اختطفه الطير من بينهم جعلوا يكون عليه محزونين على فراقه لأنهم لا يدرون ما فعل به الطير ولو أنهم علموا بحاله وما صار إليه لتمنوا ما تمنى لهم أخوهم فهكذا ينبغي أن يكون اعتقاد اخوان الصفا فيمن قد سبقته المنية قبل صاحبه لأن الدنيا تشبه تلك الجزيرة وأهلها يشبهون تلك القرود ومثل الموت كمثل ذلك الطير ومثل أولياء الله كمثل القوم الذين كسبهم المركب ومثل دار الآخرة كمثل تلك المدينة التي خرجوا منها فهذا اعتقاد اخواننا الكرام في معاوتهم في الدنيا وما يعتقدون فيمن سبقته المنية قبل اخوانه فانتبه أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فان الدنيا دار غرور وعجن لا يرغب العاقل الخلود في دار الحزن والبلاء وفقك الله وإيانا وجيع اخواننا السداد وهذاك وإيانا وجيع اخواننا سبيل الرشاد . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني من اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يا حسرة على العباد - ﴾

اعلم أن هذه الجملة سجلت على النوع الانساني التعمق في الجهالة ، واذا أردت شرح هذا المقام فارجع إليه في ﴿ سورة التوبة ﴾ فانك تجد هناك كيف كان تصير المسلمين اليوم في علومهم وأعمالهم منطبقا على الاستهزاء من حيث العمل لا الاعتقاد ، وستطلع هناك على عجائب العلم وأن المسلمين قد أبرز الله لهم ولغيرهم الكواكب والجمال وغيرها فأعرضوا فأبرز لهم أمراً آخر وهي الطيارات القاذفات المهلكات كأنه يقول لهم : « أتم أعرضتم عن جمال العوالم . فها أنا ذا أرسل عليكم شواظاً من نار حامية تقذف من المدافع والطيارات » وتجد الموازنة هناك بين استهزاء الأمم المحكومة بجنود الأمم الحاكمة ومقاطعة حكاهم أو الخضوع وبين آيات الله التي قصها للناس ، فلما أعرضوا فعل معهم ما فعله الأمم القوية مع الضعيفة - والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم - . انتهى الفصل الثاني

﴿ اللطيفة الثانية في عمر الأرض ونقصها المستمر ﴾

(كم عمر الأرض ؟)

بعد اكتشاف الراديو أصبح تقدير علماء طبقات الأرض وهو مائتا مليون سنة أول تقدير حديث مع انه كان يظن انه مبالغ فيه والبحث الآن ليس في حسم النزاع بين علماء طبقات الأرض والفاك بل بين علماء طبقات الأرض وأنصار نظرية إشعاع الراديو ، ثم لوحسم هذا النزاع الجديد وقرّر الرأي على عدد معين من ملايين السنين . فهل يعتبر هذا العدد مبدأ لخلق الأرض أو مبدأ الحياة فيها أي هل للأرض أول ولها آخر ؟ يقول اللورد كلفن : « لا يمكن غير ذلك أي لا بد أن يكون لأرضنا مبدأ وسوف تكون لها نهاية وأن هناك فكرة أو تدبيراً يعمل في الكون وهو الخالق الأحد » هذا هو رأي اللورد الطبيعي وهو رأي يتفق وتعاليم الأديان ، وفي النهاية فان أقل تقدير لعمر الأرض الآن هو مائتا مليون سنة ، وقد يظهر غداً أنه أكثر من ذلك بكثير إذ أن أدنجنون يعطى حداً أقصى لعمر الأرض بعشرة آلاف مليون سنة . انتهى من

مجله « كل شيء »

واعلم أن مسألة « حزام الأرض » هي مقتضى قوله تعالى - فتصها من أطرافها - فقد جاء في بعض المجلات العلمية تحت العنوان التالي مانعه :

﴿ الأرض تشد حزامها ﴾

يقرر الدكتور (ميرمان الألماني) أن طول خط الاستواء قد نقص ميلا عن طوله منذ ١٠٠ سنة نظرا لانكماش الأرض اهـ

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - والشمس تجري لمستقر لها - الخ ﴾

الله قدّر سرعة الشمس وكل سرعة في العالم ، فهو عزّز أي غالب عليم بما يقدره . وهنا فتح لنا باب السرعة في العالم الذي نعيش فيه . إن أسرع حركة في عالمنا هذا سرعة الخاطر . إن خواطرنّا تنقل من الشرق الى الغرب ، ومن الشمال الى الجنوب . ومن العرش الى الفرش في جزء من آلاف من الثانية . إن الجاهل لا يعي بهذه السرعة ولا بهذا الثقل ويقول هذا وهم ونحن نقول : أليس هذا الثقل أمرا موجودا بدليل أن هذه الحركات في النفس لها آثار في شعورنا وكل ماله أثر فهو موجود . فهذه السرعة موجودة وهي أعجب ما في هذا الوجود ، وبلى هذه السرعة سرعة النور فانه في الثانية الواحدة يمكنه أن يجري حول الأرض فوق (٧) مرات ، ومعلوم أن محيط الأرض (٤٠) ألف كيلو والشمس تجري بسرعة (١٨٦٠٠٠) ميل في الثانية أو نحو (٣٠٠٠٠٠) ثلاثة آلاف كيلو . ثم سرعة القنبلة في الثانية (٢٠٠٠) ميل . وسرعة الأرض حول الشمس (٦٥٥٣٣) ميلا في الساعة . وسرعة الطائرة الفرنسية (٣٠٢٣) ميل في الساعة ثم الطائرة الأمريكية (٣٠٠) ميلا في الساعة . ثم الطائرة المائية (٢٤٥٧١) ، ثم الاتوموبيل (١٥٦) ميلا (انظر شكل ٣٥) و (شكل ٣٦) الآتيان قريبا

وهكذا حتى تصل قوة الاسراع في الانعطاف الى سرعة الرجل إذ يسير بسرعة (٩) أميال في الساعة ، ثم تهبط السرعة شيئا فشيئا حتى تصل الى سرعة الخيلون إذ يجري (١٥) من (١٠٠٠٠) من الياردة في الثانية ثم تهبط الى درجة نحو شجرة الغاب إذ يصل الى (٢٧) جزءا من عشرة آلاف مليون جزء من الياردة في الثانية الواحدة . فيا سبحان الله . يقول الله - والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم - هذه الحركة الشمسية التي ذكرناها هنا هي الحركة الأرضية ولكنها منسوبة للشمس باعتبار ما يظهر للرأى وهناك حركة أخرى للشمس هي ومجموعتها حول كوكب آخر . فالشمس تجري والأرض تجري والأرض حول الشمس بحسب الظاهر لا يختلف عن جري الأرض حول الشمس كما هو مبهرن عليه في ذكر الموازنة بين الحركات . الله تعالى قدّر الحركات كلها ، فقدّر حركات الأشجار في نموها حتى بلغت جزءا ضئيلا جدا من الياردة في الثانية ومعلوم أن الياردة أقل من المتر قليلا كما قدّر حركة النور الذي يجري حول الأرض قريبا من ثمان مرات في الثانية وقدّر ما بينهما من حركات الانسان وسياراته وسيارات السموات . فالله قدّر هذه الحركات وأعطى كل مخلوق ما يستحقه ، فلما أعطى الغاب في نموه حركات النور أول ما أعطى النور حركات الغاب في نمو أشجاره لاختلاف نظام العوالم ، فإذا جرى جريضا عيفا كجري العربات لم يعيش حيوان على الأرض ، ولو أسرع نمو الأشجار اسراع الأضواء في جريانها لم ينفع الناس بشيء في الأرض لأن سرعة النمو يتبعها سرعة الذبول فلا يكون هناك ثبات لشيء ولا بقاء ولا انتفاع . فهذا من معنى قوله - ذلك تقدير العزيز العليم - فهو قدّر حركات الأجرام السماوية بمقادير تناسبها . ولم يعط القطارات على الأرض ولا الطائرات سرعة النور ولا الكواكب لأنها إذا أسرع هذا الاسراع أهلكت من عليها حالا بسرعة حركتها . فمن تأمل هذا التقدير والابداع أدهشه حسن التقدير

ونظم المسير - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

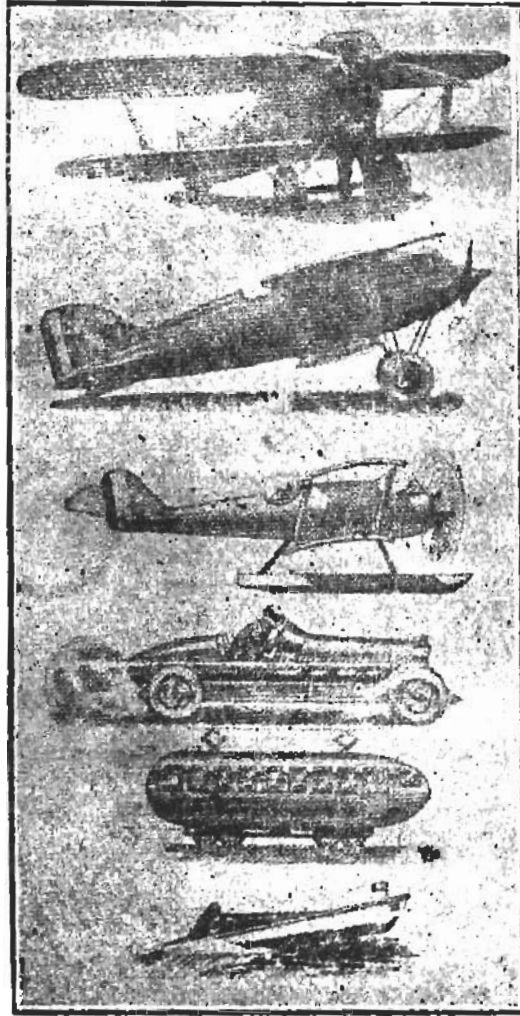
﴿ ركوب الريح أو الطيران خمسة أميال في الدقيقة ﴾

جاء في مجلة (كل شئ) مانصه

كان القدماء لا يعرفون مركوبا أسرع من الجواد والبختي (وهو الجمل ذو السامين) وكانوا يقولون في وصف أحدهما أنه «ينهب الأرض نهبا» ولكننا نحتاج الآن إلى تعابير أقوى من هذه الجملة لكي نصف طيران الطائرات التي تطوى بساط الريح وتشق الفضاء . ومن بقرن الطائرات إلى الخيول كمن يقرن المصباح الكهربائي الحديث إلى مصباح الزيت القديم الذي كان القدماء يضربون المثل بجماله وصفاء زيته . وقد كان الناس قديما يحبون لقطار الاكسبريس وسرعته التي تبلغ أحيانا ٦٠ ميلا في الساعة . وكان بعضهم من المتعاقبين يهز رأسه ويقول بضرر هذه السرعة العظيمة على الركاب . ولكن أسرع الاكسبريسات الآن سلحفاة إلى جانب الطائرات . فقد ذكرت الصحف من مدة قريبة أن مهندسا فرنسيا استطاع أن يطير ٣٠٢٣ ميل في الساعة الواحدة وهذا أبعد مدى بلغه طيار لآن . ولكن الطيارين يؤملون أن يطيروا قرينبا نحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ ميل في الساعة بحيث يستطيع الانسان أن يتغذى في لندن أو باريس ويتعشى في القاهرة . وقد كانت هذه الأقوال تعتبر قبل سنوات خيالا سخيفا لا يتحقق ولكنها الآن فقدت غرابتها وباتت المسألة محصورة في تحسين محركات الطائرة من وجوه الانقاز ومتانة المواد . أما الاختراعات الجديدة فليس الطيارون في حاجة إليها .

وأقرب سرعة بلغها طيار بعد هذا الفرنسي هي سرعة طيار أميركي في خدمة حكومة الولايات المتحدة . قطع ٣٠٠ ميل في الساعة نلى ذلك سرعة ضابط أميركي بلغت ٢٤٨٠٧١ في الساعة ثم سرعة طائرة بحرية بلغت ٢٤٥٠٧١ في الساعة ثم سرعة أتوموبيل بلغت ١٥٦ ميلا في الساعة ثم القطار الكهربائي وسرعته ١٣٠ ميلا في الساعة وأخيرا زروق يدفعه محرك سرعته ٨٠٠٥ ميلا في الساعة (انظر شكل ٣٥ وشكل ٣٦ في الصفحات التالية)





(طيارة فرنسية)
٣٠٢.٣ ميل في الساعة

(طيارة أمريكية)
٣٠٠ ميل

(طيارة مائية)
٢٤٥.٧١ ميلا

(أتموبيل)
١٥٦ ميلا

(قطار كهربائي)
١٣٠ ميلا

(زورق)
٨٠٠ ميلا

(شكل ٣٥ - أسرع المجالات في العالم)



(شكل ٣٦ - بيان تصويري لأسرع الأشياء في العالم وأبطئها)

﴿ هل بلغ الانسان أقصى سرعته في البر والبحر والهواء ﴾

أسرع قطار في العالم يجري بسرعة نحو ٦٨ ميلا في الساعة . وفي السنة الماضية أجرى المسابق جاروود قاربه بسرعة ٩٣ ميلا وساق سيجرايف سيارته بسرعة نحو ٢٣٢ ميلا في الساعة . وطار اوربار في الصيف الماضي بسرعة ٦٩٣ ميلا في الساعة . وبلغ متوسط سرعته في سباق ٣ كيلو مترات ٣٥٨ ميلا . ولا يزال الانسان يطلب المزيد والعلماء مختلفون فمنهم من يقول إن سرعة الانسان قد تجاوز ٥٠٠ ميل الى ألف في الساعة ومنهم من ينكر ذلك ومسألة السير على مبدأ انطلاق الأسهم النارية تجعل الخبيرين حائرين لا يدرون أبلغ هذه السرعة أم لا . والسرعة عند الانسان لا يريد بها مجرد التظاهر وإنما هي خلة كانت لأسلافه واليوم تظهر فيه على مبدأ

الرجعية . فعلى سرعة عدو الانسان الاول توقف فراره من أعدائه ومطارديه . ولم يكن على جانب عظيم من سعة الحيلة لينجو منها . ولا يزال يعتمد الى السرعة حتى الآن في بعض مواقفه إما دفاعاً عن نفسه وإما مهاشاة لسائر الأشياء التي حوله . وهو يعلم بخبرته أن كثيراً من الوقت الثمين يقتصد بهذه السرعة . ففي أميركا مثلاً افتتد بالطيران ثلاثة أيام في قطع أميركا من الشرق الى الغرب أو العكس . اكتشف العلماء ذبابة اسمها ذبابة الغزال تطير في مسافات قصيرة بسرعة لا تصدق أى بسرعة ٨١٥ ميلاً في الساعة أو نحو ٣٦٠ متراً في الثانية . وسرعة مثل هذه مستحيلة على اليابسة وقد تكون ممكنة على الماء في طائرة تستخدم الهواء والماء معاً من نوع الهيدرو بلاين ولكنها ليست مرجحة . والصعوبة العظمى في بلوغ هذه السرعة فسيولوجية أكثر منها ميكانيكية . وبعبارة أخرى إذا تمكن الانسان من اختراع سيارة أو طائرة تحمل هذه السرعة فهل يحتملها هو ؟ والجواب لا . ثم لا . وإذا احتملها فالرجح أنه لا يستطيع أن يدير مركبة تجري بهذه السرعة من غير أن يلقى الخنق الأكيد . وإذا كانت السيارة تسير بسرعة ٢٣٠ ميلاً فقط لا ٨١٥ ولا ١٠٠٠ فانها لا تستطيع أن تسير في خط دائري منحرف إلا وتعرض لآفات وصدمات هائلة . بل يشك في هل يستطيع انسان أن يقود سيارة تسير بسرعة ٣٠٠ ميل لأن أعصابه لا تحتمل هذه السرعة . فقد قس ههوايزر الألماني سرعة انتقال الانفعالات على أعصاب الجسم بين الدماغ والأطراف فوجد أنها ١٠٨ أقدام في الثانية . وسيجرف سار في سيارته بسرعة ٢٣٢ ميلاً في الساعة أو ٣٣٣ قدماً في الثانية أى ثلاثة أضعاف سرعة أعصابه . ومعنى هذا أن السيارة ليست في قيادته وأن أقل ميل أو تردد يجر أعظم الأخطار . وأن كل خطر يحسب حسابه يمر قبلها يشعر السائق به فضلاً عن أن يحول دون وقوعه . وقد وجد المماجور سيجراف أن مصاعب ادارة السيارة كانت عظيمة فلذلك استخدم في إدارتها وسائل مختلفة . وقد سئل عن شعوره في أثناء مسيره هذا فقال : « لا أعلم وأيس عندي أقل صورة في ذهني لأن كل شيء يتم بسرعة عظيمة لا مجال فيها للشعور ولا لتقديره وتسجيله . ولما لم يرض ساؤلوه بهذا الجواب ألحوا عليه فقال : « ان كل شيء مضى بسرعة حتى أن شعوري ان كان جيلاً فقد كان قصيراً . فعلى جانب رأيت سدا أسود هائلاً من المشاهدين وعلى الآخر الاعلام المنصوبة للسباق متصلة كأنها خط مستقيم مرسوم على ورقة الآلة الكاتبة . وفي وقت من الأوقات مرت السيارة فوق شبه قناة احتفرها المد في الرمل فانكسر شيء فيها . ثم صدمت حفرة ماء كالبركة فظن أن الدراب الذي تدار به السيارة اقتلع من يديه . فاختباره يدلنا على أن سرعة السيارة لا يمكن أن تزيد على هذه السرعة وتكون سرعة نافعة يعمل بها . ومن رأى الخبيرين أن حد احتمال الانسان هو ٤٠٠ ميل في الساعة لأنه إذا كانت السرعة ٥٠٠ ميل فما بعد تصبح قوة الدفع عن المركز عظيمة الى حد أن دورة الى هذه الجهة أو حركة الى فوق أو الى تحت تفرغ الدم من دماغ الركب أو تدفعه بقوة اليه فأما أن يغمى عليه أو يقتل في مكانه . ويقال أجبلاً عن سرعة الطيران إن الانسان قد يبلغ على التدرج سرعة ألف ميل في الساعة فيدور حول الأرض فوق خط الاستواء في يوم كامل . ولما كانت هذه السرعة هي سرعة دوران الأرض على محورها فإذا خرج طيار بطيارته من القاهرة ظهر يوم ما على نية الدوران حول الأرض فن الوقت يبقى عنده الظاهر على الدوام حتى يعود الى القاهرة بعد ٢٤ ساعة أى ظهر اليوم التالي فيها وتبقى الشمس فوق رأسه لا تشرق عليه ولا تغرب عنه : انتهى من بحلة كل شيء

(علم الفلك ودراسة الكواكب فيما وراء البحار)

(مقدمة)

إن من يدرس هذه الدنيا قديمها وحديثها علوياً وسفلها يدهشه نظام حكم وتشابه مبين . نظر العلماء أيامنا هذه في أصل العالم فوجدوا عناصر الشمس وعناصر الأرض متحدات . فالشمس المشرقة الباهرة الجيلة

إذا أرسلت أشعتها فلم تكن هذه الأنوار إلا فيضا من أنوار عناصرها اللوآنى تمت عناصر أرضنا إليها بنسب ويربطها بها سبب . فإذا كان عندنا الاكسوجين والادوروجين والنيتروجين (وهو الآزوت) وهكذا غيرهن كالكربون والحديد والنحاس والذهب والرصاص وما أشبهها من العناصر التى تبلغ نحو الثمانين عدا

أقول : إذا كان ذلك كله فى أرضنا فانهم وجدوه فى شمسنا . وجدوه بمعونة النور إذ حللوه فظهر لهم الاختلاف بعلامات وانحناءات فى ثنايا الأشعة النورية . وهى خطوط سود تتخلل سبعة الألوان وهذه الأشعة السود المتخللات تختلف أحوالها باختلاف العناصر . فلحديد والنحاس والاكسوجين والفسفور مثلا كماهن إذا ظهرت أنوارهن فى حال خاصة تبينت تلك الخطوط السود فى ثنايا سبعة الألوان بهيات مختلفة كما اختلفت أجسام الناس لونا وشكلا وكبرا وصغرا . وكما اختلف النبات فى تنوع لون خضرته وبهجة زهرته ورواق ورقه وبديع ثمره كما يذكرك فى ثنايا هذا التفسير . وكما رأوا ذلك فى الشمس رأوه فى غيرها من الكواكب بواسطة النور . إذن الحال تجري على نسق واحد لأن أصل العالم صادق البناء أساسه فهو الواحدة على طريقها تجري اقرأ ما تقدم فى ﴿سورة السجدة﴾ عند ذكر الانسان فى المجلد الخامس عشر . انظر فيه هناك وتأمل تجد نظام الانسان يحاذى نظام العالم كله . أظنك الآن تسمعنى قوله تعالى - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور يدهم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير -

انك أيها الذكى بعد هذا البيان توافقنى على ماقلته لك وهو أن العالم متشابه النظام فترجع الى ﴿سورة البقرة﴾ فتسمع فيها قوله تعالى - كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قلوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها - فاقرا هذا الموضوع هناك ثم ارجع هنا واسمع ماأقوله لك ، ألم تقرأ ماقلته عن أكابر العلماء هناك من أن الجنة الحسية لا تكفى الحكماء وإنما نعيمهم وسعادتهم فى جنة المعارف والعلوم ، فإذا تشابهت الثمرات المأكولة لأهل الجنة الحسية فما أقرب التشابه والمساكلة فى الجنة العقلية وهى العلوم والمعارف ، فترى دراسة الجسم الانسانى تمتد بنسب الى دراسة النظام الشمسى والكوكبى . وكلما درس الانسان علما من العوالم ووجد المشابهة واضحة رجع الى أصلها ومبدئها فوجده واحدا . إذن تشابه العوالم يرجع المفكر الى منبعها وهو التوحيد ، إن الوحدة ظاهرة فى النظام

إذا عرفت هذه المقدمة فهل لك أن أحدثك فى علوم عوالمنا الأرضية . وهل كان يدور بخلدك قبل مااستمعه أن علم الفلك أو حساب سيرا الشمس والقمر والكتابة بالقلم ونظام الأبنية له نظير فى الأمم التى لاصلة بينها وبين أئمتنا فى آسيا وأفريقيا وأوروبا ﴿وبعبارة أخرى﴾ هل كان يخطر لك أو تحدثك نفسك أن أهل أمريكا الأصليين الذين عرفهم الأسبان منذ (٤٠٠) سنة وكشف بلادهم (كرستون كولومب) كان لهم علم فلك وحساب للسنين والأشهر مثل ما عندنا الآن . أما أنا فأقول :

إن الاطلاع على ذلك والوقوف عليه ودراسته إذا كان له وجود يكون سارا لذيذا وشارحا للصدر وموافقا كل الموافقة لما ظهر من تناسب العناصر فى الأرض والشمس واتحادها ذاتا ومفاتيح وذلك يؤيد صدق قاعدة هذا الوجود وهى المشابهة إذ متى أطلعناك على هذا الآن كما جاء فى الكشف الحديث فى هذه الأيام عند طبع هذه السورة فانك تقول بطريق القياس التمثيلى إن هذه الكواكب التى نراها مسكونة كما سكنت أرضنا . نعم هذا ليس باليقين ولكن ذلك هو ماوصل لنا وعقولنا لا قدرة لها على أكثر من ذلك

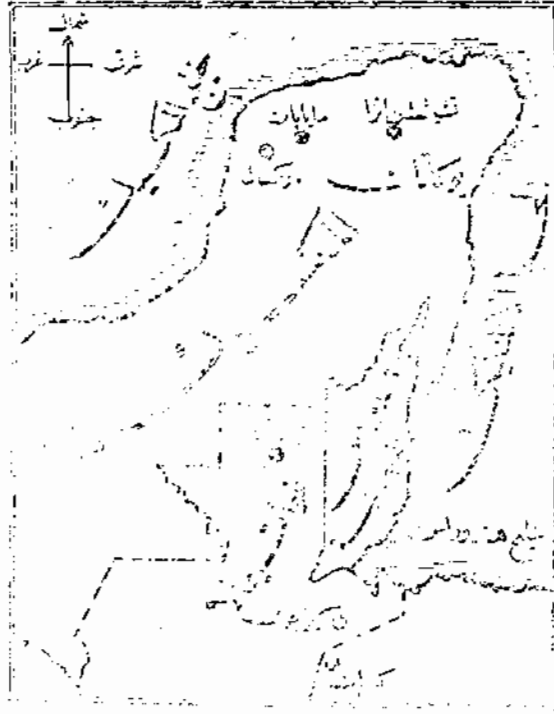
أقد تقدم رسم صورة للتقويم فى المكسيك فى آخر ﴿سورة الفرقان﴾ فاسمع إذن ما جاء فى ﴿سورة المقتطف﴾ فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان الآتى وهذا نصه :

الحضارة القديمة في العالم الجديد

« مصر » القارة الاميركية

كتابتها . علمها . مبادئها . نقوشها . تاريخها

اقد أطلق الكتاب على بلاد المايا في غواتيمالا بامريكا المتوسطة وما يحاورها من البلدان كيوكانان وجنوب المكسيك وسافادور وشمال هندساروس لقب « مصر » القارة الاميركية لما عثر عليه العلماء من وجوه الشبه بين عمارة المايا وكتابتهم وعمارة المصريين وكتابتهم . وازداد هذا اللقب تمكنا وتأيدا لما ثبت للباحثين أن حضارة المايا هي أقدم الحضارات الاميركية الراقية ومصدر الثقافة التي امتدت عناصرها الى البلدان المجاورة ولأن أنسابها أعلام تقاس بها مراحل الحضارات الاميركية القديمة وتؤرخ كمسلات المصريين القدماء ومدافنهم وإذا نظرنا الى الاحوال التي نشأت فيها أمة « المايا » وجدنا أن منشأتها العمرانية تضاهي أرقى المنشآت العمرانية في أرقى الأمم القديمة . فالقائم البلاد التي نشأت فيها حارٌ يضعف التوى ويخمد النشاط وهو في الوقت نفسه يؤتى الزرع مما جعل الزراعة هناك نزاعا دائما بين الانسان والطبيعة في غاباتها وحراجها الغضة التي كانت لخصب الارض وجودة الاقليم تسطو على المناطق التي يزرعها الانسان وتكسوها . ومع ذلك نشأ في تلك البلاد وفي ذلك الاقليم حضارة راقية من أرقى الحضارات القديمة مع أنها لم تتصل (على ما نعلم) بالعالم القديم وشعب المايا هو الشعب الوحيد الذي استنبط في أميركا طريقة للكتابة واستعملها في تدوين مدوناته وهذه الطريقة الكتابية الهيروغليفية تحسب أنظم ما أتى أميركا العقلية في العصور الغابرة . أما العلماء فلم يفوزوا حتى الآن بحل كل هذه الرموز الهيروغليفية ولكنهم عثروا فيما حلوه منها على أركان التاريخ (المايا) وأصول تقويمهم وعلمهم الفلكية والرياضية . وقد يكون الباقي منها منظوما على وصف الحوادث العظيمة التي حدثت لهم أما الرموز نفسها فرسوم للأشياء أو للأفكار فيها ظلال من الأثر الصوتي ولكن ليس لها أبجدية أمثاله في هذه الكتابة ومنشأها فتعاضل في القدم تحيط به سحب الريبة والخرافة . ولم يثر حتى الآن على أثر يحتوي على اسم المستنبط أو تاريخ الاستنباط أو غير ذلك من دة نقي الموضوع . ومع أن أقدم المدونات المؤرخة يرجع تاريخها الى سنة ٩٦ قبل المسيح نجد في آثار الاتقان البادية في الاشارات الهيروغليفية دليلا مقنعا على أنها ليست بذات ساعتها وان قرونا انقضت عليها قبلما بلغت هذه الدرجة في الاتقان . وما في هذه الاشارات من الخطوط المنحنية يدل على أنها كانت ترسم على سطح مستو أملس قبل استنباط فن النحت في الحجر الذي مكن أصحابها بعدئذ من نقشها في الحجر الصلب لحفظها مقاومة لأنياب الدهر وعلاوة على هذه الكتابات المنقوشة في الصخور كان لشعب (المايا) كتب مكتوبة بالطريقة الهيروغليفية . وقد نلف منها معظم الكتب التي كانت تحتوي على كل علوم المايا وحكمهم أنلفها الاسبان حين افتحوا البلاد وحكموها . فقد كتب مطران لندا يقول : ولقد جمعت أربعة آلاف من هذه الكتب والتعابير الشريرة وحرقها كلها في الميدان العام ببلدة تيكال رغم حزن الوطنيين وبكائهم . على أن الوطنيين في حزنهم وبكائهم على فقد هذه الكنوز العقلية الثمينة لا يبلغون شأوا العلماء في هذا العصر الذي لا يرون بين أيديهم إلا ثلاثة من هذه الكتب يحاولون أن يستخرجوا منها أصول حضارة المايا وما أثرها والكتب الثلاثة التي لم تعث بها أيدي الاسبان محفوظة الآن في خزائن أوروبا وهي في الغالب تدور على جداول فلكية ورياضية وبعض التهاويل السحرية . والظاهر أن انحصار هذه المعارف في طبقة كهنة (المايا) كان الباعث على انلاف الكتب التي دوت فيها لان الكهنة الاسبان كانوا ينظرون الى كهنة المايا نظرهم الى الشياطين فحملوا القواد على الفتك بهم وانلاف كتبهم (انظر شكل ٣٧) في الصحيفة التالية



(شكل ٣٧ - خريطة البلاد التي نشأت فيها حضارة (الملايا) وازدهرت)

﴿ معارفهم الفلسفية والرياضية ﴾

وقبلما نلم بتاريخ (الملايا) لننظر نظرة عجيبة في معارفهم الفلسفية والرياضية لان الباحثين مجمعون على أن عملهم في هذه الناحية من نواحي الثقافة لا يفوقه عمل أية أمة أخرى في إقليم كافيهم وبيئتهم كبريتهم . فهو كاستنباطهم للكتابة الهيروغليفية أعظم المآثر العقلية في أميركا القديمة

﴿ التقويم ﴾

كل تقويم يجب أن يبنى على قياس دقيق لطول السنة . وهذا القياس عمل صعب ان لم يكن متعذرا في أمة لاتملك أدوات فلسفية دقيقة . فالسنة دلي مانع يتعذر تقسيمها الى عدد كامل من الايام والشهور لانها مؤلفة من ٣٦٥٢٤٢٢ يوما أو ١٢ شهرا قريبا و ٣٧ في المائة من الشهر كل منها مؤلف من ٢٩ يوما و ٥٣ في المائة من اليوم . وهذه الكسور في الايام والشهور كانت ولا تزال العقبة الكأدا في سبيل واضي التقويم على اختلافها . فالسنة حسب التقويم اليولياني الذي كان مستعملا في جنوب اوربا الى سنة ١٥٨٢ وفي شمال اوربا الى سنة ١٧٠٠ وفي روسيا الى بعيد الحرب كانت أطول من السنة الحقيقية ١٢ دقيقة فكانت النتيجة أنه لما عزم روسيا أن تجري على التقويم الجريجوري كان الخطأ في اليولياني قد بلغ نحو أسبوعين . على أن أمة (الملايا) تمكنت من غير أدوات الرصد أن تضع تقويما من نحو ألفي سنة لا يبالغ الخطأ فيه أكثر من يوم في ٢١٤٨ سنة . أما التقويم الذي نجري عليه اليوم فلا يفوق تقويم الملايا كثيرا . فالخطأ فيه يبلغ يوما واحدا في ٣٣٢٣ سنة . كذلك تمكن علماء الملايا أن يضعوا تقويما قريبا لا يزيد فيه الخطأ عن يوم واحد في ٣٠٠ سنة

﴿ علم الهيئة ﴾

وعلاوة على ذلك تمكن رصد (الملايا) من أن يعرفوا مدى دوران الزهرة والمرجح أنهم قرروا مدى دوران المريج ويحتمل أنهم عرفوا مدى دورة المشتري وزحل وعطارد . وبنوا على دورة الزهرة تقويما كانوا يستعملونه في ضبط التقويم الشمسي والتقويم القمري . فقد كانوا يعرفون مثلا أن ثمانى سنوات شمسية

تعاود تقريرا خمس سنوات من سني الزهرة وان ٦٥ سنة من سني الزهرة تعادل مائة سنة وأربع سنوات من سني الشمس . وكانوا يستعملون التقاويم الثلاثة لتقدير أزمنة طويلة وقد وجد مايدل على أنهم تنبأوا بحدوث حوادث فلكية تمتد الى أكثر من ٣٤ ألف سنة . وكانوا يتنبأون بالكسوف

(الصفر)

أما الجداول الرياضية التي وضعوها فكان يلزم لها قبل وضعها استنباط فكرة (الصفر) وهذا الاستنباط من مفاهيم حضارة (ألمانيا) . فالصفر أمر تعودناه في الجداول الحسابية الآن حتى أصبحنا نراه غير ذي خطر فيقول عنه انه رمز للعدم . ولكن لولا هذا الرمز لتعذر القيام بالعمليات الحسابية قياما سريعا ولما تمهدت الطريقة للحساب العشري واطلقت العلوم الرياضية تجرّ ذيلها على الأرض . فالصفر هو الذي يمكننا من ترتيب الأرقام حتى يكون لكل رقم منها قيمة خاصة بحسب الرتبة التي يكون فيها . ومع ذلك لم يستنبط الصفر الا في القرن السادس أو السابع بعد المسيح استنبطه الهنود ونقله العرب الى اوروبا فانتشر في بلدانها . على أن أمة ألمانيا استنبطته على حدة قبلها استنبطه الهنود بألف سنة اهـ

هذا ما جاء في (المقتطف) ولم أرد أن أذكر تاريخهم السيلبي كما ذكر لأنه لا يمتينا وانما أقول لك إن هذه الأمم التي ارتقى علمها الى هذه الدرجة قد أصابهم داء التخاذل وفشت المجاعة فيهم وجاء على أثر ذلك فتوح الاسبان . هأنذا ذا أيها الذكي رأيت الأمم الأمريكية القديمة وكيف استنبطوا حروفها كما استنبط أسلافنا ودرسوا الفلك كما درسوه وبنوا أبنية شامخة كما بنوا مع أنه لا صلة بينهم ففجبت لنظام واحد في نصف الكرة الأرضية كنظام واحد في الشمس وفي الأرض ونظام واحد في الجرات

إن هذه هي الموسيقى الجميلة . إن الموسيقى والنقش والتصوير وجميع العلوم الجميلة ترجع الى التناسب ، فكلما كثر التناسب تضاعف الجمال ولا نهاية للجمال وهذه العوالم كلما عثرنا على ازدياد تناسبها وارتباطها ازدادت بهجتنا وفرحنا واذا رأيت هنا في الأرض مشابهة الحساب السنوي والشمسي والقمرى في نصف الكرة الأرضية فأبهجتنا الاتفاق والتناسب وتبجبتنا كيف اتفقت العقول المختلفة المتباعدة على وضع واحد ومع ذلك نأيل الاختلاف فكيف يكون فرحنا حينما نخلع هذا الجسم ونسير في الجرات والعوالم وتشابه مدنات ونظم تربو وتعظم على مدنات أهل الأرض ونظمها ، أليس ذلك يورثنا سعادة لا نهاية لها وغراما لا حد له لبهجة الجمال والحسن والاشراق . انتهى صباح يوم الجمعة (٢٣) مايو سنة ١٩٣٠

﴿ تذكرة لأمم الاسلام ﴾

هذا هو الذي ظهر للناس اليوم من العلوم الفلكية في القارة الأمريكية ، تلك البلاد التي لم تكشف إلا منذ (٤٠٠) سنة كشفها (كرستون كلومب) بأمر الملك (فرديناند) وزوجته (إيزابلا) ذلك الذي أزال ملك الأمم العربية الاسلامية من بلاد الأندلس وشردهم شرمشرد ، إذن ظهر بهذا أن الأمم كلها متحدات على النظر في هذه العوالم العالوية ، ولقد تقدم في (سورة يونس) نبذة من علم تلك مصورة بالتصوير الشمسي بهجة المنظر عجيبة ، وذلك في (موضوعين من الأول) عند آية - هو الذي جعل الشمس ضياء - (والثاني) عند آية - فاليوم نجيبك ببدنك - وقد ذكرت هناك أن بين المقامين تناسبا عجيبا فإن المقام الأول فيه ذم الغفلة عن هذه الآيات وأن هذه الغفلة تورث نار جهنم ، والمقام الثاني فيه ذم الغفلة أيضا عن آيات الله ، فترى الصور الفلكية العلمية واضحة في المقام الأول هناك بحيث تجد صور كثير من السدم وصورة المجرة وهكذا ، وفي المقام الثاني تجد من أعجب ما أنتج العقل الانساني بمصر من صور البروج الاثني عشر مرسومة بحسب ماتخيلته الأمم وبقيت أسباؤها الى الآن وهذا عجيب ، وهناك ترى عجائب الاهرام ونظام حسابها المبني

على أساس الدائرة السنوية للأرض حول الشمس ولا ارتفاعه نسبة الى بعد الأرض عن الشمس وهذا الهرم هو أسطوانة القنطرة والوقية وهكذا من الموازين ، وأس الفدان والقيراط والحبة والدانق والسهم والذراع البلدى والنيل والمعماري والهندسة في المساحات . وأيضا هو أس الأردب والويرة والكيكة والربع والموّه والقنطرة ونصف القنطرة في المكيلات فكل هذه منسوبة للهرم المنسوب لنظام الفلك . كل ذلك تقدم هناك فارجع اليه إن شئت

وان تعجب فحجب أن ترى صور البروج المرسومة هناك قد استخرجها القوم في زماننا من صناديق الموتى وه وروها بالتصوير الشمسي فنحن المصريين الآن نعجب أن نرى الأمم الذين كانوا قبل آلاف السنين في ديارنا يحطون موتاهم في قبورهم يعلم الفلك مرسوما على الصناديق التي تضم أجسامهم بعد موتهم ونحن الآن وأكثر المسلمين أجهل الأمم يعلم الفلك الذي أقسم الله ببعضه فقال - والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها - وقال - فلا أقسم بمواقع النجوم - وأعظم قدره فقال - وانه أقسم لوتعلمون عظيم - وأكثر من ذكر الشمس والقمر وانهما آيتان من آيات الله تعالى وهكذا هنا يذكر الأرض والشمس والقمر والليل والنهار ، إذن المسلمون أقل علما من الأمم الحاضرة كلها ومن قدام المصريين وقدام أهل أمريكا الذين اقترضوا إلا قليلا ، فأين الأمم الإسلامية الحقيقية واذا سمعنا الله يقول - كنتم خير أمة أخرجت للناس - ثم نظرونا فوجدنا الأمم البائدة تعلم من جلال الله في كواكبه ما لا تعلم ووجدنا الأمم النصرانية كلها عالمة به ونحن عالمة عليهم ، فأين نحن من هذه الخبرة التي لا توجه إلا الى أم علمت وارتقت ورقت أهل الأرض كما تم فعلا لأسلافنا ، فهم حقا - خير أمة أخرجت للناس - ولا يلزم من أفضلية الأب ونفعه للناس أفضلية الابن ونفعه لهم ، فتأمل ما جاء في كتاب الاستاذ سديو الفرنسي في صحيفة (٢١٢) وما بعدها المطبوعة في الترجمة العربية إذ يقول مملخصه : « إن نار الحرب المشتعلة في القرن الحادي عشر في الشرق بعد الميلاد (فكان فتح محمود الغزنوي وكانت غارة السلجوقيين وكانت حروب الصليبيين مع المسلمين واعداد صلاح الدين الخلافة الفاطمية سنة ١١٧١ من مصر واعداد هولاكو الخلافة العباسية ببغداد سنة ١٢٥٨) قد غيرت معالم السياسة في آسيا ومع ذلك ما زال تقدم العلم كما كان قبلها وظهر هناك علماء مثل البيروني في الفلك إذ أحضره محمود الغزنوي سنة ٩٩٧ في ديوانه ، وأحضره هولاكو خان المغولي الى ديوانه بعد تغلبه على الملك سنة ١٢٥٩ نصير الدين الطوسي وهكذا نقل جلال الدين الفلكي مع الخان كوبرلاي علوم العرب الى مملكة الصين وهكذا الخ وقد ذكرت هذا مطولا في مواضع أخرى من هذا التفسير . إذن هؤلاء هم الذين كانوا - خير أمة أخرجت للناس - بنص الآية لأننا وجدنا الفرنجة شهدوا بأن علمهم في الفلك الذي نحن بصدد الكلام عليه قد امتد الى الصين وبقي بعد ذهاب دولهم ونفع الدول التي جاءت بعدهم في الشرق

(١) ألم تر الى ما يقوله العلامة الفرنسي المذكور من أن أبا ريحان محمد بن أحمد البيروني المتقدم ذكره (الذي كسب علومه من المدرسة البغدادية حين أحضره الغزنوي المتقدم ذكره الى ديوانه) أخذ يستفيد العلوم الفلكية من الروايات الهندية التي عندهم قديمة وحديثة ويفيدهم علوم قومه في الفلك أيضا وينبئهم في كل جهة مرتبها ، وألف ملخصات عربية وهندية ، وكان مشيرا وصديقا للغزنوي المذكور في ديوانه ، وأصلح الغلطات الباقية في حساب الروم والسند وما وراء النهر ووضع قانونا جغرافيا كان أساسا لأكثر القسموغرافيات الشرقية ونفذ كلامه في البلاد الشرقية واعتمد على كلامه سائر المشرقيين في الفلكيات ، ومنه استمد أبو الفداء الجغرافي العروص والأطوال الأرضية وكذا أبو الحسن المراكشي

(٢) ويقول : « إن الهند لم يكن فيها قبل الاسكندر المقدوني علم الفلك تأما بدليل أن أرسطاطليس أستاذه لم ينقله عنهم لليونانيين . ولذلك تجد في كتاب السندهند المترجم في خلافة المنصور الى العربية لم تكن فيه إلا مسائل ابتدائية في علم الفلك »

(٣) ويقول : « إن العرب أتوا في الفلك بلعجب العجيب وأتقوا الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والنظر والميكانيكا وطبقتوا الجبر على الهندسة »

(٤) ويقول : « ليس للعرب مجرد نقل كتب اليونان فقد اخترع (البتياني) استبدال أوتار الأقواس التي استعملها اليونان في حساب المثلث بانصاف الأوتار لأقواس المضاعفة وهي جيوب الأقواس المصورة قالوا إن بطليموس لم يكن يستعمل الأوتار الكاملة إلا لتسهيل الاثباتات والتوضيحات وأما نحن فقد استعملنا أنصاف الأقواس المضاعفة وهكذا »

وقد أطال في ذلك ولا أريد أن أطيل فيه لئلا يكون الملل . وإنما أريد الآن إظهار الحقيقة واضحة وهي أننا نحن الآن في مصر والشام والعراق وبلاد فارس وجنوه وبلاد الملايو وبلاد شمال إفريقيا قوم جهلاء في علم الفلك الذي حض القرآن عليه ولم نساو أمة من الأمم . فلانحن وصلنا لقيمة قدماء المصريين الذين صوروا هذا العلم على صناديق الموتى تبركاً به . ولالقيمة قدماء الأمريكيين قبل فتح بلادهم . ولالقيمة الهند القديمة . ولالقيمة آباءنا القدماء في الاسلام أيام صواتهم و بعد ذهاب دولتهم . ولالقيمة أمم أوروبا واليابان والصين الآن فنحن اليوم بهذا البرهان أجهل الأمم بالعلوم الرياضية ومنها الفلك . والسبب في ذلك ما انتاب أمتنا قديما من الاضطهاد والاذلال . فلقد كانت الأمم الاسلامية المتأخرة لا تريد إلا العلو كما فعل الترك إذ هم لما دخلوا مصر أنزلوا منها الصناعات بمجرد دخولهم وأخذوا مائتات ومائتات من رجال الصناعات فسافروا في البحر ثم أغرقوا فأما المدارس المنتشرة فأنهم نقصوها تدريجاً حتى خلت البلاد من رائحة العلم ولم يبق إلا قشور ضئيلة والامشاج التصوف الذين كان أكثرهم جهلاء . فلما أن جاءت أيام محمد علي باشا حوالي سنة ١٢٢٠ هجرية واستتب له الملك أدخل جميع العلوم في البلاد ومنها الفلك . ولما دخل الانجليز بلادنا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري أخذوا يقللون العلوم تدريجاً كما فعل الترك . ولما دخلنا نحن (دار العلوم) سنة ١٨٩٠ م أي في أوائل القرن الرابع عشر الهجري بعد الحرب العراية بقليل قرأنا هذا العلم مع الرياضيات إذ كان ذلك بقايا علوم تلك الدولة المصرية التي أسسها المغفور له محمد علي باشا ، و بعد ذلك بسنين معدودة وجدنا هذا العلم قد محى من البلاد ومحيت معه علوم المعدن والنبات والحيوان والتشريح علماً من الفاتحين للبلاد بأن تلك العلوم مرقيات للأدم وهم لا يريدون ذلك ، فلما أن أخذت بلادنا استقلالاً اسمياً سنة ١٩٢٢ ميلادية دخلت بعض تلك العلوم ، وهامى ذه علوم التاريخ الطبيعي تدرس كالحيوان والنبات الخ . ولكن الى الآن لم يدخل علم الفلك مع توفر علم الرياضيات ، وذلك بعد أن أرسلت خطاباً لمجلس النواب وللوزارة المصرية ، تجده مكتوباً في هذا التفسير في (سورة يونس) تحت عنوان « مذكرة لاصلاح التعليم الثانوي بململكة المصرية » عند الكلام على آية - هو الذي جعل الشمس ضياء -

إن الأمم الاسلامية كما منيت بالملوك الظالمين الجاهلين من الأمم الاسلامية وغير الاسلامية فغبروا وجهتها منيت أيضاً بكثير من رؤساء الدين الجهلاء الذين يفعلون معهم فعل الملوك الفاتحين فيذمون لهم العلم ويزنون لهم الجهل . ولقد تقدم هذا في غير ما موضع من هذا التفسير ، وتجد بعضه في (سورة ابراهيم) في آخرها وبعضه في (سورة الكهف) عند الكلام على آية - وما كنت متخذ المضلين عضداً - وبعضه في (سورة سبأ) والله انه ليؤلمني أن يسود الجهل في بلاد الاسلام ، تلك الأمم التي كان أسلافها - خير أمة أخرجت للناس - فهم هم الذين بعلم الفلك والجغرافيا أيقظوا العمران ، وأناموا الجهل ، ونقصوا عباد الله . ألم تر الى

ما ذكره العالم المذكور الفرنسي في صحيفة (٢٢٧) وما بعدها أنهم أنشأوا أربع طرق عظيمة تجارية توصل من مدينتي قانس وطنجة الى أقصى آسيا (إحداها) تخترق اسبانيا وأوروبا وبلاد سلاوونة الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجرجز (والثانية) تخترق بلاد المغرب ووادى مصر ودمشق والكوفة و بغداد وبصره والأهواز وكرمان والسند هند (والثالثة والرابعة) تعبران البحر الأبيض المتوسط وتتجه إحداهما من الشام والخليج الفارسي والأخرى من الاسكندرية والبحر الأحمر للتوصل الى بحر الهند ، فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى أقصى البلاد ما عند العرب من الأفكار والتقدم واستفاضت الأخبار الجلية الخ هذا ما أردت ذكره الآن ولقد سبق بأوسع من هذا في غير هذا الموضع ، فهؤلاء هم أسلافنا في العلوم الفلكية والجغرافية ، فهم كانوا نورا أضاء بلاد المشرق والمغرب بشهادة الاوروبيين الذين نقلوا العلم عنهم كما رأيته . إذن الآيات المذكورات هنا في الشمس والقمر والأرض والليل والنهار لا يعمل بها المسلمون الآن لاهي ولاغيرها إلا قليلا منهم كأمة الترك الآن

فإذا ثبت هذا فهل نحن - خير أمة أخرجت للناس - الآن . لا لا . نعم ان انتشار هذا التفسير وأمثاله سيحدث في أمم الاسلام انقلابا عظيما وسيكون وطيذ البنيان ثابت الأركان لأن المدينة المستقبلية ستبنى على تجارب محال - بآبائنا المأخرين ودراسة تاريخهم تجعل أبناءنا يقظين ويكونون - خير أمة أخرجت للناس - لأنهم يرون الضعف الذى حل - بآبائهم فيجدون ليقوّوا أنفسهم ويدأوا هذا المرض الذى حل - بهذه الأمة . إذن الأمم الاسلامية - خير أمة أخرجت للناس - ولكن أصابها الوهن والضعف والمرض تخفيت خيراتها وبانت عورائها . ومتى حصل التداوى بشراً مثل هذا التفسير يصح جسم الأمة وترجع المجد الذاهب والعز الزائل ويكون أبناءنا - خير أمة أخرجت للناس - عملا بالفعل لا بالقوة ، ولن يكون ذلك إلا اذا قرؤا جميع علوم الأمم شرقا وغربا وفاقوهم في ذلك وكانوا لهم نافعين كما كان آباؤهم الأولون والحمد لله رب العالمين كتب يوم الاثنين (٢٦) مايو سنة ١٩٣٠

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

﴿ عجائب الكواكب في الكشف الحديث وبدائع الحرارة والضوء في قوله تعالى

- وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون - الى آخر الآيات ﴾

الله يقول انه سلخ النهار من الليل فأظلم الناس . إن هذا فتح باب للتحليل . فهنا ضوء وهنا ظلمة يقول الله انه سلخ الأول من الثاني . أما الظلمة فهي عرض قائم بالأثير وكذلك النور الذى هو تنوُّج وهذه الموجات المتتابعات الواقعة في الأثير اذا كثرت بحيث يكون في الثانية الواحدة منها مئات آلاف الملايين فانها تكون حينئذ ضوءاً أحمر وأصفر وبرتقاليا وبنفسجيا وقد تقدم ذكرها في غير هذا المكان أعني أن ضوء الشمس ركب من سبعة ألوان وهذه الألوان تختلف بحسب عدد الموجات في الثانية الواحدة أى نحو أربع مائة ألف مليون الى نحو (٧٠٠) ألف ألف مليون ، فهذه الأضواء المرسلة من الشمس باتحادها صار هذا اللون الذى نشاهده على الأرض ، فهذا كله يسلمه الله فيبقى الجو مظلماً ، ولا جرم أن الظلمة عرض والعرض يقوم بجوهر ، إذن هناك جوهر مظلم ألبس نورا فلما خلطنا لباسه أظلم كأصله

هذا هو الذى عرفه الناس في الأرض من حال هذه العوالم ظلاما وإضاءة . وهذا السلخ له نظير تقدم في هذا التفسير في الهواء وفي الماء . الماء يسلم أ كسوجينه من أودروجينه . وهذا يسمى في علم الكيمياء تحليلا ففى حللناه اليهما صارا جسمين غازيين أى كالهواء . ومعلوم أن الأكسوجين يفسدنا الحياة فى تنفسنا وينقى دم كل حيوان وينفع كل نبات . أما الاودروجين فاننا اذا أحرقناه فى الجو كما تقدم فى (سورة

النمل) اتحد حالا بالأكسوجين الذي في الهواء لأن الهواء ركب منه ومن النيتروجين وحينئذ ينفرد النيتروجين المذكور أي الأوزون . وهذا الأوزون يدخل في النوشادر لأنه يمكن اتحاده بالأكسوجين أيضا بعمل خاص وهذا النوشادر نافع في (أمرين) أمر السحاب . وأمر الآلات المملكة في الحرب . إذن التحليل في الماء والتحليل في الهواء أعطيا مناخا جنة ورأينا حكما تحيط بنا من كل جانب سلخت يا الله النهار من الليل فأظلمنا وأنت جعلت البخار الطائر في الجو ماء . فنحن بالهامك كشفنا جزءا من الهواء فجعلناه سحابة وآلات مملكات إذ جعلناه كالثلج . فثاؤنا حللناه وهو ثاؤنا حللناه وأنت سلخت ضياء من الظلام

(فصل في الحرارة والنور)

سبحانك اللهم : أنت أنعمت علينا بالعلم . وكسوتنا حللا من الحكمة . وأربيتنا الجلال والبهاء والحسن والنور والاشراق والبهجة

سبحانك لا تحصى ثناء عليك أنت كما أئذيت على نفسك . إن ماظهر من جلالك قد استغرق أيامنا وملا قلوبنا بهجة . فكيف بنا إذا اطاعنا على ما هنالك من جلال وبهاء وحسن واشراق إن الإنسان إذا جلس في حجرته ونظر نور القنديل فيها وجدته متحدا بالحرارة . فلانور في أرضنا إلا وقد اتحد بالحرارة . نوعد النار في القرن فنحس بالحرارة أولا ثم نرى النور آخر . إذن الحرارة مقدمة على النور وهما بمنزلة متحدين اتحاد القوة الغضبية في الإنسان بالقوة العقلية . إن أهل الأرض خلقوا من نور ونار . من حرارة وضوء . من شر وخير . نور الشمس فيه الحرارة وفيه الضوء . ولما كانت هي الأصل كانت جميع الأنوار منها على هذا النمط . فإما من نور إلا وجهه حرارة ولم نعرف قبل أيامنا هذه النور ينصل عن الحرارة . لانور بالحرارة ولكن ظهر في النوع الانساني من الأذكىاء من قالوا : « إن الحرارة يمكن فصلها عن النور » وهم الآن يجتهدون ليجمعوها القوة التي صارت حرارة تنقلب الى ضوء . فالشمعة التي أبرزت حرارة وضوءا بحسب العادة اذا حولت حرارتها الى ضوء تضاعف الضوء البارد وزاد نفعه وقلت نفقاته

هذه هي آراء الناس الآن وهم فيها يجتهدون . إذن الناس اليوم يريدون أن يصنعوا من الحرارة والضوء ما يصنعوه مع أجزاء الهواء وأجزاء الماء أي يخلطون الأعراض هنا كما يخلطون العناصر هناك . يشير لذلك كله - وآية لهم الليل نسلخ منه النهار - فذلك كله انسلاخ

(انسلاخ الحرارة من الضوء كما انسلاخ النهار من الليل)

وهل كان يدور بخلدنا (ونحن في هذه الأرض التي اتحدت الحرارة عليها بالضوء وأخذ العلماء يفصلونهما) أن الله في سمواته قد فصل الحرارة من الضوء فجعل شمساً مضيئة لحرارة فيها ، وأوليس هذا من الإبداع العجيب أن نجد في السموات تلك العجائب . عجائب الشمس المضيئة التي لحرارة فيها اللهم إن فمالك عجيب . خلقت نفوسنا وجعلت عقولها مرتبطة بفضيها أي أن أنوار العقول جعلتها في أنفسنا مصاحبة للقوة الغضبية . فلما كان ضوء الشمس مصحوبا بالحرارة كانت أنوار عقولنا مصحوبة بالقوة الغضبية التي هي في الحقيقة قوة ذات حرارة . ففينا قوة ملكية هي قوة العقل مصاحبة لقوة أسبعية هي قوة الغضب

فهل هذه الشمس التي رآها الناس اليوم مضيئة غير حارة قد خلقت يا الله فيها أناسا مثلنا فيهم عقل ولا غضب لهم . إذن أنت كما جعلت الذكورة والأنوثة ليستا شرطا في إيجاد المواليد كما تقدم في (سورة مريم) لأن بعض الحيوان لا يحتاج الأنثى منه إلى ذكر بل هي تلد ولا ملقح لها . هكذا خلقت شمساً فيها ضوء لحرارة لها . إذن أنت تخلق أناسا مثلنا ذوي أجسام كالحيوان ولكن لا غضب لهم ويكونون أرقى منا مع أنهم ليسوا ملائكة

- إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

﴿ الكشف الحديث في الحرارة والضوء ﴾

(وعظمة الأجرام السماوية)

جاء في بعض المجلات العلمية مانصه :

﴿ تيليسكوب جديد يرى ما ملايين من النجوم ﴾

كلما أعجبنا باختراع وحسنه في منتهى درجات الكمال راح العلماء المفكرون والمخترعون المجددون يزدون فيه ويحسنون وينقلون به من حسن إلى أحسن فاذن الاختراع الأول شيء بسيط لوقارناه بالثاني حينما نصب التيليسكوب الذى قطر عدسته (١٠٠ إنش) على جبل واسن بكاليفورنيا قلنا إن العلم قد انتهى إلى كشف أسرار الكواكب والنجوم وأن المرصد الفلكية وصلت إلى حد الكمال . وكأن العلماء لم تكفهم الحقائق الغريبة التى توصلوا إليها ولم يجدوا فى تيليسكوب قطر عدسته (١٠٠ إنش) ما يطفى شهوتهم للعلم والبحث فستقر رأيهم على صنع تيليسكوب قطر عدسته (٢٠٠ إنش) . وإذا كانت الآلة الحالية التى فى مرصد جبل واسن قد أبرزت (١٥٠٠) مليون نجم فإن العدسة الجديدة التى سيتم صنعها بعد خمس سنوات ستكشف أمام الأنظار مئات الملايين من النجوم والسدم التى لم تر بعد . وستكون العدسة الجديدة أقوى من الأولى بنحو عشر مرات . ومنذ بدأ مرصد جبل واسن بحوثة بالتيليسكوب البديع أضاف إلى معلوماتنا (على قصر عهده) أشياء كثيرة عن السماء ونجومها . ولقد ذكر الدكتور جيانس سكرتير الجمعية الفلكية الملكية وعضو مرصد (مونت واسن) حقائق غريبة يقف العقل أمامها مذهوشا حائرا

وقد جاء فى كتيب أصدره أخيرا : ان بعض النجوم بعيدة عنا جدا . ولوعلمت أن ضوءها يصلنا بعد (١٤٠) مليون سنة وأن سرعة الضوء (١٨٦٠٠٠) ميل فى الثانية الواحدة لاستطعت أن تتصور مبلغ البعد الشاسع الذى يبتنا وبينها . ويتكهن الدكتور أنه بمعونة عدسات قوية يستطيع رؤية أضواء غادرت كواكبها منذ (١٠٠٠٠٠) مليون سنة . إن شمسا أكبر من الأرض بمليون مرة وماهى إلا إحدى الشموس العديدة ذوات الأجرام التى هى أكبر من الشمس . وتبلغ تلك المجموعة الشمسية آلاف الملايين وهذه المجموعة بدورها إحدى المجموعات الهائلة التى يتكوّن منها شمس وكواكب

ويقول الدكتور جيانز : ان هناك شمس باردة واننا لو اعتمدنا على أشعتها مثلا لجدت بمارنا على الفور ولتحول جوتنا إلى هواء سائل ، وأن هناك شمس يبلغ من شدة حرارتها أنها لو سطلت على الأرض لصيرتها بخارا ، ولو وضعت قطعة فى حجم الحصة من تلك الشمس الشديدة الحرارة على بعد ألف ميل ووقف تحته انسان لشوته وكوته . وبعد فأى غرائب وعجائب سيطلعنا عليها تيليسكوب (٢٠٠) إنش ؟ انتهى ما جاء فى المجلة المذكورة

هذا هو الكشف الذى عرفه الناس الآن ، ثم ماهذه الشمس المحرقة التى تكون نصف الحصة منها تشوى الانسان وتكويه على بعد ألف ميل ، هل هذه دار من دور جهنم ؟ ومن ذا كان يظن أننا نعرف ونحن فى هذه الأرض أن لله شمس مضيئة باردة وأن له شمس أخرى محرقة وصفها كوصف جهنم بل هذا وصف لم يكن ليخطر بالبال معرفته . إذن القرآن أتى لنا بشذرات من العلم وقل لنا - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - اللهم إنك أنعمت علينا بقراءة هذا التفسير بنعمة العلم وبنعمة الحكمة ، أريتنا العجب العجيب ، اللهم اننا اذا انطلقنا إلى ساحات الجبال وشاهدنا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر قلب بشر . هناك نكون فى جنة العرفان والعلم التى هى أقصى ما يشرئب اليه المجدون وأعلى ما يبغيه المحققون

وهل من عجب بعد هذا كله اذا سمعنا الله تعالى يقول - وزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين - . إن الناس في الأرض قد مزجت عقولهم بأهوائهم وشهواتهم . وهذا المزج والاتحاد لايساعدهم على دخول الجنة لأنها للجمال المجرد لاحظاً للشيطان الشهواني الغضبي فيها . فاذا رأينا الله قد سلخ الحرارة من الضوء في بعض الكواكب . ورأيناها علمنا طرقها بناعد ما بين الاكسوجين في الماء والادروجين وما بين الاكسوجين والاوزوت في الهواء . ورأيناها هو سلخ النهار من الليل . فهل من عجب اذا نزع مافي الصدور من الغل كما نزع مافي الضوء من حرارة ؟ - ان ذلك على الله يسير -

ألا وان هذه الأبعاد الكوكبية التي ذكرت هنا يقف العقل أمامها حائراً باهتاً . فها هذا الكون الواسع ؟ ضوء الشمس يصل لنا في (٨) دقائق و١٨ ثانية مع أن المسافة بيننا وبينها يسير القطار المعتاد نحو (٣٥٠) سنة وبسير قلة المدفع نحو (١٢) سنة . هذا الضوء الذي هذه صفته يسير (١٤٠) مليون سنة حتى يصل لنا من بعض الكواكب البعيدة عنا . ثم ان الدكتور (جيانس) المذكور يقول : وإن الناس سيشاهدون كواكب لا يصل ضوءها الى الأرض في أقل من مائة ألف مليون سنة . هذه أحوال تدهش وعجائب يحار العقل فيها . إن هذا العالم عجب والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم في المبصرات والمسبوعات من حيث الذل والموسيقى والشعر وغناء الطييار
وسر قوله تعالى - والشمس تجري - الى قوله - ذلك تقدير العزيز العليم - ﴾

(عمل في الحقل وعواطف فيه)

في ليلة الثلاثاء (١٠) يونيو سنة ١٩٣٠ بينما أنا جالس بمنزلة بالقاهرة وكان معي ذلك الصديق العالم ونحن نتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث إذ سمعت نغمة في الطريق وتوقيعاً صادرين من بعض المارين في الشارع فكان لذلك وقع في نفسي فصمت قليلاً فأدرك صديقي ما يخالج نفسي . فقال : إن للعواطف آثاراً وان للآثار لتأثيرات . أنعمت العامة في الشارع تهيجك أم توقيع المارة يطربك ؟ وعهدى بك لآثرنا إلا الى ما كان بالقواعد مرسوماً وعلى شرائط العلم موزوناً . وهؤلاء لاهم بالموسيقى عارفون ولا يفتنون الأنعام عازفون على أنني أقول : ولعلك استرست مع عواطفك وسرت مع عادات سرائك . واذا كنت اسجع الطيور على الغصون والهورير الأعشاب في الحقول تهتز طرباً وتتهيج عجباً فليس بدعاً إذن طربك الساعة بتوقيع العامة في الطرقات ولا بغريب اصغوك لهم في حنادس الظلمات والنجوم مشرقة في هذه اللجج . فهل لك أن تفيض القول في بعض آثار الأنفس الانسانية وعجائبها الحكيمة اذا أبصرت بهجة الجلال أو سمعت بديع النغمات . فقلت : لقد أثرت أيها الصديق في نفسي نائرة الذكرى وهجت من فؤادي ما مكن أيام الشباب ، فكلم كانت الذكرى تعاودني لأدنى سبب ولواعج الشوق تبعث في النفس بواعث الطرب . فقال : إن الحديث يحلو لاسيما في أوقات الخلوات وصفاء الأوقات وقد خشعت الأصوات وسكنت الحركات . فقلت : لأذكركك (حديثين من الأول) اني كنت وأنا مجاور بالجامع الأزهر اذا حل فصل الصيف قفلنا راجعين الى قرانا فكنت أنا أزاو الأعمال الزراعية مع والدي بقريننا وكنت أحسن بنشاط ومسرّة لاحد لهما بعد تمام الأعمال في حقولنا ، وكان العمل فيه يكسبني سبع خصال :

- (١) استنشاق الهواء الطلق في الحقول
- (٢) وملاحظة النبات وأوراقه وأزهاره
- (٣) وقوة العضلات بالعمل
- (٤) وينبعه نشاط العقل للعلم
- (٥) وتدريب النفس على ملاحظة دقائق الأمور إذ يصطنع الانسان مازرع فيحفظه ويبسده الحشائش

(٦) وتحسين الخلق لأنه يتبع صحة الجسم والعقل
 (٧) واننى تعاطيت أفضل أنواع الرياضة لأنه يلها رياضة المشى وآخر الدرجات رياضة التمرينات العضلية
 فى المدارس (جناسك)
 فهذه هى الفوائد العوائد على من يتعطى الأعمال الزراعية من أهل العلم فى هذه الكرة الأرضية وفوق
 ذلك يشارك أهل بلده فى عواطفهم فيكون ذلك أدعى للعلم بأحوالهم وذلك يوسع نطاق المعارف العامة
 للكتاب ، فأما من لم يعرف من العلم إلا ماسطره المؤلفون فذلك فى العلم غير مأمون
 ﴿ المسرة فى السموات أعلى من مسرات الأرض ﴾

وبينما أنا فى الحقل أعمل مع والدى إذ أخذ يتحدثنى عن أيام أسرتنا الأولى وما كان لهم من مجد باذخ
 وعز كامل وانهم كانوا قد نصروا على أعدائهم وأن جدى لأبى مع أسرتنا كلها كانوا يبتهجون بالولائم العظيمة
 التى كانوا يصنعونها فرحا بالنصر وابتهاجا بالثروة . وأخذ يصف الطبل وأنواع النغمات التى كانوا بها فرحين
 فأطربنى حديثه ولكنى أحسست فى نفسى بدافع قوى ووجدان داخلى لم أقدر على مدافعتة فقلت ياوالدى
 هذه النغمات المطربات والطبول والآلات التى فرحتم بها أحسن فى نفسى بأنها قطرة من بحر وقل من
 كل من طرب العوالم السماوية فوق الكواكب لأنى أحسن فى نفسى بأن تلك العوالم أوفر طربا وأعظم بهجة
 من كل ما يعرفه الآدميون . فرأيت سر بهذا القول وظهر عليه هيئة التعجب من هذه المفاجأة التى لم تكن
 منتظرة . انتهى الحديث الأول

﴿ الحديث الثانى ﴾

(غناء المغنيات الفرحات زاد فى شوق العلم)

إنى كنت يوما متوجها الى الجامع الأزهر (وربما تقدمت الإشارة الى هذا الحديث فى هذا الكتاب)
 وبينما أنا سائر فى الطريق المؤدى الى (بلدة بوردن) إذ رأيت ركبا سائرين فوق سكة الحديد . وهناك نسوة
 على الجمال يغنين طربات وأمايق شبان يسوقون ويقودون الجمال وهم جميعا فرحون وكان ذلك نصي والحو
 جيل وهم سائرون الى زيارة (الشيخ أبى مسلم) على عادة أهل بلادنا . هنالك خيل لى أن أشجار السنط التى
 كانت تحف بالجسر من الجانبين والحشائش النابتة حولها والنهر الجارى بجانبها وزروع الحقول حولها كأنهم
 جميعا رواقص مغنيات بهجات وخيلات لى هذه الدنيا كلها كأنها حفلة طرب وبهجة أنس ونسبت أن هؤلاء
 فرحون بزيارة شيخ الضريح وأنهم لا يعلمون عنى شيأ وصرت أشعر أن هذه الحفلات وأنواع الطرب والمسرات
 إنما تحيات لى أنا ، أنا ذاهب الى المجد الباذخ والسعادة العظمى ، فسعدنى دائمة وسعادتهم مؤقتة ، ألا ترى أن
 عاداتهم أنهم يرجعون من هذه الزيارة بعد ثلاثة أيام . فهذه حال نفسى فى ذلك اليوم ، فتنها حوت طرب
 العامة الى طربها وأخذت تتجلبب جلاليب الأنس والسعادة التى استأجبتها مما يحيط بها وتجاهلت أنها لم تكن
 مرادة بهذه المناظر البهجات ولا النغمات المطربات ولا المظاهر الفرحات كأنها كانت تحسن إذ ذاك أن للعلم دولة
 سوف تقبوا منها مكانا شريفا وأنها لا يد واصله الى ما أحببت من الحكمة والعرفان
 فهاتان الحادثتان كانتا أيام الدراسة الأزهرية فى أيام الشباب

﴿ صدحت الموسيقى فكانت من أهم المبشرات لى ﴾

وهناك حادثة ثالثة أيام أن شرعت فى تدريس العلوم بالمدارس المصرية ، فبينما أنا ليلية جالس
 ببلدة الجيزة مع المدرسين فى ليلة احتفال بزفاف عروس إذ فاجأنا نغمات الموسيقى فما أن سمعتها حتى أغشى
 على وأنا أكتبم حالى عمن حولى ، ذلك انى كما تقدم فى ثنايا هذا التفسير كنت عاهدت الله انى اذا عرفت أن
 هذا العالم منظم وأدركت حقائقه بقدر طاقتى البشرية فأنى أولف كتب لمن يعدى من المسلمين حتى لا يقعوا فى

حيرة كما وقعت ولا يشكوا في أمر هذا الوجود كما شككت واتفق اني كنت إذ ذاك في أوائل أيام عهدي بالقيام بمحنة التدريس واني فكرت فيما عاهدت الله عليه لأنني إذ ذاك أخذت من العلوم بحظ يكفي أن أولف للمسلمين واني لذلك أخذت أراجع الفلسفة القديمة كما أقرأ شذرات من الحديثة مع ضيق الوقت وكثرة أعمال الدراسة . فلما سمعت نعمات تلك الموسيقى وهي تصدح خيل اليّ أن هذا الطرب انما هو لتمام أمرى واني لا بدّ واصل الى ما طلبت وأن آمالي صادقة وأعمالي نائمة ، فهذه الخواطر كلها هي التي فهمتها من تلك الموسيقى واخواني حولى لا يشعرون بما يحول بخاطري وأنا أجتهد أن لا يبدو على وجهي علامات الآثار النفسية . ثم قلت : فهذه الوقائع الثلاث ضربتها أيها الأخ مثلاً لما يتردد في نفسى من العواطف التي لا بدلى في تحصيلها ولا قوة لي على دفعها . فقال صديقي : فحدثني ما الذى أثارته في نفسك هذه النعمات التي سمعتها الليلة في الشارع . فقلت : أنا لا أكتيك الحديث . يظهر لي أن هذه العوالم المحيطة بنا موقظات لنفوسنا مشجعات لها على أعمالها . أتدري ما الذى خيل لي وأنا معك ؟ خيل لي أن هذه السموات كلها حنات طرب وأن النجوم في آفاقها راقصات تجليات بجلايب الجبال وتسربت بسرايل البهاء وأن نعمات الأشجار والزرع والطيور وخرير المياه في هذه الحفلة الرائعة بعض الموسيقى الصادحة في هذا العرس العظيم وكأن أسماعنا وأبصارنا هي المرادة من هذا الجلال ، نعم نحن لنا حاسة اللمس وان هي إلا منذرة لنا ومبشرة للاحتراس مما يؤلنا من نار محرقة مثلاً وللإقبال على ما يوافقنا من كل مائنا به انتفاع وسرور ، ولنا حاسة الذوق فيها نذرمنا بضرنا ونصطفى ما يوافقنا من المطعوم والمشروب ، فهاتان الحاستان خاصتان ببقاء أجسامنا وإيجاد نسلنا بالتقاء الصنفين الذكر والأنثى ، فأما حاستا السمع والبصر فلهما شأن أعلى وان شاركتنا تلك الحاستين ، ألم تر أن سماع الموسيقى ونظر الوجوه الجميلة يدعوان أكثر نوع الانسان الى مائدعواليه تانك الحاستان فسكان السمع والبصر كما أنهما متممان لشهوى البطن والفرج عند الحيوان هكذا هما كذلك عند أكثر نوع الانسان ، وهما وان كان ذلك دأبهما عند العائمة والجهال وبعض صغار العلماء لهما القدر المعلى في استخراج طائفة من الجمهور الانساني وفي بذور السعادة والبهجة العلمية . ألم تر الى ما تقدم عن طيموس الحكيم الذى يقول في محاورته مع سقراط « ان الله خلق لنا البصر لتدرك به النجوم وتدرسها . ومن هذا الباب نالج باب الفلسفة » . وهكذا تسمع الفلاسفة يقولون : « إن الموسيقى المسموعة باب من أبواب الموسيقى المعقولة التي لا تعرف إلا بإدراك هذا النظام العام » . ولا سبيل لذلك السماع العقلى إلا بدراسة سائر العلوم من الرياضيات والطبيعات وأساسها والنظام العام لهذه الكائنات . هنالك مؤازرة واتحاد في النتائج بين حاستي السمع والبصر . فالصور الجميلة تذكر بالنعمات والأخيرة تذكر بالأولى . ومن عرف هذا أدرك معنى قوله تعالى في ﴿ سورة الملك ﴾ - قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون - وأدرك - وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ - الخ ومعنى قوله تعالى - إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبئليه فجعلناه سميعاً بصيراً - إذن السمع والبصر هما البايان المفتوحان في الانسان ليوصل الى المعارف والمجائب الى الأفئدة المستيقظة كما أنهما يوصلان طرق استبقاء الشهوات الحيوانية للنفس الضعيفة في هذه الحياة . فقال : أريد ايضاحاً أنتم للثلاث ما بين حاستي السمع والبصر يكون أكثر ايضاحاً وأنتم شرحاً . فقلت :

﴿ حزن الباكيات على الميت حوله نفسى فجعلته بكاء على جهلها بعلم النجوم ونظام العالم ﴾

أنا أذكر حادثة رابعة وقعت لي أيضاً أيام كنت بجاورا بالجامع الأزهر ورر بما مر ذكرها في هذا التفسير ذلك أنى توجهت الى بلدنا بالشرقية وقد مات رأس أسرتنا وعظيمها ، وكانت عادات أهل البلاد أن يقيموا مأتم مثله (٤٠) يوماً فسكنت كل ليلة أنقذ من القوم مكاناً قصياً وأجلس في ناحية وأنا ناظر الى النجوم استمع النعمات الخزنات (اللاتي تتخلل أشجار نخيل المحيطة بالقرية في ظلمات الليالي الخالكات) من أفواء نساء

القرية اللاتي يندبن ذلك العظيم ويرتلن ذلك النذب بهيئة منتظمة موسيقية على مقدار ما تعلمن من أسلافهن بالمحاكاة والممارسة والتدريب فكانت هذه الأصوات أتخللها كأنها ترتفع في جوف السماء من خلال الأشجار وتسارع الى النجوم وكأنهن لا يندبن عظيم أسرتنا الميت بل هن يندبنني لأنني جاهل بهذه العلوم التي يسارع الصوت في الصعود اليهن من خلال النخيل ، فهذه كانت حالي في تلك الليالي ، أسمع غناء الدابات فتصل رنات الحزن الى قلبي وهن يكنين علي لجهلي بهذه العوالم

هذه هي العواطف التي كانت تنساب الى قلبي إذ ذاك وهي من أعظم المشوّات الى تلك العلوم التي لم يكن ليخطر لي أني أعرف بعد ذلك منها شيئاً اللهم إلا الأمانى والآمال والتلهف عليها والحسرة والحزن على موت النفس بالجهل العظيم ، فهذه الصوت المسموع ذكرني بعلوم النجوم وسببها أي ان المسموع ذكر بالمنظور . فقال : أريد أن تذكر لي بعض ما تتخيله الآن في هذه السن لأوازن بالحق ما بين خيالك في الشباب وخيالك في المنسب . فقلت : لقد قدمت لك في (سورة فاطر) عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ ما يكفيك وأزبدك عليه الآن ما تخيله من مخاطبة القمر المذكورة هناك

﴿ بهجة البدر ﴾

(في الموقف المتقدم ذكره في « سورة فاطر » عند آية - ألم تر أن الله أنزل - الخ) كأنه أخذ يقول لي : « سيقف موقفك هذا قوم من الأمم الاسلامية وغير الاسلامية ويفكرون في أنفسهم . وقد أحاطت بهم الأشجار والزرع ، هل يتجاذبون في خواطرهم الحديث معي ؟ وهل يخيل اليهم انهم في بهجة وجمال وينظرون هل أحسوا في أنفسهم أن الأرض أشرفت بنور ربها وأن هذه الدنيا فيها مبادئ جناتهم ومسرات نعيمهم ، وسيدكر المصطفون منهم أن الأرض التي هم عليها في مثل هذا الموقف إن هي إلا ذرة من الوجود ، وما الشمس وتوابعها التي لاتزيد في المجموعات الكوكبية (المجرات والسدم) البالغات (٣٠) ألف مليون إلا كحبة رمل في فلاة واسعة ، وإذا صغر العالم كله على هيئة خاصة بحيث تصبح الأرض فيه جوهرافردا فإن جميع شمس ومجراته وسدمه تبلغ ألف مليون أرض ، وهناك تذهلهم عظمة الكون وتدهشهم كما أدهشتك ويرون كما ترى أنت الآن أن علومهم نسبتها الى حقائق هذا الكون كنسبة ضالة أجسامهم وحقارة أرضهم الى سعة هذه العوالم ، وأذن يحقرون أكثر ما يسمعون من علوم أهل الأرض الجاهلين الذين ورثوا عن آبائهم مخازي من العلم وأضاليل من الجهل وهم يدرسونها ولا يعقلونها وكيف يكون لله ولد وهذا الولد لا يولد إلا في هذه الذرة المنبؤة من الوجود ، وعلوم أن الشمس لاتزيد عن جزء من (٢٥) مليون جزء ومن كوكب الجوزاء ، وما الجوزاء إلا كوكب واحد من مئات الملايين من مجرة واحدة والمجرة معها مجرات وسدم لاتنقص عن ثلاثين ألف مليون مجرة وسديم وأن هذه العوالم كلها اذا جرى النور حولها لا يتم دورته في أقل من مائة ألف مليون سنة (كما تقدم في آخر سورة الكهف عند قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي - الخ فراجع) هناك تبدل العقول غير العقول ويقولون اذا كان الضوء يسير في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل أو ٣٠٠ ألف كيلو ، وبهذه النسبة يصل نور الشمس الى الأرض في (٨) دقائق و (١٨) ثانية مع أن القطر لا يصل منها الى الأرض فرضا إلا في (٣٥٠) سنة وقلة المدفع لاتصل في أقل من (١٢) سنة

فإذا كانت هذه حال الكون فعلم أهل الأرض أكثرها ضلال وجهالة . فكيف اختصت أرضنا بأن الله له ولد فيها وحدها بل كانت الأولى به نحو الجوزاء . وهذه ترهات سيرياها العلم من هذه الدنيا . وهؤلاء يرون أن أكثر ما عرفه الناس إنما هو حثالة العلم ، وكما أن الذباب والحشرات تعيش على المواد العفنة

الفترة إذ لا معطل في الوجود . هكذا أهل الأرض اليوم تعيش بعض عقولهم على أذنيص وأكاذيب وخرافات تعافها النفس ولكنها كافية لحياتهم كما تكفي الرمم لأكل الدود والعفونات والرطوبات لحياة الذباب والناموس والله واسع الفضل على الفاضل والمتنول وعلى الناس والذباب وستخلص الأجيال المقبلة من كثير من الأضاليل والأكاذيب ويسعدون بالعالم - عادة لا يحسن بها أهل الأرض الآن -

هذا ما جال بخاطري في ذلك الموقف : ثم بعد ليال وقفت بعد ذلك المكان قليلا بعد الغروب وقد قفنا راجعا من حقلنا للمرة الأولى . فهناك تجلت لي الدنيا بهيئة بهجة جيلة وكأنها أزيئت لي وأخذت أشجار النخيل تترنح على نعمات السمات وهن يباغين ميثا وميثا مصطفات صفوفا متقاربات بحيث يتصافح الجريد ويلتئم . هنالك وقفت دقائق ودقائق والنخلات راقصات رقصا مفرحا وهن يدرن دورة تامة بسبب احتياج الريح وهبوب العواصف . فلورأيت ثم رأيت قصرا مقاما على أعمدة جييلة من جذوع النخل تعلوه قبب متناسقات خضرناضرات من الجريد والخوص وسقفه وأعمدته تترنح ذات اليمين وذات الشمال وهن شامحات الذرى بهجات المناظر وتسمع ما بين آن وآخر هبات السمات تجعل هذا التصركله في هيئة راقصة على نعمات تأخذ بالذباب ومناظر تزيد الإعجاب

ولورأيت أيها الذكي مارأيت أنا من نجوم أخذت تهوى جهة الغرب وقد نظرن لي وهذه الجوقات الموسيقية وهن باسمات تشير بطرف ساحر خفي وتقول : « هيا يا حكماء الأرض . إياكم أن تشغلكم عوالم أرضكم عن جمال العوالم . ما أشد فرح أحدكم اذا لمح ابتسامة من حبيب جيل أو أمير نبيل أو ملك جليل . أفليس يطير بتلك الابتسامة فرحا ويهتز لها طربا فاذا كان العاشق يفرح لابتسامة المعشوق والسوقة لابتسام الملوك فلكم يطير الحكماء فرحا ويهتزون طربا في أرضكم اذا أدركوا أن عناية الحكمة العامة الإلهية اختصتهم وحدهم في هذه الحياة بوجوه باسمات مشرقات لأعداد هطن من كواكب السماء . فابتسامة واحدة من جيل واحد أو ملك تنسى العاشق والمصعلوك أشجانه وبقية على خلانه فكيف بألآف البسمات المشرقة كل ليلة من ميثا ألوف الملايين في السماء . إن نسبة سعادة النفوس الناقصة في أرضكم هذه الى سعادة النفوس الكاملة كنسبة بهجة ابتسام معشوق واحد لها شقه الى بهجة ابتسام النجوم السماوية الى الحكماء المفكرين . إن جمال هذه النجوم مغناطيس بها تجذب النفوس الصغيرة الى مجارة العقول الكبيرة فيرتقون الى أشرف الأعمال وأرفع العلوم ويستعقبون لزيارة تلك العوالم - وأن الى ربك المنتهى -

وبما لمحت في نظرات النجوم إذ ذاك خواطر أخرى وذكريات وكأني أعاطب بما في نفسي من تلك الذكرى لبهجة المقام

وذلك انني بعد أن قطعت زمان الشباب وحل بساحتي المشيب وأنا أزاو مهنة التعليم في المدارس وتأليف الكتب وجاوزت الستين رأيت شباب نفسي اطلب العلم وحبه لا يزال غضا طرى الالهاب قويا فأخذت أكتب هذا التفسير ، فأكبت على العمل نحو سنتين كاملتين أو يزيد . وكنت أكتب في اليوم نحو ٤ أو ٥ صفحات ومتى كتبت العدد الذي أقرره في نفسي أقوم للرياضة في الحقول حول القاهرة وأمشي نحو (٦) كيلومترات فلما أتممت أحسست في نفسي بضعف شديد وانهاك في القوى وضعف في الأعصاب ولكن فرحت فرحا وسررت سرورا كثيرا لأنني اعتقدت أنني أكلت واجبا . والذي سقت الكلام لأجله أني بعد تمام التفسير كما قدمت أخذت أروض نفسي خارج القاهرة فكنت في بعض الأوقات أجلس عند بلدة المرج وأجلس هناك في الهواء الطلق وأنا ضعيف فسمعت إذ ذاك الآلة الحاكية المسماة (الفونوغراف) إذ يحكي بالصوت الجليل واللغة العميقة مامعناه « يا بابا وأعمل له الواجب ، وأنا أمشي له وأتعجب ، وأغمر بالعين والحاجب »

هذا ما كنت أميزه من أصوات الفونوغراف المذكور الذي يعبر عن شعور الفتاة المبكر وقد حضر خطيبها

وهي توصي أباهما أن يكرم مثواه في الضيافة وهي تتولى اظهار المحسن له وتكون محبة بجمالها ، فأكرامه موزع بينها وبين أبيها فعليه الاكرام المثل كى يكرم أعز الضيوف وعليها هي اظهار المحسن ايزيد غرامه بها فتزوجه . هذا ماخطر لي ولكن هذه النفس حوله الى سعادتها على كما حوت غناء النساء على الجبال الى نفسها في جهة (بردين) بالشرقية ويانه ثنى لما سمعت ذلك الغناء أحسست كأن نفسي في عالم أجمل من هذا وكأنى لست في هذه الدنيا ، وكأن هذه الفتاة هي الحكمة ، وكأن الذى تخاطبه هو الله عز وجل ، وكأن الخاطب لها أنا ، وكأن الحكمة التى أعشقتها وأنا أخطبها تخاطب الله عز وجل وتقول له : « يا رب انظر فى أحواله المزلية ، وأموره المعاشية ، حتى يفرغ لى وأنا سأزين له وأظهر له محاسن فيعشقتنى ويحببنى ويكتب ماينفع للناس

ولما رجعت الى المنزل بالقاهرة بقى أثر تلك المعاني أليما وأياما ولكنى كنت أقول : لقد أتممت التفسير فهاهى الحكمة إذن التى سيظهر جمالها لى ؟ ولقد ظهر بعد ذلك ما لم أكن أحلم به فن التفسير الذى كتبت لم يكن ليتجاوز نحو (١١) مجلدا فما كد عمال المطبعة يشربون فى طبعه حتى بدرت لى بوادى وسنحت لى سوانح لم تكن لتخطر لى ومنها جميع المسائل العلمية التى ازدادت بالصور الشمسية فتضاعف الكتاب بما أضعه فيه من تلك الجباب الحكيمية التى ازدان بها فعرفت إذ ذاك معنى ما نهضت من دوت الفونوغراف وأن فهمى كان حقا وأن هذه تزيينات وإشارات تقبسها النفس من الأحوال المحيطة بها ، إذن نفوسنا مستعدة أن تحول جميع ماحولها الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للفقارين ، فإذا نظرت القمر هذه الليالى فى هذا الشهر والنجوم والنخل والزرع وتصورت المعاني المتقدمة فذلك أن نفوسنا لها حال أخرى فوق هذه الحال وهى أن ترى العوالم كلها سعادة لها وجورا وجنات ونعيمات وتحظى بذلك فى الحياة فى سنحات وأوقات . فإذا خلعت هذا العالم لبست أثواب السعادة فى عوالم أخرى . انتهى صباح يوم الاثنين (١٩) من شهر مايو سنة ١٩٣٠ م

فلما أتممت ذلك . قال : إن الذى قصصته على الآن انما هو خيالك الخاص بك . وهل لهذا الخيال رابطة بالحقائق العلمية ؟ وهل المسموع والمبصر من راد واحد فى العوالم الحكيمية كما كان فى خيالك الطارىء لك فى أوقات مختلفات . فقلت : إن أمثال هذا المقام يعوزه شرح طويل ولكن لأختصره لك اختصارا فأقول :

﴿ علاقة النظام السياسى بالنجوم والحساب والهندسة والتمرين العضلى والموسيقى ﴾

هاهى ذه أمامى جمهورية أفلاطون التى ألغتها لاحداث نظام سياسى ثابت . وقد تعرض فيها لكل فروع الحياة وشرحها شرحا وافيا . والجمهورية مقسمة الى عشرة كتب والكتاب السابع هاهوذا بين يدي وهو يبحث فى الرجل الحكيم الذى يقود أمتة الى الإصلاح والنلاح فوصفه بأنه هو الذى لا يتف عند الحواس بل يرتقى الى ما هو اليقين وقال لاسبيل للوصول الى اليقين إلا باجتذاب العقل من الحسوس الى المعقول الثابت ومتى وصل العقل الى اليقين وهو ﴿ صورة الخير الجوهرية ﴾ أيقن أنه سبب لكل ماهو جيل فى الحسوسات كالأنوار ولكل ماهو باه وكامل فى المعقولات وهو الحق والعقل . وكل من أراد أن يتصرف بحكمة يجب عليه أن يضع صورة الخير الجوهرية بين عينيه . أقول ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يجب أن يجعل الحكام والحكام صانع العالم دائما فى قلوبهم

﴿ العقبتان فى طريق الفيلسوف فى حال تعلمه وفى حال قيامه بواجبه ﴾

ثم أخذ يبين مايعترى الفيلسوف من المشاق إبان تعلم الفلسفة . ثم مايعتريه من النصب والتعب بعد كمال نفسه إذ يرى عقله الذى وصل الى درجة الكمال ومعرفة الجلال ومبدأ النظام وهو الله تعالى قد رجع كره أخرى

يقاسى مشاق السياسة ونظام المدن فيكون إذن أشبه بمن مشى في النور طويلا ثم فجأه الظلام ، ثم بعد الممارسة يكون أقوى . أكل في نظام المدن من أولئك الجهلاء

﴿ الرياضة البدنية والموسيقى ﴾

وهنا أخذ يبين الدروس التي يتعلمها أولئك الحكام الفلاسفة وقام لذلك مقدمة فقال : « يجب أن يحكم الدولة الأغنياء الحقيقيون ، أغنياء لا بالذهب ولا بالفضة بل بثروة الإنسان السعيد وهي حياة البر والحكمة فإذا تساط الفتراء أى المتهافون على المنافع المادية كانت المدينة فى غاية الانحطاط . وهنا أخذ يبحث فى العلوم التي تنقل الإنسان من الغافى الى الباقى وتجعله مقبلا على الخير المحض وهوائه تعالى فقال : « هل تكفى الرياضة البدنية التي تقوى الأبدان وعلاقتها لا تكون إلا بالجسد الغافى . كلا . وهل الموسيقى التي لا عمل لها إلا أن تمرن النفس على نوع من الاتزان والاتساق كافية فى ذلك ؟ كلا . فلجئناستك لصحة الأبدان والموسيقى لها نوع من التهذيب فى النفس بالاتساق »

﴿ علم الحساب ﴾

وهنا أخذ يذكر علم الحساب فقال : « انه هو العلم الذى منه تستمد كل الفنون والعلوم وجودها ، وهو أول ما يجب على المرء حوزة من العلوم ، ولا جرم أن فن الحرب أحدها وهو يكون نافعا للتاجر واضابط الجيش وللفيلسوف ، وعلى الجلة أن المنصبين على الحساب سر يعوا لخواطر أذكاء إلا النادر منهم وهو دواء لبطء الفهم فوق منافعه الأخرى ، وأعظم فائدة لدرس الحساب انه يقودنا الى درس الوحدة والتفكير فى الوجود الحقيقي إن الواحد فى كل موجود له ﴿ صفتان ﴾ صفة الوحدة من جهة . وصفة الكثرة من جهة أخرى . أقول : أى كبدن الانسان فهو واحد من وجهه كثير من وجه آخر باعتبار أجزائه . وهكذا كل مدينة وقرية وكرة أرضية وأمة وهكذا

يقول إن البحث فى الوحدة يعرفنا الوجود الحقيقي الذى لا كثرة فيه بوجه من الوجوه بل هو واحد من كل وجه ، أما العوالم فوحدتها من جهة واحدة فقط بالملاحظة لا غير

ولما أتم الكلام على الحساب أخذ يذكر الهندسة السطحية كالثلث والمربع وكثير الأضلاع وسطح الكرة وما أشبه ذلك . ثم علم الهندسة الفراغية كالكرة والمكعب ونحوها . ثم عطف على هذه الثلاثة علم الفلك وأبان انه يحمل النفس على النظر الى الامور الثابتة ونضح علماء الفلك فى زمانه قائلا : « انهم يزاولونه فينزل بهم الى أسفل سافلين إذ لا فرق بين من نظر الى جلد منقطة منقوش وبين من نظر الى هذا السقف المرفوع المزين بالنجوم . وأى فرق بين منظر ذلك الجلد وهذا السقف من حيث شكلهما ؟ فكلاهما من المحسوسات والمحسوسات أخس الخنوق . إن المثقف فى علم الهندسة اذا رأى رسما عرف حالا اتقانه ودرجته فى الجبال والكمال فلم يكن له ذلك غرضا متصودا وإنما هو واسطة لما فيه من المعادلات والمضاعفات والنسب أما نفس الرسم فليس مقصودا من حيث ذاته بل الابداع هو المقصود . هكذا علم الفلك فليكن مقصد الفلكي أن ينظر الى حركات النجوم بهذا الاعتبار نفسه . إن الحركات تعطينا علمين : علم تؤديه لنا العيون . وعلم تؤديه لنا الآذان . فالعلم الذى تؤديه لنا العيون هو علم الفلك . والعلم الذى تؤديه لنا الآذان هو علم الموسيقى . فآدانا اضبط الحركات المسقة بالموسيقى وعيوننا خلقت لتناول حركات الأجرام الفلكية وهذان يؤلفان علمين شقيقين كما يقوله الفينثاغوريون . وههنا أخذ يشنع على طائفة من علماء الموسيقى وعلماء الفلك إذ يقصرون بحتمهم فى الموسيقى على أن يتلقفوا الصوت ويتنصتوا ويبحثوا على الفرق بين هذا الصوت وذاك وأنت هذا أخذت وذاك أعلى ، إذن هم يخضعون عقولهم للمحسوسات ، فهم لا يبرعون إلا فى شد الأوتار ولها على الأنظمة فهم بذلك يجعلون أنفسهم سخرة لغيرهم

إن الإنسان لا يفك من أغلال هذه الطبيعة التي سخرها إلا إذا بحث في نظام هذه الأنعام وحسابها ونسبها وأدرك بدائعها الموزونات وزنا حسابيا كما ينظر بحجب الحيوان والنبات وتشرح الإنسان ، ثم ينظر في الشمس والنجوم وهذه المباحث كلها عقلية لاحسية منطقية لالغظية . قل : ولا يكف حتى يدرك (الخير) والحقيقة في ذلك يبلغ آخر مدى العالم العقلي ، فإذا وقف العقل على كنه هذه الحقائق العقلية وأشرف على معرفة الذات العلية تمتع بالسعادة الخاصة به كما تمتع الأعضاء الأخرى بالسعادة بما يلائمها ، فهذا هو اللشيد وهذه هي النعمات وما هي إلا نعمات عقلية دائمة في مقابلة النعمات الحسية الفانية

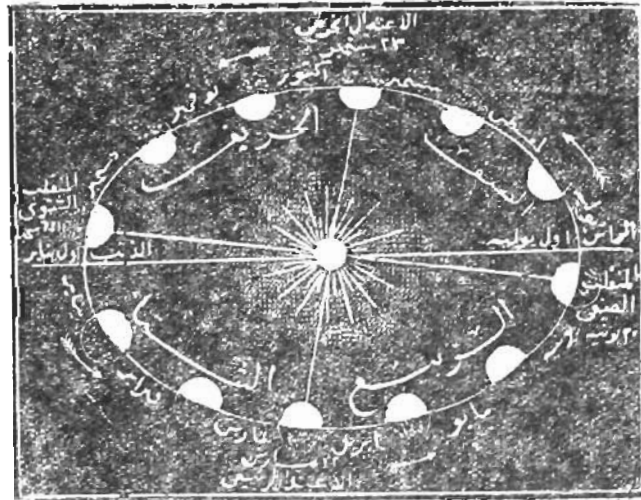
فلما سمع صاحبي ذلك قل : يا سبحان الله ، أنا طنعت على هذه القطعة من كتاب جمهورية أفلاطون وهو الكتاب السابع ولكن لم أفهم منها ما كتبه أنت الآن ، إن المحاورات هناك فيها صعبة بين سقراط وبين غلوكون ولكن يظهر لي أنك لخصت المعاني وأوضحتها بعبارتك أنت وأثبتت المفهوم مع المنطوق حتى أسمعها لي واضحة ظاهرة بيئة ، ويظهر لي أن صناعة التدريس في المدارس النظامية تجعل في نفس المدرس ملكة بها يوضح كل ما يكتبه ، ألا ترى أنك ذكرت الكرة والمكعبات وما أشبه ذلك وضربت الأمثال في الهندسة وسقراط لم يوضح ذلك . فقلت : انني أراعي فيما أكتب أحوال أذكاء القراء في هذا التفسير ، ولا يتسنى فهم ما أكتبه إلا بهذه الطرق فلا يوضح واجب متى وجدنا إليه سبيلا . فقال : ولكن أريد أن أبحث معك في مسألة واحدة مما ذكرته . ذلك أنك قات في تلخيص كلام سقراط (قولين متناقضين) فتارة نسمعه يقول إن علماء الموسيقى الخاضعين للأصوات الذين يوازنون ما بين النعمات وأن علماء الفلك الذين لائمة لهم إلا صور النجوم والحساب من حيث نتائج الأرضية ، فهؤلاء وهؤلاء لاحظ لهم من الكمال ، وتارة يقول إن الموسيقى ملطفة للأخلاق مهذبة منعشة وأن التمرين العضلي إذا قوى الأبدان فإن سماع الموسيقى يلطف الوجدان فكأن القول فيه تناقض . فقلت : أنا الآن أبين لك حقيقة ما يقول بحسب ما يذهب إليه ثم آتي لك بما هو الحق في نفسه : إن هؤلاء النجوم ينظرون إلى الفلك وإلى الموسيقى من وجهين مختلفين . فلو سبق تلطف الوجدان وتحسن الأخلاق لأن الاتزان والاتساق يعطيان النفس صفة تشابه ما جاورها فيكون صاحبها موزونا في معاملاته وهذه النعمات تطرد من نفسه تلك الخشونة التي أردعتها في النفس التمرينات البضلية وهذه هي الطريقة العملية . أما الطريقة العلمية فهي أن يفكر في أصل وضع الأنعام ونظام حسابها ونسبها الهندسية ونظام سير النجوم والشمس والقمر ، فهناك يجد ثباتا ونظاما كاملا ، ولا جرم أن نظام الحساب والهندسة وثباتهما يعرف النفس أن هناك ثباتا في هذا الوجود بخلاف نفس الكواكب ونفس النعمات فانها ذاتيات متجذرات ، أما حساب ذلك كله فهو ثابت ، فإذا رأيته يذم الفلسفي وعالم الموسيقى فذلك إذا اقتصر كل منهما على ظواهر الكواكب ونتائج حسابها من الشهور والسنين وهو لا يفكر في ثبات القواعد الحسابية وعلى ظواهر النعمات والتلذذ بها ، إذن ظواهر النعمات إنما تكون منفعتها في تنظيم النفس لا غير . فلما إذا عدل بهما عن ذلك فانها تصبح ضارة ولا فرق عند هؤلاء بين الطعام والشراب وبين النعمات فكما أن أكثر ألوان الطعام ضارة بالآكلين هكذا التفتن في الموسيقى ضارة بالسامعين لأن هذا التفتن يفتح أبواب الفجور فتحتهج الآمة إلى القضاة وأكثرهم كما يقول شهوانيون وكثرة الماء كل في الآمة والتفتن فيها يدعو إلى كثرة الأمراض وهذه تدعو إلى الأطباء . وعار على رؤساء الجمهورية أن يدعوا رعاياهم يتفتنون فيما يضرهم من المسموعات والمأكولات فيحتاجون إلى القضاة وإلى الأطباء . فلتسكن الموسيقى في حال خاصة وينب أن تكون بسيطة غير موجبة لاثارة الشهوات بكثرة التفتن فيها فليسمع والطعام أخوان والبسائط فيهما أهدي سبيلا وأقوم قيدا وهو يقول فوق ذلك : « إن الأطباء يختص عمالهم بالأحوال الطارئة والأمور العارضة ، أما انطاء العقاقير وطول التمريض فذلك يوجب الشدة في الماء كل والمشارب ومتى امتنع ذلك خلصت الجمهورية من الأمراض

فقال : وهل أنت ترى هذا كله . فقلت : إن بعض هذه الآراء قد عدل في وقتنا الحاضر ، إن التمارين العضلية والألعاب التي جعلها عمدة في صحة الأبدان قد أصبحت اليوم في الدرجة الثالثة ، ذلك أن أرق الرياضات ما كان من اتعاب البدن في أعمال الحقول والبساتين و يليه المشي على القدم ، وآخر درجات التمرين الرياضي هو (الجماسنك) أى التمرينات المعروفة ، وقد ذل تعلماء أوروبا وأمريكا بالاختبار إن الذين يكثرون تلك التمرينات هم أقل الناس علما وأضعفهم تفكيراً وأظلمهم بصيرة ، ولست أقول إن التمرينات العسكرية داخلية في ذلك . كلا . بل هى صناعة من الصناعات لابد من الخلق فيها وإتقانها . وهذه التمرينات أهم ركن فيها وأكثر كلام الجمهور في العسكرية

والخلاصة أن الانسان لا يكون رجلاً كاملاً إلا اذا أحب الجمال . وحُب الجمال يشمل بهجة النجوم والمزارع الخضراء وحسن نسق الثياب والنظافة وتنسيق المنازل . وبالجملة كل جمال في بر أو بحر ، ومتى شقى الناس الجمال فتحت بصائرهم للحقائق وحسنت معاشرتهم والرياضة البدنية حافظة للصحة وهى مع حب الجمال صنوان لا يفترقان في سعادة الانسان

فقال صاحبي : هل هذا آخر رأى ؟ فقلت : إن هذه عليها نظام المدارس والتعليم في العالم الانسانى اليوم ولكن جاء الاسلام فأحدث مدينة وجعل أركانها أركان الاسلام ومنها الصلاة ، وهذه الصلاة بنظامها الجليل ونظافتها قد أبدعت أمة واسعة التذوق في الشرق والغرب ، ولما كسلوا عنها تزيق شملهم وضلّ سعيهم ومدينة الجمهورية وحدها لم تقم بها أمة من الأمم ، أما المدنية التي قامت بأقامة الصلوات في خمسة أوقات التى هى نوع من النظام يهيج النفس الى عالم قدسى فقد نجحت أمة وأمم بها . ولما تركها ملوك الاسلام وأمراؤه ذهبت ربحهم وضلّ سعيهم وتمسكوا بما لديهم من الموسيقى وأكثروا منها فشرّبوا الخرف فكانوا من الخاسرين

فقال صاحبي : لقد أطلنا في هذا المقام وخرجنا عن المطاوب . فقلت : كلا . الآية فيها نظام الشمس والقمر وفيها - ذلك تقدير العزيز العليم - وتقدير العزيز العليم كما رأينا في سير النجوم رأينا أيضاً في علم الأحياء وانتهى الأمر بنا الى أن ماجل من النظام محسن لأخلاقنا ومائت من الحساب ونظام الهندسة يعطينا ثباتاً في عقولنا ودلالة على مبدع للعالم ترجع النفس اليه (شكل ٣٨)



(شكل ٣٨ - شكل تستبين فيه الفصول الأربعة)

فقال : أرجو الآن أن تشبع القول في نظام الحساب في الفلك والموسيقى وغناء لأطياركما وعدت وكيف كانت من (وادي) واحد . فقلت أولاً انظر الى الفصول الأربعة

فهذه الدائرة المرسومة أمامك تحاكي الدائرة التي تقطعها الأرض في حركتها حول الشمس فهو نظام ثابت بحساب لا تغيير له ، وههنا يتجلى للعقل الكمال الحقيقي وتمييز نفسه بما وراءه من منظم للكون حكيم
 ﴿ ثانياً ﴾ انظر الى أشكال القمر الآتية قريباً وفيها أوجوه القمر وصوره المختلفة فهذه الوجوه القمرية هي التي تظهر في القمر كل شهر ، فثبتنا الظاهري راجع لحساب كحساب سير الشمس في الصورة التي قبلها
 ﴿ ثالثاً ﴾ تفكر في جدول الخسوف والكسوف وهو انه يكون (٧٠) خسوفاً وكسوفاً في مدة (١٨) سنة و (١١) يوماً ، منها (٢٩) خسوفاً و (٤١) كسوفاً والخسوف والكسوف في كل مدة في نفس المواعيد والساعات والدقائق في المدة التي قبلها

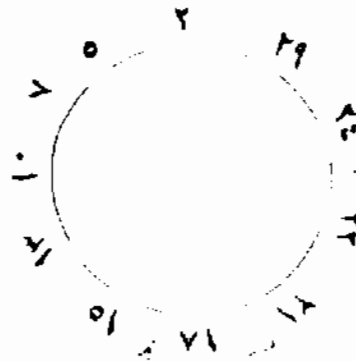
﴿ رابعاً ﴾ الكلام على السنين البسيطة والكبيسة . ان الدورة السنوية القمرية (٢١٠) وهذه دورة كبيرة . والدورات الصغيرة (٧) كل دورة (٣٠) سنة . والسنة القمرية تكون ما بين (٣٥٤) يوماً و (٣٥٥) يوماً ، فالأولى بسيطة والثانية كبيسة ، ففي الثلاثين الأولى من (٢١٠) من الأعوام الهجرية تكون الكبيسة على حساب الحروف المعجمة في هذا البيت فالحرف المعجم للكبيسة والمهملة للبسيطة

٢ ٥ ٧ ١٠ ١٣ ١٥ ١٨ ٢١ ٢٤ ٢٦ ٢٩

إن رمت مجداً فلا ترقد دجاً أبداً * خسوف القوات لما ترجو من الشرف

انظر الدائرة الأولى

(مبدأ السنين الكبيسة)



(دائرة السنين الكبيسة)

فالكبيسة في كل سنة (١١) يوماً والبسيطة (١٩) يوماً (انظر الدائرة الثانية)

(دائرة السنين البسيطة)

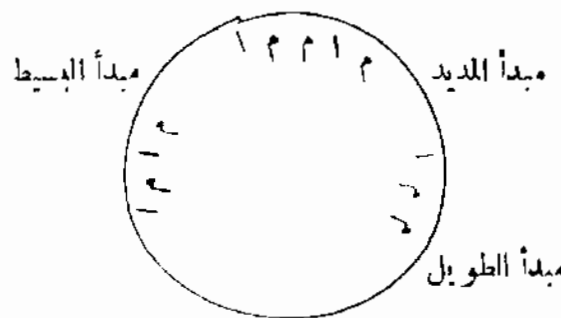


فهذه الدائرة تحتوي على (١٩) عدداً لا يحصى للسنة من أن تجرى على مقتضاها ، فالدور الأول من (٢١٠) من التاريخ الهجري هذا شأنه والدور الثاني على مقتضاه وهكذا تتم (٧) أدوار وهنا ينتهي الدور

الكبير الأول ، وينحوتحود في ذلك كله الدور الثاني والثالث والرابع وهكذا بالعلماء ما بلغ ونحن الآن في سنة ١٣٤٩ هـ وقد مضى (٦) أدوار لها مدة (١٢٦٠) ومن هذا الدور السابع قد مضى (٨٩) سنة منها دوران صغيران هما (٦٠) ونحن في الدور الثالث ، وهاتان الدائرتان قد تكررنا منذ الهجرة إلى الآن (٩٠) مرة أليست هاتان الدائرتان اللتان رأيتهما أمامك أشبه بدوائر الموسيقى والشعر وغناء الطيور ، إنها مثلها أحذو القذة بالقذة . فقال : كيف يكون ذلك ؟ فقلت : اعلم أن الموسيقى والشعر وغناء الطيور كلها من واد واحد فهي دوائر كدوائر علم النلك . فقال أوضح فن الأمر عجب . فقلت : إن أصول الشعر ثلاثة وهي : السبب والوئد والفاصلة . فليسبب مثل هل ومن وعن والوئد مثل نعم وبلى ونحن وأنت ، والفاصلة فهمت وعلمت وغلبت . وترجع هذه الثلاثة إلى حرف ساكن وحرف متحرك ، وهذه الأصول الثلاثة في الشعر هي أصول الغناء مثل (تن . تنن . تنن) فمن هذه الثلاثة تتركب جميع الألحان والنغمات كما إن اللاتي قبلها تتركب منها جميع أنواع الشعر عند العرب وغير العرب وأنواع الغناء عند العرب ﴿ ثمانية أنواع ﴾ وهي : الثقيل الأول وخفيفه ، والثقيل الثاني وخفيفه ، والرمل وخفيفه ، والهزج وخفيفه . وكلها مركبات من هذه الثلاثة كما يتركب أنواع النبات والحيوان من العناصر وكما تتركب أنواع الشعر العربي من الوئد والسبب والفاصلة ، ومقاطع الشعر العربي ثمانية وهي فعولن مفاعيلن متفاعلين مستفعان فاعلاتن فاعلن مفعولات مفاعلاتن ، فهذه منها تتركب البحور العربية الشعرية ، ومن الثمانية قبلها تتركب سائر الألحان في الموسيقى

فلما سمع ذلك قال : اتنا الآن في تفسير آية الشمس والقمر وتقدير العزيز العليم ، ولا جرم أن هذا دعا إلى علم الفلك وعلم الشعر وعلم الألحان لأن ذلك كله تقدير العزيز العليم . وسمعنا الفلاسفة يقولون إنها من واحد . فأريد الآن الهجوم على نفس الموضوع خيفة أن يتشعب علينا بما نستوفيه من تلك العلوم فأرجو أن تأتي بمثال واحد به نعرف أن علم الشعر على مثال علم الموسيقى ونغمات الطيور . فإذا كنا رأينا للقمر والشمس وللسنة الكبيسة وللسنة البسيطة دوائر قرأناها فأريد الساعة أن أدرس دوائر تشبهها في الشعر والموسيقى حتى تستبين الحقيقة . فقلت : اعلم أن الخليل بن أحمد لما اطلع على أشعار العرب وجدها ترجع كلها إلى خمس دوائر وهذه الدائرة منها وهي التي تدل على بحر الطويل والمديد والبسيط وسميها المختلفة (الدائرة الثالثة)

﴿ الدائرة المختلفة ﴾



فهذه الدائرة فيها سبعة حروف متحركات وخمسة حروف ساكن أي (١٢) حرفا سواكن ومتحركات أغنتنا في ثلاثة بحور فما عليك إلا أن تكرر هذه الحروف أربع مرات فتبلغ (٤٨) حرفا فبحر الطويل إذا ابتداء من المبدأ الذي أمامك في الدائرة له يكون فعولن مفاعيلن (٤) مرات وفاعلاتن فاعلن أربع مرات في المديد ومستفعلين فاعلن (٤) مرات في البسيط

فالظم أيها الذكي من الأشعار ما شئت في الطويل والمديد والبسيط ولكنك لن تخرج عن هذه الأوزان المتقدمة في الدائرة ولا تخرج عن المتحركات والسواكن بعينها إلا في أمور عارضة يسمونها الزخافات والعلل لا محل لذكرها لأنها تخرج بنا عن المقصود كما هو رأيك ورأي أذكىاء القراء في هذا التفسير

واعلم أن هذه الأوزان هي الأصل ولكن الشعر علم له قواعد تقتضى معرفة علله وزخافته وما الأبيات إلا كحيوان يصح ويمرض ، لحذف حرف أو تسكينه يعتبر كأنه علة وأغلب الشعر لا يخلو من ذلك ، فاذا أثبتنا بشواهد على هذه البحور فاتها من هذا القبيل ، فإذا سمعت هذا البيت وهو الشاهد لبحر الطويل وهو :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة * يضر من بأنيب ويوطأ بمنسم

فاعلم أن ما حذف منه تقتضيه الصناعة لأن آخر صدر البيت بوزن مفاعل وكذلك عجزه وهكذا قل فيما

يأتى

(شاهد المديد)

يا بكر انشروا لى كاييا * يا بكر أين أين الفرار

(شاهد البسيط)

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفر والاقدام قتال

وبهذا تم الكلام على الدائرة الأولى

ومن عجب أن بحر الطويل الذى هو أحد البحور الثلاثة فى الدائرة المختلفة المتقدمة له نظير فى علم الموسيقى قال : وما هو ؟ قلت : أذكرك بما تقدم وهو أن ألحان الغناء العربية لها ثمانية قوانين فلترك الكلام على الثقيل الأول والثقل الثانى ولنحصره فى الكلام على خفيف الثقيل الأول فنجد على هذا الوزن فعولان مفاعيلن (نون ن ، نون ن ن) ويضمون هذا (اللحن الماخورى) وهو مماثل صياح الفاخنة (ككوه كوه ككوه كوكو)

إذن عندنا هذا الوزن فى الشعر وفى الموسيقى وعند الطبر ، فانرجع الى الدائرة المختلفة المتقدمة فاذا نجد نجد أن من ينظم بحر الطويل يتم البيت بالسير على هذه الدائرة أربع مرات فعولان مفاعيلن أى انه يأتى بخمس سواكن وسبع متحركات ويعيدها أربع مرات ، ولا فرق فى ذلك بين المغنى وبين من يقول : أبا منذر كانت غرورا صيفتى * ولم أعطكم بالطمع مالى ولا عرضى

يا سبحان الله : إذن قول الفاخنة ككوه كوه الخ يجرى على هذه الدائرة ، إذن المغنى والطبر والشاعر كلها تجرى على هذه الدائرة فى هذا المقام ، وبالعجبا ، أليس هذا بعينه هو ما رأينا فى سير الشمس والقمر ووجوهه والسنين الكبيسة والبسيطة ، أفليست الأثر الصغرى التى تبلغ نحو (٩٠) دائرة من أيام الهجره الى الآن سارت كلها على نمط واحد ، فأى فرق لعمر ك بين دائرة الخليل التى سماها المختلفة وقد جاء فيها بحر الطويل المماثل للماخورى فى الشعر وصياح الفاخنة وبين دائرة السنين الكبيسة والبسيطة

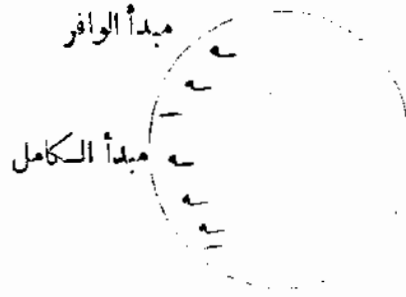
كل هذه أدوار منتظمة . أليس هذا هو الذى كنا نسعى لفهمه ونعرف ما يقوله أفلاطون ان علم الألحان هو من قبيل علم الفلك لافرق بينهما ، وأن الانسان اذا أدرك عجائب الوحدة والحساب أغرم بمبدع الكون وأن أسماعنا مخلوقة لمعرفة نظام النغمات كما ان أبصارنا مستعدة لمعرفة نظام الحركات وبهذا عرفنا أن النغمات وحركات الأفلاك كلها واحدة منظمة

وبهذا عرفت أيها الذكى ما جال بخاطرى وأنا شاب فى الحساية السابقة فى أول هذا المقام إذا ذكرنى بحركات الأفلاك نغمات الناديات وفهمت نفسى أن ذلك بكاء على موتها . ههنا الفطرة من غير تعليم انتقلت من حركات النغمات الى حركات الأفلاك . وهذا الذى حرك وجدانى بطريق الوجدان والغريزة هو الذى أجله (سقراط) فيما تقدم وهو الذى فصلناه فيما قرأته الآن

فلما سمع صاحبى ذلك . قال : لقد شرحت صارى وشرحت الموضوع شرحا وافيا وعرفنا بهذا أن تقدير العزيز العليم كما سرى فى الأفلاك سرى فى نغمات الطيور وأشعار العرب وألحان الغناء . ولكن هل الفطرة الصادقة خاصة بالعرب . قلت : كلا . اعلم أن الأمم كلها حكمها حكم أمة العرب ، وإذا وجدنا الطيور لها موسيقى

ونعمات هكذا نوع الانسان كله له اصطلاحات وأوزان لا تخرج عن الأصول التي بينها، وليست بحور الشعر التي عددها (١٦) في اللغة العربية بشرط في النظم بل القفلة الانسانية فيها من الأوزان ما لا حصر له وهكذا المعاني

فقال : ها أنذا عرفت الدائرة المختلفة في علم الشعر فأريد أن أعرف بقية الدوائر . فقلت له : إن هذا يخرج بنا عن المقام . فقال : ولكن أريد الإيجاز . فقلت : الدائرة لثانية تسمى المؤلفة وفيها الوافر والكامل والبيت يتم فيها بست مرات (انظر الدائرة الآتية)



فاوافر فاعلن ست مرات والكامل متفاعلن ست مرات وهذا واضح

﴿ شاهد الوافر ﴾

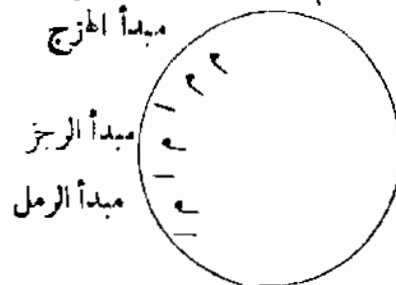
ونشرب ان وردنا الماء صفوا * ويشرب غيرنا كدرا وطينا

﴿ شاهد الكامل ﴾

واذا صحت فما أقصر عن ندا * وكما علمت شمالي وتكرمي

وبهذا تم الدائرة الثانية وشواهدا

والدائرة الثالثة تسمى المجتلبة والبيت يتم بست مرات وفيها الهزج والرجز والرمل (انظر الدائرة الآتية)



فهذه الأبحر الثلاثة من واد واحد كالوافر والكامل في الدائرة الثانية ، فلافق بين مفاعيلن ست مرات في الهزج ولامستفعلن ست مرات في الرجز كذلك ولافاعلاتن ست مرات في الرمل فكأها كأنها شيء واحد

﴿ شاهد الهزج وهو مجزؤ ﴾

وما ظهري لبغى الضيم بالظهر النلول

مفاعيلن ثلاث مرات وبعدها فعوان

﴿ شاهد الرجز ﴾

القلب منها مستريح سالم * والقلب مني جاهد مجهود

فهذا صارت مستفعلن في آخره بوزن مفعول

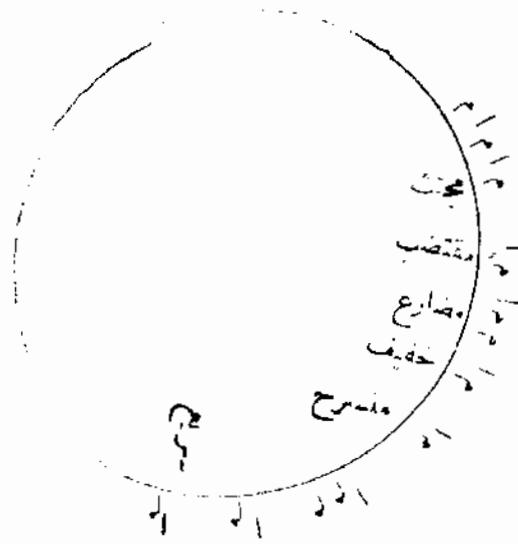
﴿ الرمل ﴾

قلت الخنساء لما جشتها * شاب بعدي رأس هذا واشتهب

هو فاعلاتن فاعلاتن مرتين ، وبهذا تم الكلام على الدائرة الثالثة وشواهدا

والدائرة الرابعة فيها السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجئت . والدائرة الخامسة فيها المتقارب ويتلو ذلك كله بحر الخبب الذي يشبه خبب الخيل (انظر الدائرة الآتية)

(فائدة)
(م) للحرف المتحرك د (ا)
للساكن في هذه الدوائر الخمس



إن السريع بحسب أصله مستفعلن مستفعلن مفعولات ، والمنسرح مستفعلن مفعولات مستفعلن ،
والخفيف فعلا فاعلان مستفعلن فاعلان ، والمضارع مفاعيلان فعلا فاعلان والمقتضب مفعولات مستفعلن ،
والمجئت مستفعلن فعلا فاعلان ﴿ شاهد السريع ﴾

أزمان سلمى لا يرى مثلها السراون في شام ولا في عراق

﴿ شاهد المنسرح ﴾

إن ابن زيد لأزال مستعملا * للخير يفتنى في مصره العرفا

﴿ شاهد الخفيف ﴾

خفف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

﴿ شاهد المضارع وهو مجزؤ ﴾

دعاني إلى سعاد * دواعي هوى سعاد

﴿ شاهد المقتضب وهو مجزؤ أيضا ﴾

أعرضت فلاح لها * عارضان حكاكها

﴿ شاهد المجئت وهو مجزؤ أيضا ﴾

لم لا يبي ما أقول * ذا السيد المأمول

﴿ الكلام على الدائرة السابعة — شاهد المتقارب ﴾

فعلون ثمان مرات وأروى من الشعر شعرا عويضا * يذى الرداة الذي قد رردوا

هي الشمس مسكنها في السماء * فعزّ النواذ عزاء جيلها

فلن تستطيع إليها لعودا * ولن تستطيع إليه التزولا



وهذا تم الكلام على بعض الدوائر النلكية ثم جيع الدوائر الشعرية التي أبدعها الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى

وهذا ظهر لك أيها الذكي كيف أصبح علم الشعر وعلم الموسيقى وعلم الفلك من واد واحد فهي على مقتضى حساب منظم . ولما كان ظهور هذا التفسير موافقا لظهور كوكب جديد وراء نبتون وجب أن آيينه هنا ثم أتبعه بأشكال التمر وما يتبع ذلك ، إبقاء لحق المقام فأقول :

﴿ الكوكب السيار الجديد ﴾

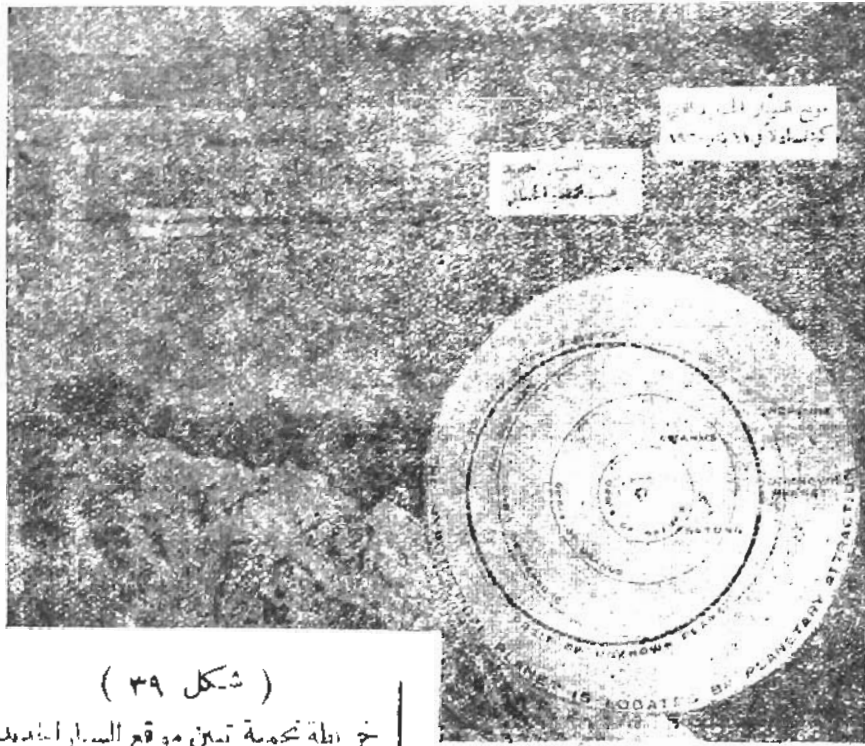
جاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم الأحد (٣٠) مارس سنة ١٩٣٠ م مانصه :
(بلاغ من مرصد حلوان)

في ١٢ مارس الحالى اكتشف مرصد لول بمدينة فلاجستاف فى الاريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية كوكبا سيارا علوبا جديدا وراء نبتون ، ولهذا الاكتشاف أهمية عظيمة جدا للعلوم الفلكية ، فقد زاد عدد الكواكب السيارة بما فى ذلك الأرض حيث يبلغ الآن عددها تسعة ، وقد اكتشف الكوكب الثامن نبتون فى سنة ١٨٤٦ م الكوكب السابع أورانوس فى سنة ١٧١١

وعند وصول هذا التأكيد أخذ الدكتور محمد رضا مدور الفلكى المقيم بمرصد حلوان عدة ألواح فتوغرافية بواسطة نظائر بنوليز العاكسة الباع قطرها (٣٠) بوصة وقد ثبت جليا وجود الكوكب الجديد فى الألواح المعرضة لموقع الكوكب مدة ساعة من الزمن فى الليالى الآتية (١٨ و ٢٤ و ٢٧ مارس)

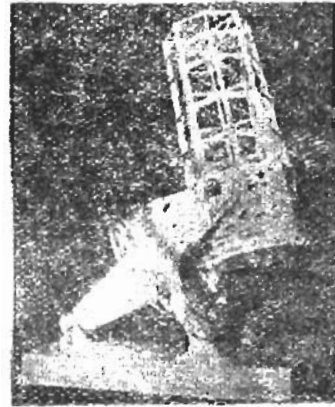
وهذا الكوكب ضئيل اللمعان حيث يبلغ قدره الفلكى نحو (١٥.٠) فهو بذلك ألمع مرة أقل لمعانا من الكوكب نبتون وهو يقع فى برج التوأمين بالقرب من النجم اللامع ولكنه لا يمكن أن يرى بالعين حتى ولو استعمل أكبر منظار ، ولابد أن يمضى بعض الزمن حتى يمكن حساب حجمه وكتلته ولكن المتأثير الابتدائية تثبت انه أكبر من الأرض وأصغر من أورانوس . ويباغ بعده عن الشمس نحو (٤٥) مرة بعدد الشمس عن الأرض . وقد دلت الفرق الصغيرة فى حركات الكوكب أورانوس أنه لابد من وجود كوكب ناسع بسبب هذه الاختلافات . وقد عمل الدكتور لول مؤسس المرصد المذكور آنفا حسابا لموقعه فى السماء . غير أن هذا الاكتشاف يرجع الى البحث المنظم بواسطة المنظارات الفوتوغرافية منذ (٢٥) سنة تقريبا . انتهى

وسترى فى الصحيفة الآتية رسم خريطة نجمية تبين موقع السيار الجديد فى صورة التوأمين وموقعه المقتر بال حساب قبل اكتشافه فى برج السرطان وموقع السيار نبتون فى صورة الأسد وفى الدائرة رسم مصغر للنظام الشمسى يظهر فيه الشمس فى المركز الى آخر ما ذكر هناك . وكذلك صورة للكوكب الكبير الذى اخترع حديثا . وسترى أيضا فى الصفحات الآتية بعد ذلك صور أشكال أوجه التمر المختلفة



(شكل ٣٩)

خريطة نجمية تبين موقع السيار الجديد في صورة التوأمين وموقعه المتقدرا لحساب قبل اكتشافه في برج السرطان وموقع السيار نبتون في صورة الاسد وفي الدائرة رسم مصغر للنظام الشمسي تظهر فيه الشمس في المركز ولا تظهر أذلك تطارد والزهرة والارض والمريخ والمجيمات والمشتري لأنها على هذا القياس قريبة جدا من الشمس فيتعذر رسمها على ذلك فلك زحل ثم فلك اورانوس ثم فلك نبتون الذي كان الى أوائل هذه السنة هذا النظام الشمسي المعروف ثم يظهر فلك السيار الجديد بخط ثخين



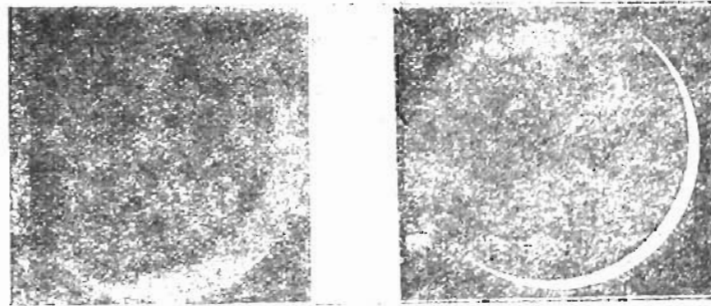
صورة للتلسكوب الكبير الذي أشرنا اليه غير مرة في المتحف وسيكون له مرآة من الكوارتز المصهور قطرها مائتا بوصة أي مضاعف قطر المرآة في أكبر تلسكوب بنى حتى الآن . وينظر أن تبلغ ثقافته ستة ملايين رطل أو مليون جنيه ومائتي ألف جنيه

في ٢١ يناير سنة ١٩٣٠ كشف المستر كلايد تمبو وهو مساعد حديث الحق انضم من عهد قريب الى مرصد لول بارزونا . في صورة فوتوغرافية عن شبح ضئيل لجسم سموي متحرك . وكان موقعه في صورة التوأمين على نحو خمس درجات من الموقع الذي عينه الاستاذ برسم لول بالحساب الرياضي للسيار الجوهول خارج فلك نبتون . فاحتفظ علماء مرصد لول بسر هذا الاكتشاف سبعة أسابيع والواقي أنماها البحث والتحقيق للثبوت . من أن هذا السيار يدور حقيقة في فلك خارج فلك نبتون اذ ليس ما يمنع أن يكون احدي النجوم البعيدة التي تدور بين المريخ والمشتري . وأخيرا ثبت لهم أنه سيار جديد وراء نبتون وأن فلسفه يتفق تقر بهامع ذلك الذي تنبأ به لول . أما بعده

عن الشمس فتدحو ٤٥ ضعف بعد الأرض عنها أي نحو ٤٢٠٠ مليون ميل . وعلى هذه المسافة لا يصله من نور الشمس وحرارتها الا جزء من ألفي جزء مما يصلنا منهما انتهى من مقتطف مايو - ١٩٣٠

﴿ أشكال القمر ﴾

في مدة دورة اقترانية يأخذ البعد الزاوي لمركز القمر عن مركز الشمس متغيراً على الطول جميع المتغيرات من ٠ الى ٣٦٠ وفي هذه المدة يكون على وجه العموم قرصه المستدير مكوناً من جزأين : أحدهما مستدير والآخر مظلم ، وشكل هذين الجزأين ومقدارهما النسبي متغير دائماً ومنهما يتكوّن الظواهر المعروفة باسم أشكال القمر ، وبيان ذلك انه متى لم يكن القمر منظوراً لا ليلاً ولا نهراً يقال له في حالة الحاق أو الاقتران أو الاجتماع أو التوليد . وسبب عدم رؤيته أن وضعه يجاور جداً في الظاهر للأجل الذي تشغله الشمس في السماء فيوجه نحو الأرض نصف كرتة المظلم المخبوب عن الأشعة الشمسية ويمكث خفاء القمر يومين أو ثلاثة أيام ، لكن لحظة الاقتران المضبوطة التي يستبدل - أيها من السنوات - الفلكية تحصل متى كان للشمس والقمر طول واحد ، وفي اليوم الثاني أو الثالث بعد تلك اللحظة (١) يظهر القمر ليلاً بعد غروب الشمس بمدة قليلة على شكل هلال رفيع (شكل ٤٠) تحديه نحو القطعة التي توجد فيها الشمس تحت الأفق وبسبب الحركة اليومية يغرب القمر بعد قليل في الأفق الغربي ، وفي اليوم التالي تحصل الحلة بعينها ، غير أن الجزء المستدير يكون أعظم وحيث أن القمر يكون بعيداً عن الشمس أكثر من بعده عنها في اليوم السابق يتأخر غروب القمر عن اليوم السابق ، وفي اليوم الرابع (شكل ٤١) بعد الاقتران يغرب بعد الشمس ثلاث ساعات وشكله بعد اليوم الرابع من الاجتماع يسمى التربع الأول (انظر شكل ٤٠ و ٤١)

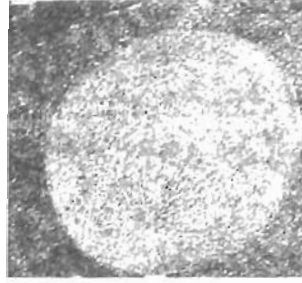


(شكل ٤٠ - الوجه الأول للقمر) (شكل ٤١ - اليوم الرابع للقمر)

ثم يعمد لظلال شيئاً فشيئاً ، وبين اليوم السابع والثامن من لحظة الاجتماع يظهر لنا القمر على شكل نصف دائرة ويرى مدة في النهار (شكل ٤٢) والحركة اليومية لاتأني به في مستوى الزوال إلا بعد مرور الشمس به بست ساعات تقريباً

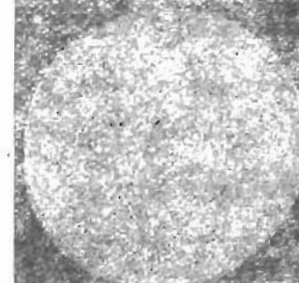
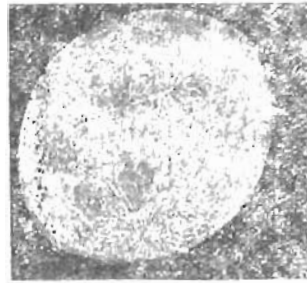
وبين التربع الأول والبدر تمضي سبعة أيام آخر في غضونهما يقرب الجزء المستدير شيئاً فشيئاً من أن يصير دائرة تامة (انظر شكل ٤٣) ويتأخر شروق وغروب القمر شيئاً فشيئاً في مسافة هذه المدة مع كونه موجهاً

(١) هيفليوس يقول انه لم ير القمر إلا بعد ٤٠ ساعة من الاقتران و٢٧ ساعة قبله بحيث ان النهاية العظمى لمدة خفاؤه تكون ٦٧ ساعة وهذه المدة تختلف على حسب الأقاليم وعلى حسب عرض القمر



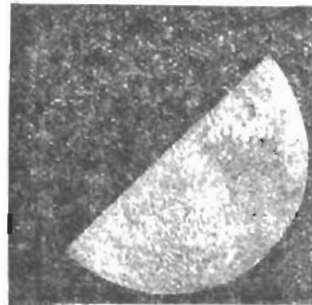
(شكل ٤٢ - القمر في التربع الأول) (شكل ٤٣ - القمر بين التربع الأول والبدر)

دائماً نحو الغرب الجزء العلوى من قرصه وبعد الاقتران بخمسة عشر يوماً تقرىبا يظهر لنا قرصه مستقيماً بأكمله (شكل ٤٤) وحينئذ تكون لحظة شروقه هى تقرىبا لحظة غروب الشمس التى تشرق عند غروبه وتنتهى ارتقى القمر الى أعلى نقطة من سببه أعنى مرة بمستوى الزوال يكون نصف الليل ووقتئذ تشرق الشمس تحت الأفق بمستوى الزوال الأسفل بحيث يكون القمر مقابلاً للشمس بالضبط بالنسبة للأرض



(شكل ٤٤ - البدر) (شكل ٤٥ - القمر بين البدر والتربع الأخير)

وبعد ذلك يتناقص على التوالى الشكل المستدير المستدير للقرص وينتهى بأن يظهر كما كان فى أول الأمر على شكل هلال رفيع جداً تحتبه جهة الشرق بحيث يكون نصف الدائرة المحددة للجزء المستدير موجهة دائماً نحو الشمس . وفى وسط المسافة التى تفصل البدر عن الزمن التالى له يكون للقمر شكل كالذى كان له فى التربع الأول غير أنه موضوع بعكسه ويسمى التربع الثانى أو الأخير وفى هذا الجزء الثانى من الزمن القمري يترب الوضع الظاهري للقمر فى السماء شيئاً فشيئاً من موضع الشمس وقرباً من الأيام الأخيرة بسبق شروقها بمدة قليلة جداً حتى يدخل من جديد فى أشعتها ويختفى ليعود قراً جديداً (انظر شكل ٤٥ و٤٦ و٤٧)



(شكل ٤٦ - التربع الأخير) (شكل ٤٧ - القمر بين التربع الأخير والحلال)

﴿ الضوء الرمادى ﴾

قد قلنا إن الجزء المستضيء من القمر الذى تنيره الشمس مباشرة يتغير شكله فى مدة الدورة الكاملة للقمر من ابتداء الهلال الرفيع المضيء والشكل الأخير لغاية الدائرة الكاملة التى يراها الكوكب فى مستواه وأما الجزء المظلم من هذا القرص فيظهر فى بعض أشكاله ضوء ضعيف جدا يسمى الضوء الرمادى (شكل ٤٠) ويسهل رؤيته بالعين العارية وجميع العالم يظنهم أن برود قمر قبل أن يند المحرق ببعض أيام حيث يكون القمر وقتئذ هلالا وجميع جزء نصف الكرة الموجه نحونا والذى لم يتأثر بالأشعة الشمسية يرى مع ذلك متميزا بحيث يحدد الدائرة الكاملة للقرص . والضوء الرمادى يرى مادام الهلال ولا يختفى مطاقا قبل التربع الأول ويرى بعد التربع الأخير بقليل ولا يختفى إلا باختفاء القمر وشدة الضوء الرمادى ربما تكفى فى تمييز كلف القمر بالعين العارية

﴿ أسباب الضوء الرمادى ﴾

قد كان الأقدمون من الفلكيين يعتبرون أن هذا الضوء ناتج من نوع انعكاس (١) لسطح مادة القمر لكن ذلك قد بطل اليوم وعم أن الضوء الرمادى هو ضوء الأرض منعكسا على القمر من الأجزاء المستضيئة منها وذلك أن الأرض يجب أن ترى من القمر بالأشكال التى يرى بها القمر من الأرض بالضبط لكن هذه الأشكال تكون بعكس أشكال القمر لأن وقت المحاق توجه الأرض جزءها المسنير بأكثر نحو نصف الكرة المظلم من القمر بحيث أن نصف الكرة المذكور يتلقى بواسطة الانعكاس جميع الضوء الذى ترسله الشمس الى الكرة الأرضية وحيث أن السطح الظاهرى للكرة الأرضية منظورا من القمر هو أكبر من قرص القمر بنحو ثلاثة عشر مرة تقريبا فيصل أن ضوء الأرض يجب أن يعطى للبالى القمر ضوءا أعظم مما يصل إلينا من ضوء القمر وأجزاء نصف كرة الأرض المسنير منظورة من القمر تكون مع ذلك قليلة كلما كان القمر بعيدا عن الوضع الذى يشغله فى وقت الاجتماع . ومن ذا يعلم سبب عدم ظهور الضوء الرمادى بين التربع الأول والأخير . وحينئذ فالضوء الرمادى ليس شيئا آخر سوى انعكاس ضوء الشمس المنبعث مرة أولى من الأرض على القمر ثم مرة ثانية من القمر على الأرض . انتهى ما أردته من كتاب الفلك الحسنى بك

﴿ المنازل والبروج ﴾

وكيف كان سير الشمس والقمر فيما بحساب لاخلل فيه على مقتضى الشهور الرومية مثل يناير فبراير وهكذا أو الشهور السريانية مثل ايلول تشرين الأول تشرين الثانى وهكذا والموازنة بينهما وبين الشهور القبطية مثل توت بابه هاتور كيهك طوبه أمشير وهكذا . وبيان أن أسلافنا منذ قرون جعلوا بينها جميعا موازنة بحيث اذا عرف الانسان حساب الشهر القبطى كأهل مصر أو الروم كأهل أوروبا أو السريانى كغيرهما أمكنه أن يستخرج بكل سهولة نظائرها من الشهور الشمسية وكذلك الشهور القمرية عند العرب واليهود وهكذا يعرف أن تنزل الشمس من منازلها البالغة (٢٨) منزلة وهى السرطان والبطين والثريا الخ . وأن تنزل فى بروجها البالغة ١٢ برجاً . ثم كيف نظم الناس أسماءهم على مقتضى ذلك النظام كأن يبدروا البرجيم ونحوه فى شهر بابه ويحصدوا الأرز ويحنوا الرمان ويستخرجوا دهن الآس واللينوفر وهكذا فى شهر توت قبله يعرفون أن أوله يسمى النبروز وهو رأس السنة القبطية . وفى (٧) منه يلقطون الزيتون . وفى (١٧) منه تفتح أكثر الترع بمصر . وفى (١٨) منه يبتدىء فصل الخريف . وفى (١٩) منه تهب السوداء فى البدن . وفى (٢١)

(١) التفصير كتابه عن مادة فصولية فى القمر

منه يبتدىء بيض النعام . وفي (٢٨) منه يذهب الحر . وفي (٢٩) منه يكون أول رعى الكراكي . وفي (٣٠) منه يزرع المليون . وهكذا بقية الشهور قد وزعت عليها أعمال الحياة الانسانية والحيوانية والنباتية . ولما كان هذا المقام لا يسع ذلك أرجأته لأكتبه مفصلا موضحا في (سورة الزمر) في آية - خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى - الخ مع آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه - الخ وهذا هو السر في أن آيات الزرع متصلة بآيات سير الشمس والقمر في كثير من الآيات . ألا ترى إلى قوله هنا في (يس) - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها - الخ ثم أتبع ذلك بالشمس والقمر والليل والنهار وإلى قوله تعالى في (سورة ق) - أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم - الخ ثم يتبع ذلك بقوله - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى - الخ وهكذا في (سورة الرحمن) - الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان - والنجم هو ملاساق له من الزرع والشجر ماله ساق فسجود هذين النوعين مبنى على حساب الشمس والقمر قبلهما كزرع البرسيم في شهر بابه وحصد الأرز وجنى الرمان ولقط الزيتون في شهر توت قبله وزرع المليون في آخره وهكذا ما تقدم وما سأتى في (سورة الزمر) قريبا إن شاء الله تعالى

﴿ الكلام على حساب النجوم والقمرية إبقاء لبعض ما تقتضيه هذه الآيات ﴾

جاء في كتاب صبح الأعشى ما نصه

إن أردت أن تعرف أول يوم من شعبان وكان أول المحرم يوم الأحد مثلا فتعد من أول المحرم إلى شعبان وتدخل شعبان في العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة فتضيف الأربعة إلى الثمانية تكون اثني عشر ، ثم تبتدىء من يوم الأحد الذي هو أول المحرم فتعد الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت ، ثم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فيكون انتهاء الاثني عشر في يوم الخميس فيكون أول شعبان يوم الخميس . ومثاله في المكسور النصف إذا أردت أن تعرف أول رمضان أيضا وكان أول المحرم الأحد كما تقدم فتعد ماضى من شهور السنة وتعد منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصف فتكملها بنصف نصير خمسة فتضيفها إلى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر ، ثم تبتدىء عددا الأيام من أول المحرم ، وهو الأحد كما تقدم فيكون انتهاء الرابع عشر في يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت

ومن الطرق المعتمدة في ذلك أن تنظر في الثالث من أيام النسي من شهور القبط كم يوما مضى من الشهر العربي فما كان جعله أصلا لتلك السنة ، فإذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية أو كم مضى من الشهر الذي أنت فيه ، فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة ، وانظر كم مضى من السنة القبطية شهر اغد لكل شهرين يوما . فإن انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا ، وزد على ذلك يومين أصلا أبدا . ثم انظر كم يوما مضى من الشهر القبطي الذي أنت فيه فأضفه على ما اجتمع معك ، وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فما بقي فهو عدد ماضى من الشهر العربي ، ومنه يعرف أوله .

ومثل ذلك نظرت في الثالث من أيام النسي فوجدت الماضى من الشهر العربي ثلاثة أيام فكانت أصلا لتلك السنة ثم نظرت في الشهور القبطية فوجدت الشهر الذي أنت فيه أمشير مثلا فتعد من أول شهور السنة القبطية : (وهو توت) إلى أمشير يكون ستة أشهر فتأخذ لكل شهرين يوما تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذي معك من أيام النسي : وهو ثلاثة تصير ستة فزد عليها اثنين يصير المجموع ثمانية ، ثم تنظر في الشهر القبطي الذي أنت فيه : (وهو أمشير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفها على المجموع يكون عشرة ، وهو الماضى من الشهر

العربي الذي أنت فيه ومنه يعرف أوله . اهـ

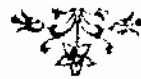
﴿ حساب الشهور القمرية أيضا ﴾

جاء في كتاب هـ العقد الفريد هـ ما نصه :

لقد قرأت الجدول الآتي في كتابات العقد الفريد للملك السعيد رحمتك بمقتضاه أول شهر رمضان المعظم في السنة الماضية سنة ١٣٤٨ هـ فكان موافقا لما جرى عليه العمل فأدرت اثباته هنا
فإذا أردت العمل به فخذ جميع سني الهجرة من أولها مع السنة التي تريد معرفة أول شهرها ومواسمها
فقط ذلك كله مائتين وعشرة مائتين وعشرة إلى أن يبقى أقل من مائتين وعشرة فسطر في جدول الأعداد
في بيوت العشرات وفي بيوت الآحاد بجانب الجدول عن يمينه طولا فيه العشرات وأعلى الجدول فيه الآحاد
فالآحاد من الواحد إلى العشرة والعشرات من العشرة إلى المائتين وعشرة فننظر إلى المقدار الباقي بعد استناط
عشراته في العشرات وآحاده في الآحاد فتوضع أصبع على البيت الذي فيه لك العشرات وأصبع على البيت الذي
فيه ذلك العدد من الآحاد ثم تمرر الأصبع في السطر الذي بارأه لك العشرة عريضا وتزل الأصبع في السطر الذي
تحت ذلك العدد من الآحاد طولا حيث التقت الأصبعان في بيت واحد ينظر ما في ذلك البيت من الأسماء والصفات
السلطانية فيحفظ ثم ينظر في الجدول المعمول المشهور ويعتبر أعلاه فينظر ذلك الاسم والصفة المحفوظة فإذا ظهر
في أعلى الجدول فتوضع الأصبع عليه ثم ينزل في السطر الذي تحته إلى محاذيه الموسم أو الشهر المطلوب معرفة
أوله إن كان شهرا أي يوم هو أو إن كان موسما فما كان في محاذيه فهو المطلوب واعتبار ذلك أنه إذا أريد
معرفة شعبان من سنة أربع وأربعين ومائة ومعرفة ليلة نصفه ومعرفة أول شهر رمضان فتنسقط سنوات الهجرة
مائتين وعشرة مائتين وعشرة فتنسقط ستاؤه والأثون ويبقى أربعة عشر في الآحاد أربعة وفي العشرات عشرة
واحدة فإذا وضعت أصبع على العشرة الواحدة ثم مررت في الوسط الموازي لها وضعت أصبع على الأربعة ثم
نزلت إلى محاذية العشرة الواحدة التقت الأصبعان في بيت واحد فيه الاسم الكريم السلطاني نصره الله وهو يوسف
فيحفظ لازل في حفظ الله جل وعلا ثم ينظر في جدول الأشهر فيوجد الاسم الكريم المحفوظ في الطرف الأيسر
من السطر الأعلى منه فتوضع الأصبع بارأه وتنزل إلى محاذية شهر شعبان فيوجد في محاذيه اسم أوله وهو يوم
الاربعاء ومحاذية نصفه تحته يوم الاربعاء ومحاذية أول رمضان تحته يوم الخميس ومحاذية أول شوال تحته وهو
يوم العيد يوم السبت وهكذا طريق العمل به دائما (انظر الجدول المذكور في الصفحة الآتية)

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	الأعداد أحاد وعشرات
الناصر	يوسف	السلطان	يوسف	خدمة	الملك	يوسف	المولى	الناصر	خدمة	عشرة
يوسف	المولى	الناصر	يوسف	السلطان	يوسف	خدمة	الملك	يوسف	المولى	عشرين
خدمة	الملك	يوسف	المولى	الناصر	يوسف	السلطان	يوسف	خدمة	الملك	ثلاثين
السلطان	الناصر	خدمة	السلطان	يوسف	المولى	الناصر	يوسف	السلطان	يوسف	أربعين
الناصر	يوسف	السلطان	الناصر	خدمة	الملك	يوسف	المولى	الناصر	يوسف	خمين
يوسف	المولى	الملك	يوسف	السلطان	الناصر	خدمة	الملك	يوسف	المولى	ستين
خدمة	السلطان	يوسف	المولى	الملك	يوسف	السلطان	الناصر	خدمة	السلطان	سبعين
السلطان	الناصر	خدمة	السلطان	يوسف	المولى	الملك	يوسف	السلطان	الناصر	ثمانين
الملك	يوسف	المولى	الناصر	خدمة	السلطان	يوسف	المولى	الملك	يوسف	تسعين
يوسف	خدمة	الملك	يوسف	المولى	الناصر	خدمة	السلطان	يوسف	المولى	مائة
خدمة	الملك	يوسف	خدمة	الملك	يوسف	المولى	الناصر	خدمة	السلطان	مائة وعشرة
المولى	الناصر	يوسف	السلطان	خدمة	يوسف	الناصر	يوسف	المولى	الناصر	مائة وعشرين
الملك	يوسف	المولى	الناصر	يوسف	السلطان	خدمة	الملك	يوسف	الناصر	مائة وثلاثين
يوسف	خدمة	الملك	يوسف	المولى	الناصر	يوسف	السلطان	خدمة	يوسف	مائة وأربعين
يوسف	السلطان	يوسف	خدمة	الملك	يوسف	المولى	الملك	يوسف	السلطان	مائة وخمين
المولى	الناصر	يوسف	السلطان	خدمة	الناصر	الملك	يوسف	المولى	الناصر	مائة وستين
الملك	يوسف	المولى	الناصر	يوسف	السلطان	الناصر	خدمة	الملك	يوسف	مائة وسبعين
الناصر	خدمة	السلطان	يوسف	المولى	الملك	يوسف	السلطان	خدمة	الناصر	مائة وثمانين
يوسف	المولى	الناصر	خدمة	السلطان	يوسف	المولى	الملك	يوسف	السلطان	مائة وتسعين
المولى	الملك	يوسف	المولى	الناصر	خدمة	السلطان	يوسف	المولى	الملك	مائتين
السلطان	يوسف	المولى	الملك	يوسف	المولى	الناصر	خدمة	السلطان	يوسف	مائتين وعشرة

امعاء الشهور	خدمة	المولى	السلطان	المالك	الناصر	صلاح الدين	يوسف
المحرم	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
عاشوراء	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
صفر	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ربيع اول	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
ربيع آخر	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
جادي لاولى	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة
جادي لآخر	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
رجب	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
شعبان	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
الضيف	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
رمضان	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
شوال	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
ذو القعدة	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ذو الحجة	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
الرفقة	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
عيد الاضحى	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس



﴿ العلم هو أعلى السعادات لنوع الانسان ﴾

هو العلم الذى أَرانا أن :

- (١) السنين الكيكية والسنين البسيطة دوائر منتظمات متعاقبات كدوائر الشعر والموسيقى ونغمات الطيور وأن نغمات الطيور تسير على دوائر كما تقدم فى الدائرة الأولى من دوائر الخليل
- (٢) التى فيها بحر الطويل المماثل
- (٣) اصباح الفاخنة
- (٤) ولنظيره من الذى يسمونه الماخورى فى علم الموسيقى
- (٥) ومن دوائر الكسوف والخسوف من حيث مواعيد وقوعها كاتى قبلها
- (٦) وينبع ذلك أن للقمر وجوها تتكرر كل شهر ففى إذن أشبه ببحر من الشعرذى أوزان تتكرر فى كل سنة (٩٦) مرة
- (٧) وهكذا دوائر الكواكب المعروفة ومنها « الكوكب الجديد السيار » فكأنها تتم دائرتها ثم تعود كما يفعل الشاعر فى شعره والمغنى فى غنائه ، إن الله عز وجل يفعل فى فلكه من سحر الكوكب وحسابه ما يفعله الشاعر والموسيقى ، وفعل الله فى نظام العناصر وفعل الانسان والطير فى نظام الحروف والنتيجة تتبع المقدمات اهـ

﴿ بهجة العلوم فى هذا المقام ﴾

(كتب قيل الفجر ليلة الخميس ٢٦ يونيو سنة ١٩٣٠)

اعلم أن النعم فى هذه الحياة الدنيا إما مادية وأما معنوية ، فالمادية كالملابس وكل ما يملكه الانسان ، والمعنوية كالعلوم والمعارف ، ومنها علم الفلك وبقية الرياضيات والطبيعات وهكذا ، ولا تخلو حال النعم عليه من واحدة من ﴿ ثلاث خصال ﴾ إما أن يكون من العامة ، وإما أن يكون من الخاصة ، وإما أن يكون من خاصة الخاصة . فن كان من العامة فهذا تكون سعادته بالنعمة وقية وفرحه بها فرح زائل فيكتفى من المال كل بمنظرها والاستلذاذ بطعمها والافتخار بحوز الفاكهة والحلوى ومفاخر الأطعمة وأن يذكر الناس انه غنى ذو مال كثير وهكذا فى ملابسه وكل ما يملكه من عقار وأرض وخيل وأنعام وصيت وذكر ودولة وإن كان من الخاصة فهذا لا يهنيه من المال كل إلا ما به يصح جسمه ولا من الملابس إلا ما يلبق له وهكذا فهذا ينظر للنافع فى حد ذاتها ويضرب بطواهر الذات عرض الحائط وهكذا فى كل ما يملك فهو لا يبالى إلا بحفظ نفسه واسعاد أمتته والتعاون والتحاب بالهدايا والتحف للأهل والاقربان . ولا يكتفى من علم الفلك بحساب السنين والشهور من حيث ظواهرها كالفرق الأول . ولا فى علم الموسيقى بطواهر النغمات التى يتسلى بها العامة والجهلاء كذلك بل يتعمق فى النظر وينقل من النغمات السموعات ومن ظواهر حساب السنين والشهور إلى أسباب ذلك من تلك النسب البديعة وأنواع الحساب الدقيقة ويحب من دقتها ونظامها ونظام كل حساب فى علم الكيمياء والطبيعة وأنظمة الأجسام الحيوانية وحسن اتساقها . فهناك يرى نظاما واحدا ثابتا لا خلل فيه فهذه موسيقى علمية يطرب بها طربا لا نهاية له ، فان فسرك فى الأفلاك أوفى الأجسام الحيوانية أو تركيب الهواء والماء رأى نظاما واحدا يرجع كله الى النسبة والتناسب ، وهذه النسب كلها متشابهات لا فرق فيها بين نغمات الطيور وأشعار الشعراء وسير النجوم وحساب سنها ، وإن يعرف ذلك حق معرفته أحد إلا من درس جميع هذه العلوم بجد وشوق أو اطلع على هذا التفسير أو أكثره فهو مشحون بهذه العجائب ، مثلا بحر المقارب فى علم الشعر الذى تقدم وزنه فعول ثمان مرات . ومعنى هذا أنه هكذا : ثلاث متحركات وساكنان ثمان

مرات (وبعبارة أخرى) نسبة (٣) الى (٢) كنسبة (٦) الى (٤) كنسبة (٩) الى (٦) كنسبة (١٢) الى (٨) كنسبة (١٥) الى (١٠) الى آخره ، وحاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين ، فإذا نسبت ثمن البيت الى البيت كله كان هكذا : نسبة (٣) الى (٢) كنسبة (٢٤) الى (١٦) وضرب (٣) في (١٦) يساوى (٤٨) وضرب (٢) في (٢٤) يساوى (٤٨) وعلى هذا أبدا فقس ، هكذا اذا أتيت ببحر الطويل وهو في الدائرة الأولى ونسبت ربع البيت الى البيت كله كان هكذا : نسبة (٧) متحركات الى (٥) سواكن وهي (فعولن مفاعيلن) كنسبة (٢٨) الى (٢٠) وضرب (٥) في (٢٨) يساوى ضرب (٧) في (٢٠) ولا جرم أن نفس هذا البحر كما تقدم هو ضرب من ضروب الموسيقى وهو المسمى الماخورى فالحساب واحد وهو نفسه صوت الفاختة . إذن أصبح الشعر والموسيقى ونغمات الطيور علما واحدا وبضمها الى علم الفلك تصبح كلها نسبا متحدة وهذا لا يصعب عليك بعد ما تقدمناه لأنك اذا نسبت السنين الكيسية الى السنين البسيطة في الأدوار الصغيرة المتقدمة ترجع في نهايتها الى ما رأيت من الشعر والموسيقى ونغمات الطيور فذلك تقول نسبة (١١) الى (١٩) كنسبة (٢٢) الى (٣٨) وهكذا الى ما لانهاية له ، ولا جرم أن حاصل ضرب (١٩) في (٢٢) يساوى حاصل ضرب (١١) في (٣٨) وعلى هذا فقس في جميع العلوم . واذا نظر الحكيم الى علوم الطبيعة ولو احدها يجد أمورا عجيبة طبيعية فانه يجد الحديد مثلا والمغنسيوم والجبس والكبريت هذه الأربعة كلها لها منافع في جسم الانسان ، فالحديد يجعل الدم أحمر ويمنع فقر الدم والمغنسيوم يقوى العضل ويمنع الفتق والجبس يغذى العظم ويشفي الجروح والكبريت ينظف الدم ويمنع الروماتيزم . ثم يجد أن النباتات قد فرقت هذه العناصر عليها . ويجد أمثال السبانخ والطماطم التي تؤكل غير مطبوخة قد جمعت ذلك كله . ففيها جميع هذه العناصر ومنافعها . وتزيد السبانخ بأن فيها الفسفور الذي يغذى المخ كما يغذيه سمك البحر وفيها السكاورين الذي يعين على الهضم وينظف المعدة كما ينظفها الصابون وذلك بشرط ألا تطبخ أكثر من خمس دقائق كما تراه في كتاب ويلكوكس الانجليزي . فكما يرى في العلوم الرياضية نسبا هندسية يرى نظيرها في تركيب الأجسام الطبيعية ويزيد عليها نظام منافعها وعجائب ابداعها فيدهشه الاتقان المحكم ويحب من حديد ومغنسيوم وجير قد فرقت في الأرض ووضعت ولها نظام خاص تقدم شرحه في (سورة العنكبوت) فهناك جدول عجيب لجميع العناصر . ثم يرى انها لا ينتفع بها الانسان ولا الحيوان إلا بعد أن تمر على النبات فيرى أن النباتات التقت تلك العناصر فأدخلتها في جسمها وانتقلت منها الى مخ الانسان وإلى عظمه وإلى عضلاته ، فهناك يدخل في بحر الحى لا ساحل له

هذه هي آراء الخواص . أما آراء خواص الخواص وهي أعلى طبقات هذا النوع الانساني فهوؤلاء بعد أن يتقاسوا ما يقاسون من المشاق في الحياة والعمل لها ولرقي النوع الانساني يرجعون الى أساس تلك القوانين فتلمح نفوسهم أن وراءها حكمة وعلماء ورجة ورأفة وابداعا واتقاناً واحسان النقش والتصوير . وأن هذا الحساب والنقش والتصوير وراءها حاسب مصور متقن وليس ذلك مجرد خواطر كما يخيل لمن يقرأ ما كتبه الآن . كلا . بل يكون نسبة هذه العلوم الى ما وراءها كنسبة هدية الملك الى مجالسته والأنس به فن أقبل عليه الملك وجالسه أوفر حظ من أهدي اليه الهدايا ولم يره أهلاً لمجالسته والأنس به . ولا آخرة خبر لك من الأولى واسوف يعطيك ربك فترضى . هذا إيضاح هذا المقام والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

(في قوله تعالى - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون -) وإنما أخوانها الى هنا وان ذكرت بين الكلام على الأرض والشمس لأنها تتألف السموات والأرض

الله منزّه عن المادّة بل التحقيق أن لأمدة في هذا الوجود وما هو إلا حركات في موجود سموه (الأثير) فنته تباعد عن المادّة كما تبعد الساج في البحر . يعجبا . الله منزّه عن المادّة ومن شأن الجليل ألا يصدر منه إلا ما هو جليل . لذلك لم تكن هناك مادّة غليظة . كلا . بل ذلك الأثير . وما هو الأثير ؟ باليت شعري : هو أمر يشبه الأمور الروحية فرضه العلماء في عصرنا أنه هو كالذي نحسّ به في خيالنا من أمر موجود ألطف من المادّة العلم الآن وفيما مضى عند القدماء قد نفى المادّة بتنا وقال : « ليست هذه الأرض ولا الماء ولا الهواء ولا النجوم ولا المجموعة الشمسية ولا المجرة ولا المجرات الأخرى ولا السدم التي كشفت حديثا في عصرنا إلا حركات في ذلك الأثير » (وبعبارة أخرى) ان هناك نقاط ضوئية وتلك النقط الضوئية ناجمة من كهرباء سالبة وأخرى موجبة يدور سالبها حول موجبها في الثانية الواحدة نحو ستة آلاف مليون مليون مرة فظهرت تلك النقط كأنها شجر وحجر وجبل وجل وتختلف المظاهر باختلاف عدد الدورات في الثانية الواحدة . وهذا الموضوع ظاهر ظهورا بينا في (سورة النور) عند آية - الله نور السموات والأرض - إذ ظهر هناك أن نقطة الماء مركبة من جواهر نحو عدد نجوم السماء المعروفة الآن وكلها مركبات من تلك الأضواء الكهربية الدائرة حول بعضها فالتة لما تنزه عن المادّة لم يشأ أن يجعل لها حقيقة ما بل جعل لها (طرفين) أحدهما (من جهة الحقيقة الثابتة فلم يكن إلا النور والحركات) (وثانيهما) من جهة حواسنا نحن فكانت تلك الأنوار والكهرباء حديدا وأشجارا وجبالا الخ . يقول الله - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها - وذكر منها نبات الأرض وأنفسنا وما لا نعلم . إذن هنا ثلاثة مباحث : النبات ، ونفس الإنسان ، وما لا نعلم . فالذي خلق هذه الأقسام الثلاثة حقيق بالتثنية والتفديس ، وإنما كان خليقا بذلك لأن من ظهرت براعته من الناس في صنعة ما سواء أكانت يدوية أو عقلية كان حقيقا بالأعظام والجلال ، والعظيم الجليل ليس مشرعة لكل وارد ولا يرد عليه إلا الواحد بعد الواحد لحكمته وعلمه وبراعته في الصناعة

هذا كله في المخلوق البارع بديع الصنعة . المخلوق الذي ظهرت براعته في الصناعة من الناس تشتاق إليه النفوس وتحب له القلوب ولكن لا تهجم عليه الجماهير ولا يرونه حتى ولو بالمجاهر والمناظر لأنهم لا يصلون إليه ، واليك حادثة قصصها المستر (انس) اندي كان سكرتيرا للمستر (اديسون) الذي بهر العالم الانساني كله بما اخترعه من الفونوغراف وهو (المصدي) أي الذي يسمعنا الصوت الذي مررت عليه السنين وقد ملا الأصقاع واخترع جهاز الصور المتحركة ، وطريقة لاستخلاص الذهب من الخام بسرعة ، وطريقة لتبديد الثلج المنساقط في المدن بسرعة ، والمولد الكهربائي الذي يدور باحترق الفحم والمحرك الكهربائي الذي يدور بالكهرباء الحرارية المتولدة من تعاقب الحرارة والبرودة ، وجهاز التقدير مراتب الحديد (خواصه من حيث الجودة) ، والدليل الكهربائي (جهاز فو متر) بلامف أو ابرة ، وجهاز لقياس درجات الروائح . وادخال تحسينات كبيرة على مطاحن الأسمنت . وطريقة فنية لمعالجة خامات الذهب والنيكل والنحاس . وثلاث طرق لاحداث موجات فوق موجات الأشعة فوق البنفسجية . وطريقة كثيرة لتغطية سطح خويطات المصاييح الكهربائية بطبقات من السليكون أو الكروميوم أو غيرهما وآلة موسيقية تحرك الأوتار الصوتية في حناجرهم وتز الصناعات . وثلاث نماذج مختلفة من التماثيل الصناعية . ومسبارا كهربائيا لانبثاق أعماق المحيطات باستمرار . وجهاز لقياس مقدار مقاومة الأنابيب للكلام . وطريقة لارسال الصوت في اتجاه مستقيم من غير أن ينتشر في الطريق . وطريقة للتلبس في التلغراف أي ارسال جملة اشارات معا في آن واحد على سلك واحد . والتلغراف الطابع . وجهاز تقوية الصوت في التليفونات . وتوزيع القوة الكهربائية بطريق الثلاثة الأسلاك الأرضية الخ

وهكذا قد قدم لمكتب التسجيل بأمر بكا (١٤٠٠) طلب لاختراع أو تخمين . هذا هو المستر اديسون

الذي ذكرنا صناعاته تسين مقدار اعظام الناس له في قصة (المسترانسل) صاحب سرده ، ونماذ كرتلك
 القصة كما ذكرنا بعض صناعاته لتعرف بعض سر التعبير بالتسبيح في حيز السكلاء على النبات وخلق الأنفس
 الذين سيظهر لك ابداع الله واتقته فيما بما يدعش العقل ويخير القلب . ومن ذلك ينشأ التسبيح والاعظام
 بالقلب لا بمجرد اللسان فلاقتصار عليه تسبيح الجاهلين . المستر اديسون رجل صانع ماهر خدم كل أمة وكل
 فرد والمسلمون وغير المسلمين مدينون له . فهم يعظمونه ويحجلونه ولكنهم لم يروا بل الذين حوله في أمريكا
 لا يستطيعون رؤيته حتى ان (المسترانسل) الذي سقنا هذا الحديث لأجله وقلنا انه صاحب سرده يقول :
 ه إن اديسون يتسارى عنده الليل والنهار فهو دائماً يعمل وكنت كثيراً ما أذهب اليه في العمل أو المصنع
 بالليل حيث كنت أقضي النهار بذيور يورك لقيام ببعض الأعمال وقد كان يتصادف اني لا أستطيع مقابلته لفرط
 انهماكه في العمل إلا عند ما يتناول الطعام في منتصف الليل فأنتهز الفرصة وأعرض عليه بعض المسائل
 وأسأله البريد فيطلع عليه في دقائق معدودة ثم يشير علي بما أتبعه ويعود هو للعمل ،

هذا هو (اديسون) المخترع الشهير لا يقابل الناس لأنه يقوم بوظيفهم ويرفع من قدر الانسانية . تباعد
 عنهم لاعزازهم واسعادهم والناس أعظموه . هكذا كل صانع وعالم في الأرض يعظم عند الناس بمقدار عمله
 وحسنه . عرف الناس مقدار العظمة عند علمائهم وصناعهم وحكامهم وأنبيائهم فأجلوا قدرهم لأنهم مخلوقون
 مثلهم وكلما كان عمل الصانع أجدى نفعا وأوسع فذلاً كانت النفوس له أشوق وعظمته أبعد مدى والاعظام
 والحب يتبعان معرفة قدر الصنعة والعلم والابداع والاختراع وهذا في المخلوق وعلى هذا القياس يكون التعظيم
 والاحلال لخالق هذا العالم . والحكام والأنبياء لهم منازل على مقدار معرفة ابداع الله واتقانه . ولا سبيل لمعرفة
 ذلك إلا بقراءة جميع العلوم سماوية وأرضية . روحية وجسمية . ولم يذكر في هذه الآية منها إلا خلق النبات
 وخلق الأنفس والاعظام والذي لانعلمه يقاس على ما نعلمه . فذا عرفنا نظام النبات ونظام الأنفس الانسانية
 وبدائع التركيب وجمال الصنعة كان تقديرنا واجلانا للبداع الحكيم لانسبة بينه وبين اجلال الناس لاديسون
 إلا كنسبة نظام صنعة الى نظام صنعة هذا المخلوق . ولا ريب أن العقول الكبيرة في العالم هي التي تدرك تلك الحقائق
 العالية في الابداع ويكون عشقها وشغبتها وسعادتها انقلبية بمقدار ما أدركت من تلك الحكمة العالية . ومعلوم
 اننا في الدنيا لا ندرك منها إلا النزر اليسير وبهذا النزر اليسير يكون تسبيحنا الحقيقي وحبنا الإلهي - وفوق
 كل ذي علم عليم -

فهل تحب أيها الذكي أن أحدثك في هذا المقام ﴿ حديثين ﴾ حديثاً عن خلق النبات . وحديثاً عن
 خلق الانسان

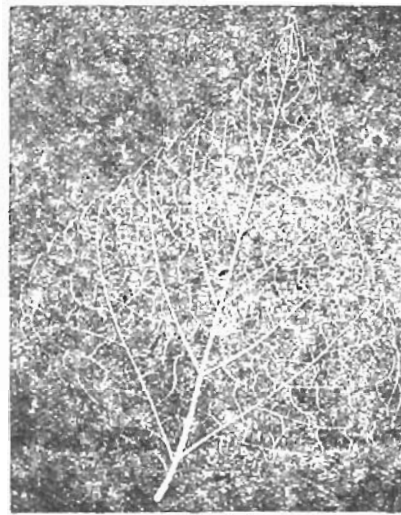
ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في المسائل الهامة فقرأ هذا وقال
 هذا حسن وان كن الانسان في بادئ الأمر قبل الفهم يظن أن بعض القول يشبه الخروج عن الموضوع وفي
 الحقيقة كله في الموضوع . انهم إلا ان أكثر تلك الصناعات المخترعات لا يفهمها أكثر القراء لأنها أمور فنية
 لا يدركونها ولكن في ذكرها تنوير للمسلمين فيفكرون فيما ينفعهم عسى أن يفتح الله لهم باب الاختراع وكفى
 بهم الاجال لثلك الاختراعات . ولكن ماذا تريد من شرح النبات والأنفس الانسانية في هذا المقام ؟
 هذا الكتاب تقدم فيه ما فيه غنى للسبصر في علم النفس وفي علم النبات . وفي سورة الحجر قد رسمت الأهرار
 المختلفة وشرحت كيفية إلقاحها وبنيت الحساب الرياضي في أوراقها بجداول . وفي سورة الشعراء كذلك وفي
 سورة انه أمور أعجب وفي سورة السجدة وهكذا وفي سورة البقرة والأنعام والرعده وغيرها . فهل هذا كتاب
 في علم النبات ؟ فمأ علم النفس وتشرح الجسم فهو كثير في الكتاب ، فاذا تريد أن تكتب الآن ؟ فقلت
 الذي أكتبه الآن شيء لم يتقدم له نظير وهو السحر الحلال والجمال والبهجة والحكمة ، فسأريك الساعة مالم

تره لتعلم قوله تعالى - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - ثم قلت : أنا لأريك زهرة ولاشجرة ولا حديقة ولا حقل ولا نمر ، ولكن سأريك أمرا لا يؤبه له ، بحقره الجاهل والعالم ولكن بعد درسه الذى تراه يصبح ذلك الحقير فى عظمة الشمس والأقمار والنجوم الثوابت والمجرات العظيمة فتدل : لقد شاقبى وصفك ، فما عرفت ؟ قلت : ورقة سقطت من شجرة والناس يزددونها ، فقال : ما السبب فى اختيارك الورقة ؟ قلت : السبب فيه أنى نظرت رسمها فى كتاب « علوم الجميع » باللغة الانجليزية ومقالا شرحها ، وهاك ترجمة ذلك المقال بقلم المستر (روبرت براون) الأستاذ فى علوم النبات الخ تحت عنوان « الورقة الساقطة » قل :

« إن الصيف هو الزمان الذى يجنى فيه علماء النبات ثمرات علومهم ، وليس الخريف خاليا من مسراتهم واسعادهم بالعالم ، انه هو الفصل الذى فيه تقف الخيوط وتجنى الثمرات الخ وتنتج الحبوب قبل فصل الشتاء الذى هو فى أقطارنا الشمالية يضعف قوة الحياة ونشاتها الى نهايتها . وبالجملة ان أشهر الخريف هو الذى فيها تسقط الأوراق . إن الغابات ذوات الأشجار العريضة الأوراق المخلتات الأنواع والأجسام فى هذا الفصل تكون أبهج للناظرين وأجمل لعقول المفكرين منها ، فى منتصف فصل الصيف حيث يصنع الناس الدريس اعتماد الناس أن يروا فى شهر يونيو ملاحضرا من المساحات الواسعة المدعومات وهي غداة بسنة رجعة تسمر الناظرين ، أما فى شهر سبتمبر وأكثر بر فان تلك الغابات تتلون بألوان مختلفات الأصفر والأخضر والأسمر وهكذا مما يشعر بدنو أجل تلك الأوراق وتوديعها الحياة . إن الأشجار إذ ذاك تتجاع حاله السندسية وجلالها البهية ، وبعد حين تلبس أخرى مسرة للناظرين . وههنا رسم الكاتب ثلاث ورقات (انظر الاشكال الآتية)



(شكل ٥٠)



(شكل ٤٩)



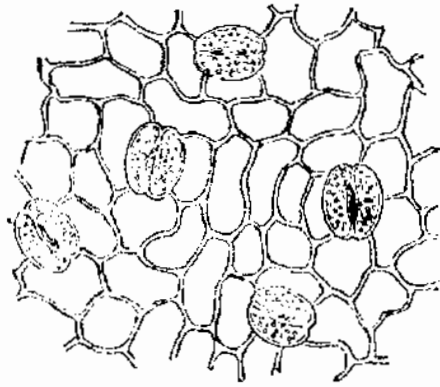
(شكل ٤٨)

(ب) الورقة الذابلة الندية الجافة (ج) هيكل الورقة (ا) الورقة الخضراء التى لا يزال فيها ماء الحياة فورقة (ا) خضراء لا تزال تفرق بماء الحياة ، لقد انزعناها من شجرة الحور . وورقة (ب) قد أصبحت مصفرة ذائبة وقد فترقت الحياة . والورقة (ج) لنفس هذا الشجر ولكن المادة التى تملأ ما بين خلل العروق فى الورقة قد تعرت عنها وزايلتها ولم يبق إلا الهيكل الذى يقول :

ألا ليت الحياة تعود يوما .. فأخبرها بما فعل الممات

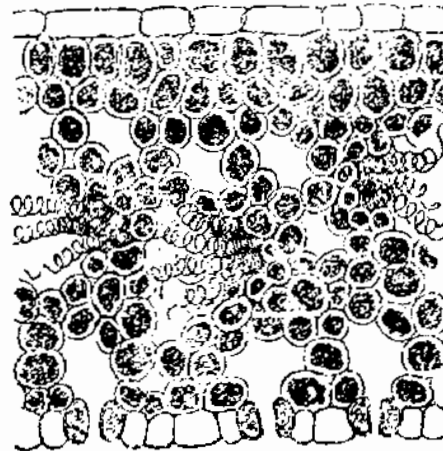
وهنا أخذ يصف الورقة فأبان أن هيكلها حافظ لشكلها الأصلي . ثم قل : وإن هذه الورقة الخضراء مدوّرة قليلا أو كثيرا فى هيئة رسمها شأن جميع الأوراق والطول يزيد كثيرا عن العرض وهى دقيقة الطرف

حادثته وهذه هي هيئة المثلث الذي لا اتفاق فيه وتآملها تجد في وسطها ما يشبه العمود القفري في الحيوان وقد تشعبت منه في الجهتين أضلاع وكل منها ذو فروع أخرى يتخللها جميعها مادة ناعمة تقوم مقام اللحم في هيكل الحيوان بحيث يظهر كل ذلك هيئة شبكة منسوجة جزأت الورقة أدق الأجزاء وأصغرها . ولقد غطى كل ذلك بغطاء دقيق اذا عومل بآبرة مع رفق واحتراس اذن يقسم أقساما في غاية الدقة . وفوق كل ذلك اننا نرى ظهر هذه الورقة (وكل ورقة أخرى من أى نبات كانت) أوضح لونا من وجهها الذي يقابل السماء ونرى أيضا أن الأسفل ليس في النعومة كالأعلى . إن كل ما ذكرناه هنا قد عرفناه بمجرد العين ولولم نستعن فيه بألة بصرية كما هو ظاهر . ولما كانت آلة لا بصار الصنعية المسماة بالمكروسكوب بمكنة الشراء لجميع الناس تقريرا لخص عنها أمكننا أن نستعين بها في تدقيق امتحاننا في هذا المقام لنزل بالآبرة مع الاحتراس قطعة صغيرة من غطاء أو جلد الوجه الأسفل للورقة ولنضعها بكل احتراس على قطعة من الزجاج تحت المكروسكوب . أتدري ماذا يحصل بعد ذلك ؟ يكون هذا الشكل الذي تراه أمامك الآن (انظر شكل ٥١)



(شكل ٥١ - قطعة من ظاهر الورقة ترى فتحاتها وهي الأفواه)

ولمست الفتحات شيئا سوى أفواه جلد الورقة أو منافذها ، وهذه الفتحات عاقمة في جميع أجزاء النبات الخضراء المكسوة بهذا الجلد أو بهذا الغطاء وتكون أيضا في أوراق الأزهار ولكنها أكثر جندا (في الأوراق لاسيما الوجه الأسفل منها) من أى جزء من ظاهر النبات وتختلف أعدادها قلة وكثرة بحسب اختلاف أنواع النبات ، ثم إن هذه المنافذ أو الأفواه التي رأيتها في جلد الورقة الآن موصلات الى سحرات صغيرة مكشورة من مادة ناعمة خضراء من الورقة وهن موصلات الى منافذ الهواء التي تراها الآن في داخل المادة المرسومة في هذا الشكل (انظر شكل ٥٢)



(شكل ٥٢ - الورقة مقطوعة عرضا)

أتدري ما عدد الأفواه التي ذكرناها في الورقة ؟ أنها قد تكون في البوصة الواحدة المربعة عدد (١٢) وقد تكون (٢٤) وتزيد حتى تصل الى (١٦٠.٠٠٠) وقد يكون ذلك في ورق الشجيرات الصغيرة الثلاثي تشبه النجم أى ماليس بشجر بمقدار (٧٠٨.٧٥٠) في البوصة المربعة أيضا بينما كان عددها في ورقة شجر (الكاس) مليوناً وثلاثاً وخمسين ألفاً (١.٠٥٣.٠٠٠)

(وصف المادة التي في داخل الورقة)

ليس من السهل امتحان المادة التي في داخل الورقة ولكننا إذا فصلنا قطعة من جرمها اللحمي الذي تخلطه تلك الشبكة رأينا تحت الميكروسكوب (المفحص المظلم) منظرًا كالذي استحضرناه وأربنا كما فيما تقدم اتنا هنا نلاحظ أن بين وجهي الورقة من أعلاها ومن أسفلها مادة خضراء قد جعلت بهيئة مشاة مدورة كما ترى وماهى هذه إذن ؟ هى المسماة بالخلايا جمع خلية في اصطلاح علماء النبات وكل خلية من هذه التي أمامك تحتوى على مادة خضراء عائمة في مادة سائلة وهذه المادة السائلة تسمى (خضرة الورقة) وإذا أردت اسما أطول من هذا قلنا لك (كلوروفيل) كما هو اصطلاح علماء النبات ويحيط بهذه المادة المشرقة حيطان شفافة يعاوها سقف مرفوع ، وما أشبه المادة الخضراء بين السقف والحيطان الأربعة إلا سراج ذى لون أخضر أضاء على هذا السقف فظهرت الورقة بلون الخضرة البديع إذ الجلد أو الغطاء ليس فيه مادة خضراء وإن كان من نفس مادة الخلية وليس يحوى غير الهواء وهو مركب من ذرات صغيرة شبيهة بالنباتات التي تبني بها الحيطان في منازلنا وقد وضعت وضعا محكما بهيئة منظمة كل واحدة بجانب الأخرى لا يتخللها غير الهواء . إن الشبكة المنسوجة من الفروع الدقيقة مما يشبه العمود الفقري في الإنسان في وسط الورقة تمتد في وسط الخلايا فتتخلل كل مسافة فارغة فتحشوها وتكون لها ككأنها قوالب أوهايا كل تحفظها

إن هذا الامتحان السريع الذي لم نتعمق فيه فيما يشبه العمود الفقري وفروعه قد يكون كافيا ولكننا نريد أن نزيد عليه ما هو أجل وأكمل ، ذلك ان هذه الفروع إن هى إلا خزم من الأنابيب مجتمعات أو أوان وضعت بجانب بعضها وربلت معا ، وهذه الأنابيب وظيفتها انما تحمل المواد المغذية من الساق الى الأوراق ، أفلا يحق لنا الآن أن نسمى تلك الأنابيب بالعروق لأنها أشبهت في اتصال التغذية عروق الحيوان هاتين أولاه أتينا على عجالة في تركيب الورقة من علم النبات ، وما هذه العجالة إلا رسالة صغيرة وضعت لايضاح مانحن فيه ، وقد اضطررنا أن نهمل فيها لأن ذلك كاف في مقصودنا . فلنحن في الأسطر القليلة المقبلة نوضح هذه المسألة بتجربة كيميائية يعرف بها الفرق بين الغازين غاز الأكسجين وغاز الكربونيك أى ما مض الكربون فنقول :

لنضع ورقة (الحور) التي قطعناها حديثا في إناء من الزجاج واسع الفم ثم لنغمرها بالماء ولنعرضها لدور الشمس الوهاج ، فإذا نجد إذن ؟ نجد هناك فقاع من الماء أخذت تطنو على وجهه . هذا في النهار أما في الليل فانا نجد فقاع مائلها كذلك خرجت من ذلك الماء . فهنا (أمران) إما أن نكون من علماء الكيمياء فنتعلم علم اليقين أن الغاز الذي ظهر بالفقاع ليل غاز غير الغاز الذي خرج بالفقاع نهارا . فأما إذا لم نكن كذلك فليتنا أن نسأل أهل الذكر بهذا العلم ومن هؤلاء لإعلاء الكيمياء ، فهو لا يقولون لنا إن الغاز الأول هو الأكسجين والغاز الثاني هو غاز حمض السكر بونيك ، فالأكسجين به حياة الحيوان وغاز السكر بونيك هو الذي يخرج منه بالزفير لأنه يميت له ، والأكسجين إذا سلطت شرارة نار في قطعة خشب صغيرة أمدها وقواها فأخذت تسرى في جرم الخشب فتصير لها ، فهو إذن حياة الحيوان وهو قد النار ، فإذا وضعنا هذه القطعة الخشبية قبل أن يتم إشعالها في إناء فيه غاز السكر بونيك انطفأت النار حالا . إن غاز

الكر بونيك يخرج من البراكين بمقادير عظيمة ، ومن أجواف الحيوان بواسطة الزفير ، ومن المصانع المعروفة وهو الذى يتبخّر في الجو من النباتات التى أخذت تنحل أجزاءها وتفسدها كلها إذا لحقها الردى وحل بها الهلاك ، إن مقدار غاز حامض الكربونيك في الجو قليلة ولا نسبة بينه وبين الهواء الجوى إلا كنسبة واحد الى ألف ، وليس في الجو من الفحم الصافى إلا (٨٩٢ر٧٥٨ر٦١٦ر١٣٨) طناً والطق حوالى (٢٢) قطارا والقطار (٣٦) أنه وهذا المقدار الطائر في الهواء هو عينه من صنف لحم الكوك المسعى بالافرنجية (تشرلوك) وهو الفحم الرخيص الذى يجعله الناس في مواقفهم للتدفئة ونحو ذلك ، فهذا المقدار المذكور أحد جزئى ذلك الغاز وهو حامض الكربونيك لأن حامض الكربونيك مركب من جزء من الكربون (الفحم) : جزء من الأكسجين فالجزء المذكور هو الذى تقدم وزنه ، والأكسجين يكون في الهواء مقدار خمسة ، وإذا كان الهواء (على فرض أنه أصبح سائلا بالتبريد) يصير عشرة أمتار على الأرض وهو الآن في حله الغازية نحو (٦٠) كيلومترا يكون حامض الكربونيك المذكور شيئا قليلا جدا لا يؤبه له في كثرة الحليين . إن النبات بتعرضه لضوء الشمس يمتص غاز الكربونيك من الجو بمساعدة الأوراق وكل جزء أخضر في النبات فهناك يمتصه النبات ويدور فيه دورته ، وإن يكون ذلك إلا بمساعدة ضوء الشمس أولا وتأيد المادة المضرة في الورق ثانيا وما للورق إذ ذاك إلا مامل صناعية كيميائية يخال لنا ذلك الغاز فيها فيأخذ جرم النبات الكربون (الفحم) ليتغذى به ويقم بنية هيكله ويدع الجزء من الآخرين من الأكسجين فيخرج بالزفير كما دخل بالشهيق . إذن بهذا نفهم أن ما رأيناه خرج بزفير الورق بهيئة فقاقيع في الماء في الاختبار المتقدم فم كان أكسوجينا ، ولوانا هنا وضعنا على الزجاجية قنا من الفلين وغطيناها به لرأينا شمراة تنقد في ذلك الإماء وقد نصير لها ، فأما في التليل ذن التجربة هي بعينها تفعل مثل ما تقدم ولكن النتيجة هنا عكس ما تقدم . فهنا تمتص الورقة الأكسوجين وتدع الغاز يخرج منها بالزفير ولكنه كميته قليلة جدا . وهذا بحث العلماء في هذا الغاز من أين أتى ؟ أهو من نفس الأكسوجين والكربون اللذين هما في بنية النبات ؟ أم هو غاز من الذى امتصه النبات بالنهار ولم يتم امتصاصه في بنيته . هذان رأيان لم يثبت فيه ما العلماء .

وهنا يسأل سائل فيقول : إذا كان النبات هذا شأنه وأنه بالتليل يخرج لنا غاز الكربونيك فإنه لا جرم يفسد الهواء . وأى فرق بينه وبين لحم الكوك (تشرلوك) إذا أوقدناه كلاهما يفسد الهواء . فلو أننا وجدناه في غرفة المقابلة أو الجالس فإنه يضر الأحياء أويقتلهم

وهنا أجاب الكاتب قائلا : إن هذا القول صحيح نظريا . فأما عند العمل فلا لأن النبات الذى يكون في الباقدة مهما كثرت فإن زفيره بالحامض المذكور قليل جدا . بل إذا تأمل قارئ هذا الكتاب في نفس مازرع فيه النبات وحفظ فيه فلا خوف عليه من الاختناق . وكيف يستنصر به هذا الغاز ونحن لا نجد في سنة آلاف نباتات مزروعة في أوعية قد أحكم الغطاء عليها (١٢) ساعة ما لا يزيد عن جزء واحد و ٣٩ في المائة من (١٠٠٠ر١٠) جزء

قد قلنا فيما مضى أن الشهيق والزفير يكونان بواسطة الأفواء المرسومة فيما تقدم ، ومثل ما قلنا في النبات المشاعد في الأرض نقول أيضا في نبات الماء ، ولكن الامتصاص هنا يكون بجهد الورقة لا بالأفواء المتقدمة ثم إن الأكسوجين الذى يمتصه ذلك النبات يدور في بنية ويمثل فيه فيدخل أولا في تلك الفتحات ويصل الى تلك الخلايا ومن هناك يدور في هيكل النبات كله واصلا اليه بطرق هوائية صغيرة أوقنوات تحت تلك

الخلايا ﴿ النبات زبال الهواء ﴾

أست ترى أيها القارئ بعد هذا أن النبات زبال الهواء ، كيف لا وهو الذى يأخذ منه المادة الضارة وهو حامض الكربونيك فيحوطها في داخل معمله الى كربون ضار يبقى في بنية لأنه يناسبها والى أكسوجين

يرجعه ثانيا الى الهواء فيصبح صالحا لتنفس الحيوان عوضا عن ذلك الغاز المضرب به وعلى ذلك نقول إن الورق في النبات يقوم بوظيفة الرئة في الحيوانات العليا ، والخلايا التي في الورق تقوم بوظيفة الخلايا التي في الرئة ، وانما ذكرنا الحيوانات العليا هنا في النظر لأن الحياة في أدنى درجاتها يكون العضو فيها دائما بأعمال كثيرة أما في مراتب الحيوانات العليا فالأعمال موزعة توزيعا حسنا ، وذلك له نظير في المدنية . فالأهم الراقية أعمالها موزعة توزيعا حسنا ، أما المنحطة فن الفرد الواحد يعمل جملة أعمال فينالك يقل الاختصاص ونبوغ الأفراد ﴿ ندى الأشجار ﴾

وهنا أفرد الكاتب فصلا شرح فيه الندى على الأشجار والنبات فأفاد أن الندى لم يكن من الجو وانما هو عرق من هيكل النبات كعرق الانسان ولذلك نشم من هذا الندى رائحة النبات الذي ظهر هو عليه كما نشم من عرق الانسان رائحته هو سواء بسواء ، ومن الشجر ما يقطر ماء على هذا النمط . وقد مر في بعض هذا التفسير ما هو أوفى من هذا في الندى

﴿ الورقة شجرة مصغرة أو هيكل حيوان ﴾

فلنتجاوز ذلك الى ما ذكره المؤلف بعده بنحو ورقة من الكلام على هيكل الورقة ببيان أوضح وأجل قال : « فإذا تصورنا عظام الحيوان وأوعية دمه وتمثلت أمامنا هيكله فاننا نجد هذه الصورة مطابقة تمام المطابقة لهيئة الورقة . وهنا عجيبة أخرى ألفت إليها نظرك أيها الذكي ، فانظر واعجب : اننا كثيرا ما نرى نفس هيكل الورقة يشبه جد الشبه هيئة شجرتة التي تحملها فصورة الورقة لها نظيران : هيكل الحيوان وهيكل شجرتها . حقا إن الشجرة التي جردت من أوراقها أيام الشتاء مثلا تكون صورة مكبرة للورقة التي سقطت منها . فإذا نظرت هيكل الورقة استبان لك النسبة بين تشعب فروع هيكلها وبين عروق جسم الحيوان . فانظر الى الأوراق المتقدمة وتأمل . أليس تجد أن فيها عمودا وسط الورق وهذا العمود خرجت منه أضلاع من جانبيه . فهذه الأضلاع كوتت مع ذلك العمود الذي في الوسط زاوية . وهذه الزاوية بعينها ترى فيما بين تلك الفروع وبين الأغصان التي تفرعت منها . فهذه الموازنة تراها جلية ظاهرة . ثم ان نفس صورة الورقة مشابهة تمام المشابهة لصورة شجرتها فان الزوايا الحاصلة فيما بين جذع الشجرة وفروعها هي بعينها الزوايا الواقعة بين جذع الورقة الممتد فيها وفروعها سواء بسواء . وبهذا تم الكلام في شرح هيكل الورقة وتبيان عجائبا . وملخص ما تقدم في هذا المقام أن للورقة في كل نبات :

- (١) خلايا جمع خلية وهي أشبه بالحجرات
- (٢) وهذه الخلايا مركبات من حيطان شفافة
- (٣) ولكل منها سقف مرفوع عليها يغطيها
- (٤) وهذا السقف مكون من ذرات تشابه اللبنيات التي بنى بها منازلنا
- (٥) وفي داخل الحجرات سائل فيه مادة خضراء
- (٦) وهذه المادة الخضراء مضيئة تشع ضوءا على السقف وهو خال من اللون وليس يتخلله سوى الهواء
- (٧) وبهذا تظهر الأشجار بأنها خضراء والحقيقة أن الخضرة في تلك الخلايا داخلها ، وما هذه الخضرة إلا انعكاس

- (٨) في كل بوصة مربعة (البوصة تساوي سنتين اثنين ونصف سنتي والسنتي جزء من مائة من المتر) ما يبلغ (١٢) خلية و (٢٤) وهكذا الى ما يزيد عن ألف ألف شجرة يضع مئات
- (٩) هذه الورقة اذا وضعناها في إناء زجاجي وعرضناها للشمس نظرنا في الماء فقاقيع وهكذا يحصل في الليل فقاقيع النهار كسوجين وفقاقيع الليل غاز الكربونيك المستخرج من جسم ذلك النبات

ليلا أو مما بقي مما امتصه بالنهار

(١٠) ولواننا أقلنا الزجاجة بالقليل لظهور ك المحبوس من الأكسوجين بالنهار شررا ، وإذا ازداد ذلك صار لها

(١١) إن غار الكربون الذي في الهواء قليل بالنسبة له بحيث لا يزيد على واحد في ألف جزء منه والكربون الذي فيه تقدم ذكر عدد ذواته فلا نعيده

(١٢) وما النبات بالنسبة للهواء إلا كمثل مزرعة الجبل الأصفر في بلادنا المصرية بالنسبة لمستنقذات

القاهرة فن مراحل القاهرة تسير في أنابيب تحت الأرض وتسير أميالا كثيرة وهناك تخرج

بالماء وتسقى بها تلك المزرعة وهناك يبقى بعض السماد ليخشب الأراضي الأخرى وزرعها عجيب

جدا ، فهكذا النبات بالنسبة للهواء فقد أخذ ما يفسده فأصلحه في جسمه ثم رده صالحا للتنفس

وورق النبات يقوم مقام الرئة في الحيوانات الكبيرة والحلابة في هذه كالحلابة في تلك

(١٣) غاز الكاربونيك الذي يخرج من النبات لا يضر الناس ولا الحيوان لأنه قليل جدا فن ستة

آلاف ثانية بعد (١٤) ساعة لم يظهر منها (مع ان النبات مغطى) إلا مقدار يسير من ذلك الغاز الضار

(١٤) للشجر وورقه عرق كعرق الانسان يظهر هيئة الندى المعلوم ولذلك نراه يحمل رائحة نفس

النبات كما ان عرق الانسان يحمل رائحته

(١٥) إن في هيكل الورقة لشبهها لهيكل الحيوان وهيكل نفس الشجرة ، ثم ترى الزوايا التي بين

جذع الورقة وفروعها الكبرى وللزوايا التي بين الفروع الكبرى وأغصانها فهذه متساوية هكذا

ترى نفس الشجرة جذعها مع فروعها الكبرى وفروعها الكبرى مع أغصانها كل هذه متساوية

الزوايا . انتهى ملخص الموضوع

﴿ خطاب الورقة للناس عامة والمسلمين خاصة ﴾

(في تفسير - سبحان الذي خلق الأزواج كلها -)

نقول : أيها الناس . ها أنا ذا تروني أستقط من شجرتي في ظلالها تحت أرجلكم وغاية ما تنعمون انكم

تزيلوني لتنظيف أمكنتكم وانكنكم لا تعلمون أني نوراني لتدروني كما ان الحشرات نوره أنزلت لكم لتدرونها

ما أكثرنا نحن معاشر الورقات في الأرض ، وما أكثر أنواع الحشرات الطائفات عليكم صباحا ومساء ، أنا في

حقولكم وفي بساتينكم وتحت أرجلكم والحشرات تطوف عليكم في الهواء ، أنا أنا في علم وحكمة بحسمة

واخبة أقيم عليكم الحجة لتعلموا قولي تعالى - سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم

ومما لا يعلمون - فأنا أنا في مما تنبت الأرض ، قد اخترعني وابتدعني منظم هذا العلم وخالقه وقد ملأني

بالحكمة والعلم ، أنتم تعظمون أمثال (اديسون) المخترع الأمريكي وقد ساعدكم في كشف أسرار الأنوار في

منازلكم ، هو معظم عندكم منزله سامية ، تحبونه وتهابونه بقلوبكم لأنكم أدركتم آثار صنعته ، وها هو ذا ربى

قد جعلني نموذجا لصنعتة ، فإذا صنع ؟ صنع لى سراجا كما صنع (اديسون) لكم سراجا ولكن سراج ربى

هو الشمس ، ومن رحته وحسن ابداعه انه جعلها بعيدة عني بمقدار (٣٥٠) سنة بسير القطار وبمقدار

(١٢) سنة بسيرة المدفع وجعل لنورها سرعة بحيث يصل الى في (٨) دقائق و(١٨) ثانية

هذا هو سراج ربى ، فهذا النور هو والمادة الخضراء في داخل شجراتي أيام حياتي بهما أجذب أنا مادة

حامض الكاربونيك المفسد للهواء وأهضم في جسمي ذلك الفاسد وأخرج ما يصلح الهواء ، إن الفهم الذي

يفسد الهواء هو الذي يدخل في تركيب كل فاكهة وزهر وورق وشجر ؟ هذه الحقول وهذه الجنات لاهياة

لها إلا ما تستخرج من زبالة الهواء ، فأضواء الشمس وأكسوجين الهواء والكربون المضرب فيه والأشجار وأوراقها وأزهارها وأثمارها والماء والأرض والرياح كلها متعاونات على نتيجة واحدة وهي حياتكم ، فأى نسبة بين سراج اديسن ومعامله وبين سراج الله وهو الشمس وبين معامل في الأرض ، إن معامل اديسن وأمثاله لن تقدر أن تصنع حجرة واحدة من حجراتي بحيث تكون حيطانها شفافة وستقفها يبنى بناء محكما وفيها سائل وفي السائل مادة خضراء تضيء وفي داخلها فروع كثيرة متداخلات فيها تحفظها حفظا تاما كالأطار الذي يحفظ ما هو داخله ، فالمعامل في الأرض ليس في طاقتها أن تصنع خلية واحدة كهذه فضلا عن (١٢) فضلا عن ألف ألف وبضعة آلاف في بودة واحدة

إن صناعات (اديسن) وأمثال اديسن أقرب لعقولكم ، وصنع الله لشدة عظمتة يعزب تذكره عنكم فعقولكم أقرب الى تعظيم صانع في أرضكم من تعظيم خالق الكون لعظمة صناعته وانها بعيدة المثال ولولا رحمة ربى بغفلتكم عن فعله لطامت قلوبكم به هيلما بنفسكم أنفسكم ولكنه من فضله أدخل الغفلة عليكم حتى ضعفت بصائركم فعكفتم على أعمالكم الجزئية . ولكن في الأرض أناس قليلون جدا سمعت عقولهم وارتقت أفكارهم . وهؤلاء يهيمون برهبهم لما يهرهم من عظمة صنعه . وهم الذين يحبونه حبا جما . فهم في الأرض يعيشون لا يتفنون من الحياة إلا أن يكونوا مسعدين لأنهم مقتدين بما يرون من أعمال ربهم لشدة حبهم إياه . وهؤلاء هم عماد أهل الأرض وبقية الناس دونهم . وهؤلاء ليس عندهم لذة غير ذلك الحب وكلما غفلوا عنه خزنوا واعتقدوا انهم قد أذنبوا . فهم إذن يستغفرون . وإذا جاء الموت فرحوا به لأنهم به يرون محبوبهم . أولئك هم السعداء المفلحون

فأما قوله تعالى - ومن أنفسهم - فاقراء فيما تقدم في ﴿سورة لقمان﴾ في تفسير قوله تعالى - يدبر الأمر من السماء الى الأرض - الخ وأما قوله - ومما لا يعلمون - فذلك تذكير لنا بأن هناك عوالم نظامها منسقة على مقتضى هذا النظام . وهذا ما هو الاضرب مثل له . ألا ترى الى قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - والى قوله - وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال - والى هنا من الكلام على أزواج النبات . كتب صباح يوم الأحد أول شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩

أما أزواج الحيوان فما أكثرها في هذا النسيب . ولكن لنذكر هنا ما جل عناثرها عليها . فهناك مناظر جميلة لأزواج الحيوان . فنذكر أولا أشكالا غريبة لأربعة منها وذلك من إحدى المجلات العلمية وهي «مجلة الجديد» وثانيا نذكر ذكاء الحيوان وأعماله . وكذلك سمك الفردوس الذي يبنى أعشاشه كالطير ويسبح فوق سطح الماء . وثالثا نذكر رؤسه المختلفة (انظر شكل ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ في الصفحة التالية) وسأستري أيضا باقي الصور فيما يلي من الصفحات

أولاً - (الأشكال الغريبة الأربعة)



(شكل ٥٣ - الريحيا)

نوع من أسيرة الغمام وقد ظهر لها شديدة التآكل في السطح حين دأبوا في السكن إذ كثيرا ما تحاول أن تصنع زهودا معتمدة على ضخامة الحجم بدلا مما يتصلها من ازدهاء الألوان



(شكل ٥٤ - لاجاجة المرأة)

هذه النعامة تستطيع بما وهبها الله من عنق طويلين أن ترى أي جزء من جسمها فلا تميزها المرأة وأكثرت من هذا أن لها طرقا متعددة في النظر إلى ما حولها، وعلى الرغم من كل هذه المميزات فإن منظر الحزن والكآبة لا يكاد يفرقها



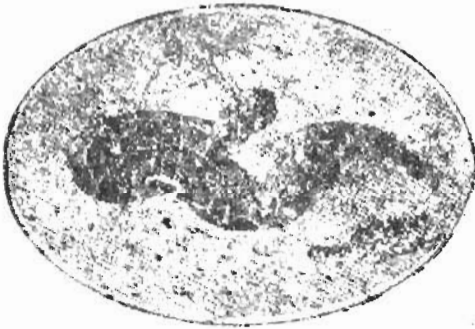
(شكل ٥٥ - رسم غوريلا كبيرة يبلغ وزنها ٤٥٠ رطلا وطولها ١٧٠ سم وقد صالدها الكولونيل (بن) من الكونغو البلجيكية)



(شكل ٥٦ - رسم مجمل لكودو وهو إحدى صانديه بعثة حديثة حيوانات لندن من أواسط أفريقيا، وفي الصورة أحد الصيادين من الأهالي وهو يرضعه من زجاجة ليألف به قبل ترحيله)



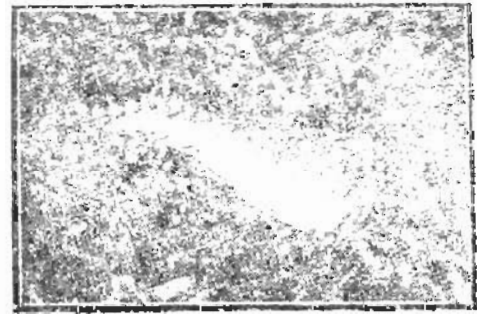
(شكل ٥٨ - رسم شامليون عجيب طوله ١٤ بوصة وهو أطول شامليون عرف في النعم صادته بعثة حديثة حيوانات لندن في كنجوانا الأخير في إفريقيا)



(شكل ٦٠ - حبة يتقنها النمل) بين أصناف الأفاعى التي صادتها بعثة حديثة حيوانات لندن هذه الحبة التي انترسها النمل الأحمر هي وست مشنها في ليلة واحدة ، وهي من النوع السام والذي تميت لدغته الواحدة



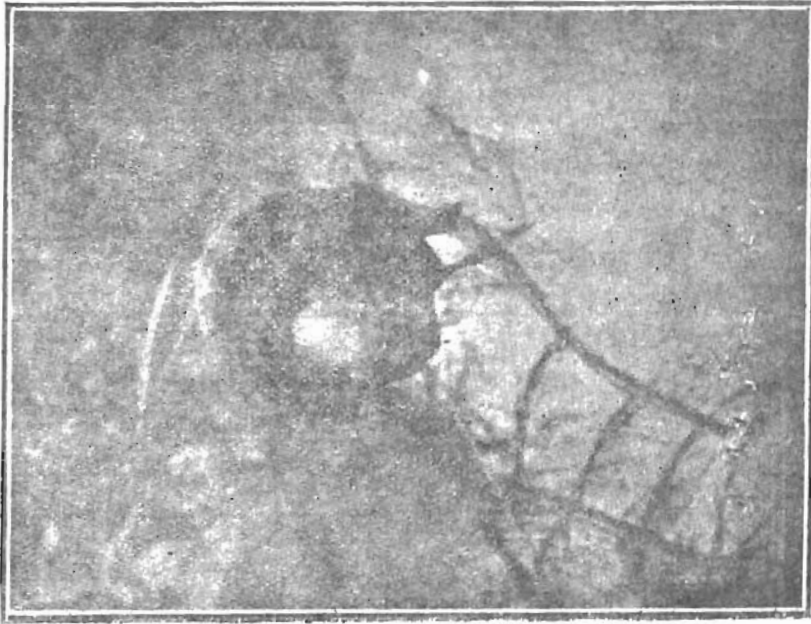
(شكل ٥٧ - أحدث طريقة لتحنيط الحيوانات) أعلن أستاذ علم الحيوان في جامعة فينا أن خير طريقة لتحنيط الحيوانات والنباتات هي غمسها في حمام البرازين إذ شاعده أن البرازين يحميها وهي في حالاتها الطبيعية كما ترى في الصور الأربعة ، وفي حالة النبات يحفظ لون النبات وشكل الزهور الطبيعي وهذا يساعد كثيرًا في دراسة هذه الأحياء



(شكل ٥٩ - آكل النمل) حيوان من شجوب الحيرانيات التي أُرِفدت حديثة حيوانات لندن بعثة بلجها وبدعى آكل النمل ، غير أن هذا النوع لم يطل أمد تملكه بل حل مكان نوع آخر منه

سمك الفردوس يبني أعشاشه كالطير ويسبح فوق سطح الماء

تعرف البحار الصينية بأنواع غريبة من الأسماك ، ومن أغربها النوع المعروف بسمك الفردوس وهو يتخذ أعشاشا كالطير ويصنعها من مادة لزجة ينغصها بفمه فتصير كالنفثات وتسبح فوق سطح الماء وصناعة هذه الأعشاش خاصة بالذكور دون الإناث ، فإذا باضت الأنثى أخذ الذكر بيضها واحدة فواحدة ووضعها في العش الزوج فتلتصق به . ولما كانت الأنثى في سمك الفردوس ذات طباع وحشية وتحب أن تأكل بيضها وما يخرج منه من الأسماك الصغيرة يرخم الأب أو الذكر على هذا البيض حتى يفقس ويحرسه حراسة تامة حتى لاتلتهمه الأنثى (انظر الأشكال الأربعة الآتية)



(شكل ٦١ - سمك الفردوس)

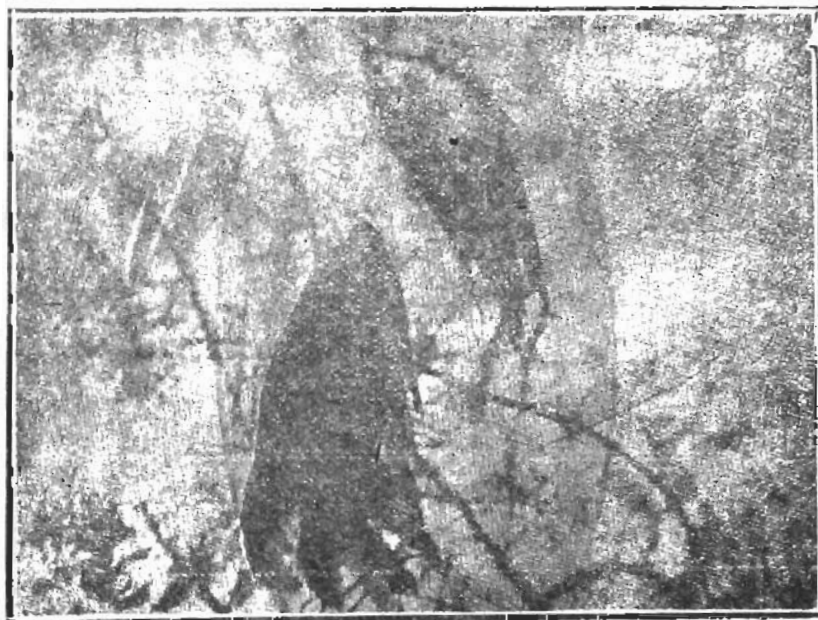


(شكل ٦٢ - الذكر من سمك الفردوس يتفقد بيض الأنثى في العش)

(شكل ٦٣ - الذكر من سمك الفردوس برنختم على ييش لأشرف العشي)



(شكل ٦٤ - سمك الفردوس)



ثانياً - ذكاء الحيوان وأعمارها

وأما أعمار الحيوان وذكاء بعضه ، فهناك ملءاء في « مجلة الجديد » تحت عنوان أعمار الحيوان وهما هذا
(أعمار الحيوان)

عثر بعض المسافرين الانجليز عند مرورهم بجزر نونجا في الاوقيانوس على سلحفاة كتب على ظهرها عام
١٨٣٧ وقد كتبها القبطان كوك عند مروره بهذه الجزيرة ، وقد اتضح لهم أن عمرها يبلغ ١٥٠ عاماً وفيما
يلي بيان متوسط أعمار الحيوانات المعروفة : (التقاسح من ٢٠٠ الى ٢٥٠ عاماً ، الفيل من ١٥٠ الى ٢٠٠
عام ، النسر ١٠٠ عام ، البجعة ١٠٠ عام ، الغراب ١٠٠ عام ، الكركدن ٦٠ عاماً ، الأسد ٦٠ عاماً .
الببغاء من ٥٠ الى ٨٠ عاماً . الأوز ٥٠ عاماً . الجمل ٥٠ عاماً . الصقر ٤٠ عاماً . الثور ٣٠ عاماً . الوعل ٣٠
عاماً . الحمار من ٢٥ الى ٣٠ عاماً . الحصان ٢٥ عاماً . العصفور الحسون ٢٥ عاماً . الطاووس ٢٥ عاماً .
البرقش من ٢٠ الى ٢٥ عاماً . الخنزير ٢٠ عاماً . الجمادوس من ١٨ الى ٢٠ عاماً . القط ١٨ عاماً . الكلب
من ١٠ الى ٢٥ عاماً . الدب ٢٠ عاماً . البقرة ٢٠ عاماً . الفأر ٢٠ عاماً . السرطان ٢٠ عاماً . الذئب ٢٠
عاماً . الببلبل ١٦ عاماً . القنبرة ١٦ عاماً . الثعلب ١٥ عاماً . ثوبان السمك ١٥ عاماً . الشاة ١٢ عاماً . الصرصار
١٠ أعوام . عصفور الكناري ١٠ أعوام . الماعز ١٠ أعوام . العصفور الدوري ١٠ أعوام . الدجاجة ١٠
أعوام . الأرنب ٨ أعوام . الأرنب البري ٧ أعوام . السنجاب ٧ أعوام . الفراشة ٧ أعوام . النملة عام واحد
وتوجد في عين الفراشة (٥٠٠٠) عدسة مختلفة و (٥٠٠٠٠) عصب . وإذا وضعت قوقعة الى جانب أذنك
سمعت صوتاً كاللوج ينشأ من تكبير الغطاء الخارجى لموت ضربات الدورة الدموية الصادرة من أوردة الرأس
(انظر شكل ٦٥)
خريج جامعة كولومبيا



(شكل ٦٥)

جاء هذا الكلب امتحاناً عقد له خاصة في جامعة كولومبيا لاختبار ذكائه وعمره ٥ سنوات



(شكل ٦٦ - رسم طير غريب ، ومن غرابته أن قدميه حراوتا اللون طول كل قدم (٢٧) سنتيمترا ونصف سنتيمترا ، أما ارتفاعه فهو ٢٥ سنتيمترا فقط)

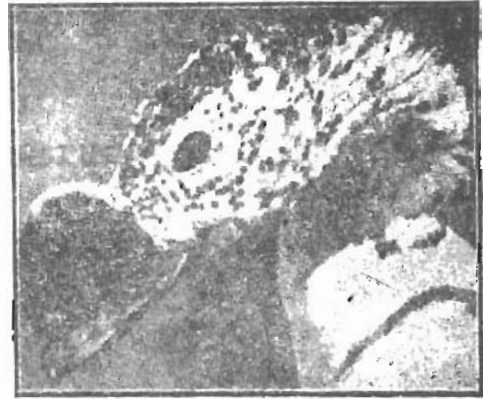
ثالثا - (رؤس الحيوان المختلفة)

أما رؤس الحيوان فاسمع ما جاء في « مجلة الجديد » تحت العنوان التالي وهذا نصه :

أعجب رؤس الطير



(شكل ٦٨) الصقر المتوج ومتقاربه الصغير المعقوف يحدث أشد الرعب للطير والحيوانات الصغيرة وهو يأكل القرود والفيران والأرانب والطيور والأوز والجلان



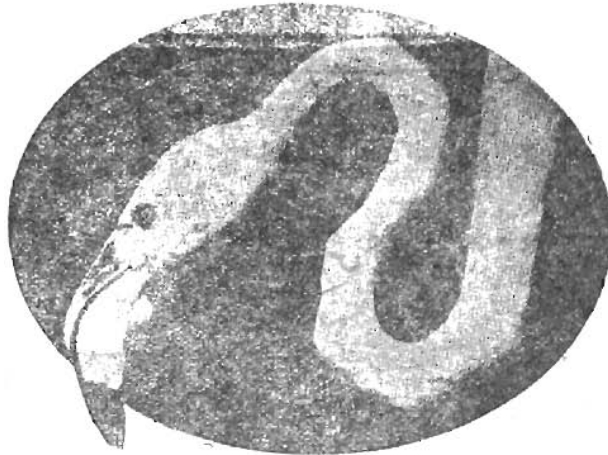
(شكل ٦٧ - رأس البطة المعروفة بذات المشط وهي من أندر أنواع البط ، وذلك أن عرقها الشبيه بالمشط يكون فوق رقبتها لأفوق رأسها ، وليس لذلك أي سبب إلا أن تكون مخالفة لسواها في الشكل)



(شكل ٧٠ - رأس الطاووس وهو على الرغم من جماله وما يبدو عليه من الحجل تفرع منه السحالي والذئادع ، وإن كان الطاووس نفسه يفضل أن يأكل الحبوب والكلأ)



(شكل ٦٩ - رسم التوكان وطول منقاره كطول جسمه ويقرب منه في الحجم ، ولولا خفة هذا المقار لما استطاع حمله)



(شكل ٧١ - رسم رأس بشروش ويعرف بطول الرقبة وضخامة المنقار الذي يشبه صندوقا ذا غطاء محدب)



(شكل ٧٢ - رسم رأس دجاجة من بلاد غينا بأفريقيا ولها منقار صلب ، وهي عارية من الريش وتتكون من عظام تشبه خوذة النارس)



(شكل ٧٣ - رسم رأس إيبيس أو أنى منجل ومنقار طويل مستدق يدفعه بسهولة في طبقة من الأرض غير قليلة السمك فيخرج الديدان والحشرات وهو مفيد للزراعة)



(شكل ٧٤ - رسم جل الماء وقد أعدّه الله بمنقار كقربة لأنه لا يتغذى إلا بالسمك فهو يحمل الأسماك في جعبة هذا المنقار لأفراخه الصغار)

﴿ اللطيفة السادسة ﴾

(في قوله تعالى - وتكاملنا أيديهم - وكيف تكاملت الأيدي في زماننا)

﴿ الاجرام في اليابان والطرق الحديثة لمساكنه ﴾

من هراء اقول أو تحصيل الحاصل ذكر ما خالته اليابان في نصف انقرن الأخير من التقدم العظيم في مختلف العلوم والفنون مما أدهش العالم وجعلتها محل احترام أرقى الأمم الغربية الحديثة فان ذلك معلوم مشهور لا يحتاج الى بيان وتفصيل . وانما الذي حداثي اليوم أن أكتب بعض الشيء عن ناحية معينة من نهضة اليابان وهي ناحية الأمن والطرق الحديثة المتبعة في مكافحة الاجرام هو ما تعمل له حكومتنا الآن من تعديل نظم البوليس والامن العام تعديلًا يتشى مع حالة العصر الذي نعيش فيه ويتكافأ مع النظم المتبعة في أوروبا وأمريكا حتى لا يكون هناك اعتراض من جهة ما على ما نطلبه من توحيد القضاء ومساواة الجميع من أجنب ووطنيين أمام قانون البلاد . الذي افتنى الى دقة نظام البوليس في اليابان وارتكازه على الطرق العلمية الحديثة هو حادث قتل

ارتكب في ضاحية من ضواحي توكيو اطلعت عليه أخيرا في إحدى المجلات الأمريكية . وهو وإن يكن حادثا عاديا في ذاته يحصل الكثير من أمثاله بل ماهو أشد فظاعة وغموضا منه في أي بلد من البلاد : وقد يصل رجال الأمن في تلك الجهات الى معرفة الفاعل بعد تتبع اجراءات كثيرة وبذل مجهود عظيم . انما محل الإعجاب في موضوعنا هذا هو حسن قيام البوليس الياباني بواجبه وتوزيع العمل بين رجاله توزيعا روعى فيه التخصص واتكأ على الرجال الفنيين ذوى الخبرة الواسعة في كشف الجرائم وتبين أسرارها هو الذى كفل مجهوداتهم بالفوز في القبض على المجرمين والأشرار في معظم الحوادث الجنائية مما صان هيئة الحكومة في نظر الجميع . وقد اتج ذلك أثره في تقليل الجرائم بأنواعها . ولأجل أن يحكم القارئ بنفسه على دقة نظام البوليس في اليابان وارتكازه على العلم نسرد له باختصار هذا الحادث على سبيل المثال . وقبل ذكر موضوع الجريمة نقول إن بصمات الاصابع كانت العامل الأكبر في اثبات شخصية المجرم .

﴿ موضوع الجريمة ﴾

تاروكاوا يستقى شاب ياباني في العشرين من عمره أحب فتاة من بنات جنسه تدعى نيسوك كوجيكى ، عاملة في أحد المحال التجارية بتوكيو ولكن هذه لم تبادل له حبه لفظاظة أخلاقه وادمانه الخمر وصارت تباعده كلما حام حولها فأدى سلوكها هذا الى تحريك كوا من الحقد والبغض في نفسه الشريرة وصمم على الاقتصاص منها جزاء معاماتها . ففي ليلة ظلماء في إحدى حارات ناحية هودوجايا من ضواحي توكيو وجد نفسه وجها لوجه مع كوجيكى معشوقته فبمجرد رؤيتها أغلقت عليه روح الوحشية والشر وطعنها عدة طعنات قاتلة في رأسها بخنجر كان قد أعدّه لهذا الغرض ، وبعد انتهائه من فعلته الشنعاء مسح الخنجر من الدم بواسطة حزمة من السكّال الأخضر الذى ينمو بطبيعته في الحقول المجاورة لمكان الحادث . ولكن أثناء تنظيفه للخنجر انطبعت بصمة إبهامه الأيسر على السلاح بدون أن يلاحظ ذلك ، وبمجرد فراغه من عملية التنظيف ألقى بالسلاح على الأرض في جهة مجاورة لمحل الحادث ولاذ بالفرار تحت جنح الظلام . ولو كان يعلم أن في القائه السلاح منطبعة عليه بصمة إبهامه فيه تسليما لرقبته للجلاد لكان له رأى في احترام القانون يخالف ما قدست يده .

﴿ العثور على الجثة ﴾

لم تمر الا برهة وجيزة حتى عثرت الشرطة المارة بالجثة ، وفي الحال أبلغت الأمر لبوليس توكيو . كان أول من وصل لمحل الجريمة هم رجال تحقيق الشخصية مع الآلات الفوتغرافية والنظارات الميكروسكوبية والمواد الكيميائية والمساحيق والفرش الخاصة باظهار البصمات الخفية وكذلك الطبيب الشرعى فباشروا عملهم بكل دقة وعناية حتى توصلوا الى اكتشاف السلاح الذى ارتكبت به جريمة القتل وبحشوه بكل دقة فوجدوا بصمة إبهام منطبعة عليه فأسرعوا بنقلها على ورق المشمع (ورق خاص لهذا الغرض) ووضعوا عليها غطاء من السيلويد لحفظها ، وكذلك رسموا الجثة ومحل الحادث والجهات المجاورة له . وبحشوا عن كل الآثار التى قد تفقد في كشف سر الجناية . ابتدأ رجال تحقيق الشخصية في بحث البصمة التى عثروا عليها فكبروها وصاروا يدرسون مئات الخطوط والنقط الدقيقة عالمهم يجدون اصحابها سجلا خاصا في محفوظاتهم . وعند فراغهم من تقسيمها التيسيم الفنى حفظوها في سجل خاص بها لعدم العثور على بصمات اصحابها محفوظة في الادارة . وانتظروا التحريات التى يقوم بها البوليس السرى (البوليس السرى هناك كما هو الحال في أوروبا مكون من رجال فنيين في علم الاجرام درسوا دراسة علمية خاصة فدرّبوا على القيام بعملهم أحسن تدريب) ارتكب تاروكاوا جرمه في مارس وبعد مرور سنة من ارتكابها اعتقد أنه قد عفا النسيان على فعلته الشنعاء فاطمأن باله وذعبت هواجسه واشتغل عاملا في حانات الخمر والقهاوى منتقلا من احداها الى الأخرى

لم يلم الكشافون عن مواصلة بحثهم لكشف الستار عن سر هذه الجريمة ، ففي أغسطس الماضى سنة ١٩٢٧

قبضوا عليه في محل للعب البيسر يسمى السمعة مشهور بأنه يجمع الاشرار وذوى السير المعوجة . لم يفزع نارو من البوليس وسخر من أخذهم بصمات أصابعه لاعتقاده أنه ليس لبصماته سجل محفوظ من قبل حتى يمكن معرفته وإداته في جريمة القتل . أرسلت بصماته لإدارة تحقيق الشخصية فوجدت إبهامه الأيسر مطابقا تماما للإبهام الذى وجد منطبعاً على الخنجر الذى استعمل في ارتكاب الجريمة . عند ذلك تأكد البوليس أن القاتل قد وقع في قبضته . أودع نارو السجن وسردت له فيه قصة جريمة القتل الذى ارتكبها منذ سبعة عشر شهرا ووضعت أمامه الصورة الفوتوغرافية لجثة القتيلة برأسها المتهشم والخنجر الذى استعمله في ارتكاب الجريمة فأخذ الرعب يدب في قلبه وصار يهذى هذيان المحموم واعترف بما قد آثمت يده . هذه هي خلاصة الاجراءات التى اتبعت في هذه الجريمة وهى تدل على إحكام نظام البوليس فى اليابان وعلى أن رجال الحفظ فى تلك البلاد تربوا تربية فنية خاصة ونظموا عملهم على أحدث القواعد العلمية بل كان لهم فضل كبير فى استنباط طرق علمية لاثبات بصمات الاصابع أخذتها عنهم بلاد عربية فى المدنية والعلم . إدارة تحقيق الشخصية والمباحث الجنائية فى توكيو وهى أهم إدارات البوليس من حيث أنها عماد البحوث الجنائية ففيها تتركز جميع المعلومات الخاصة بالجرائم فى امبراطورية اليابان وجزيرة فرموزا وكوريا . وتحفظ السجلات الخاصة بالمباحث الجنائية مع حفظ بصمات المجرمين وصورهم الفوتوغرافية . وكذلك آثار الاقدام والبصمات الفردية التى يتركها الجناة فى محال الجرائم . وتسجل بصمات المجرمين وتحفظ على حسب طريقة الاجرام التى ينفذها المجرمون فى ارتكاب جرائمهم . وهذا النظام يفيد كثيرا فى سهولة العثور على المجرم لأن طريقة ارتكاب الجريمة تحصر البحث فى عدد معين من المجرمين اعتادوا تنفيذ جرائمهم بطريقة خاصة ليس من السهل أن يجيدوا غيرها . ويتبع هذه الادارة رجال البوليس السرى الذين يناط بهم التحرى عن الجرائم وكشف أسرارها . وعلى العموم نجمة النظام المتبع فى هذه الادارة هو مايجرى عليه العمل فى اسكتلنديارد فى لندن وإدارة البوليس العامة فى باريس

(متحف الجريمة)

يوجد بالادارة متحف هائل تحفظ به جميع الآثار التى يعثر عليها فى محال الجرائم بعد أن تكون قد بحثت بكثر بولوجيا . فيشاهد به مجموعة كبيرة من الاسلحة والملابس اليابانية والاوروپية على اختلاف انواعها والاجهزة والآلات التى تستعمل فى كسر الخزائن الحديدية وأوان زجاجية وعديدة وغير ذلك من الآثار التى كان أو يكون لها شأن فى اثبات الجرائم . ومن ضمن الآثار الهامة المحفوظة فى هذا المتحف هو هذا الخنجر الذى قتل به الرئيس هارارى رئيس وزارة اليابان منذ بضع سنوات فى محطة توكيو .

(الاستاذ يوشيكوا)

رأس ادارة تحقيق الشخصية والمباحث الجنائية فى اليابان الاستاذ سوميتشى يوشيكوا أحد خبراء العالم القلائل فى المسائل المتعلقة بالاجرام والمجرمين وخاصة فى كشف الجرائم العامة وهو استاذ ضليع فى فن بصمات الاصابع والتصوير الشمسى . وكشاف ماهر للآثار الدقيقة التى يتركها المجرمون أثناء ارتكاب جرائمهم يستعين بالبحث الكيمائى الكهربائى والميكروسكوبى وجميع الوسائل الأخرى التى تلزم لهذه البحوث . ان الاستاذ يوشيكوا درس الطرق الفنية لبصمات الاصابع الجارية عليها العمل فى اسكتلنديارد فى لندن وفى إدارات البوليس فى نيو يورك وباريس وبرلين وهامبرج وفيينا . ولم يكتف بذلك بل واصل البحث والدرس حتى جعل لنفسه مكانة علمية لم ينلها الا القليلون فى العالم . يرجع اليه الفضل فى اكتشاف أنه لو استعملت نترات الفضة فى اظهار بصمات الأصابع ثم عرضت البصمات بعد ذلك للأشعة فوق البنفسجية لوفحت وضوحا تاما . وقبل اكتشافه هذا كان كثير من البصمات يعتبر عديم القيمة لعدم وضوح رموزها وضوحا كافيا . ولهذا كان يفلت كثير من المجرمين من يد العدالة . فتصوركم أذى هذا العالم الى العدالة والانسانية من الخدمات . اذ أن فى الاقتصار

من المجرم حياة للمجموع . هذا هو مجمل نظام القسم الفني الجنائي للبوليس في اليابان ذكرناه كمثال للنظام
الحديثة للبوليس التي أنادت كثيرا في مكافحة الاجرام وحصر دائرته
محمد جمال الدين
مساعد مدير تحقيق الشخصية

﴿ مسامرة ﴾

حدثني أحد نظار المدارس المصرية . قال : أسلم عالم ألماني فستل لماذا أسلمت ؟ قل : لأنني قرأت في القرآن
المترجم بالألمانية آية - بلى قادرين على أن نسوي بنانه - وعلم تخليق الشخصية المبني على البنان لم يعرف
إلا في زماننا هذا فعرفت أن هذا كلام الله فأسلمت اه

﴿ النطق بلا لسان ﴾

(حوادث واقعية غريبة)

كان العالم الانجليزي هكسلي في مقدمة الذين يجزمون بإمكان النطق بلا لسان . وقيل إن الذين يصابون
بداء السرطان يفقدون لسانهم في بعض الأحيان ولكن بعضهم ينطقون ويميزون الطعم بعد فقده ، وبما
يروى في هذا الصدد أن هنري الظالم قطع السنة بعض المبشرين بالانجيل سنة ٤٨٤ ميلادية ، فلبث بعضهم
زمانا حتى عادوا الى الوعظ والارشاد من غير لسان ، وأن الباباليون الثالث فقد لسانه أيضا ولكنه لم يمنع
عن الكلام والذوق . وفي سنة ١٧٤٢ م خضت لجنة من الأطباء في إنجلترا فتاة فقدت لسانها ورأت أنها
تحسن النطق والكلام مثل غيرها من الناس . وفي بلاد الانجليز الآن رجل بلغ السبعين من العمر قطع لسانه
من نحو ١٣ سنة وهو يتكلم ويغني وبذوق بلا عناء . وأما التعبير عن المراد بالحركات والاشارات فمن الامور
السهلة . ولبعض القبائل في الحديث اشارات وحركات تزيد على الألفاظ عددا . وأكثر الاوروربيين استعمالا
للإشارات في الكلام أهل ايطاليا وأقلهم استعمالا لها الانجليز . انتهى من ﴿ المصور ﴾

﴿ تذكرة ﴾

(في قوله تعالى - ومن نعيمه تنكسه في الخلق أفلا يعقلون -)

وفيا بيان أقوال علماء العصر في هذين السؤالين : الأول ، متى يعيش الانسان ١٤٠ سنة ؟
والثاني ، كم يجب أن نعيش ؟ ترويحاً لعقلاء المسلمين مع فوائد تليق بالمقام . فهناك ما جاء في مجلة كل شيء
وهذا نصه :

﴿ متى يعيش الانسان ١٤٠ سنة ؟ ﴾

(حديث مع الاستاذ فورونوف)

الاستاذ أوالدكتور فورونوف معروف في القاهرة مذكور طيبا فيها في أوائل هذا القرن وطيبا خاصا
للسراى الخديوية . ثم لما انتقل الى أوروبا واشتغل بتجاربه المشهورة في اطالة العمر وتجديد قوى الشيوخ
بالتلقيح وتجربة ذلك أولا في القرد وغيرها من الحيوانات طار اسمه في كل ناحية لا كطبيب بل كبشر بإمكان
اطالة الأعمار الى مافوق المائة وبإمكان عود الشباب الذي تقررحت عليه أجفان الشاعر الباكي الغائل :

ونحت على الشباب بدمع عيني * فلم يند البكاء ولا النحيب

وقد جرى له حديث مع مندوب مجلة انجليزية فقال : وإن الأم التي تكون أول من يدفع اليها ولدها
لتجربة عملية تجديد الشباب فيه قد تكون مؤسسة نوع انساني جديد وقوى . اعطني أولادا تشتعل فيهم
شرارة العبقرية وأنا أربي لك نوعا من السوبرمان أى الرجال الكاملين يكون عمر الواحد منهم فوق المائة

ويكون في الوقت نفسه قويا ونشيطا وعاملا بدنا وعقلا كالشاب منا . ومشروعى هذا الذى بدأ بعمليات تجديد القوى في الأجسام الضعيفة قد يظهر كالجدل في عبون غير العارفين ولكنى أثبتت بعد امتحانات طويلة ودقيقة صحة الدعاوى التى ادعيتها من وقت الى آخر حتى امتلأ صدرى أملا من جهة المستقبل واعتقدت امكان اخراج آرائى في هذا الموضوع من القول الى الفعل . بدأت تجارى بالسكبش فنقلت غدة حيوية من كبش حولى الى كبش مسن في أواخر عمره فكانت النتيجة على مايرام حتى أعدت التجارب في حيوانات أخرى نجوت أحسن من الأولى ولكن عمل الطبيب يجب أن يكون دقيقا فالواجب لذلك أن تعاد التجارب المرة بعد المرة بلا ملل . وبعد ذلك أخذت الغدد التى نقيحت بها حيوانا تجددت قواه فحصلت بذلك على برهان مزدوج . ذلك بأن الحيوان الذى استؤصلت منه الغدد عاد فتهقر الى ما كان عليه إذ جعل يهزل وفقد شهيته الى الطعام وسقط شعره أو صوفه حتى بلغ درجة من الانحطاط أحيانا مما كان عليه قبل عملية التجديد الأولى . نقلت في نفسى اذا نجحت هذه العمليات في الحيوانات فلماذا لا تنجح في الانسان ولكن عرضت لنا هذا صعوبة وهى قلة الرجال الأقوياء الذين يقدمون أنفسهم لمساعدة الضعفاء ويضحون بمثل هذه التضحية العالية مع ان استئصال هذه الغدد من الأقوياء الأضواء لا تؤثر كثيرا في أحوالهم الطبيعية ولكن تلقيح الضعفاء بها ينفعهم أيما نفع ، وهنا بدأت تجارى في النسائيس ويقول علماء الطب ان الشمبازى أقرب هذه الأصناف الى الانسانية ، واذا أخذت قطرة دم من الانسان ووضعت تحت المكروسكوب هى وقطرة من دم نسانس لم تمكن معرفة الواحدة من الأخرى ، وقد جاءت تجارى في النسائيس ناجحة جدا ، وفي مدة خمسين سنة أو أقل يمكن عمل عمليات مذهشة في الناس ، وليس تجديد قوى الشيوخ بالتلقيح هو غرضى الأعظم بل ان غرضى الأعظم هو تلقيح الذكور الذين سنهم بين الثامنة والعاشرة بالغدد فتكون النتيجة إيجاد نسل من الرجال المتقوين (سو برمان) أما معظم الصعوبة الآن فقلة النسائيس ، ولكنى وضعت مشروعا للحفاظ على هذه الحيوانات النافعة ، وأصدرت الحكومة الفرنسية بناء على طابى أمرا بمنع صيد الشمبازى في المستعمرات الفرنسية وبأن لا يصدر منها إلا لغرض طبي . ثم قصدت الى (مدريد) وقابلت ملك اسبانيا فأصدر أمرا مثل هذا فيما يخص المستعمرات الاسبانية . وهكذا صنع ملك البلجيك عند مقابلتى إياه في عاصمته بل أضاف الى مثل هذا الأمر إصدار تعليمات بأن يجعل جزء من الكنفو البلجيكية حيث تكثر النسائيس مستودعا لها حتى تتم المعدات التى اتخذها لإصدارها منه . وآمل أن تساعدنى الحكومة الانجليزية بمثل هذه الطريقة . وقضيت أشهرا من السنة الماضية أفنش عن مكان بين جنوا ومرسيليا يصلح ليكون مزرعة لهذه الحيوانات حتى وجدته وفيه الآن نحو مائة منها . فذا نجحت وكانت المزرعة ملائمة لصحتها فلم تضعف بتغير الاقليم ففى عزمى انشاء سلسلة منها من (نابلى) الى (مرسيليا) بمساعدة الحكومة الفرنسية . ويجب أن يكون عمر الشمبازى (٦) سنوات الى (٨) قبلما يصلح لأن تستأصل غدته ويأقح بها الانسان . ومتى تغلبت على جميع الصعوبات وامتلات مزارعى حيوانات شديدة سرعت فى تجارى على قدر كبير . وقد عمدت الى الآن (٦٠٠) عملية ناجحة والعملية بسيطة جدا لا يحتاج فيها إلا الى مختبر موصى ولا يبق صاحبها رافدا أكثر من اسبوع . وأقول الآن عن اقتناع انه لا ينصرم القرن العشرون حتى يمكن تجديد قوى الشيوخ وازالة غبار السنين عن وجوههم كثيرة الغنون والأسارى وأجسامهم المحدودة الهزيلة . ويمكن أيضا تأخير الشيخوخة ومضاعفة العمر الذى هو الآن سبعون سنة على الغالب وسيدق الدماغ والقلب صحيحين الى الآخر . وقد يمكن تغيير الصفات والشخصيات والعادات بهذه الطريقة فتقل الجرائم وتختفى العثرات وتفرغ الشخصيات فى قوالب على حسب الطلب . ومهما يكن زمان ذلك بعيدا فما لا ريب فيه أن القروء ستكون أساس أمة قوية عقلا وجسما ودماغا وقلبا ونموا وذلك كله بواسطة التلقيح بغددها ، اه

﴿ كم يجب أن نعيش ؟ وفوائد أخرى ﴾

يقول هوفلند أحد العلماء الذين صرفوا عنايتهم الى درس الحياة في كتاب وضعه وجعل عنوانه « فن إطالة العمر » ان المرء يولد مستعداً للحياة قرنين من حيث تركيب بنيته ونظام قواه قياساً على ما نراه في الحيوانات . أليس الانسان حيواناً مثلاً ؟ على أن هوفلند لم يتفرد في هذا الرأي . فكل الذين يدرسون طبائع المخلوقات يرون رأيه و يرون طلائع النور من أبحاثهم بإمكان إطالة العمر فيسعون الى التجارب والامتحانات المتعددة . ومن الملاحظات الحرة بالنظر ما ذكره بعضهم عن النسبة بين عمر البلوغ والعمر التام فقالوا انها في الحيوانات على اختلاف أنواعها تكون كنسبة واحد الى ثمانية أى ان الكلب يبلغ أتم نموه في سنة ونصف فهو يعيش اذا لم يمرض أو يقتل بحادث ما ١٣ سنة والحصان يبلغ أتم نموه في ثلاث سنوات فهو يعيش ٢٤ سنة وقس عليهما سائر الحيوانات الدنيا . واذا اعتبرنا الانسان من حيث تركيبه البدني حيواناً وكان نموه لا يتم قبل بلوغه الخمسة والعشرين عاماً فن الضرورى أن يعيش مئتي سنة ويدعم هذا الرأي ما نراه من حياة بعض الناس الذين عاشوا أعماراً طويلة . إن هنرى جنكس الانجليزى الذى ولد في ولاية يورك بانجلترا عاش ١٦٩ سنة ولما بلغ سن ١١٢ كان يحارب في معركة فلورفيلد . وجون بافن البولندى عاش ١٧٥ سنة ورأى بعينه ثلاثة من أولاده يتجاوزون المئة من أعمارهم . ويوحنا سورتنغتون الفروجى الذى توفى سنة ١٧٩٧ عاش ١٦٠ سنة وكان بين أولاده من هو في المئة والخمس سنوات . وطوزمابار عاش ١٥٢ سنة . وكورتوال ١٤٤ سنة . على أن أكثر من عاش بين البشر حديثاً على ما يعرف هوزنجى بلغ ٢٠٠ سنة والاحصاءات تدل على أن أعمار الناس أطول في اسوج ونروج وانجلترا منها في فرنسا وإيطاليا وكل جنوبى أوروبا كما ان الذين عاشوا هذه الأعمار الطويلة انما عاشوها ببساطة وكانت حياتهم حياة جد وعمل

لامشاحة في أن العمل والعادات والاعتدال من العوامل الرئيسية لإطالة العمر . فلا فرط في كل أمر مع الانحراف عن النظام الطبيعى انما هو سبب تقصير أعمارنا . ومن رأى البعض أن العبودية هى السبب الأهم في تقصير العمر . العبودية للشهوة والتقليد والبطالة والزى . فاذا حاولنا التخلص من عبودية المدنية الحاضرة والانصراف الى كل ماهوة نونى وبسيط يمكننا مع الاعتدال أن نعيش مئتي عام بشرط آخر هو أن لا يكون علينا استحقاقات شهرية ولا مسؤولية عقلية تقضى على سلام حياتنا اه

﴿ رأى نابليون في الطب ﴾

اشتهر نابليون بوناپرت بميله الشديد للطاعة واحراز الكتب النفيسة وتقديره للطب والهيجين وكان ميله للعلوم الطبية قويا الى حد أنه تعلم علم التشريح وأتقنه اتقاناً لكنه لم يستكمل دراسة الطب لاتجاه آخر دفعه اليه القدر . أما ميله للطب والهيجين فكان بمقدار كرهه للدواء والعقاقير معتمداً كل الاعتماد على (الطبيعة الشافية) وعجذا طريقة البابليين الذين كانوا يلقون المريض على قارعة الطريق حتى اذا مر به عابراً أصيب بمثل ذلك المرض وشفي منه أرشده الى العلاج الذى كان سبب شفائه . ومن أقواله ان الأدوية لانفيسوى جماعة الطراز القديم وكان دواؤه الوحيد الحية والاستحمام بالماء الساخن والماء المالح . وقد قال يوماً لأحد الأطباء : « إن الجسم آلة تطالب الحياة وهو مركب لهذه الغاية فقط . فلندع فيه الحياة فهو وتحيا كما تشاء ولندعها تدافع عن نفسها بنفسها فانها تفعل أكثر جداً مما تفعله أدويتكم التى تشل حركتها على الدوام » ومن أقواله أيضاً : « إن الجسم يشبه ساعة تدير سيراً طبيعياً منظماً مدة من الزمان وليس لساعاتى ما أن يفتحها أو أن يعالج ما اختلف في نظامها إلا باحتراس كثير وعيناه معصبتان . واذا وفق ساعاتى واحد بعد عناء عظيم وعذاب طويل الى أن يصلح شيئاً مما أفسده الزمان في ساعة جسمنا فكم وكم من الأغبياء يفسدون هذه الآلة العجيبة التى صنعها الخالق سبحانه وتعالى اه

﴿ وصايا طفل يخاطب والديه ﴾

(في سنته الأولى) : الأقطرة الشديدة تنهك جسمي الحيف الرخص فلا تشداني بها والافعل القليل حلا وثاقى من تلك الأربطة لأنفس قبيلا ويجرى الدم في عروقي
(في الثانية) : النظافة تنفع جسمي العض وتقويه فغسلاني مرة أو مرتين في اليوم كل يوم والافعل القليل مرة في الاسبوع
(في الثالثة) : القبلية تنقل الى جرائم الأمراض الضارة والأسقام المؤلمة فلا تقبل أفرى وخذى وعينى ولا تسمح لأحد بتقبيلي والافعل الأقل قبلا يدي فانها تسكني
(في الرابعة) : النزهة خارج المدينة مفيدة لى والهواء النقي ينعشني ويقويني فسيرا بى لأتمتع بمناظر الطبيعة الجيلة المقوية والافعل القليل اصعدا بى الى السطح
(في الخامسة) : المعاشرة الرديئة تفسد أخلاقى فلا تركانى تحت رحمة الخادمة أو بين أولاد الأزقة والافعل القليل اجتماعا بى وحدتانى ولطفائى ولوساعتين في النهار
(في السادسة) : المدرسة مصدر سعادتي في المستقبل فانتخبنا لى مدرسة وطنية جامعة لأرضع فيها لبان العلوم العالية والافعل القليل العلوم البسيطة اه

﴿ عمر المخلوقات ﴾

جاء في مجلة « كل شئ » مانصه :

يتقول الناس ان كثيرا من الحيوانات والطيور تعمر أكثر من الانسان ولكن ظهر بعد فحص عمومي لمعدل أعمار المخلوقات على أنواعها أربعة فقط منها تعيش أكثر من الانسان وذلك مع عدم الانتباه للشواذ وهناك بيانها :

(١) السلحفاة ١٥٠ الى ٢٠٠ عام

(٢) نوع من السمك الألماني ١٠٠ الى ١٥٠

(٣) العقاب ذوالرأس الأبيض ٥٠ الى ١١٨ عاما

(٤) النسر ٥٠ الى ١٠٤ عاما

واليك معدل أعمار بعض المخلوقات : الكلاب ٣٥ - الخيل ٤٠ - البقر ٢٥ - الهر ٤٠ - السجاج ٣٠ - البط ٧٥ - الأسد والفهر ٢٥ - والسمون (نوع من الأسماك) يعيش عادة مائة عام . والضفدع الاوروبى ٣٦ ويصل عمر القساح الى الأربعين ، وأقصر الأعمار توجد بين الحشرات ، فنوع من الخنافس يعيش من ساعة الى ثلاث ساعات ، والذبابة ٣٤ يوما ، ولكن خنافس الأشجار تعيش أكثر من سائر الحشرات إذ انها تعمر ٣٧ عاما . انتهى ما أردته من المجلة المذكورة

لما كان هذا التفسير يراد به ارتقاء العالم الانساني لاسباب المسلمين انتهزت كل فرصة لافادة العقلاء بتجارب أمثالهم ليحذوا حذوهم . فهاك ما جاء في جريدة الاهرام يوم ١٩ مايو سنة ١٩٣٠ م تحت عنوان « كلمة شفيق باشا في الاحتفال ببلوغه سن السبعين » وهذا نصها :

سيداتي سادتي : قضيت سبعين حجة طويلة مررت فيها بأيام سعيدة ولإلى هنيئة ، واسكني أعد هذا اليوم أسعد أيامي ، فأنا في جمع من خلاصة أصدقائي واخواني . ليس فيهم إلا كل بر وفى يشاطرنى ما أحله له في أعماق نفسي من حب ووفاء

زملائي الأعزاء رجال الرابطة الشرقية : يسرني أن أتوجه بالشكر اليكم على تذكركم الذي يزبدني قوة

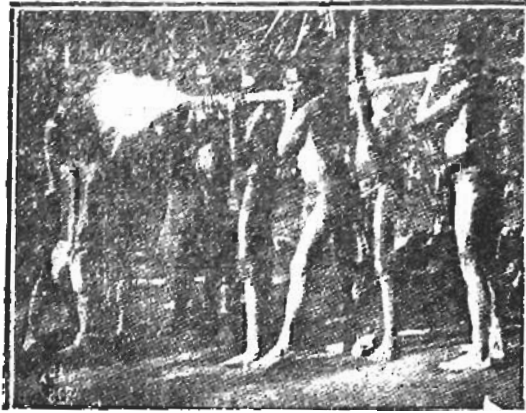
ونشاطا وسأحفظه بقية حياتي عنوان الثقة العالية كما أشكر حضرات الذين انتضلوا فأطروني أضواء مبالغ فيها وأشكر جميع الذين شرفوني والذين حالت أعضادهم دون إسماعدي بوجودهم فأرسلوا نهارهم بالبرق وبالبريد سيداتي سادتي : سألتى حديقى إسماعيل بك شيرين أن أبسط لحضراتكم ما أعتقدته سر النشاط والصحة فى هذه السن المتقدمة . وعندى أن ذلك يرجع الى أسباب اتباعى أوامر الله بابتعادى عن تعاطى المشروبات الروحية . ومما ساعد على ذلك أنه كان لنا جار مدمن لا يعود الى داره إلا وهو نشوان فتترجح رأسه بين كتفيه وتسلمها حائط الى أخرى ولا يكاد ينى ما يقوله . وذات ليلة ممطرة رأيته محمولا الى الدار بخفيرين أحدهما من يديده والآخر من رجله وهو ماطخ بالوحل . انطابت هذه الصورة البشعة فى ذهنى فزادت نفورى من الخمر وكراهيتى لها . ومنها اننى لم أدخن أبدا ولم أتعاط القهوة عادة إلا قليلا منها ممزوجة باللبن وقد اندهش بعض اخوانى لذلك فهمست فى أذنه عن السبب واسمحوالى فلا أفصح عنه لأنه لا يقال إلا بين الرجال . ومن ذلك أيضا عدم الاسراف فى ملاذ الحياة ، فلا فى الأكل كى كنت نهما . ولا فى غيره كنت مسرفا . وكانت البساطة وما تزال ملاك حياتى ، فإذا لم أصادف الفراش الناعم والخبر اللين رضيت مغتبطا بالفراش الخشن والكسرة الخافتة ومنها تعودى الرياضة ، فأنا مولع بالسير على الأقدام حيث أمشى الساعة والساعتين والثلاث فى اليوم ، فإذا عدت الى مستقرتى أكلت بشهية ونمت براحة مبكرا كما أنىقظ مبكرا . ومنها اننى لم أعود التفريط فى وقتى فكنت منتظما فى ساعات عملى وأوقيت راحتى ورياضتى ولا أقتل الوقت فى القهقارى والملاهى نلسم هى الأسباب الأولى التى أشكر الله عليها وأسأله المزيد حتى أتمكن من أداء ما يثقل كاهلى من دين على للتاريخ ألا وهو نشر مذكراتى فى نصف قرن و بعد ذلك فعلى الدنيا السلام . انتهى كلامه والى هنا تم الكلام على اللطيفة السادسة والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة السابعة ﴾

(فى قوله تعالى - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا - الخ)

جمال الله تجلى فى الأنفس وفى الأشجار وفى كل مخلوق ، المادة كما تقدم فى ﴿ سورة النور ﴾ عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - عبارة عن نقط كهربائية يدور سالبها حول موجبها (٦) آلاف مليون مليون مرة فى الثانية فانظره هناك ، فان الشجر والحجر والأرض والسماء كلها نور تنوعت حركته فتوعدت مناظره فقيل هذا حديد وهذا ماء وما هذا وما ذاك إلا تلك الأنوار الكهربية الجارية حول بعضها ترسم دوائر كدوائر الكواكب حول الشمس وبينها فرجات ومسافات وهى المسام تعادل المسافات بين الأرض والسيارات وبين الشمس . إذن المادة لم تخرج عن كونها مادة نورية غليظة . وغلظتها إنما جاء فى نظر أعيننا . هذا هو رأى علماء العصر الحاضر وهذه الحقائق اخفت عن عيوننا ، فلما خلقنا الله فى الأرض أحوجنا الى الغذاء والغذاء احتاج الى الحرارة ، وهكذا أجسامنا اعتراها البرد فاحتاجت الى الدفء ، لهذا خلق الله النار ولكنها محبوسة فى الشجر والحجر فألهم الآباء أن يحكوا عودا يعود فظهرت النار ففرحوا بها . الله لا يريد أن يعطينا شيئا إلا اذا اشتقنا اليه ومتى اشتقنا طلبنا ومتى طلبنا نلنا علما منه بأننا لانبالى بما لانطلبه . هذه النار التى أوريناها من الحجر ومن الشجر عام لطيف يذكرنا بالنور الأصيل وهو النور الذى منه كانت المادة وهو أقرب الى اللطافة والجمال ومذكر نور الكواكب والشمس والقمر . والنار رآها موسى فقال - إني آنست نارا لعلى آتاكم منها بقبس أو أجد على النار هدى - وقد قال بعض المفسرين : هاديا يدلنى على الله . ومتى ثبت أن المادة أضواء نورية لم يبق فى الوجود الحق إلا الله . ومن عجب أن هذه الفكرة هى التى يقولها الصوفية وهى التى يقولها سقراط وأفلاطون من علماء اليونان إذ يقولون : « لامعنى للوجود الذى يتغير » والمادة

متغيرة فإطلاق اسم الوجود عليها مجاز ولا يتعلق العلم بها وإنما يتعلق بما هو ثابت . فهنا عجبتان : العجبة الأولى إبتعاد النار في العصور الأولى التي منحها الله البشر وهذه صورتها (انظر شكل ٧٥)



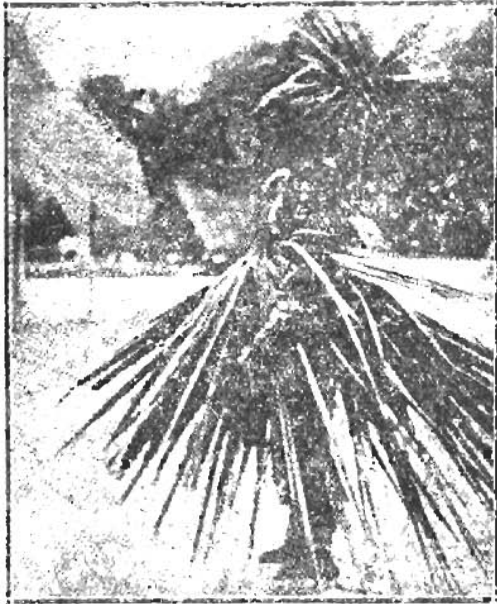
(شكل ٧٥ - أول طريقة لاختراع النار وقد توفى إليها الانسان الفطري بشدة احتكاك قطعيتين من خشب الأشجار ولا تزال مستعملة بين سكان جزائر المحيط الهادى . فاعجب لاجهاد ستة من الرجال الأشداء كلما احتاجوا الى ما نفعله نحن في لحظة واحدة يعود من الثقاب)

وهذه المنحة قديمة العهد جدا مجهولة الابتداء ولكنها بقيت عند أقوام الى الآن في بعض جزائر المحيط الهادى كما ان لهم عادات مزعجة إذ تفعل الأرملة بعد موت زوجها في نفسها ما يقيح فعله (انظر شكل ٧٦)



(شكل ٧٦ - أرملة في بونا حبست شعر رأسها ووجهها بالحير والطين لأن ذلك من شعائر الحزن الواجبة على المرأة هنالك عند مات فقد زوجها)

وأينما لهم أسلحة حجرية الى الآن يستعملونها (انظر شكل ٧٧) وهكذا يضعون الورق على أجسامهم كما كان يفعل آدم عليه السلام هو وحواء (انظر شكل ٧٨)



(شكل ٧٧ - أسلحة حجرية من بلاد بابوان وقد أصبحت نادرة في جزائر المحيط الهادى إلا فى هذه الجهة)

(شكل ٧٨ - رسم فارس من حاشية أحد الرؤساء في جزائر المحيط الهادى وهو مكاف بخدمة المآدب وما إليها . ولباسه الرسمى قبعة وبذلة من أوراق شجرة جوز الهند مع دهن وجهه بملاط أسود وأحمر)

واعلم أن الله أبقى هذه المجائب في المحيط الهادى الى الآن ليربنا كيف ارتقى الانسان في إيقاد ناره وفي عاداته وفي أسلحته وفي ملابسه ليعلم المسلمون الآن ومن معهم من الأمم أن في هذا العالم نعمًا قد خبئت لهم لا ينالونها إلا بالعمل . تمت المجيبة الأولى

(المجيبة الثانية) لا تؤخذ من الآية بطريق المفهوم ولكنها بطريق الاستنباع . ذلك ان الشجر والحجر اذا كان فيهما نار أفلا يكون في هذه النفوس الانسانية سرّ تكون نسبة النفوس الى ذلك السرّ كنسبة الشجر والحجر الى النار . نعم ذلك هو السرّ المكنون وهو الذى استخرجه أفلاطون قبل الميلاد بعدة قرون . قل مالم يخصه :
(مثل أفلاطون)

يقول أفلاطون : « إن مثل الناس في الأرض كمثل قوم عاشوا في مغارة تحت الأرض وقد وضعوا وضعًا بحيث لا يلفتون عينه ولا يسره ووجوههم مولية تلقاء آخر المغارة من الجهة المقابلة لبابها وهناك نار أوقدت وراءهم في الطريق وبينهم أيضا وبين النار سور والناس يغدون ويروحون خلف هذا السور أى في الجهة التى فيها النار وهؤلاء الذين يعمرون يحملون معهم صور الحيوان والنبات والشجر . فهؤلاء الذين في المغارة لا يرون إلا ضوء النار اللامع في المغارة أمام أعينهم وهم لا يرون النار ولا السور وإنما يرون تلك الصور مرسومة على حيطان المغارة أى صور الناس والحيوان والنبات . فهؤلاء لا يعلمون من الوجود إلا تلك الظلال فيسمون تلك الظلال بأسماء على حسب ما يتفق لهم . قل : فإذا أتيت لواحد منهم أن يخرج من المغارة الى خارجها فانه يرى الحقائق خلاف ما يرى اخوانه . يرى أن النبات والحيوان والانسان الحقيقي غير الخيالات . ويرى تلك

الحقائق بحسمة فعلا مائة وراء السور أمام النار . ثم ينظر فيرى أن اخوانه مغرورون إذ يظنون الظلال حقائق ثم ينظر هو فيرى أن الحيوان والنبات والانسان وما أشبهها ما هي إلا صور صوّرت فوق الأرض بأسباب سماوية كضوء الشمس والقمر والكواكب بل نفس النارية بحسب أصلها من آثار ضوء الشمس في الأشجار والنبات وهناك يرى أن السبب الحقيقي لهذه المخلوقات إنما هي الشمس فيرى الليل والنهار والفصول الأربعة واذ ذاك يدهش من هذا الجمال والابداع ويعرف أصل الوجود . اهـ

فهناك ﴿ الأمر الأول ﴾ أهل المغارة يرون خيالات ﴿ الأمر الثاني ﴾ هذه الأجسام الحقيقية والنار المتقدة أصلهما الشمس . فكما أن الخيالات في المغارة لاحقيقة لها هكذا النبات والحيوان وسائر الدواب والنباتان لاحقيقة لها بالنسبة للشمس . فالشمس هي الأصل والمخلوقات على الأرض تتبع لها . ثم إن أهل المغارة أشبهوا أهل الأرض والصور الخيلية في ضوء النار بالمغارة تمثيل لكل جنات ونبات وحيوان ومخلوق على الأرض وضوء النار في المغارة تمثيل لضوء الشمس . فالشمس وما تفرّع عنها من الفصول والدهور وما خلق بسببها من الحيوانات والنباتات خيالات وصور غير ثابتة والوجود الحقيقي هو الخير المحض وهو الله تعالى فما أهل الأرض إلا عوالم لم يعرفوا الحقائق المخبوءة وراء هذا العالم وهو الخير المحض الذي يدركونه إذا نظروا إلى نفوسهم وهذا الخير المحض هو الله تعالى . فانظروا إلى أفلاطون القائل : « إن هذا العالم له مثل (جمع مثال) ونك المثل دائماً وهي عوالم روحانية دائماً وأن هذا العالم فإن وانه يجب علينا أن نطلب ذلك العالم الباقي ونذر هذا الفاني ولا يكون ذلك إلا بالجد والاجتهاد . فكما أن أصحاب المغارة لا يمكنهم أن ينظروا نور القمر ولا نور الشمس إلا تدريجاً بمعنى أن الواحد منهم ينظر بعد خروجه أولاً إلى صور الأشياء في الماء . ثم إلى نجوم الليل في الماء ثم إلى نفس ضوء النجوم ثم إلى ضوء القمر ثم إلى صور الأشياء نهارة في الماء . ثم إلى نفس الأشياء وهكذا كل ذلك بالتدريج ، هكذا لا يمكن الناس أن يصلوا إلى الحقائق إلا تدريجاً بطرق منظمة على طريق الاحتيال والحيلة كلها يجب أن توجه النفس فيها إلى طرق العلم توجهاتاً لا هوادة فيه ولا عوج ، وبدون ذلك لا يقضى نيل المرغوب من الوصول لحقائق الأشياء ويقول إذا عرف الناس ذلك حقروا هذا العالم الفاني وأحبوا الوجود الحق

أقول : ولكن ليس هذا بحسب الطريق التي يتبعها جهلة المسلمين الذائمين . كلا . بل هي طريق العلم والعمل والجد المستمر . كل ذلك تشير له آية - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً - الخ قاله عز وجل أظلم الناس فاستخرجوا النار من الشجر ، ثم ازدادوا علماً بالمتغيرات في عصرنا الحاضر عصر الراديو وعصر أعجب الاختراعات وأظلم الحكماء من الناس فاستخرجوا من الظرف نفوسهم معرفة ربهم فعاشوا في الدنيا مفكرين في اسعاد أنفسهم وأممهم والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الاثنين ١٨ مارس سنة ١٩٢٩

(تذكرة في قوله تعالى - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون -)

(يوم الأحد ٢ فبراير سنة ١٩٣٠ عند صلاة سنة الصبح وأنا أردت آية - وهل أناك حديث

موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً -)

تباركت يا الله وتعاليت ، وأعجبنا كلامك كما أدهشنا صنعك ، ذكرت لنا أنك جعلت لنا من الشجر الأخضر ناراً وبهذا تذكرنا آية - الله نور السموات والأرض - وانك سميت سورة باسم النور ولم تسم سورة باسم النار ، وأن رحمتك سبقت غضبك ، وأن لك شمساً كشفتوها حديثاً لحرارة فيها وليس يخرج منها إلا ضوء وأن الناس اليوم يريدون أن يجردوا أضواء المصاييح من الحرارة البالغة ٩٩ في المائة ويحولوها إلى ضوء وتصبح الحرارة (٤) في المائة والباقي يكون ضوءاً كشمسك التي جعلتها ضوءاً لحرارة فيه ، وتذكرنا قولك

في (سورة الواقعة) - نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين - وهم الذين يكونون في الصحارى المقفرة فيقذحون الزئدين ويستخرجون النار - وقولك - وقودها الناس والحجارة - وقولك - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا -

اللهم إن شأن النار في قولك وفي صنعك لعظيم ، النار صنعك وأنت جيل فمصنوعك جيل يبيع العقول ويحجر الأفكار ، جعلت النار تذكرة كما جعلتها متاعا لنا ، إذن هي لعقولنا تنوير ولأجسامنا تدفئة ولما لنا مخرجة على هيئة مخار من البحار وهوائنا بحرية وهو يحمل سحبنا وهي لبناتنا منمية وحيواننا منشطة وأهلنا الأرضي كله نعمة لا تعدد لأفرادها ولا حد لأوصافها

لولا الحرارة ما كان حيوان ولا إنسان . لولاها لم يكن سحب ولا رياح . النار نعمة من أجل النعم فهي والماء بهما الحياة وبهما الموت . بهما الحياة إذا اعتدلت بالميزان وبهما الموت إذا لم يكن اعتدال . الميزان بيدك وزنت عالمنا وجعلت للنار حدا والماء حدا وقات لهما معا : أدخلنا أجسام كل حيوان وكل نبات وكونا نعمة لأهل الأرض إذا كان هناك نظام وكونا نقمة إذا لم يكن نظام . إن جسم الإنسان فيه حرارة وفيه رطوبة بقدر معلوم فإن زادت الرطوبة المائية حصل الزكام والسل وجيع الأمراض الباردة . وإذا غلبت الحرارة كانت أنواع من الحى وما يماثلها . ومتى اشتد أحدهما هلك الحيوان . إذن لابد من الحرارة مصحوبة بالرطوبة في جسم الحيوان وهذا يشيرله قولك - ومتاعا للمقوين - وقولك لعلى آتاكم منها بقبس - وهذه الحرارة الظاهرة الناجمة من الشمس ومن جميع أنواع النيران المتقدة لها آثار في النفوس تشا كلها . وفي الحديث : إن كل أم يتبعها ولدها ، فإذا رأينا في الأجسام حرارة هكذا نرى في العقول والنفوس حرارة معنوية ولكن هذه أشد من تلك وأدوم . إذا اشتدت الحرارة على الأجسام أهلكتها ولكن إذا اشتدت آثارها كالحسد والغضب والحقد والغيرة والتعصب والطمع وأنواع العداوات وأنواع الحبة والعشق . فشكل هذه إذا غلبت على الروح كانت لها عذابا وأصبا . فإذا أهلكت النار الحسية الحى في لحظة فن النار المعنوية في النفوس تلازمها وتكون لها عذابا وأصبا كما نرى ذلك في متاعى الخمر وأنواع التبغ والحشيش والأفيون فشكل هؤلاء أصبحت نفوسهم فيها نيران الشهوات الخاصة قد لازمتهما ويشير لذلك - إن عذابها كان غراما -

فهذه اللذات التى لا ترحم في مطامبتها للإنسان نيران تطاع على الأفئدة وهي المعبر عنها في القرآن بقوله تعالى - لهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا وعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون - وبقوله تعالى - ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد - وأوضح هذا كله قوله تعالى - ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيت - فادخال النار الجسمية يتبعه الخزى والخزى هو مثل ما نراه في الدنيا من أن الإنسان قد يسلب ماله أو مديكته فيخزى لشتماته الأعداء وفرحهم به . وهذا كله عذاب معنوى أشد من الحسى إذ جعله في الآية أشد من الحسى لأنه سبب الفضيحة والشتمات للعذب بها . فنحن في هذه الدنيا بين (نارين) نار ظاهرة وهي إما معتدلة وهي المتقدة في منازلنا المدبرة لأننا الخابزة لخبزنا الطابخة لطعامنا المجرية لسفنتنا المسيرة لقطرنا ولسياراتنا واطياراتنا ولعرباتنا . فهذه نعمة علينا في الأرض والبحر والهواء وفي أجسامنا وأجسام حيواننا . وأما غير معتدلة وهي التى نشب في مخازننا وفي مدتنا خفاة فتهاك الحوت والنسل . ونار باطنة وهي إما معتدلة فيكون منها الحب المورث انتظام الجماعات واستقامة الأمم . والكراهية المعتدلة التى بها يكون تفرق الجماعات على الأرض ليحصل الانتفاع بقطعها المختلفة . ولو أن الله لم يحمل في القلوب إلا نار المحبة ولم يطفئها بما ضاهاها وهو الغيرة والحسد والتنافس لاجتمع الناس في صعيد واحد في الأرض وهلكوا . ولكن الغيرة والتنافس يورثان التباعد فيكون هناك ازدياد الخيرات والخيرات . فكما كان في النار الظاهرة نعمة لنمو النبات والحيوان ودوران الآلات هكذا في النار الباطنة نعمة . فالحب نار نافعة والبغض نار نافعة إذا كان فيها اعتدال . فإذا لم

يعتدلا وازداد الحب حتى أغشى الحب عن المساوى أو ازدادت الغيرة والغبطة والحسد حتى جاوزت المقداركن
هناك الحرب والايذاء وخراب الديار . فلبارسواء أكانت ظاهرة أم بضعة منفعة لنا وقد يكون فيها الهلاك
وهنا سألنى بعض الاخوان قائلا : أريد تلخيص هذا المقام فهو كثير الشعب لاضابط له . فقلت : انظر
البيان الآتى :

﴿ القبس فرعان وعما : ﴾

- (١) الحرارة
- (٢) الضوء
- (٣) الضوء معنوى يهذى الى العلوم والمعارف
- (٤) حمى بالحواس الخمس المعروفة
- (٥) أما الحرارة فهي معنوية وحسية
- (٦) فالحرارة الحسية إما أن تعادل وإما أن لا تعادل
- (٧) فان اعتدلت فهي المتاع
- (٨) والحرارة التى سميناها متاعا هي إما جامعة وإما منمية وإما مدبرة وإما مثيرة
- (٩) فهي فى نحو الطين والمجبن جامعة وفى النبات والحيوان منمية وآلات الأرض كسكة الحديد
وآلات الماء كالسفن البخارية وآلات الهواء كالطائرات (مدبرة)
- (١٠) وللبحار من البحار والهواء (مثيرة مبهمة) وبهذا تمت أقسام الحرارة المعتدلة التى سميناها متاعا
- (١١) أما الحرارة التى لم تعادل فهي التذكرة وهذه التذكرة تكون طاغية فى الأجسام وفى المدن والحقول
- (١٢) فالطاغية فى الأجسام تحدث أنواع الأمراض كأنواع الحيات
- (١٣) والطاغية فى المدن والحقول تهلك الحرث والنسل . وبهذا تم الكلام على الحرارة الحسية المعتدلة
والتي لم تعادل

﴿ الحرارة المعنوية تنقسم كأقسام الحرارة الحسية المتقدمة ﴾

- (١٤) أما الحرارة المعنوية فهي معتدلة وغير معتدلة
 - (١٥) فن اعتدلت فهي إما مثيرة للعزائم فى الأعمال العظيمة
 - (١٦) وإما مدبرة لنظام الفرد والأسرة والمدينة
 - (١٧) وإما منمية لملك النظم
 - (١٨) وإما جامعة للناس بأنواع المحبة
 - (١٩) والحرارة المعنوية إن لم تعادل فهي إما محدثة لأنواع الأمراض المختلفة
 - (٢٠) وإما موجبة للحرب والقتل بسبب العداوات المفرطة
- ثم قلت : فهذا الجدول المفرع (٢٠) فرعاه تعرف أيها الذكى بعض أسرار قوله تعالى فى هذه السورة
- الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون - فإيقاد النار عادة يكون للمتاع وهذا يناسب
قوله فى ﴿ سورة الواقعة ﴾ - ومتاعا للفقير - وهذه لها تسعة فروع فى هذا الجدول ، وأما التذكرة فى
﴿ سورة الواقعة ﴾ فلها فرعان وهذه هي النار الحسية وتلحق بها المعنوية بقسميها ولها ستة فروع والهدى
المذكور فى ﴿ سورة طه ﴾ له فرعان فقط ، إذن التذكرة والهدى والمتاع والتبس هذه الكمات الأربع
المذكورة فى سور مختلفة تفرعت عليها جميع أعمال هذه الحياة ونظمها ، ثم إن الهدى والتذكرة والمتاع
آثارها فى النفس باقية فان حرارة شوق النفوس الى العلوم وخصيلها على مقتضى تلك الحرارة ومزاولة أنواع

الآلات الصناعية في هذه الحياة تحدث في النفوس ملكات تختلف باختلاف الأشخاص وهذه الملكات عمالية في فروع المنافع علمية في فروع الهدى ولا آخرة ولاجنة ولا لقاء الله في الآخرة ولا مساعدة إلا على مقتضى هذين الأصلين القوى العلمية بالهداية والقوى العملية بمزاولة أعمال منافع هذه الحياة اللهم إني أحمدك على العلم والحكمة وعلى معرفة بعض أسرار التنزيل في كتابك المقدس . إنك أنت الملهم أنت المنعم وأقول ما قاله بعض الصحابة رضوان الله عليهم :

والله لو لا الله ما هتدينا به ولا تصدقنا ولا صلينا

فإننا سكينتنا علينا به وثبت الأقدام إن لاقينا

فأنا يا الله لولا توفيقك وإلهامك ونصرك لعبد ضعيف مثلي ما كتبت حرفاً واحداً وهذا هو قول المسير في الرفع والاعتدال في الصلاة ﴿ اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا راد لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجدة منك الجد ، فلك الحول ولك القوة ولك الملك والملكوت ﴾

فقال صاحبي هذا حسن جداً واضح جميل ولكن هذا الموضوع كان أليق بسورة طه أو بسورة الواقعة فقلت : نعم ولكن لم يفتح الله به إلا في هذه الأيام في أوائل شهر رمضان فأثبتته في أقرب سورة إلى الطبع . فقال : استوف المقام إذن لأنني أرى أن له بقية . فقلت : لأدري ماذا تريد . فقال : أريد إتمام الكلام على قوله تعالى . وهل أنك حديث موسى إذ رأى ناراً . الخ . لم هذا التشويق بجملة . وهل أنك . الخ وعلى الشمس وحرارتها فإن لها بقية صالحة . فقلت : نعم هنا ﴿ فصلان من الفصل الأول ﴾ في التشويق بقوله تعالى . وهل أنك حديث موسى . الخ ﴿ الفصل الثاني ﴾ في إتمام الكلام على حرارة الشمس وضوئها

﴿ الفصل الأول ﴾

(في الكلام على التشويق بقوله تعالى . وهل أنك حديث موسى -)

اعلم أن القصص في القرآن أريد به بعث الهمم وشحذ الأذهان . إن هذه لأهم الأساليب التي نامت في القرون المتأخرة ستسقط من رقتها بمزاولة القرآن واستكناه معانيه . ومما مثل المسلم حين يقرأها أو يستفيد حكمة من أي فرع من فروع العلوم العلوية أو الفلسفية الحسية والعقلية إلا كمثل رجل رأى قافلة متجهة وأهله في منزله لا قوت عندهم وقد انتذروا الطعام وأنواع الأمتعة من هذه القافلة . أو رأى سحاباً أثبات وهو في أشد الجوع والعطش فأقبل اليهم يقول بشراكم ها هي هذه القافلة أثبات أوها هي هذه السحاب ستطركم وهذه عادة كل امرئ مع من يتصل به فهو إذا رأى مغنا قد اقترب وهم في انتظاره أسرع اليهم وبشرهم . وهل هذه إلا حال موسى عليه السلام . رأى ناراً وهو متعب في طلب ﴿ أمرين ﴾ الهداية لله والدفء لأهله التي نضع ولا مغيث لها ولا معين في صحراء طور سيناء . فأراه الله النار في شجرة العليق فبشر أهله بها . وهل هذه الحصة جاءت لمجرد سقظها أو فهمها أو معرفة بلاعتها أو مجرد الايمان بها . كلا . والله فهذه مرتبة المجاز وحغار المعلمين

أيها المسلمون : لا يفر نسكم البلعاء ولا الشعراء ولا صغار العلماء . ألا يعلم المسلمون في أقطار الأرض أن كتب الحكماء ككتاب كيلة ودمنة الذي جاء على السنة الحيوانات قد قبلته جميع الأمم وهذه الحوادث التي فيه كحادثة ابن الملك والطائر (فرد) فإن هذا الطائر كان له فرخ يلعب به ابن الملك فزرق في حجره فقبله فأقبل الطائر ففقأ عين ابن الملك اقتصاصاً لابنه فأراد الملك أن يجمع الطائر ويقول له أقبل ويكون بيننا الصلح فعلم الطائر أنه يريد الغد به فلم يقبل وكانت نتيجة ذلك هذه الحكمة : وأنه لا أمان لعدو قوى له علينا نار وإن أظهر لنا نصرعاً وملاقاً . وكحادثة الجرذ والسنور إذ ضرب مثلاً (لرجل كثير أعداؤه وأحدقوا به من كل جانب فأشرف معهم

على الطلاك فالتمس العجاة والمخرج بموالاة بعض أعدائه ومصالحته فسلم من الحوف وأمن ثم وفى لمن صالحه منهم) ذلك أن الجرد خرج يوما فرأى السنور وقع في شبكة الصياد ورأى ابن عرس خلفه يريد أخذه وفي الشجرة يوم يريد اختطافه أيضا فصالح السنور وهو أحد أعدائه لينجونه ومن الباقي فقطع حباله إلا واحدا حتى لا يغتاله السنور، ولما رأى ابن عرس واليوم اقترابه من عدوهما يتسا منه وانصرفا، فلما أقبل الصياد نحو السنور أقبل الجرد فقطع الحبل الباقي فذبح السنور بذلك كما نجا الجرد وانتهى الأمر

فهاتان الحادثتان يفرح بهما الأطفال والجهال باعتبار ظواهرهما، أما رجال السياسة ورجال الحكمة وهم سادات الأمم في الدنيا والدين، فأنهم يقولون: وإن المقصد أن الأفراد والأمم عليهم أنهم إذا وقعوا في ورطة وتألبت عليهم الأعداء أن يصلحوا بعضهم مع الاحتراس وبهذه المصالحة ينجون من بقية الأعداء ومن نفس ذلك العدو الذي صالحوه، وهذا هو الذي فعله الانكليز إذ صالحوا أمة شريفة هي اليابان إذ حاربت روسيا التي كانت تناوى انكسارها، وهكذا فليفعل الأفراد مع بعضهم، وهذه الطائفة إذا قرأت - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا - تفهم فوق ما يفهمه الجهلاء، فماذا يقولون؟ يقولون إن كل عاقل في الأرض لاسيما المسلمين عليه أن يسعى ﴿لغرضين﴾ الأول ﴿إصلاح حال الأمة من حيث الأمور المادية﴾ الثاني ﴿إصلاحها من حيث الهداية العلمية، وهذان يجمعهما القبس والهداية، فالأول مادي والثاني عقلي وهذا هو نظام الأمم جميعها، فلانظام لأمة يخرج عن هذين الأصلين. وإذا كنا نجد مصالحة الجرد للسنور ونجاته من ابن عرس واليوم جعلت رمزا لمصالحة بعض الدول المعادية أو الجماعات للنجاة من الجميع وهذا سر كلام فيلسوف مخلوق أفلا يكون كلام الله أولى باستنتاج الحكمة والعلم

فقال صاحبي: هذا حسن ولكن هذه المعاني صرح بها في القرآن إذ يقول الله - وخذوا حذركم - ويقول - وإن جنحوا للسلم فاجنح لها - وأمثال ذلك في القرآن كثير فلا نطيل به. فقلت: نعم ولكن للرموز مزية ليست للتصريح. فالرمز آثاره قيمة نافعة عظيمة الأثر. فلنأخذ حكم مسطورة في الكتب ككتاب ﴿الأمثال﴾ للميداني ولهم حكايات مختلفة الأساليب وكأما نرجع لأغراض الحياة. هكذا القرآن فهو كما يقول - ولا يحق المكر السيء إلا بأهله - هو نفسه يذكر عادا وثمودا وأصحاب الرس ويختم أخبارهم باهلاك الكافرين وهذه طرق مختلفة لا بد منها كما اختلف الطعام والشراب والزروع والأدوية. كل ذلك لنظام الحياة على الوجه الأكمل

﴿آية - لعل آتيكم منها بقبس - أيضا وآثارها عند فلاسفة اليونان﴾

كتاب كليله ودمته كتاب هندي ترجم للفارسية وترجه ابن المقفع للعربية وهاتان الحادثتان ذكرناهما هما الجرد والتنظير وإن كان بينهما بون بعيد لأن كتاب ﴿كليله ودمته﴾ قصيد بطواهره الخرافة وبواطنه الحكمة والعلم. أما قصص موسى فظواهره حقيق لأنه نسب إلى نبي مع أهله وهذا السر وقع بخلاف مسألة السنور والجرد فهما خرافيان. وهنا أمر جدير بالتهجب وهو أن القرآن ذكر النار وقبسها والهدى في هذه الآية التي ذكرناها هنا لمناسبة آية - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا - الخ

ذلك أن أفلاطون في جمهوريته ذكر النار في هذه المعاني نفسها قبل نزول القرآن بنحو (٨) قرون وهذا هو معنى قوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - فلازلنا نرى في القرآن آيات قد تقررت وثبتت في العلم والحكمة كالذي تقدم في ﴿سورة النور﴾ إذ يقول الله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ مع أنه لا جبال في السماء ينزل منها برد فظهر بالكشف الحديث أن في السماء جبالا من تلج يصنع فيها البرد (انظر صورته المأخوذة ومعها الطيارة التي كان فيها المصور تصور أشمسيا هناك) فهذه آية استبانت في العلم الحديث وذكرها القرآن قبل ذلك بنحو (١٣) قرنا وهكذا آية - أولم ير الذين كفروا أن

السموات والأرض كأننا ارتقا - الخ فهذه نظم الإلحاد إذ ظم لأهل العلم أن الأرض والكواكب السيارة مشتقات من الشمس وهكذا سيأتي في ﴿سورة الحديد﴾ أن الأقباط بتصرف عثروا حديث على أن الرهبانية ليست من أصل الدين المسيحي ولكنها ابتدعها رجل مصري في القرن الثالث المسيحي خاف من الوثنيين الرومانيين الذين يحكمون البلاد فذر إلى الجبال وتبطل فمجا صار ذلك سنة وهذا قوة تعالى - ورهبانية ابتدعوها - وأثبت بعض الأقباط في كتاب «الخريدة النيسة» في تاريخ الكنيسة ذلك وفلوا لنكون نعرف هذا إلا في زماننا ، فهكذا هذه الآية فإن قبس النار وألهى قد جاء في كتاب ﴿جمهورية أفلاطون﴾ فهي آيات بينات في صدور الذين أدتوا العلم من اليونان وجاء بها الوحى ، فإذن طابق الوحى الحكمة والفلسفة وأصبحت أقاويل الفلاسفة شروحا لآيات القرآن سواء كانت قديمة العهد أم حديثة أم مستتيلة ، وهالك مذهب المتألة السابعة من جمهوريته ، وقد كتبنا لها ملخصا وجيزا في ﴿سورة الأنعام﴾ عند آية إبراهيم وأنه رأى كوكبا الخ فلنوسع المقال فيها هنا فنقول :

فل ما ملخصه : وإذا أردنا أن نعرف حال النفس الانسانية علما وجهلا فلننتصوّر مغارة عميقة خلفها نار فيها أناس قد وضعوا في الأغلال وظهورهم إلى تلك النار وجوههم موجهة إلى الجهة الأخرى فلم يروا من الوجود إلا أشعة تلك النار قد أضأت مآلئهم من حائط المغارة وهناك أمام النار خفف ظهورهم حائط مرتفع وبين النار والحائط طريق يمر فيه أناس يحملون تمائيل مختلفة من أمتعة وحيوانات ونبات وجادات ، ولأرباب أن النار المتقدة تحمل تلك الصور فتلتقيها مع الحائط بضوئها فيرونها ،

فأصحاب المغارة هم ضرب مثل لنا نحن سكان هذه الأرض ، فهم لا يرون إلا الضوء والأشباح المصورة فيه فلا يرب يسمونها بأسماء مختلفة ، فإذا تبع أحدهم وخرج من بينهم فرضا وأراد مقابلة الشمس فرمى على فلا سبيل له إلا أن يدبر أولا ظلال الأشياء خارج المغارة ثم ظلالها في الماء ثم نفس الأشياء ثم صور النجوم في الماء أعلام نفس النجوم في السماء ثم صورة القمر في الماء ثم نفس القمر وضوءه ثم يرى صورة الشمس في الماء ثم نفس الشمس وضوءها ، وهناك يعلم علما ليس بالظن أن الأشباح التي يراها أصحاب المغارة ليست حقائق بل هي خيالات لصور المواليد الثلاثة وغيرها مما على الأرض ، وكل ما على الأرض من حيوان ونبات وجاد هي حقائق تلك التماثيل وهذه نتائج للشمس . فهنا أربع مراتب : الظلال ، التماثيل ، نفس الأشياء من نبات وحيوان الخ ، الشمس . فلأصل الشمس وغيرها عنها وجد وأقلها مرتبة الظلال في المغارة . إذن فكفى نفسه وقال إن لي أخوة بالمغارة فلا بد من أن أرجع إليهم ، فإذا تصورنا رجوعه إليهم فإنه أولا لا يقدر أن يعي في الظلام كما كان معهم لا تدريجا ، فإذا استقر قراره وألقى عصاه واستقر به النوى هنالك يخاطبهم بما يقرب إلى أفهامهم لا بنفس الحقائق لئلا يكذبوه ولأنه إذا قال هناك شمس وهناك نجوم وهناك حيوان ونبات هي أصل هذه التماثيل كذبوه فهو يسلك معهم سبيل الحكمة فلا يزال يعلمهم حتى يعرفوا منه أن هذه الأشباح أصولا هي التماثيل والتمائيل صور للمواليد الثلاثة ونحوها وكل هذه من الشمس بل نفس النار المتقدة الأصل فيها ضوء الشمس إذ لولاها لم تكن ويفهمهم الفصول الأربعة والسنين وكل شئ وهناك يكون أصل هذه المغارة طوائف ثلاثة : مصدقون ومكذبون وشاكرون متحيرين ، وهذا كله مثل حالنا نحن فإن المغارة هي عالمنا المحسوس والنار ضوء الشمس والذي خرج من بين أهل المغارة هي نفس الفيلسوف مثلا إذا عرف الحقائق ورجوعه ثانيا إلى أهل المغارة مثل لارشاده لأهل بلاده وتعليمهم شفقة عليهم . فالشمس بدل النار عبرها عن الله وضوءها بدل ضوء النار عبره عن إفاضة رحماته ونفس المخلوقات حية وغير حية بدل التي سميت ﴿بالمثل الأفلاطونية﴾ وهي عوالم روحية وهذه المخلوقات صور لها ظاهرة ونحن أهل الأرض مثل أهل المغارة والأنبياء والحكماء مثل ذلك الذي خرج من بينهم فعرف ورجع ليرشدهم

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)
(١) الله	تدبيره	المثل الأفلاطونية	نحن أهل الأرض	(١) نوتقاء نفس
(٢) الشمس	نضوء	العالم المحسوس	سكان المغارة	الفيلسوف وتلميذه لأمته
(٣) النار	ضوء النار	ظلاله في المغارة	تصويرهم لتلك الظلال	(٢) خروج أحد سكان المغارة ثم تعليمهم ثانيا
				(٣) اختلاف أهل المغارة في قولهم لمهم واختلاف الناس في أقوال فيلسوفهم وكل معلم لهم

هناك تدرك النفس حقائق الأشياء وترى أن هذه العوالم آثار العالم المعاني فتتوجه الى مبدع هذا النظام ثم قال : ولا سبيل لتعليم رؤساء الجمهورية الحقائق إلا بالتعود على الرياضات البدنية والموسيقى ولا بد من امتحانهم في المخاطر والصبر عن الملذذ وهكذا علوم الحساب والهندسة والطب ثم الموسيقى لتتعود النفس المراقبة الدائمة ثم يتلو ذلك الأعمال الحربية مدة عامين أو ثلاثة ثم علوم الرياضيات كرة أخرى فإذا بلغ الـ (٣٥) سنة فلينتقل الى تعلم معرفة الخيرات والخسائر والجواهر العقلية وهذا العلم هو الأصل وبقية الموجودات كالتحليل بالنسبة له بل هو الحقيقة وكل العلوم ظنون ، وهذا يكون في خمس سنين ثم يدربون على الأعمال الحربية وغيرها ثم تسلم لهم المدينة في سن الحسين اهـ

هذا ملخص الكتاب السابع من جمهورية أفلاطون ، وهل هذا الفصل كله إلا صدى لصوت موسى إذ قال لأهله امكثوا في أنست نارا لعل آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، ولست أقول إن أفلاطون قرأ هذه الآية فهذا مستحيل لأنها نزلت بعده بقرن ، ولكني أقول هذا كلام الله وكلام الله آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ، ومن الذين أوتوا العلم أفلاطون وأفلاطون ذكر أن أحد أهل المغارة عرف فرجع وعلم أخوانه وهو نفسه حكاية موسى إذ رأى نارا فرجا أن تكون له مخرجا في أمر المعاش بالقبس من حيث حرارتها وأمر المعاد بالهدى من حيث ضوءها ، وهذا هو ملخص الكتاب السابع لأفلاطون فهو استنتاج من النار على حائط المغارة نتائج أوصلته الى الشمس ثم الى الله . وهذا هو نفس الهدى الذي جاء على لسان موسى إذ قال - أو أجد على النار هدى - فهذا الفيلسوف وجد على النار هدى بالبحث دله على الله والنبي موسى عليه السلام نودي أن يورك من في النار ومن حولها فجاءه الهدى بطريق الوحي عند النار اللهم إني أجدك على العلم وأجدك على التوفيق ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، اللهم إني أنت اللهم والمعلم ولوتركتني وشأن في هذا التفسير لم تكن لي قدرة أن أوازن ما بين كلام أفلاطون وهذه الآيات القرآنية ولم يكن لي من العلم ما يجمع بين هذه الأمور المتباينة ظاهرا المتشاكاة حقيقة

أيها المسلمون : كفى نوما . ها هوذا موسى عليه السلام يقول لأهله - إني آنست نارا - وها هي ذه الحكمة في أقطار الأرض يتعامها الناس وهذه الجمهورية الأفلاطونية تدرس في سائر أنحاء الغرب والشرق ومقالاتها في تربية الجنود والجيش والتدريب بتردد صداها بين أهل أوروبا الذين تنظرون لهم نظر الاعظام والاحلال . إذن علوم الحكمة قبس من أنوار القرآن ، إذن لتدرسوا كل حكمة وعلم . ومن قرأ هذا التفسير أو أكثره فانه لا محالة لا يستقر له قرار ولا يكون له اضطراب إلا اذا سعى سعيا حثيثا لرفق الأمم الإسلامية بل جميع الانسانية في الأرض . فليقل كل قرىء لهذا التفسير أو نحوه لأتمته - إني آنست نارا لعل آتيكم منها بقبس

أرأيد على التارهدى -

هذا ما خطرلى فى صلاة الصبح فى التاريخ المتقدم اجدا وكان تفصيله وقت الكتابة . انتهى الكلام على الفصل الأول فى التشويق بقوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى -

﴿ الفصل الثانى ﴾

(فى انعم الكلام على حرارة الشمس)

معلوم أن الشمس تشع منها حرارة وضوء والحرارة تثير البخر وتثير الهواء وتثير السحاب ، وهذه ادتارات الثلاثة يراد بها تهيئة أغذية الحيوان والانسان وراحتهما واهما دهما ، فهنا ساقى الشمس بأمر الله ماء وهواء للعالم الحيوانى ، فلم يكن الغذاء ولم يكن الدواء ولا الروائح العطرية ولا اللذائذ الذوق واللس وجبال المبصرات آتيا من الشمس مباشرة بل اتخذ السابير الالهى واسطة بين الشمس وبين الحيوان والانسان ، ولكن الشمس التى هى مصدر هذا كله لا تقف عند هذا الحد ، فهى بحرارته تحيط بحجم الحيوان كل يوم فتحيى الأحياء الذرية وهى (المكروبات) بنفسها لايواسطة وتعمل فى الحومع المادة الملونة (كلوروفيل) العائمة فى وسط السائل الداخلى فى فتحات الأوراق اللاتى تعد عتات وبألوف وبلايين فى الورقة الواحدة ، انظره فى قوله تعالى - سبحانه الذى خلق الأزواج كلها - الخ الذى تقدم قريبا وبهذا الاتحاد بين ضوء الشمس وبين تلك المادة تجذب الورقة المادة الكربونية من الهواء وهذه المادة بها حياة الشجرة وقيام هيكلها وصالح حالها وظهور أزهارها وأثمارها وجبالها وحسنها وبهايتها . إذن الشمس نعمت الأحياء بواسطة الهواء والماء تارة وبفسها تارة أخرى . انتهت اللطيفة السابعة

﴿ اللطيفة الثامنة ﴾

(فى قوله تعالى - فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ -)

وذلك فى بيان شكل الكون وسدمه والكشف الحديث للملايين النجوم . أما شكل الكون اجالا فهناك ما جاء فى ﴿ المقتطف ﴾ وهذا نصه :

﴿ شكل الكون وعظمته ﴾

ارتضى الفيلسوف (فيثاغورس) فى القرن الخامس قبل المسيح أن الأرض كرة فوضع أساس علم الكون (كوسمولوجيا) ولكنه وجد من الصعوبة هو وتلاميذه فى اثبات رأيه ما نجده الآن لاثبات ما يراه علماء عصرنا فى شكل الكون وعظمته . والرأى المعول عليه الآن أن الكون كرة محوقة اذا سار النور من الطرف الواحد منها الى الطرف الاخر مارا بمركزها استغرق سيرة مائة مليون سنة مع أنه يقطع فى الثانية من الزمان (١٨٦٠٠٠) ميل ولعوالم كلها أى نجوم المجرة التى شمستنا منها والسادام كلها عوالم مثل المجرة وهى سابعة مثله فى فراغ هذا الكون . ويظهر فى بادىء الرأى أن تصور ذلك ضرب من المحل لكثرة هذه الملايين . ولكن مامن أحد يتعذر عليه أن يقابل بين حبة رمل وبين جبل كبير كجبل المقطم فى مصر أو كجبل صين فى لبنان . حبة الرمل اذا كان قطرها ربع المليمتر تهل رؤيتها ويهل لمسها واذا تصلت بالطعام فسهل مر بها ونحن نخضعه وتأنم من احتكاكها بأسنانتنا ومع ذلك فسميتها الى جبل مثل جبل صين من قاعه الى قمته كنسبة واحد الى نحو ألف مليون مليون مليون والى الأرض كلها كنسبة واحد الى ستة ملايين مليون مليون مليون مليون . وأما سده فهناك ما جاء فى إحدى المجلات وهذا نصه :

« قد يفوق السدم بعض عالما المجرى (١) فى المنظمة ولزهاء . وتنبأ (هرشل) بأننا اذا بحثنا فى كنه

(١) نسبة الى نهر المجرة وأسمه فى العامية (سكة اللبن) وهو مجموعة من النجوم المتكاثرة تظهر لنا فى

هذه السدم فالتا سجد بعضها يختلف اختلافا يبا عن كنهه النجوم ، وقد تحققت نبوءة هرشل هذه عام ١٨٦٤ حين حلل ولیم هاجنز أطراف السدم فوجد لديها مختلف اختلاف بينا عن أضيف سترانجكوم وتدل دلالة واضحة على أن ثلث عدد السدم على الأقل من مددة غارية متخذهة ، وقد تقسم البحث في طبائع السدم تقسما كبيرا عند ما بدى في استعمال طريقة التصوير الفوتوغرافي في الأرصاد الفلكية ، ففي عام ١٨٨٠ نجح هنرى دريبر في الحصول على أول صورة فوتوغرافية للسديم الأكبر في برج الجبار ثم إن مكن دريبر أن يحصل في عام ١٨٨٨ لأول مرة على صورة ظاهرة فيها النظام المماثل للسديم الأكبر في برج أندروميديا (انظر شكل ٧٩) بأن عرضا لوحا فوتوغرافيا لمدة ثلاث ساعات أمام منظار عاكس قطره عشرون بوصة . ويبلغ عدد السدم التي تمكن تصويرها بواسطة أحدث المنظارات اليوم في أنحاء السماء نحو المليون ، وتقسم السدم بوجه عام إلى قسمين : بحرية ولا بحرية وذلك على حسب قربها أو بعدها عن العالم المجري . والرأى السائد أن السدم اللا بحرية تمثل عالمين في درجات متقاربة من أدوار تطورها . وقد سميت هذه العوالم بالجزر العالمية وبناء على هذا الرأى يكون هناك مئات الآلاف من هذه الجزر العالمية متباعدة الواحدة عن الأخرى بما يقدر بملايين السنين الضوئية ^(١) وقد قدر شدتلى قطر السديم الأكبر في برج أندروميديا بمقدار ٤٥٠٠٠ سنة ضوئية وقدر قطر السديم المرموز له بالرمز (م) بحوالى ١٥٠٠٠ سنة ضوئية . وهذه الأبعاد وإن كانت تقل عن قطر عالمنا المجري إلا أنها كبيرة كبرا كافيا بحيث تسمح لنا باعتبار هذه السدم عوالم مستقلة (انظر شكل ٨٠)

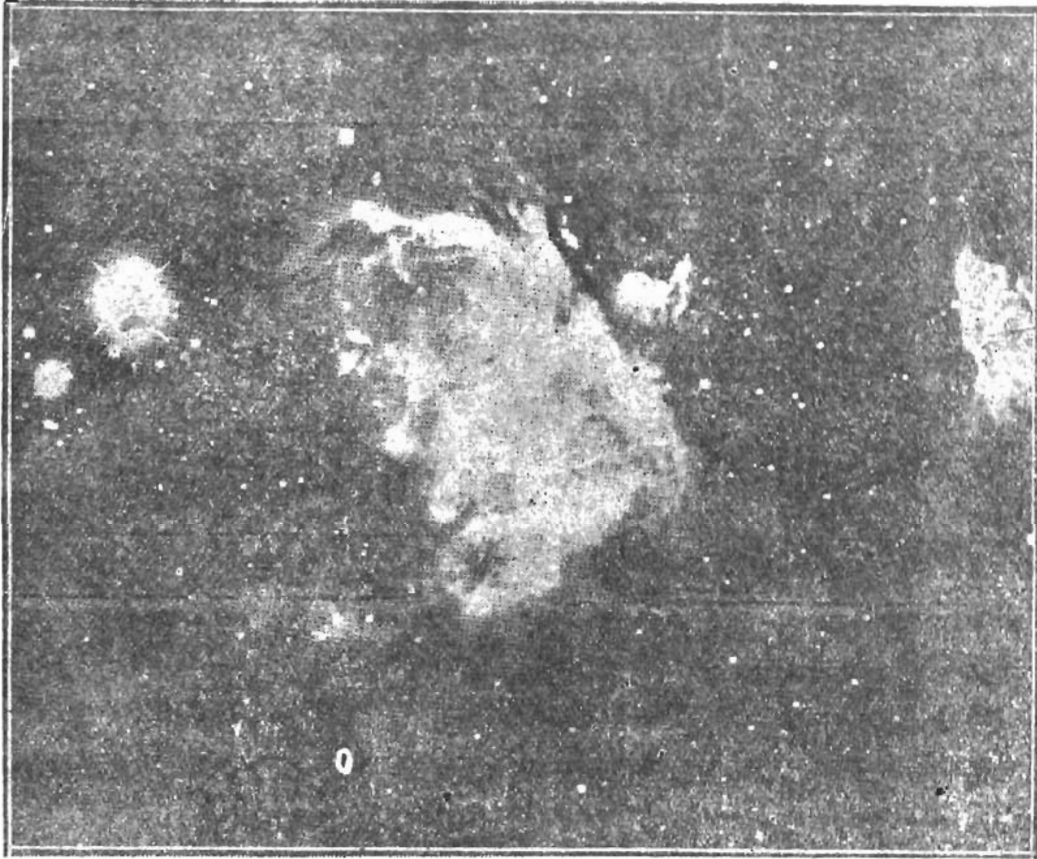
على مصطفى مشرفة



(شكل ٧٩ — السديم الأكبر في برج أندروميديا)

(صورت يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠١ برصد بركنس)

عرض السماء كنهه مضى . والعالم المجري مؤلف من المجموعة الشمسية وسائر نجوم نهر المجرة
(١) السنة الضوئية هي ما يقطعه الضوء من المسافة في السنة وتساوى نحو ستة ملايين الملايين من الأميال



(شكل ٨٠ - السديم الأكبر في برج الجبار)
(صورت يوم ١٩ أكتوبر ١٩٠١ بمصدير كس)

﴿ نور العلم في أواخر هذه السورة ﴾

- (١) انحصر العلم اليوم في النور
- (٢) ليس في الدنيا مادة محقة
- (٣) كل ما نراه أو نسمعه أو نشمه أو نذوقه أو نلمسه إن هو إلا حركات
- (٤) اقرأ هذا المقام فيما تقدم في ﴿ سورة النور ﴾ تحت عنوان ﴿ قلادة ماء ﴾ عند آية - الله نور السموات والأرض - الخ فهناك تجد الذرات المائية ترجع إلى الكهربياء السالبة والكهربياء الموجبة التي يجرى أوطها حول ثنائيا ستة آلاف مليون مليون في الثانية الواحدة
- (٥) فنقص عدد الحركات كانت المظاهر غير ذلك كأن نحس بها نورا وهو ينحصر في عديدين (٤٠٠) ٧٠٠ مليون مليون مرة في الثانية فأدناها لون الحرة وأعلها البنفسجي
- (٦) وإن زادت سرعة الحركات عم تقدم في الحال الرابعة كان عند ما نشمه ونذوقه ونلمسه من المواد كالحديد والنحاس وما أشبه ذلك
- (٧) إذن العاة الذي نعيش فيه حركات والحركات بتقوعها صارت كهربياء ونورا وماء وحديدا ورصاصا
- (٨) وهذه المظاهر التي أحدثها الحركة يحفظها نظام بديع جميل يختلف باختلافها

(٩) خذ لك مثلاً عرف علماء القرن التاسع عشر في النصف الأول منه أن كل عنصر من العناصر الكيميائية لن يدخل في تركيب مادة إلا بنسبة خاصة لا يتعداها هي ومضاعفاتها وسمى ذلك عندهم ﴿قانون النسب المضاعفة﴾ وقد تقدم بعضه في ﴿سورة البقرة﴾ عند آية - وإذ قل إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى - الخ فلا كسوجين له رقم (١٦) وللكربون رقم (١٢) فإن يدخل الأكسوجين مع الكربون إلا على هذا العدد أو مضاعفاته كما أن الجرثومة الأولى التي يتكوّن منها الحيوان والنبات تسير على طريقة المضاعفة أيضا (١-٢-٤-٨-١٦-٣٢) وهكذا، اقرأ هذا المقام في ﴿سورة مريم﴾ إذ ترى هناك أن هذه العوالم كلها عند تركيبها تسير على طريقة المضاعفات في رقعة الشطرنج، فحسب الإنسان والحيوان والنبات لا يتعدى نظرية الفيلسوف (صه بن داهر) الحكيم الهندي الذي طلب من الملك أن يمنحه حبات برتكون بحسب المضاعفات المبدوءة بعدد (١-٢-٤) المنتهية بعدد (٦٤) وقد ظهر هناك أن الفصح المزروع في الأرض كلها سنين وسنين لا يبلغ مبلغه - أقول : فظهر هذه المسألة التاريخية جيع مركبات الأجسام الحيوانية والنباتية ، فالمسألة التي ذكرناها هنا وهي تركيب الأكسوجين مع الكربون على هذا النمط تسير هي وغيرها فيكون التركيب فيهما (٣٢) من الأكسوجين مع (١٢) من الكربون أو (١٦) من الأول مع (٢٤) من الآخر وهكذا ، والقرات التي حسبها أولئك العلماء في القرن الماضي وبنوا عليها ما تقدم وعلى رأسهم (دالتن) وظنوا أنها لن تتجزأ بعد ذلك أصبحت في قرنا هذا مجزأة بحيث أن أخف ذرة من تلك الذرات يحال إلى (١٨٥٠) جزأ يسمونه (الكترن) وهذا الالكترن إلا نقطة كهربائية ، إذن الدنيا كلها نقط كهربائية كالذي تقدم في ﴿قطرة الماء﴾ في ﴿سورة النور﴾ ومن هذا الباب عرف العلماء اليوم أن العناصر التي كشفوها وهي نحو (٧٠) ليست ثابتة فكل عنصر منها يمكن أن يحول إلى غيره مثل ما وجدوا أن الراديوم استخرج منه عنصر الهليوم وعنصر الرصاص المعلوم الذي تصنع منه الأنابيب

(١٠) الأستاذ (السيرارست رذرفرد) الأستاذ بجامعة كامبردج حوّل عنصري الأوزون وهو (غاز) طبعاً يكون في الهواء الجوى إلى عنصري الأيدروجين الذي هو أحد عنصري الماء وقد حصل على الأيدروجين من العناصر الآتية وهي : (البور ، الفلور ، الصوديوم ، الألومنيوم ، الفسفور)

(١١) إذن لا حواجز تحجز المواد أن ينقلب بعضها إلى بعض وثبت ثبوتاً لا ريب فيه لعلماء عصرنا أن العالم كله نقط كهربائية ، إذن نحن اليوم جيعاً في مواد نارية ولكنها ماطقة بهذه المظاهر ولم يعرف الناس ذلك إلا بالتحليل الذي تشير له حروف أوائل السور ومنها الياء والسين ، ومن نتائجها أن الشجر الأخضر اتقد نارا ، فإذا كان الكون كله نارا والشجر الأخضر المذكور في الآية ضرب مثل له كله ، فلنحجب إذن من القرآن وعالمه التي تنطبق كل الانطباق على مباحث علماء العصر الحاضر . فعلماء عصرنا يقولون كما سمعته الآن إن الذرات الكهربائية ركبت منها حواسنا هذه المظاهر كلها والقرآن يحلل الحروف في أوائل السور ويذكر أن الشجر الكثيف الجسم حوّل إلى نار بالاحتكاك . ثم انتقل إلى المقصود إلى ما هو أدق فقال : - إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون -

إن الإنسان إذا نطق فلامعنى لنطقه إلا حركات في الهواء إن نقصت عن (٣٢) حركة في الثانية لم نسمعها وإن زادت عن (٣٢) ألف حركة في الثانية لم نسمعها كما أن الحركات في الأنبر إن نقصت عن (٤٠٠) مليون مليون لم نرها وإن زادت عن (٧٠٠) مليون مليون لم نرها . إذن لاصوت ولا حرارة إلا بحركات ذات عدد مخصوص فلا فرق إذن بين كلامنا وبين ضوء الكواكب وغيرها في أنها كلها حركات . فكما أن نطقنا بالكلام توجد به عوالم الكلام هكذا تحريك الله للأثير يصدر عنه الأنوار وجيع المواد . إذن الوجود كله أمر أشبه بالمعنوى تنوعت مظاهره . لذلك ختم السورة بالحقيقة فقال تعالى : - فسبحان الذي بيده

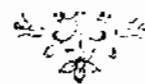
ملكوت كل شيء - ذلك لأنها كلها أمور جمات ، ظاهرة هو والافهى لاشئ
 يا عجبنا : اتفق العلم والقرآن اليوم اتفاقا بديعا ، ومن أعجب العجب أن تكون الآراء العلمية التي تحفظها
 عقولنا ماهي إلا حركات فكرية . إذن الأجسام كلها حركات نارية والمعاني كلها حركات فكرية قائمات
 بعقولنا . فكما أن الحركات القائمة بالأنبر كقوت ماسميناه مادة بحسب الظاهر هكذا الحركات القائمة بعقولنا
 كقوت ماسميناه علما . ونحن الى الآن لم نعرف ماهو الأنبر الذي جرت فيه هذه الحركات الظاهرية ولا
 ماهي أرواحنا التي جرت فيها الحركات التي سميناها علوما

فياليت شعري هل يعرف الناس بعدنا سر هذه الروح وسر هذا الأنبر ولكننا نكتفي الآن بهذه الكلمة
 - بيده ملكوت كل شيء - ولما كانت النتيجة من هذا الوجود انما هي الأرواح التي تربي فيه بالعلم والأخلاق
 ختم السورة بقوله - واليه ترجعون - وأرواحكم تحمل عاما وأخلاقا وعلى مقتضاها تكون درجاتكم .
 إذن الحركات التي بها ظهرت المادة نتيجهتها الأخيرة الحركات التي سميناها علما وهي التي بها تعلق العوالم الروحية
 - وان الى ربك المنتهى - كتب في صبيحة يوم الأحد ٢٩ يونيو سنة ١٩٣٠ م

(تذكرة)

قد كنت كذبت جملة مختصرة من أقوال أفلاطون قريبا وهي من تلخيص العلامة (مقتلانه) التلياني .
 ولما طلعت عليها كادلة في نفس الكتاب المنشور حديثا فرحت بنعمة العلم وكتبتها تامة مفصلة والتفصيل بحسن
 بعد الاجمال والحمد لله رب العالمين

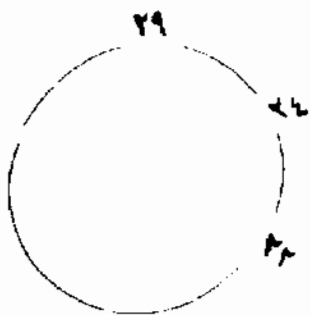
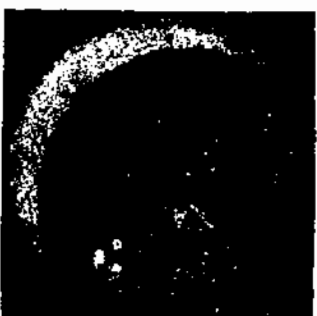
(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السابع عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن
 الكريم . ويليه الجزء الثامن عشر وأوله تفسير سورة الصافات)



(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهههههه :

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
و ٣	ر ٣	٢٥	٦٨	القائم	القائم	٧	٥
١٢	١٤	٢	٦٩	بالنسبة	النسبة	٢	٨
النشا	بالشادر	٤	٧٤	جسمين	جسمي	٣	٨
الى الاثنا عشرى	الاثناعشرى	٣٠	٧٤	هو	وهو	١٠	٨
شكل ١٠	نمرة ١ شكل ١	١٢	٧٩	تقول	تقول	٢	٢٣
شكل ١٠	نمرة ١ شكل ١	١٩	٧٩	اصوان	اصوان	١٣	٢٥
شكل ١٠	نمرة ١ شكل ١	٢٤	٧٩	ناران	ناراني	١٠	٢٧
والشعور	ولشعور	٦	٨٢	هنا	هنا	٢١	٢٩
أشرفت	أشرفت	٦	٨٩	مهلكا لأهل	طبعة تسمد	٣١	٣٩
لاسلك	ولاسلك	٢٣	٩٥	الكورنين	الكورنين	٦	٤٣
عمودا	عامودا	٢٣	٩٦	السنخ	السنخ	٩	٤٣
ايقل	ايقل	٢٨	٩٦	البلاغرا	البلاغرا	١٧	٤٣
تصل	اتصل	١١	٩٧	قريبا	قريبا	١٥	٤٥
	فتسكون	٢	١٠١	برث	برث	١٧	٤٦
بهجة	بهجة	٢٢	١٠١	لونية	لونية	٢	٤٧
ولا	وليس يوجد	١٠	١٠٦	إن	إن	١٢	٤٨
البالون	البالون	٣	١١١	أحد عشر	أحد عشر	٣	٥٠
عليهم الطوفان والجراد	عليهم الجراد	١٧	١١٥	على أن الفائدة	أن الفائدة	١	٥٤
انى أقول	إنى قول	١٠	١٢٨	شيكاكو	بشيكاكو	٢	٥٥
والحيوان	وأكثر الحيوان	١٩	١٣٣	من الغابات	من الغابات	٦	٥٥
فى الذرية	وفى الذرية	٢٨	١٣٤	صورهم	صورهم	٣٥	٥٦
الرابع	الثالث	٣٣	١٤٢	إذ	إذ ان	٢	٥٩
نحي الموتى	نحي	١١	١٤٣	الفحم	الفحم الحبرى	٣١	٦٠
بمشيته	بمشيته	٣٢	١٤٥	إلا منذ حسين	إلا حسين	١٢	٦١
وهذا هنا كما ختم	ثم ختم السورة	٣	١٤٩	الرؤيا	الرؤيا	٢٩	٦٤
السورة السابقة				والأسفلت	والاسفلت	٢	٦٥
المزهرات	الى وكل شئ الخ	٥	١٤٩	سرا	سر	٢٤	٦٥
	المزهرات	٢٥	١٤٩	أبحصل	هل يحصل	٤	٦٦

صواب	خطأ	صحيفة
فإنهم جعلوا	جعلوا	٨١٦٥
		١٦١٨٩
<u>٣ ١ ٣٠</u>	<u>٣٠ ١ ٣</u>	٢٠ ١٨٩
وإد واحد	واحد	١٧ ١٩٠
وأريانا	ورأينا	٤ ١٧٨
سبعيه	أسبعيه	٣٠ ١٧٨
من	ومن	٢٤ ١٨٣
في السماء	في السما	٢٢ ١٩٣
اليك النزولا	اليه النزولا	٢٣ ١٩٣
النظام الشمسي	النظام الرسمي	٦ ١٩٥
		١٦ ١٩٧
(شكل ٤٧)	(شكل ٤٦)	
القمر بين التربع الأخير والهلل	(التربع الأخير)	
الشرطان	السرطان	٢٨ ١٩٨
ويعرفون	يعرفون	٣٠ ١٩٨
أثباته هنا وهذا نصه	جاء في كتاب العقد الفريد ما نصه	٣ ٢٠٠
	أثباته هنا	٥ ٢٠٠
	بسقه	١٣ ٢٠٧
	النديه	١٨ ٢٠٧
السجدة	لقمات	١٦ ٢١٣
جرأوا	جرأونا	١٢ ٢١٩

فهرست

(الجزء السابع عشر)

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيحة

- ٢ في آخر سورة سبأ عذاب الكافرين بشكهم وفي أول سورة فطر ذكر الملائكة الذين يهيمون بالمؤمنين العزم في الحياة ويبدشرونهم بعد الموت . وابتدئت الفاتحة بالحمد لله رب العالمين . والآنعام تفصيل الحمد عليه الى ظلام وضياء الخ والكهف للتصرف في العالم العتلى وسبأ للتصرف في العالم المادى الذى هو نتائج وفى فاطر لعالم الملائكة
- ٣ فالحمد في الفاتحة على مجمل وفى الأنعام على تفصيل التكليف والاعيان وفى الكهف على مايزين العقول وفى سبأ بأنواع الجلال الأرضى وبما خزن الأولون للآخرين من مال وكال ، وفى سورة فطر بنهاية النهايات وهو عالم الملائكة ، ونفس هذا الترتيب فى الحمد بحسب السور يرشدنا الى أن الأعلى لا يعرف إلا بعد الأدنى ، إن ذكر الملائكة فى أول السورة مقدمة لآية - اليه يصعد الكلم الطيب - كما أن درجات العاملين ثلاث هكذا الملائكة ذوو أجنحة مثنى وثلاث ورباع
- ٤ تقسيم السورة الى ثلاث مقامات : المقام الأول : فى تفسير البسملة وفى قوله تعالى - والذى أوحينا اليك من الكتاب - الخ وههنا إيضاح المسألة المشهورة المعقدة التى ضل بها كثير من الخاصة فضلا عن العامة وهى ان اشتراك اللفظ بين الخالق والمخلوق فى الأسماء مثل الرحيم الغفور الشكور الخ أوقع اللبس فى القلوب فضل قوم به واعتقدوا الألوهية فى بعض آل البيت وهذه عقيدة زائفة انحدرت عن الأمم القديمة كالبراهمة وقدماء المصريين وأمثالهم ، تلك الأمم التى توارثت ديانات ظواهرها تعدد الآلهة لتبقى سلطة رجال الدين عليهم وبواطنها التوحيد ، وهذا اجماع الديانات القديمة كلها وتوارثها الباطنية وأدخلوا فى الملة حساب الجمل وجاء ابن الصباح فقع العلم كما تقدم وأرجع الأمر الى الامام المعصوم
- ٦ فكل مايتناقله بعض رجال الصوفية من ألوهية بعض الأئمة ونصرفهم إن هو إلا ترديد لصدى صوت جهال الأمم القديمة وهو نوع من التشيع سرى الى متأخريهم ولم يكن ذلك عند متقدميهم ، والديانة البرهمية مؤسسة على ألوهية (برهما) و(نشو) و(سيغا) أى الخالق الحافظ الذى يقبلهم من حال الى حال ، فهى صفات جعلوها آلهة ونصبوا لها الأصنام تضليلا للشعوب . وكل ما نقل عن الصوفية الصادقين مثل أبى يزيد البسطامى إذ يقول : « انسأخت عن نفسى فإذا أنا هو » وقول بعضهم « أنا الحق » فذلك كله مؤول يرجع الى صفاء النفوس لا الاتحاد ولا الحلول . وتحقيق الأمر أن نقول :
- (١) إن صفة العبد إما تكون مماثلة لصفة الرب بحيث يكون محيطا بجميع المعلومات خالقا لجميع المخلوقات . فهو إذن خالق لنفسه والعبدان يخلق كل منهما الآخر وهذا باطل عقلا والولاية يستحيل أن تكون آتية بالمستحيل
- (٢) وإذا قلنا صفة الله نفسها انتقلت من الله للعبد فهو مستحيل . وهل للصفات انتقال ؟ وبهذا يصبح الرب ليس ربا وهو تناقض
- (٣) واتحاد الرب مع العبد محال . فهل يكون زيد نفسه عين عمرو ؟ وهل يكون البياض عين السواد ؟ أو هذا البياض ذلك البياض . فإذا استحال اتحاد الجواهر والأعراض فاتحاد أحدهما مع خالق العالم محال من باب أولى

(٤) والحوال إما أن يكون لجسم في مكان كالنسبة بين زيد ومكانه الذي يجلس فيه ، وإما أن يكون لعرض في جوهر كلبياض بالنسبة للوصوف به ، ومعلوم أن الله لا هو جسم ولا هو عرض حتى يحتاج الى مكان ليحل فيه ، على أن صفات الحال لا تنتقل الى محلّه وبالعكس ، إذن بطل مماثلة صفات العبد لصفات الله وانتقال الصفات والاتحاد والحوال ولم يبق إلا الاشتراك اللفظي لا غير . فأسماء الله الحسنى معانيها بالنسبة لله غير معانيها بالنسبة للناس . واذن زالت هذه الضلالة بهذا البرهان

ثم اعلم أن انتشار هذه العقائد بين الأمم مبنى على مراتب الناس في الاستعداد فهم في عقائدهم أشبه بمراتب الأحياء من حيوانات تعيش في التراب وأخرى في الهواء النقي وبعضها يأكل الثمار وبعضها لا تعيش إلا على القاذورات . وإني أرى أن هذه الأرض معرض لصور تتجلى لحكامها فهي كدار الصور المتحركة أو هي وليمة من الله أعدّها للأحياء على مقتضى درجاتهم كل بقدره وحكماء الأرض هم المتمتعون بهذه المناظر يلحقون العقول الصغيرة بأدنى الحيوان والعقول الكبيرة بالملائكة وبينهما درجات شتى ولا يسعد في الأرض إلا الحكماء.

١٠ (المقام الثاني) سورة فاطر مكتوبة مشكلة جميعها ويلى ذلك التفسير اللفظي

١٢ تفسير الآيات اللفظي من أول السورة الى - والعمل الصالح يرفعه -

١٣ من قوله تعالى - والذين يكررون السيئات - الى آخر السورة

١٩ (المقام الثالث) في تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها الى (سبعة مقاصد) الأول (وصف الله بابتداع العالم الحسى والعقل) (الثاني) التذكير بالنعم (الثالث) نذيت فؤاد النبي ﷺ (الرابع) نداء عام للناس أن يتخلوا عن الرذائل الخ (الخامس) ضرب الأمثال لما سلف من القسمين (السادس) تقسيم المؤمنين الى قسمين من حيث العلم والى ثلاثة أقسام من حيث العمل (السابع) وصف الكأس التى يتجرعها الكافرون والى يشربها المؤمنون وشرح ذلك كله شرحا كافيا

٢٢ جوهرة في قوله تعالى - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها - وتبيان الرحمة التى فتحها الله فى العناصر للناس اليوم . إن الله قد صدق وعده للناس إذ قال - وقل الحمد لله سبىكم آياته فتعرفونها - فليفرح المسلمون وليدرسوا علوم الأمم وليقولوا عرفنا بأن الله فزدنا . فهذه هو الهواء هو مركب من النيتروجين وهو الآزوت ومن الأكسوجين والأول أربعة أجناسه وهو المكوّن لعضلات الحيوان ولأهم أجزاء النبات ولذلك وجب تسميد الأرض منه ولم يعرفه الناس قبل اليوم إلا فى فضلات الحيوانات ثم اهتموا أخيرا اليه فى (جزيرة شيلى) باسم نترات الصوديوم . ولكن ذلك لا يكفى الناس أيضا فقام (فرترهاير) العالم الألماني فى زماننا فاخترع الفرن الكهربي الذى يبرد الى درجة ٤٥٩ تحت الصفر ويسخن الى درجة (١٤٠٠) فوق الصفر وبهذا التبريد رجعت الغازات الى أجسام صلبة كما نشاهد أن الماء صارت لجبا بأقل برودة . فالبرودة تقرب الأجسام كما أن الحرارة تباعدها . فبهذا الفرن حوّل الفحم الى ألماس والى الجرانيت المستعمل فى أقلام الرصاص وبه أيضا حوّل النيتروجين الى مادة جامدة كما حوّل البخار الذى هو أخف من الهواء (الذى منه النيتروجين) الى مادة جامدة استعملت فى السجاد بدل زبل نحو البقر وبدل ما جلب من (جزيرة شيلى) واستعملت أيضا فى آلات المهلكة فى الحرب . ومتى أطلقت الشرارة الكهربية على الأكسوجين والنيتروجين اتحدا ثم اذا عولجا بالماء صار ذلك (حامض النتريك) . هنالك تستخدم الأفران الكهربية فى صير جامدا وبيع فى الأسواق باسم ملح

الهواء أو ملح الفروج أو نترات الكالسيوم . ومن عجائب العلم أن ألمانيا انزلت أيام الحرب عن العالم خمس سنين فأغناها ذلك عن سجاد العالم وعن مفرقاته كل تلك المدة . ههنا تعجب المؤلف وقال : « كيف يكون في هذا الهواء مادة تبقيها في أسواقنا ونسحبها أرضنا ونقتل بها الأعداء ؟ »

خطاب الهواء للمؤلف يقول له : « أنا أجل العبر في الكلمات ، وألقح الأشجار ، وأجل السحاب ، وأدخل في تركيب الأجسام ، فأكون عضلات ، فإن لم تعقلوا أيها المسلمون فإن الله تعالى يحولني إلى آلات تقتنكم »

٢٦ (الملح وفوائده) وأنه من السكور ذوار رائحة المهلكة والصوديوم الذي يحترق في الهواء وهو يكون في البحر وفي طبقات الأرض . ومتى مر التيار الكهربائي على بحلوله في الماء حصلت منه ثلاثة أجسام (السكور . الهيدروجين . الصودا السكاوية) والسكور سبع فوائد : (ينهر ماء الشرب . وينظف الورق وينفع في عمليات الطب . ويكون غازا ساما في الحرب . ويكون أبخرة سامة . ويدخل في المفرقات . ويهلك الحشرات) . هذه صفات السكور المتقدم . أما الهيدروجين فأننا إذا أحرقناه في الهواء اتحد بالأكسجين فنحصل النيتروجين والنيتروجين يمكن اتحاده بالهيدروجين فيكون منهما النشادر الذي يكون سمادا وهو يغذي القطن . والسكور يفيد في منع مرض شجر القطن وفي تبييضه

٢٨ الألومنيوم معدن متين ينفع لأواني الطبخ وللسيارات والطائرات وللتنقيض وللمنع الصدأ وهو يكون كمظهر الذهب لا يصدأ بالهواء . فهذا مما فتح الله به على الناس من تحليل العناصر

٢٩ بيان أن هذه العلوم كلها واجبة وهي فروض كفاية وضرب مثل لحال المسلمين مع ربهم بحال من قسم أرضه بين أبنائه وقد قصر أحدهم خرمه . وبيان أن هذا التفسير متى انتشر هب المسلمون على بكرة أبيهم لحوز العلوم . وبيان أن بلاد الحجاز ونجد والفرس والأفغان كلها مستقلة . فعلى كل من قرأ هذا الكتاب من أذكيائهم أن يذيع هذه الفكرة في بلاده وعلى الأغنياء أن يساعدوا بالمال

٣٠ (زجاج لا يبلس) زجاج لا ينكسر وهو يدخل الأشعة البنفسجية فتصح الأجسام بها وبه تطرز الثياب فيكون منظرها جيلا الخ وهذا مما فتح الله للناس من الرجات

٣١ (مسامرة) في قصة (فون شونبرج) ومحبوبته (ستوستود) الأول رأى صورتها فوق الحائط في نيويورك فذهب في بلاد الله شرقا وغربا فلم يعلم أين هي حتى وصل إلى ألمانيا فرآها على الحائط وأخبره رجل بأنها في مدينة نيويورك فوصل إليها ولم يرض أبوها بزواجها . ثم أنها هي أخذت تجول في الأرض وهو يتبعها وهي عنه معرضة حتى لان قلبها وهي في بلادنا المصرية فتزوجها في أيامنا وهذا مثل ضربه الله لنا . فجميع العقلاء كهذا العاشق وجميع الموجودات كهذه المعشوقة . ولن ينال عاشق ما أحب إلا بعد أن يذوق العذاب ألوانا . فهذه الدنيا دار صور وأعظم الناس طلبا وشرفا هم الذين يطلبون أعلى الموجودات وأشرفها وكل يطلب على مقدار همته

٣٣ (الاتحاد المادي والاتحاد المعنوي) والثاني صناعي وطبيعي . فالاتحاد المادي كاتحاد الهيدروجين مع الأكسجين فيكون الماء أو مع النيتروجين فيكون النشادر . والاتحاد النيرات فيكون كل حيوان وكل نبات . والاتحاد المعنوي اتحاد الصور المسموعة والمنظورة والمسمومة بأرواحنا وعقولنا فتتمو الأرواح كما تمويضة الجنين بالأغذية . إذن نمو الأجسام ونمو الأرواح لا يتم إلا بالاتحاد . أما الاتحاد المعنوي الصناعي فهو ما نراه في رجال الحكومات إما داخلا كالوزراء ومن تبعهم وإما خارجا كروساء الممالك المختلفة فكل من هؤلاء أغراض ولكنهم يسترونها ويشترون ظاهرا في المنافع العامة . ولا جرم أن أهل الأرض

لابزولون أطفالاً لأنهم لم يتحدوا اتحاداً حقيقياً ويستحيل أن يتم ذلك إلا إذا سعوا إليه بحجدهم بدليل أن كل اختراع لم يظهر إلا بحجدهم ، وأعظم مطلب لبني آدم هو الاتحاد العام ، فالطريق إليه طويل شاق وقد ألفت له كتاب ﴿ أين الإنسان ﴾ وخطاب أُم الأرض بأن العصر الحجري تبعه البرنزي والحديدي والبخاري والكهر بائي . إذن الإنسان له عصر سعادة مقبلة . إن خطابي ليس خاصاً بالمسلمين لأن كتاب الله عام . فالخطاب العام هنا أولى . وإذا كنت منذ (١٨) سنة خاطبت الأمم كلها وأنا عبد فكيف لا أخاطبهم وأنا أفسر كلام الله : « آيتها الأمم . إن الشرق لم يخاطب الغربي ويطلع كل على ما عند صاحبه إلا اليوم والحرب كانت اضطراراً اضطراليه . أن للناس أن يعملوا بما كتبته في كتابي ﴿ أين الإنسان ﴾ قد كشفتم قليلاً . أستم تجهلون كيف تصنعون أراضي جديدة في البحر كالمرجان . ألم تهجروا عن اتحاد حيوان المرجان . أستم لستم بحاجة إلى الآن إلى أرض جديدة فدونكم الأرض واسعة . فهذه جزائر الهند الشرقية فهي تعادل مساحة نصف أوروبا ولا سكان فيها أكثر من ٥١ مليوناً وأرضها لانظير لها في الحصوبة . فإين سكانها إذن . إذن النوع الإنساني طفل صغير . إن المسلم يقول في صلاته - اهدنا الصراط المستقيم - والاستقامة ظاهرة في النظام العام وهو لم يتم إلا بالاتحاد العام وبهذا الصراط يكون السلام العام وقالت في كتابي ﴿ أين الإنسان ﴾ « أن الأمة التي عندها أرض خالية يجب عليها أن تقبل أناساً من أمم غيرها » . إن حياة الخلايا ضربت مثلاً لنا في الحب العام . إن الخلية في النبات أوفى الحيوان تنقسم على طريقة الشطرنج (٢ - ٤ - ٨ - ١٦ الخ) ويكون منها الكبد والطحال واليد والرجل وكل خلية في عضو منها مستقلة وهي مرتبطة بما جاورها من الخلايا وذلك العضو مرتبط بالعضو الآخر . فالفرد مستقل في حياته مشترك مع غيره فرح بالاستقلال وبلاشتراك معاً . وكلما كانت الإنسانية أكثر تضامناً كانت أوسع سعادة . وإذا وجدنا المخترعين عند من لا يقولون - اهدنا الصراط المستقيم - نعوذنا نحن تبعاً أفلا ينبغي أن نجد ونرتقي لننفعهم وننفع جميع الأمم ؟ أفلسنا نحن خيرأمة أخرجت للناس واقتد وجدنا الأمم حولنا ناقصة وأتم عنوانكم - انكم خيرأمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر . فهذه الأمم لما رأت الامتيازات قد اضمحلت من الشرق بحذ السيف وبقيت في مصر وحدها لم تنه أمة عن هذا الظلم الذي لم تقدر أن تزيله بالجيوش إذ هم منعوا أن نكون عندنا جيوش إذن الأمم الآن عبيد العصا لا يهابون إلا القوة كما يشهد لذلك كلام اللورد أفيري والمستر بلانت الانجليزي أيها الناس : إن الأرض المذكورة في سورة سبأ سبقتكم في المدنية وال عمران والإنسان له مستقبل باهر زاهر فجتوا ،

٤٠ ﴿ ضوء الجوهرة ﴾ إن كل شهوة لطعام أو شراب الخ انما هي مبدأ من مبادئ العلم . فدراسة طعامنا انتهت إلى معرفة الكلور والصوديوم اللذين ركب منهما الملح . فلتعجب النفس الإنسانية كيف كان من الملح غاز مهلك يكون أشبه بالسحاب في الجو . أليس هذا موقظاً للعقل وهناك تتأجج نيران المحبة والعلم ويعرف الإنسان صفات القادر الحكيم ويفهم أسماء الله الحسنى . وهناك يدرس العناصر الداخلة في تركيب النبات مثلاً ويرى ذلك داخل في معاني الأسماء المذكورة وأن لكل عنصر نورا خاصاً وذلك النور يظهر من نفس العناصر المذكورة في الشمس والكواكب . وبهذا يظهر سر آية - الله نور السموات والأرض - فلعوالم كلها ظهر أنها نور والسورة نفسها سميت النور

٤٢ اختلاف نتائج الطعام في أحوال الناس . جرت العناء في الفيران غذاء الحنطة مع بعض الخضرفزادت أبدانها على التي لم تأكل خضرا . وتلاميذ اليابان الذين تغذوا بغذاء الأمم البيضاء طالت أجسامهم أكثر

من اخوانهم الذين أكلوا كأهل اليابان ، فثبت أن قصر القامات لأجل الماء كل لاغير والفقيران التي
أكلت طعام الانجليز صارت خشنة الجند شكسة الطباع بخلاف الفقيران التي أكلت طعام اليابانيين فهي
عذات الطباع ، إذن شهوة الطعام أوجبت قدرسه الانسان فارتقى في امره ، إذن الشهوات زرعت فينا للعلم
٤٣ فذا رأينا الغذاء يترتب عليه اظول وقصر والهدوء والشراسة فليكن هكذا الثواب والعقاب ، فهما
تابعان للأعمال ، إذن هما نتيجتان لكامتاج المذكورة ، إن الشهوات التي ركبت فينا كلها نتائجها
العلم . أم ترى الذين توجهوا للقبولين وماتوا فلذنبهم روحية علمية وهذا من سر - مايفتح الله للناس
من رحمة - الآية ومن هذا الفتوح كشف تلك الأقطار التي يرميها (٦) أشهر ونهارها كذلك وفيها غزال
الزينة وفيها المعادن الكثيرة وبعض النباتات

٤٥ اذا صدقت نتائج الأغذية قوة وضعفها فلم تكذب نتائج الأمم المستعمرة ظلمها وعدلا من خرابها وبقاها
فأبائنا رفعوا المدنية ولما انعموا في اللذات ذهبت دولهم وهوسر حديث البخاري وهذا التفسير فيه
زبدة العلوم

(نتائج تعليم الله لنوع الانسان) الانسان شارك الطير في الهواء وقد أخرجت الأرض خباياها . إن
هنا معجزتين نبويتين : إحداهما حديث الصدقة وأن الانسان لايجد من يأخذها وحديث «لوتوكلتم
على الله حق توكاه لرزقه كم كابرزق الطير الخ» فهذا رمز الى زماننا إذ يطير الناس ولايحصرون في بلادهم
ويعمل كل امرئ بقدر طاقته للمجموع ولامعطل في الأمم . فذن لمن تكون الصدقة . إن هذا زمان
انتقال . فالطيران زاد الى (٣٠٠) ميل في الساعة فقول القفرجات

(الكلام على مصادر القوة) وعلى الضباب الصناعي وعلى النبات الذي فيه طماطم فوق الأرض وباطس
تحتها وأن الانسان ربما يتخذ غذاءه من الجوهر الفرد في المستقبل والشمس أصل كل مافي الأرض فذلك
كاه تفسير للا حاديت

٤٧ قد أظهر الكشف أن النبوغ أكثره في الأغنياء وهذه ضد القاعدة المشهورة . فطبقة الأغنياء والأشراف
في فرنسا هي التي أُنجبت العظماء وعالم انكليزي يقول : « إن في كل أبناء أربعة آلاف رجل عامي ينبغ
في القضاء واحد وينبغ من أبناء القضاة واحد من ثمانية » وآخر الأقوال أن الغنى يساعد على النبوغ
فلاهو ولا الفقير يوجدانه . وهنا كلام عام في معنى - اهدنا الصراط المستقيم - وهكذا

٤٩ (آيتان في الكشف الحديث) وأن رجلا هو نلنديا هو الذي صنع أول العدسات ورأى منها حيوانات
شنى في الماء الصافي ومن هنا أخذ العلم يرتقى

٥٠ الكلام على مافتح الله به على الناس في زماننا بكشف خيرات كانت خافية عليهم وهي (١١) موضوعا
مثل ثروة القطب الشمالى . ودائرة القطب الجنوبي . ومنافع الشمس في أكلنا . وعجائب البناء والألماس
وصنع الورق من - طاب الذرة وهكذا . وأن في القطب الشمالى من النباتات المزهرة (٧٦٢) نوعا وأن
هناك أعشابا تكفى أربعة ملايين (رته)

٥١ رسم محطة الطيارات والبالونات في القطب الشمالى كما تخيلها أحد المهندسين (شكل ١) والكلام على
الأرض في دائرة القطب الجنوبي أننى تنبع في الانتفاع بصيد الحيتان من بخارها واستخراج المعادن

٥٢ كيف نأكل نور الشمس وتداوى به والكلام على المسوجات الكيميائية . الحبوب قد شبت بضوء الشمس
الصناعى وهذا الغذاء خال مما يمرض الانسان وهذا يعيد الى الذكرة ما كان يعتقده أهل الديانات القديمة
أن الشمس مصدر الحياة . ومن عجب أن تلويح البشرية من تعرضها للشمس إنما هو نتائج الأشعة فوق

البنفسجية وهي منسنة جدا للإنسان وهي المسماة (فيتامين) فإذا لم تدخل أبداننا من طريق الجلد لم نساعد في الحياة ، فتغطية الأجسام تماما إذن جناية عظيمة ، وخير ما نلبسه هي الثياب البيض لاختراق الأشعة فوق البنفسجية لها والملونة لا تحترقها إلا قليلا ، ثم بيان أن الناس يحفرون قبورهم بأنسابهم بأكل السكر والنشاء والخبز المصنوع منه والبطاطس البيضاء والأرز المبيض واللحوم الهزيلة والقهوة المشبعة بالسكر والنقل المحلى بالسكر والمشروبات الحلوة والمربات ونحوها . فأفضل الحياة الأكل بعرق الجبين والتعرض لنساء الشمس ، فليأكل المدنى المواد الدهنية والجوز والثمار والخضراوات وليس أخف ما قدر عليه والمشي في الشمس ، وهناك دواء مشبع بضوء الشمس له فعل عظيم في صحة الإنسان أقوى من زيت كبد السمك . (شكل ٢) الأستاذ هارى الذى كشف حقيقة كون الغذاء الشمس يساعد على الصحة (شكل ٣) رسم صبي كسيح في حمام الشمس يعالج بالأشعة فوق البنفسجية

٥٥ (الكلام على المنسوجات الكيميائية) يوشك العلماء أن يظهروا لنا ملابس كيميائية تغنيانا عن القطن وعن الحرير حتى لا نغفل الأثمان إذا حلت بهما آفة ، وهكذا يريدون أن يجعلوا الطعام خاليا من الجراثيم الكثيرة في طعامنا

٥٦ (أنجوبة البناء) نقل الأمريكان كنيسة من مكانها الى مكان آخر (شكل ٤)

٥٧ استخراج الألماس . منظر عام للآلات التى يجلس عليها العمال القائمون بتنظيف الألماس (شكل ٥)

٥٨ (شكل ٦) عملية قطع الألماس

٥٩ (شكل ٧) منظر الاختصاصى الذى يزن قطع الألماس

٦٠ الجليد السخن وصنع الورق من ورق الذرة بالضغط العظيم المساوى لضغط الماء في البحر على عمق (٢٥٠) ميلا تحول الفولاذ الى مادة لينه وتحول الشمع الى مادة أصلب من الفولاذ والصمغ المارن صارت منه مقاطع للفولاذ والزئبق بأقل من هذا الضغط يجمد ، إن ورق الطباعة المصنوع من ورق الذرة أمين قواما من غيره . إن الفحم الحجري هو المخزون في باطن الأرض قديما ومنه يكون الغاز الذى به تضاء المنازل بالأنايب ومن شوائبه تكون أصباغ كثيرة حمراء وزرقاء وصفراء وسوداء وبرتقالية وبنفسجية وهكذا ولكن هناك في باطن الأرض غاز طبيعي عرف منذ مائة عام في أمريكا كالذى يستخرج في مدينة (فندلي) من بئر عمقها (١٠٩٣) قدما وامتد لها في الهواء (٣٠) قدما . وروى على ثلاثين ميلا من كل ناحية ، وهنا ذكر الأقوال التى قيلت عند مظهرت هذه الغازات من خراب الأرض ونحو ذلك فلم يعبأ بها العلماء

٦٢ ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر وساعة تشتغل من نفسها ليلا ونهارا (شكل ٨) رسم ساعة تشتغل من نفسها (١٠٠٠ سنة)

٦٣ اكتشاف الطيارات في الجو ، اختراع المستر بيرد ، اختراع فونوغراف لتعليم اللغات

عجائب العلم الحديث وهي البكتريا ومعرفة الشعاع وتقدم الكهرباء واختراق الآلات في داخلها والبناء الحديث والمعادن وطرق حفظ المواد الغذائية بدون تعفن . والطيارات والرحلات الجوية . كل هذه العجائب من راحة الله التى لا تمسك لها . فأما البكتريا فاكشفناها قد قتل الطاعون بما اخترعه باستور وأما تقدم العلوم في معرفة تركيب المادة وفي الشعاع فذلك ظاهر في ارتفاع الصناعات وفي الراديو والكهرباء اليوم قد ملأت العالم منافع لاحتصرها . وأما البناء بالأسمت المسلح فقد ظهر في ناطحات السحاب وغيرها وقد يتم بها في أشهر ما يستغرقه بناء الأهرام في سنوات وللمعادن آثار لم تكن سابقا في

ال عمران ، ولحفظ الأغذية من التعفن فضائل مثل إغاثة البلاد الجائعة بفضل ذلك الحفظ ومثل كثرة الحركة التجارية الخ وفضل الطيارات ظاهر ، وأما تقدم الآلات وهي الأعجوبة التاسعة فذلك أمر لا حصر لمنفعته في فروع الحياة . كل ذلك من أسرار الله التي التي فتحه الله على الناس ، فليفتخر المسلمون من رحمة ربهم ومن أسرار آية - سيركم آياته فتعرفونها -

٦٦ وههنا فوائد مثل معرفة أن البرق الصاعق يتم في (٧) من ألف من الثانية وأنه يكون من الأرض والسحاب معا ، وأن القوى كلها من الشمس إلا قليلا ومنها قوة الانسان المستمدة من النسا المستمدة من الشمس . المستر ولينسون الأمريكي وزوجته يعيشان في غواصة في الماء ويصوران عجائب الأعشاب والغابات وأصناف السمك البديع الجميل

٦٧ (المسألة الحادية عشرة) مما فتح الله به على الناس تلك العقول الكبيرة للأطفال ، فهناك طفل في (سلوفاكيا) يحسب عمر كل انسان ساعات ودقائق في بضع ثوان وعمره هو خمس سنين ، وفي الولايات المتحدة من عمره (٨) سنوات وهو يعرف ثمان لغات وله مؤلفات ، وطفل اسمه (هنري) في الشهر العاشر من عمره كان ينطق كل كلمة في اللغة الألمانية

٦٨ وهكذا طفل بلجيكي في الثانية من عمره يضرب عددين مكون كل منهما من خمسة أرقام بسرعة ولا يخطئ بدون كتابة ، وصي في الثانية عشرة من عمره في (بيرو) يصارع الثيران . وفي مصرى ضرب أعدادا كثيرة في زمان قليل واستخرج الجذر التكعيبي وهكذا

٦٩ (المقام الثاني) ما يسلك الله من الرحمت مثل ما حصل من البرد في أوروبا سنة ١٩٢٩ في بريطانيا إذ عطلت المواصلات به وفي جميع أنحاء أوروبا وعطلت المناجم وتلفرافات برلين وبعض السفن حصرت بالجد في بحر البلطيك ولاطعام فيها والموانئ البلغارية على البحر الاسود محصورة بالجد والعاصفة اكتسحت اقليم أينا ويعوق البرد سكك حديد إيطاليا الخ

٧٠ وهكذا في لبنان عطلت حركة التجارة وقطعت الطرق . وخسائر الجليد في العالم في كل شتاء (٢٠٠) ألف ألف دولار

٧١ صورة إحدى كتائن مدينة البندقية في إيطاليا تحت الجليد (لطيفة) في قوله تعالى - والله خلقكم من تراب - الخ ان الآلام موقظات لمعرفة الجمال

٧٢ (شكل ١٠) الجهاز الهضمي فيه الفم والمرى والغدة اللعابية والغدة الدرقية والغدة الهوائية والغدة التيموسية وهكذا الى الشرح

٧٣ (شكل ١١) شرح الجهاز الهضمي من الأنهر الستة في الفم والبلعوم والمرى والمعدة والأمعاء الدقيقة والغلاظ والمستقيم والزائدة الدودية وهكذا شرح أوسع لذلك في تقسيم الطعام على تلك الآلات

٧٤ مثل ان المواد العضوية التي ليست آزوتية كالنشا والسكر والمواد الدهنية كالزيت والسمن والشحم وأن المواد العضوية الأزوتية التي تسهل في الجسم مثل زلال البيض وجلاتين العظام المغلية والجبين واللحم والحبوب والبقول والمواد غير العضوية هي الماء والمواد المعدنية مثل كربونات الجير في العظام والأسنان ومثل فوسفات الجير في العظام أيضا وهذان في النبات وفي الحيوان . وهنا شرح (شكل ١٢) في المعدة وما حولها وهو (١٣) جهاز كالقناة الصفراوية والقناة البنكرياسية وهكذا . وهنا اسهاب في نظرة الحكماء لهذه الأجهزة العجيبة فن الطعام الذي كان نباتا وحيوانا ومعادن أصبح في الفم وفي المعدة وفي الأمعاء بفضل تلك الآلات منتقلا من حال الى حال فهو كيموس أولا فكيلوس ثانيا فدم ثالثا وهو يرتقي

من حال الى حال كما يرتقي التلاميذ في مدارسهم وما بقي من الفضلات يخرج من مخرجه وما اصطنع من الطعام يغذى الأعضاء وينتهي الى المخ ويصير عقلا وفكرا . ومن عجب أن تكون الغدد والآلات موزعات في الهضم على أنواع الطعام المختلفة - ذلك تقدير العزيز العليم -

٧٦ (شكل ١٤) القصبة الهوائية (شكل ١٥) الحويصلات الهوائية

٧٧ (شكل ١٦) النسيج الهدي للقصبة الهوائية وأنه أشبه بالكسنة من حيث وصفه وأنه دائم يتحرك ليخرج الغبار الداخل مع التنفس (شكل ١٧) رسم الرئتين وتفرع القصبة الهوائية فيهما وهذا عجب . فهنا ما يشبه الشجر والأغصان والفروع

٧٨ (شكل ١٨) رسم يبين للغدد البسيطة والأنبوبية والعنقودية . وبيان أن هذا الدم أيضا يحتاج الى آلات ومصانع لبنى بها هذا الجسم كالغدة الصنوبرية لتحفظ التوازن في نظام الجسم ونمو الشعر وعدم طول العظام بغير نظام . ومثلها الغدة النخامية وتزيد على ذلك أنها لها صلة بأعضاء التناسل وحفظ الدم ودقات القلب ومثل غدة تفرز الماء الملحي في العين وهكذا من الغدة الدرقية وجاراتها وهذه الأخيرة اذا أزيلت حصل الفشلح والبنكرياس تساعد الكبد في تلطيف بعض المواد والكبد يفرز الصفراء

٨٠ الغدتان فوق الكليتين (شكل ١٩) فهاتان اذا لم تعدلا تلون الجلد بلون برنزي وينتهي ذلك بالموت والغدد التناسلية للذكر والأنثى لحفظ النسل ولأحداث مميزات الرجال كالذوق ومميزات النساء كاستطالة الشعر في الرأس وازدياد المواد الدهنية تحت العظام لتخفي الزوايا البارزة وهكذا من غدد عرقية وأخرى لبنية أعصاب الحس وأعصاب الحركة ، إن ماحولنا سهل فهمنا من أجسامنا (شكل ٢٠) الهيكل العصبي

للإنسان وهذا عالم جديد خرج عن كونه نباتا أو طعما أو دما فهو يقرب من العالم الروحي وهو المخ والنخاع الشوكي والمخ نصفان أكبرهما تسعة أعشاره وهما أيمن وأيسر وهما مركز الحس والشعور والذاكرة والذكاء والارادة ، والمخيخ صغير الحجم وهو ينظم الحركات العضلية فهو منظم والنصفان قبله . مصدران للحركة ، وبيان النخاع المستطيل المنظم للحركات غير الارادية كالتنفس والقلب وفيه تمر التيارات العصبية ومتى أصيب بضرر حصلت أمراض خطيرة وقنطرة فارول موصلة لبعض التيارات العصبية

٨٢ (شكل ٢١) رسم المخ ، والحبل الشوكي ينقل الاشارات بين المخ وأطراف الجسم ، وهناك ١٢ زوجا عصبيا في مناطق الرأس للحواس موصلات منها الى القوة العاقلة ، وفي الحبل الشوكي ثقبوب بين الفقرات تمر بها أعصاب تبلغ ٣١ زوجا موزعات على جانبي الجسم من الجانبين ، كل هذه للحركات الارادية

٨٣ وهناك الجهاز العصبي الاشتراكي ففيه العقد الشوكية (شكل ٢٢) ففيه عقد عصبية على جانبي العمود الفقري توزع في الغدد اللعابية والرئتين وفي كل ما لاسلطان انا عليه

٨٤ وللملك الجالس في عرشه بالرأس (ثلاثة أعوان) الحس المشترك والقوة المفكرة والذاكرة ، فالخيلة المتصلة بالأول لها صور جميع العلوم فهي كالنخزاة المصورة والمفكرة لها نظام الطبيعة والإنسان ومعرفة الله والذاكرة بها تعرف المواليث الثلاثة والفلك والرياضيات والتاريخ العام ويد تبرز ما يطلبه النفس ولسان يبرز ذلك بالكلام

٨٥ (تذييل لهذا المقام) قراء هذا التفسير يشهدون بالحق لأنهم شاهدوا نفس الأعضاء وقد يقرأ عالم التشريح هذا وهو غافل عن حكمه كما يغفل الفلاح الذي يحافظ على الزرع عن حقائقه فهو لاء غافلون لم يشهدوا بالحق وهذا قوله تعالى - وإذ أخذ ربك من بنى آدم - الخ وقوله - شهد الله أنه لا إله إلا هو - الخ ، فقراء هذا التفسير شهداء بالحق وهم موقنون وهذه الطائفة مرشحون للدخول في عوالم

- أعلى لأنهم فيهم قوتا العلم والعمل كما ان الأعصاب للحس والحركة
 ٨٦ النحو والصرف والبلاغة شبكات نصطاد بها العلوم وعى في نفسها غير مقصودة لذاتها . فهي كالدائرة
 الغذائية التنفسية والدموية فكلهما طب به غيره وهي المعاني العقلية ، ثم إن الحكيم ينظر فيرى أن
 المادة أصلها حركات وأنور معقولات ثم رجعت فينا إلى أصلها ، إن ابداع الجسم كابداع طباق السموات
 كل في موضعه ، هكذا فانك أنعم الله عليكما وأحوالنا فلا نضع منها شيئا في غير موضعه
- ٨٧ مسامرة في نظام الانسان وجماله . ايضاح نظرية المحبة . يحب الزوجان الذكر والأنثى أحدهما الآخر
 يساعد هذا الحب جاملهما وقوتهما ، يلدان الذرية ثم هما يحبان من ولدا ولا يزال جاملهما في اضمحلال
 وجههما للولدى اقبال حتى يكونا شبيخين والذرية تحبهما على مقدار عطفهما . وهذا وصلنا إلى عالم أرق .
 زوجان يتحبان للمشاركة في الذرية والأعمال المنزلية وذرية تحب على مقتضى الاحسان الجسمي وهذه
 الذرية التي أحببت الوالدين شكرالهما على التربية الجسمية تأخذ في حب المعلمين لها شكرا روحيا
 سببه فضيلة العلم ، إذن سعادة هذا العالم في الحب الروحي لأننا وجدنا أعلاه ما كان للعلم ولا يزال الانسان
 يترقى في الحب حتى يحب المعلم الأول وهو صانع العالم ، وأضرب لذلك مثلا : رجلا أتى سؤالا فقال
 عدنان مجموعهما (٥٥) والفرق بينهما (٣) أو عددان مجموعهما (١١٠) والفرق بينهما (٦) ثم أجاب
 واحد من الجالسين بحساب الجبرة ثلا في الأول (١٤) وفي الثاني (٢٨) و (٨٢) وسأل
 سؤالا آخر من علم وراء علم الجبر يسمى علم الدرهم والدينار فقال : رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص
 فأخبرهم بثمنها . فقال أكبرهم لأوسطهم : إن أعطيتني مامعك من الدينار مضافا إلى مامعي صارمعي
 ثمن الفرس . وقال الأوسط للأصغر : إن أعطيتني مامعك مضافا إلى مامعي صارمعي ثمن الفرس وقال
 الأصغر للأكبر : إن أعطيتني مامعك مضافا إلى مامعي يكون مامعي ثمن الفرس . والمطالب معرفة
 الثمن كله ومعرفة مال كل واحد منهم . فاذا أجاب واحد من الجالسين بأن الثمن هو ٣٤ . وهو حاصل
 ضرب البسوط جمع بسط وأن مامع الأكبر (٢٠٨) ومامع الأوسط (٢٢٠) ومامع الأصغر (٢١٠)
 فن أجاب على هذه الأسئلة تحبه القلوب وتغرم به ويكون هو في نفسه فرحا فبالك اذا أحل لغز
 الكون كله وعرف صانعه الحكيم . وما هو من هذا القبيل أبعاد الهرم المذكورة في (سورة
 يونس) ومناسبتها للقائيس والمكاييل ، ومنها أيضا مناسبات الأغذية لأعضاء الأجسام مثل قول
 أطباء العصر مثل ان البصل ينفع الكبد أكلا والفجل ينفع الكلى والجلد الجزر وللشجاعة البرتقال
 والليمون وأن المواد الزلالية كالبيض والمواد الدهنية والمعدنية كلها لازمة للجسم
 ٩٠ وهكذا قد وزعت أنواع الطعام على (٣٢) مصنع من مصانع الجسم ، واذا تركنا بعض الأطعمة اعترانا
 مرض لمجرد هذا الترك كما اتفق لي إذ تركت بعضها فرضت فلما علمت وعمت زال المرض . وإت
 قراء هذا التفسير يعشقون صانع العالم عشقا عظيما ، فالويل لمن مات وهو جاهل بهذه العوالم
- ٩١ (لطيفة في بلدة المرج) جذى راكب يقبض على الفلاحين لأجل قتل الجراد الآكل للزرع فالجراد
 وباء يهلك البلاد ، إذن الاتحاد لابد منه لاتقاء الأخطار . مبدأ الامور كلها الجوع وهو يستلزم الطعام
 والأمم كلها يجب أن تتعاون لجلب المنفعة ودفع المضرة . إذن جسم الانسان أشبه بعلم الفلسفة يجمع
 العلوم كلها أو كالقرآن
- ٩٢ تعجب المؤلف من خلق الجراد وخلق آفته وهو مكروب يعطى لواحد منها فيدسرى الطاعون فيها كلها
 وقد حصل هذا فعلا بطور سيناء . إذن الدنيا أشبه بصور متحركة (السينما) فهمنا عجب في نفس الطبيعة

والجهال لما لم يفهموها جعلت لهم دور لا يراز الصور . أيها المسلمون : عار عليكم أن تذكروا أرض الله وأن تتركوا قواكم بلامنعة فلنندرسوا كل شيء أو فلترحلوا من الأرض ، إن هناك قوما يحبون النظر لوجه الله أكثر من كل ما يشتهون ، وهذا النظر لذته لا تكون إلا بعد لذة العلم وحوزة في الدنيا . كل هذا مناسب لآية - والله خلقكم من تراب - الخ

٩٣ (لطيفة) في قوله تعالى - وما يستوى البحرين - الخ عجائب البحر مثل الكاشالوت ذو الأنياب المخذدة والروكال الذي يبلغ طوله (١٢٠) قدما ومثل عمق البحر (٢٧٥٠) قمة مع أن النور لا يبعد أكثر من (٢٠٠) قمة . فهناك في الظلام حيوانات تعيش بالنور خارجي بل إن النور يخرج منها نفسها فهو تحت أمر السمكة . إذن هناك في (٢٥٥٠) قمة في الظلام أحياء ، ومنها ماله نور فسفوري وفي البحر المرجان يبني جزائر كثيرة كما بنت الأرض في اليابسة مباني عالية

٩٤ إذن الأرض برا والمرجان بحرا فعلا ما عجز عنه الناس فإن المرجان أحدث في البحر آلافا من الجزائر عاش فيها الحيوان والنبات ، ومن العجائب أن قوة الحصان تبحر (٣٠٠٠) رطل في البر بسرعة ثلاثة أقدام في الثانية وعلى السمكة الحديدية (٣٠٠٠) رطل للسافة نفسها والوقت نفسه وفي البحر ٢٠٠٠٠٠ رطل . إذن الماء أكسفا تسهلا فوق السبر المعتاد (٧٠) مرة . هذه سر آية - وترى الفلك مواخر فيه - إذن السامعون عليهم أن تكون لهم يد في البحار عظيمة

٩٥ البرق السلكي والبرق غير السلكي . البرق السلكي معروف . المصطلح عليه في البرق غير السلكي كالذي في الاسكندرية وفي أبي زعبل وغيرهما من لأعمدة ذات الأثمان الغالية لما فيها من دقة الصنع وأحسن الأعمال أن الآلف تساوي نقطة وشرطة والباء شرطة وثلاث نقط وهكذا والشرطة ضعف النقطة ومتى أرسلت في الجوسرت فوق البر والبحر في المرتفعات الشاهقة ويتلقى المبرقون بالآلة خاصة ويدونون تلك الاشارات وكل من يأخذ الاشارات قادر أن يطلع على أسرار جميع الأمم ، وأذن لابد أن يكون هناك أرقام سرية والرياح والزواج لاتعيق هذه الاشارات ، أفليست هذه نعمة يجب شكرها على المسلمين وكيف يشكرون ما يجهلون . ومن عجائب العلم أن العلماء في أول القرن التاسع عشر كانوا يجزمون بأن لاجية تحت عمق (٤٠٠) متر إذ لا ضوء هناك وهناك أيضا ضغط شديد على الحيوان فكيف يعيش في ظلام وضغط فكذب الوجود هذين البرهانين ، إن ضغط الجو على حيوان الأرض يبلغ ارتفاع عشرة أمتار من الماء والسمك في الأعماق القاصية يحمل فوقه سبع مائة ضعف ما يحمله حيوان الأرض وقد جعلت لها دروع صلبة تجعل أعضائها الداخلية في أمان والعلاء في حيرة من أمر هذه الحيوانات . ومن عجائب الماء نفسه أن السنتيمتر المكعب فيه (٣٠) ألف مليون مليون جزيء وأن سرعة الجزيء (٣٠) كيلومترا في الدقيقة الواحدة أو نصف كيلومتر في الثانية ووزن هذا الجزيء (٣) أجزاء من مائة ألف مليون مليون مليون جزء من الجرام وهذا الجزيء مركب من ذرتين من الاودروجين وذرة من الاكسوجين والحركات المذكورة هي التي تحدث درجة الحرارة والضغط على الأواني والأمكنة والبحار ، وهذه الجزيئات المائية المركبة المذكورة أكبر (١٨٥٠) مرة من الالكترونات التي هي ذرات كهربائية وشعاعات ضوئية

٩٩ (لطيفة) في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ وههنا يشير المؤلف الى ما كتبه في (سورة الكهف) مما نقله هالك أن علم الألوان اليوم لا يزال في المهد ولكن الذي علمناه منه يورث اليقين بالعناية الخاصة كما يشاهد في حمار الحبشة المرسوم هناك وفي أبي دقيق الطائوسي

١٠٠ وههنا يسبح المؤلف ربه متعجباً من خلقه ورقته وأصابعه وإلهامه أمما كقدماته المصريين الذين أبدعوا منذ ستة آلاف سنة في الأنوان الخضر والزرق من الأحجار المسكية ، وهكذا صنعوا الزجاج ملونا بالزرقه والبنفسجية وغيرهما ولا يكون ذلك إلا بأوزان التقدير وذلك من الميزان الذي قامت به السموات والأرضون

١٠٢ هنا دعش المؤلف من أن هذه الأرض أخذت تنطق للناس بواسطة أحجارها . الأصابع والزينة والجمال في المصنوعات

١٠٣ رسم شجرة ذات جدائل (شكل ٢٣)

١٠٤ صورة شجرة عجيبة في شمال (كاليفورنيا) يقصدها السائحون من كل فج عميق (شكل ٢٤)

١٠٥ شجرة يسمونها ناطحة السحاب (شكل ٢٥) في برين في ألمانيا عمرها ٩٠ سنة ارتفاعها ٢٥ مترا

١٠٦ شجرة بالولايات المتحدة تسمى شجرة القيل كأنها رأس فيل رفع خرطوم (شكل ٢٦)

(الجمهرة الثانية) فيما جاء في علم الحيوان حديثا وأن الحيوانات المعنومة نحو نصف مليون نوع ومن هذه الأنواع ما طير وطيرانها على قسمين : قسم يطير بخفقتان الأجنحة أعلى وأسفل كما هو مشاهد ، وقسم يطير بالقفزات مثل بعض أنواع السمك انطيار والسحالي الطائرة والسحاب الطائر ، وعند علماء الحيوان أن الجناحين إن هما إلا الرجلان الأماميان من ذوات الأربع وأن الخيتان انقرضت أعضاؤها الأمامية وأعطيت بدلها زعانف تعوم بها ، وقد تحققت المشابهة بين جناح الطائر والوطواط وزعنفة الحوت وذراع الانسان ، وما هذا التنوع إلا لتأدية الوظيفة ، والسحالي في المنطقة الحارة بأسياسها غشاء تصنع فيه ما يصنعه الانسان بالشمسية قبضا وبسطا ، وسحاب الهند يرق في الهواء نحو (٨٠) بارده

١٠٨ (شكل ٢٧) و (شكل ٢٨) الوطاط يط أثناء نومها وهي تحمل صغارها

١٠٩ (شكل ٢٩) وطواط طول جناحيه خمسة أقدام . الكلام على ريش الطيور . وبيان أن ذكور الطيور هي التي تزين بالريش الباهر الزاهي والاناث لا يهتممن بالزينة خيفة أن تظهر للحيوانات المفترسة لها وهي تحضن بيضا فتأكلها ، وجوارح الطير لازينة لها لئلا تعرفها فريستها فتفتر منها

١١٠ (شكل ٣٠) ههنا (٢٤) نوعا من الريش المختلف الأشكال كالعقاب وعصفور الجدة والعصفور الطنان وهكذا . الكلام على حيوانات قاع البحار التي عليها ضغط عظيم كما تقدم فذلك كان لها قاسيا لا يؤكل ولها ضوء يقوم مقام ضوء الشمس الذي حرمت

١١١ (شكل ٣١) وفيه (١٨) شكلا من أشكال الحيوانات المائية المذكورة مثل ماهو كالقنديل الذي يشبه المظلة ، وماهو كالبالون وماهو تنك وماله أعضاء منيرة وماهو كالخروف وهكذا الطائر المسمى النساف علاقته مع أنثاه في غاية العجب إذ تستقر هي في جوف الشجرة ويساعدها هو بالغذاء الى أن تربي أفراسها ويظرن

١١٢ (شكل ٣٢) صورة ذكر النساف خارج باب العش ومنقار أشاه ممتد من الداخل

جمال العلم والبهجة واستطرد بذكر أمر نباتي وهو صنع الورق من الذرة وأمر حيواني وهو الجراد الذي هجم على مصر وماحولها من البلاد في هذه الأيام ، وههنا أفاض المؤلف في موضوع الورق ناقلا عن سديو الفرنسي أن المسامين في القرن الأول صنعوا الورق من الحرير كما تعلموا من أهل الصين وذلك في سمرقند وبخارى وفي نفس القرن أي سنة ٧٠٦ ميلادية جعلوه من القطن بدل الحرير

وهذا اختراع عجيب وسموه الورق الدمشقي وانتشر ذلك في اسبانيا واستعمله أهل قسطنطينية في القرن الثالث عشر ومنهم أخذه أهل فرنسا وإيطاليا وانكترا وألمانيا ، وورق العرب أقوى وأمتن وأجل وهكذا استعملوا بيت الابرّة من ابتداء القرن الحادى عشر وهكذا بارود المدافع المستعمل في حصار مكة في القرن الأول الهجرى وفي مصر في القرن الثالث عشر نرّموا بالبارود قللا لها دوى كالرعد ، ثم قال إن العرب هم أساتذة أهل أوروبا في جميع فروع الحياة وهؤلاء الاوروبيون عالة على الأمم الاسلامية العربية في صنع البارود وبيت الابرّة والورق وهذه الصناعات قلبت سياسة الأمم وآدابها وعسكريتها وهنا أظهر المؤلف دهشته من أن هذه الآراء في الأمم الاسلامية عند الفرنجة يشكرها جهلا بها كثير من المتعلمين ببلاد الاسلام تعلما دينيا أو دنيويا لجهلهم الفاضح بعلم التاريخ وقال : إن هذا التفسير ستعقبه نهضة عظيمة لأن عقلاء المسلمين يدeshون حين يعلمون أن آباءهم الأولين في القرون الثلاثة الأولى كانوا هداة الأمم في الصناعات فضلا عن الدين وبهذا تم الكلام على الأمر النبائى وهو الأول (الأمر الثانى) هو الجراد الذى ظهر أيام طبع هذه السورة وعمّ الأفغان وبلوخستان والعراق وسورية والحجاز واليمن والسودان وانهم في مصر أخذوا يحرقونه ، وبيان أن له آجالا محددة وأوقافا يظهر فيها إما كل (١٥) سنة مرة ، وإما كل (١٠) سنين والأثنى تضع بينها هيئة خاصة

١١٥ (شكل ٣٤) والبيض خمس عناقيد كل عنقود نحو (١٠٠) بيضة تضعها في حفرة وتسد عليها ، ثم ينهش الذكر أثناءه بعكس ذكر العقرب وأثناءه ، وبعد (٣) أو (٦) أسابيع يفقس وهو مائل للخضرة ثم يسود بعد ساعات ثم يغير جلده خمس مرات كالأنفاس وتظهر الأجنحة بعد مدة ما بين ٤٠ و ١٠٠ يوم وهناك يكون أحر وهو شديد الخطر إذ ذاك ، وبعد ذلك يهتم بالتناسل فيقل خطره ، وبيان أن الجراد من الآيات المفصلات لقوله تعالى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد - الخ ومن التفصيل ماسيكون بالعلم الذى سيدرسه فضلاء المسلمين بعدنا إذ يرون أن الجراد آيات للاقتصاد والسياسة والاصلاح الديانات فأما الجراد في الاقتصاد فانه يخرج من جبل في السودان ومن غيره ويطوف بلاد مصر والعرب وغيرها ويفعل مايفعله النمل فان النيل طوفان اذا لم نجعل له جسورا والجراد مهلك ان لم نتخذ له طعاما أو نعصره فيكون منه زيت اطيارات الذى لانظيره في طيراتها في الحق ، وقد كتبت للحكومة المصرية انه يمكن أن يعصر منه زيت ، وهكذا جاء لها خطاب من أوروبا بهذا الصدد ولكن القوم عندما في شغل شاغل . هذا اجل الكلام على الاقتصاد في آيات الجراد

١١٧ أما السياسة المستنتجة منه فان الأمم العربية المصابة به التى تفرقت شذرت منذر بالانكسار على مجد الآباء كما تقدم في أول (سورة آل عمران) . لو قرأت آية الجراد المفصلة لهم بارساله عليهم كل (١٠) سنين أو (١٥) سنة لأدركت سرورها إذ الجراد يخاطبها بلسان الحال قائلا : « أيتها الأمم الاسلامية العربية في السودان ومصر وسورية والعراق والحجاز ، أنتم في بلاد متصلة ، متحدو اللغة والدين ولكنكم متفرقون فداستكم الأمم وأذلنكم بعد أن علمهم أبائكم ، أجهلتم أيها الناس انى قد اتحدت وقت وأكثت زرعكم ولم أبال باحراقكم جثث اخوانى ولا إبادةكم لى لأنى تعلمت علم الوحدة من دافع العالم فهو واحد وأنا واخوانى كلنا كجرادة واحدة ، أما أنتم فكيف تجهلون هذه النعمة . فلتعلموا ولتعلموا لتكونوا متحدين . واذا بعث الله غرابا ليرى ابن آدم كيف يوارى سواة أخيه . فأنا بعثنى لأعلمكم الاتحاد فانا متحدون والموت عندنا خير من الحياة مع الذل ،

١١٩ (الأمر الثالث) الاصلاح الدينى بسبب الجراد . إن البراهمة يحرمون أكل الحيوان رافة به وهذا

الجراد طعام للناس ومثله الأرض ذات الأجنحة التي تدبر في وقت معيود وقد انتظرت جوعها (التي تطير كأنها سحاب) جيوش من أنواع الحيوانات الجياع فتأكلها فكيف يحرم الحيوان ونفس العالم ونظامه مبنى على هذا وأمثلة كما هو معيود ، وهناك حال رابعة وهي التذكير بعروج النفس الانسانية الى عالم الجبال إذ يرى الحكماء من نوع الانسان أن الحيوان آكل ومأكول ، وأرباب الديانات في العالم الانساني متعادون يتقانون والعامة اكتفوا بظاهر الديانات فلم يدرجوا خاصة ، أما الحكماء فنهيم يفكرون في السكيات لاجزئيات إذ يرون الأرض كشجرة لها أوراق تذبل وأخرى تحمل تحمل محلها والأصل باق وهكذا

١٢٠ ﴿ بهجة هذه الآيات ﴾ من قوله تعالى - أم تر أن الله - الى قوله - انما يخشى الله من عباده العلماء - مخاطب المؤلف ربه قائلا : نحن لم ندر من أين أقبلنا ولا متى نموت ؟ وإذا متنا لاندري الى أين نذهب والعوالم حولنا جوامد وسوائل وغازات ، وإذا أقفلنا أعيننا تخيلنا العالم نوراً وراه قوة تحمله أرزاقنا فتصل لنا وعواطفنا كذلك ، وما الأرزاق إلا نتائج العناصر التي ترجع الى أنوار مراكمه ، ثم إن هذه الأنوار التي تحمل أرزاقنا هي أنفسها تحمل عواطفنا كهواطف رجة الأم وعشق الفتى والقناة ، إن العشق بين الصنفين الذكر والأنثى والرجة التي أودعت الانهات إن هما إلا أشبه بالبتول والشمع المتقدين ناراً ، فهما من الأرض والأرض من الشمس ، الرجة القدسية الإلهية كالشمس ورجة الأم وعشق العشاق متزلان من تلك الرجة العائمة كما تنزل البتول والشمع من عالم الشمس فاتفقا ناراً ، حبنا ورجتنا ليسا كحب الله ورجته . فهما عندنا منفعلان وهما عنده قدسيان عرفناهما بأسمائهما ونتائج العشق والرجة وجود الولد بالأول وبقاء حياته بالثاني . إذن الغرام والرجة منصبان على الوجود والبقاء للأشخاص . فوصال المتعاشقين موجه لوجود الولد وإن لم يقصدا وسهر الأم على الولد لبقاء حياته . والحب الشريف الظاهر يرقى الى معارج الفلاح في الحياة وعكسه الحب الشهواني الموقع في الحضيض

١٢٢ الحب أعلى وأدنى وأوسط : وللأدنى إما الولد وأما ارتفاع الناس الى العلا ونتيجة الأوساط حب العلوم ومن هذا الحب الأوساط حب رجال العلم له مثل الذين يتسلقون الجبال كاستاذ دير نورث الذي تسلق (جبال همالايا) وعلماء آخرون مثل (دوجلاس) وأكثرهم مات بالعواصف والثلوج . وإذا رأينا مجنون ليلى من الطبقة الدنيا في العشق يهيم بها ويقول : * واني اذا ماجئت ليلى الخ * ورأينا غيره يقول : * قضيت سنون بالوصال وبأهنا الخ * فهو لاء قليل من الشبان بالنسبة لعشاق الدرجة الوسطى التي تحوى الشبان والشيوخ . وهذه الدرجة الوسطى مقدمة للدرجة العليا التي لا يكون فيها إلا الحكماء الذين ينظرون الى العشاق من الدرجة الصغرى والدرجة الوسطى نظرهم الى الأطفال ويقولون : * نحن لانحصر عشقنا في فتيات كمجنون ليلى ولا في حجر وجبل وشجر كعشاق العلوم الذين يكون على تحصيلها بل نحن نجعل العلوم كلها سلعاً الى محبوبنا الذي نساعد بعرفته ،

١٢٥ بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم تلك اللذة (من كتاب الاحياء للغزالي) مبيناً أن الانسان له لذات كثيرة في قواه المختلفة فغريزة الغضب للتشفي وغريزة الشهوة للطعام وهكذا السمع والبصر الخ ولكن للقلب غريزة أخرى تسمى النور الإلهي وهو العقل الذي لم ينحصر في المجادلة بل هو الذي أدرك الحقائق . فكما أن العين لذة النظر والشم لذة الروائح والشهوة ابطن الطعام الخ هكذا للعقل لذة

الحقائق ولذة العلم بشرف المعين والعلم بحال ملك أو أمير لذة أعلى من العلم بحال عامي والعالم بوجود هذا العالم نفسه يستحق في جنبها لذة العافية والسلطان والملك . وإذا فرح الصبي باللعب واللذو والشباب بالنساء والبنين والتفاخر والتكاثف ففرح الحكيم بمعرفة الله تعالى فوق ذلك كله . وليس يمنع ذلك إلا عدم الاستعداد كما أن العين يمنع عن فهم لذة النساء فقد تلك الشهوة وفي هذا النوع الانساني قود لا لذة لهم إلا فرحهم بالمعرفة

١٢٨ رمى انتهى صفاء قلبه أحسن بلذة لقاء الله في هذه الحياة . وهذا ذكر لذة الصبيان والشبان ثم الحكماء وشرحها شرحا كافيا

١٢٩ بيان أن قراء هذا التفسير سبعة سنون في ضرور الحكمة ولا يكونون كالبراهمة يمدون عن الناس فتكون العلم موجهة لغرضين : حب الله ومنفعة الناس . بيان إلى أن ذكر دائما أن الحسن يحب لمن أحسن إليه أكثر من الثاني للأول . مثال ذلك في الأم فهي تحب ولدها أكثر من حبه لها وهذه قاعدة عامة حتى أن الحكماء يحبون الناس أكثر من حب الناس لهم وهكذا الأنبياء مغرمون بهداية الناس أكثر من غرام الناس بهم ، وأي محسن أكثر احسانا من الله ! إذن حبه (وإن كان قدسيا) أكثر من حب الناس له . وهذا المعنى الذي خطر لي وجدته في الاحياء قد جرى على ألسنة بعض الناس مثل المروى عن داود وعن بعض الأبياء

١٣٠ بهجة الجمال ليلة ١٤ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ إذ كنت بالحقل مع المزارعين وضاع وقتي معهم بالنهار وكررت راجعا وقد أظلم الليل وأرخى سدوله وظهر لي البدر شرقا والنجوم غربا تلمع خلال النخيل . وهناك تجل لي التمر كأنه يخاطبني يقول : « إني شاهدت الأمم من أيام الفراعنة والذين قبلهم والذين بعدهم وقد مروا في هذا المكان وأكثرت الناس يترون غافلين . وأنت أيها الجوهرى كنت اليوم في الحقل في أعمال حزينة والجامع لا يقتل سواها أما الحكيم فانه إذا مر في تلك الأعمال ورآني فانه يأنس بي وتفتح له أبواب الحكمة إذ يرى انساني السماء دلائل على بشائكم لأنه إذا ظل أمد المواد العالوية مثلنا فبالأولى يطول أمد الأرواح بل هي خالدة » ثم قال : « قل للساهين إن ذوى العقول الكبيرة يحب عليهم العلم وإن اقتصروا على العبادة كانوا صغارا كما صغر النجم في أعين الرائيين جوهرة في قوله تعالى - أو لم نعمركم - الخ . وبيان أن الأطباء يقولون : « إن الانسان يعيش مائتي سنة بالقياس الى الحيوان إذ يعيش ثمانية أمثال مدة نموه ومدة نموه الانسان (٢٥) سنة وأن الأطباء أجعوا على أن ترك الشهوات والتنعم وتقليل الغذاء وإطالة المضغ تطيل الحياة . وهذا تفرؤه في سورة طه في آخرها وفي أوائل الحجر وفي سورة الأعراف عند ذكر الأسراف وفي البقرة عند آية - وإذا استنق موسى - الخ وفي سورة الشعراء عند ذكر قصة إبراهيم

١٣٢ تذكر المؤلف في مدة حياته امتثالا لهذه الآية . الحياة ألم وأمل وعمل وحب وغرام . فالألم كالطوبوع والأمل كطلبنا الطعام والعمل أعداده وتعاطيه وذلك كله مصحوب بحب الطعام والغرام به ومثل ذلك حب المذكور للذات

(١) الرجل والمرأة يتعاطيان الطعام والشراب ثم يكون عندهما ألم بسوقهما الى الاجتماع ثم يعقبه

(٢) أمل بالقرية والأول سائق والثاني شائق

(٣) ثم يكون العمل وهو أنهما يجتازان في ارتقاء وبقاء الولد

(٤) ويدوم بعد ذلك الحب والغرام لهذا الخلق الجديد وهما يجتازان له العمر المديد إذن النهاية

أن سعادة هذا الانسان ترجع الى مساعدة الآخرين

هذه طبيعة الانسان وهذه سعاداته الحقيقية ، وهذه حجتى لأهل الشرق والغرب قاطبة ، ثم إن السوائق والتوائد لم ترها إلا فى الحيوانات العليا فمن الحيوانات الدنيا ما تلد ولا ذكر لها بل هى خنثى . وقد تقم فى هذا التفسير ، إذن وجود الذكورة والانوثة فى الحيوانات العليا دروس وتبرين على الحب أولا وعلى مساعدة الآخرين ثانياً ثم المعرفة العامة ، فيجاوز الانسان هذه المرتبة وليكن عاشقاً لصانع الوجود ليجتز عن هذه الدرجات الثلاث . وأعظم سعادة لتويع الانسان أن يكون كاه كأعضاء جسم واحد وهناك تكون السعادة مضاعفة وهذا زمانها من اتصال الأمم بالسكك الحديدية والقطارات والتلغرافات (البرق) والطيارات لم يتم إلا فى زماننا والانسان لا يمتاز عن الحيوان إلا بهذه الخلقة وهى أن يكون كاه كشجرة واحدة أو كجسم واحد والأمة التى لا تقدر على الاتحاد تلفظ من بين الأمم كلها

١٣٧ ﴿سورة يس﴾ وذكر أنها أربعة فصول : البسملة . تفسير الألفاظ . وتلخيصها . والحجائب العلمية (الفصل الأول) فى تفسير البسملة . وذكر أن اليوم شروق ونحى وزوال وعصر . والسنه ربيع وصيف وخريف وشتاء . والانسان صبي وشاب وكهل وشيخ . هكذا الأمم لها ولادة فتكون طفلاً ينسج على منوال ماحوله وما يشاهده ولها أيام فتوة وقوة ولها أيام انحطاط ولها أيام موت . ولا جرم أن أم الأرض كانت أيام النبوة قد اعترها الضعف وقد هربت الفرس والروم فجاء الاسلام فأحيا هذه الأمم فكانت العربية تدرس تواريخ الأمم وعظم شأنهم فى القرنين الأولين ثم وقفت الفتوحات ليستثمروا مازرعوا ثم صاروا أمة شيخة ثم صاروا أشبه بفصل الشتاء وهاهى هذه الأمم الإسلامية اليوم تريد أن تكون خلقاً جديداً كهوى أو كفصل الربيع فهى إذن تقرأ تاريخ الأمم وهذا التفسير ظهر اليوم فى إبان الصبأ لأمم الاسلام الحديثة . إذن يقرؤون (يس) فيسمعون الله يقسم بالقرآن أن النبى ﷺ من المرسلين الخ كما أقسم بالنجم اذا هوى . ولا جرم أن النجم يهدى فى هذه الحال وكما أن للنجم علوماً هكذا للقرآن علوم وهداية كل منهما تتوقف على العلوم اللازمة له وطرق الهداية الى الصراط المستقيم لا تعدو سنة مسير الشمس فى اليوم وفى السنه . ألا ترى أن فى أول السورة ضرب المثل بأصحاب القرية . ولا جرم أن هذا هو الذى ينشده النبى ﷺ فى أول حياته فهو ينشد أن يقلد من حوله بالمعرفة واذا ضرب الله مثلاً بأصحاب القرية فما أحرانا نحن أن نضرب أمثالا اقتداء به بمأحل بالمسلمين فى الأندلس من تفرقهم عشرين دولة فهلكوا وذلوا . فهذه هى الدرجة الأولى وهى كالتخلية لأنها تتخلى عن الجهل والسكسل ويلبها الدرجة الثانية فهى المشار إليها بقوله تعالى - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها - وهى المرتبة التى فيها تقدم الأمة الإسلامية باصلاح الأرض وأممها ونحن اليوم مقبلون على هذه قرىبا فى مصر والشام والحجاز واليمن ونجد والعراق . فنحن الآن أشبه بالصحاب فى أول أمرهم وقد أخذنا نجد لنصل الدرجة الثانية . وأما الدرجة الثالثة والرابعة فهما يرجعان الى الضعف والفناء وهو المذكور فى آية النفخ فى الصور ثم انقسام الناس فریقین الخ

﴿الفصل الثانى﴾ سورة يس مكتوبة مشكلة الى آخرها

١٤٢ تفسيرها تفسيراً لفظياً من صفحة ١٤٣ الى صفحة ١٤٨

﴿الفصل الثالث﴾ فى ذكر ما كتبت فسرته به منذ سنين وانها ثمان مقاصد : أن النبى ﷺ حق وأن المنذرین صنفان الخ وآخر المقاصد ثلاثة فصول : قدرته على مسخهم . والانتفاع بالانعام . وانبأ البعث بأمور يعاينونها كما ختم السورة السابقة بجوهرتين وياقوتتين

- ١٤٣ (المقصد الأول) يس الخ
- ١٤٣ (المقصد الثاني) - لتندرقوما - الخ
- ١٤٩ (المقصد الثالث) - إنا نحن نحيي الموتى - الى - إمام مبین -
- ١٥٠ (المقصد الرابع) - واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية - الى - محضرون -
- (المقصد الخامس) - وآية لهم - الى - يسبحون -
- (المقصد السادس) - وإذا قيل لهم - الى - ألم أعهد اليكم يا بني آدم - الخ
- ١٥٢ (المقصد السابع) - وامتازوا اليوم - ويدخل معه الثامن بقصوده الثلاثة
- ١٥٣ آيات العلوم في هذه السورة ، وآيات الأخلاق ، وآيات الأحكام
- (الفصل الرابع) في عجائب العلوم التي تشير لها هذه السورة . الياء والسين حرفان إما بمعنى يا انسان في لغة طي أو يا محمد ، وفي سورة (آل عمران) أن الحروف تشير لتحليل الكلمات والعالم المشاهد ليس فيه إلا الحروف والعناصر فالأولى منها الكلمات والثانية منها هذه العوالم ، وكأن الله يقول لنا لعلوم لفظية إلا بالتحليل ولا علوم حكمية إلا بالتحليل كل بحسبه . ويناسب هذا آية - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً - . بهذا يخاطب الله الأتقين . فذكر لهم الأنعام والوبر والصوف والمرخ والعفار وقذح النار منهما ولم يكن الفقه إلا في صدور الرجال فلأنأليف ولا تصديف ولكن القوم ملكوا الأمم فاحتاجوا الى الفقه فدوّنوه وتشعبت المذاهب ولهم الحق في ذلك . والفقه آياته فدللة ولكن العلوم والأخلاق لكل منهما (٧٥٠) آية فكان يجب أن تزيد الكتب المؤلفة فيهما أضعافاً مضاعفة وتكثر العلوم الرياضية والطبيعية
- ١٥٥ علوم الآفاق في مستقبل الزمان في بلاد الاسلام . كان أهل البادية يكفهم من العلم ما حولهم ولكن انتشار المدنية يدعو لكثرة الحاجات فتكون الصناعات ويتبعه أغشية العقول والشهوات فهما أمران متناميان معا : كثرة الحاجات وطلب العقول لازالة الشكوك . ولكن هذان الأمران في الاسلام متروكان فأصبح المسلمون في أقطار الأرض مشهورين بالنظافة من حيث القيام بالوضوء ، ولكنهم جهلاء عند سائر الأمم
- ١٥٦ محادثة بين المؤلف وبين أحد العلماء وإيضاح الظواهر الكيميائية والطبيعية وأن اتقاد النار في الشجر من علم الكيمياء . والتمثيل للظاهرة الطبيعية بالسكر المذاب في الماء والكيمائية بالسكر المحرق فانه في الأول لم تتغير صفاته ولكنه في الثاني تغيرت صفاته . وبيان أني وأنا طالب في الأزهر كانت تخيل لي الأشجار كأنها تتحلل أماي وأنا على نهر أبي الأخضر بالشرقية . وبيان أن اتقاد الشجر ناراً مسألة واحدة من مسائل كثيرة كيمائية . وما النار إلا أن يتحد الخشب والفحم وغاز الاستصباح والبتروك والزيث بمادة الاكسوجين في الهواء فيكون الاحتراق والاكسوجين غاز عديم اللون والطعم والرائحة اذا ضغطناه أو بردناه سال . ومن الاحتراق صدأ الحديد وهكذا يتحد في جسم الحيوان الكربون مع الايدروجين والاكسوجين فيكون احتراق بطيء . إذن فليدرس المسلمون جميع العلوم وأهمها الكيمياء التي تشير له الآية باققاد النار والتعبير بالياء والسين في أول السورة
- ١٥٨ الكلام على الصودا والبوتاسا المشتملين على الصوديوم وعلى البوتاسيوم وانهما داخلتان في شعر القطن وغيره من المواد المذكورة باللغة (١٣) مادة بنسب مختلفة وشرح كل منهما وانهما مادتان ناريتان دخلتا في أجسامنا وفي أشجارنا وحيوانا وفي بارودنا فالبوتاسيوم يتقاد إذا ألقى في الماء ويقرب منه الصوديوم

١٥٩ البارود مركب من النجم والكبريت وملح البارود ويختلف تركيبه باختلاف الدول . وخطاب المؤلف للمسلمين يقول لهم : « الشجر اتقد نارا ولكن الصوديوم والبوتاسيوم اتقدا نارا في الماء ، فبما أعجب من اتقاد النار من المرخ والعنار ، فهذا اتقاد في ماء وذلك في شجر » ثم تلخيص المقام في خمسة أمور ١٦٠ (فائدة) في ذكر المركبات التي تتكون منها النيران الخضراء والجرأ والبنفسجية . والكلام على ملح الطعام وانه مركب من الكلور الذي يحدث السعال ويهيج الأغشية ويميت ومن الصوديوم الذي يتقد نارا في الماء و يضع فوائده ، ويدخل في الكلور المركب المسمى بالماء الملكي الذي يذيب البلاتين والذهب

الكلام على بعض العلوم الرموز لها بالياء والسين ، اننا لم نسمع العربي يقول : « يس قفا نيك الخ » وهذه الحروف أتيج لنا تفسيرها ، وقد فكر قلنا قوم فيها بحسب زمانهم فلنا فكر بحسب زماننا ، ولا جرم أن التحليل يتدخل سائر العلوم ، وذكر أن علم الكيمياء فرض كفاية

١٦٣ بيان أن المؤلف خطر له منذ ليلتين خاطر قوى أن الدورة الغذائية في الأجسام الانسانية من سر (يس) فهذه الدورة تبتدىء بالقواطع والأسنان وأنواع الريق والبنكر يابس والمعدة وعصيرها والامعاء وعصيرها وهكذا . كل هذا تحليل ويس فيها سر التحليل . وهكذا الدورة التنفسية ١٦٤ لطائف هذه السورة

اللطيفة الأولى : في هذه اللطيفة « فصلان في الفصل الأول » في قوله تعالى - يا ليت قومي يعلمون - وذكر حكاية من كتاب « اخوان الصفاء » إذ ذكروا أن جماعة نزلوا سفينة فكسرت المركب فوصلوا الى جزيرة فيها قروء فأنسوا بها وتزوج الشبان منهم وولدوا ثم تذكروا بلادهم فصنعوا سفينة وبينها هم كذلك إذ انقض طائر على أحدهم فاخطفه وردّه الى منزله فهم يبكون عليه وهو يقول يا ليت قومي الخ

١٦٥ (الفصل الثاني) في معنى .. يا حسرة على العباد - واحالة الأذكاء على المذكور في معنى الاستهزاء في (سورة التوبة)

(اللطيفة الثانية) في غمر الأرض ونقصها المستمر والكلام على الراديو وعلى مدة عمر الأرض ١٦٦ (اللطيفة الثالثة) - والشمس تجري مستقر لها - والموازنة بين سرعة النور والقبلة وسرعة الأرض وسرعة الطائرة الفرنسية والأمريكية والمائية والأتوموبيل والرجل في مشيه والحلزون ونمو الشجرة . فبينما نرى الضوء يجري حول الأرض أكثر من سبع مرات في الثانية نرى الشجر ينمو (٢٧) من عشرة آلاف مليون جزء من اليارده في الثانية الواحدة

١٦٧ ركوب الريح أو الطيران خمسة أميال في الدقيقة . إن الطيارين يؤملون أن يطبخوا (٦٠٠) ميل في الساعة الخ (شكل ٣٥) فيه صور الزورق والقطار الكهربائي وهكذا

١٦٩ (شكل ٣٦) بيان لأسرع الأشياء . هل بلغ الانسان أقصى سرعته في البر والبحر ؟ أسرع قطار يجري (٦٨) ميلا في الساعة . وأسرع قارب (٩٣) ميلا . وأسرع سيارة (٢٣٢) ميلا في الساعة . وأسرع طائرة ٦٩٣ ميلا في الساعة . ويطلق أن السرعة ستبلغ (٥٠٠) ميلا في الساعة الى ألف وهو مبالغ . وقد كشفوا ذباية سرعتها (٨١٥) ميلا في الساعة أو (٣٦٠) مترا في الثانية . والعلم يحكم أن الانسان لا يستطيع أن يقود سيارة تجري (٣٠٠) ميلا في الساعة لأن سرعة أعصابه في توصيل الاحساس أقل من ذلك

١٧١ علم الفلك ودراسة الفلك فيما وراء البحار . إن أرضنا وشمسنا وكواكبنا كانوا متجانسات من حيث تركيبهن من الأنوار الكهربائية (الكثرونات) وهذه دارت عناصر والعناصر عرفت بأضوائها ، أدرك نظرك في الوجود فلا تجد إلا تشابها ، ألم ترى تشابه النارات القديمة في ضوء تلك وكيف ظهر أن أهل أمريكا الأصليين قد عثر الباحثون اليوم في أخلاطهم على حساب الزهرة والشمس والقمر والكواكب وكيف عرفوا تقويم الشمس وذلك في بلاد المكسيك وكيف ظهرت لهم كتابات هيروغليفيه وحساب منظم ، وكيف عرفوا الصفر قبل معرفة أهل الهند له وذلك كله لأمة اسمها (المانا) وقد أحرق الأسبان كتبهم أيام دخول بلادهم ولم يبق منها إلا ثلاث كتب لا غير

١٧٣ (شكل ٣٧) خريطة البلاد التي نشأت فيها حضارة المايا وازدهرت وقد عرفوا السنة الشمسية والقمرية والشهر القمري بالدقة والتقويم اليولياني ليس أفضل من تقويم المايا كثيرا فتقويمهم منذ ألفي سنة لا يبلغ الخطأ فيه أكثر من يوم في ٣٣٣٣ سنة والتقويم القمري لا يزيد الخطأ فيه عن يوم واحد في ٣٠٠ سنة وعرفوا دوران الزهرة والريخ والمشتري وزحل وعطارد ، وتقويم الزهرة جعلوه ضابطا لتقويم الشمس والقمر وقد استنبطوا الصفر في الحساب قبل أهل الهند بألف سنة وأهل الهند لم يستنبطوه إلا في القرن السادس أو السابع بعد الميلاد ، إذن الأمم تشابه في الحساب وان لم تجتمع

١٧٥ (تذكرة لأمة الاسلام) وههنا تذكرة بعامر في سورة يونس في أولها من صور مصر بومة فلاسكية وبروج ومجانب الاهرام ونسبة ارتفاعه ومحيطه الى محيط مدار الأرض حول الشمس ، وكيف كان أسن القنطار والأردب والمساحة الخ وكيف رسم ذلك على صناديق الموتى . وكيف حظى أموات المصريين بهذا العلم وجهله أحيائهم وأحياء أمة الاسلام ، وكيف جهل المسلمون أن محمود الغزنوي قد أحضر البيروني في ديوانه وأظهر علم الفلك في دولته ، وأن هولاكو المغولي أحضر نصير الدين الطوسي الفلكي في ديوانه ، وأن الخان كوبلاي أحضر في ديوانه جمال الدين الفلكي ونقل علوم العرب وأن الطوسي المذكور أصلح خطأ الفلك في حساب الروم والسند وماوراء النهر وصار إماما عظيما فيه ، وكتاب (السند هند) ليس فيه إلا مسائل ابتدائية في الفلك ، ولقد منى المسلمون بأثم أزالت عنهمهم ومنها الترك إذ دخلوا مصر وأعدموها منها العلوم والصناعات وبقيت كذلك الى أيام محمد علي باشا . ولقد تعاهد على جهل المسلمين الملوك الفاتحون ورؤساء الدين الجاهلون ، وتجد بعض ذلك في آخر سورة ابراهيم وفي سورة الكهف ، ولقد أنشأ آباؤنا أربع طرق موصلات ما بين الشرق والغرب بواسطة علم الفلك والجغرافيا عجائب الحرارة والضوء في قوله تعالى - وآية لهم الليل نسلخ منه النهار - الخ وفيه بيان أن أمواج النور من (٤٠٠) الى (٧٠٠) مليون مليون في الثانية . فهذه الموجات تسليخ من الليل هكذا الاكسوجين يسليخ من الاودروجين وهذا يتحد بالاوزوت فيكون النواشادر . فلاودروجين بطريق الكيمياء تسليخ من الاكسوجين واتحد بالاوزوت فكان له في كل موطن حكم . إن الناس اليوم يريدون أن يسليخوا الحرارة من الضوء فترجع كلها ضوءا وهناك شمس لحرارة لها مثل ما يتخيله الناس الآن هنا في الأرض

١٧٩ (الكشف الحديث في الحرارة والضوء) في كاليفورنيا بيليسكوب قطر عدسته (١٠٠) انش فأبرز نجوما عددها (١٥٠٠) مليون نجم فكيف يعرف الناس من النجوم بيليسكوب قطر عدسته (٢٠٠) انش وهو الذي يصنعونه الآن . إن بعض النجوم يصل ضوءها اليينا في (١٤٠) مليون سنة ويتكهن بعضهم أن أضواء غادرت كواكبها منذ (١٠٠٠٠٠) مليون سنة سوف يراها الناس وكما أن هناك

شموسا باردة فهناك شمس حرارة مقدار الحصة منها تسوى الانسان على بعد ألف ميل . وباليث شمرى
عن هذه قطعة من جهنم ، أم ما شئ تلك لشموس ؟

١٨٠ بهجة العلم في المبصرات والمسموعات من حيث الفلك والموسيقى والشعر وغناء الأطيوار وعمل في الحقل
وعواظي فيه ، فلعمل في الحقل لا سبع فوائد لأجل العلم مثل استنشاق الهواء وتقوية العضلات
وهكذا . وكيف كانت الفصة التي قصها لي والذي بشأن أسرتنا وسعادتها قديما قد ذكرني بأن السعادة
في السموات أبدع وهكذا غناء المغنيات الحاذيات لي في الطريق حولته نفسي الى سعادتي لأنهن يلعبن
وأنا مسافر الى الأزهر وهذا مجد خالد وذلك في شباني . أما بعد ذلك فاني سمعت الموسيقى في عرس
فانتقلت نفسي من حالها الى حال أخرى كأنها تصدح لي أنا وأن مقصدي في نشر العلم أمر لاشك فيه
١٨٢ وهكذا بكاء النائمات على عظيم قريبا حولته نفسي بسرعة ليالى ذوات عدد الى البكاء على الجهلي
بهذه النجوم

١٨٣ ﴿ بهجة البدر ﴾ تم لما تقدم في سورة فاطر إذ خيل لي انه يخاطبني قائلا : وإن أناسا سيقفون
موقفك هذا ويمتنحون نفوسهم عن أحسوا في أنفسهم ما أحسسته أنت ؟ ويرون أن الجوزاء مقدار
الشمس (٢٥) مليون مرة والكواكب كثيرة العدد فكيف اختصت أرضنا بأن الله له فيها ولد وحدها
١٨٤ وهكذا منظر النخلات اللاتي كالأقباب الخضرو هي أشبه بالراقصات والنجوم تلمع من خلالها ومنظر
النجوم الباسمات للحكماء مرسلات من الحضرة القدسية لرفعن نفوس أقوام في الأرض ليصيروا في
الملا الأعلى والموازنة بينهم في تبسمهم للحكماء وبين تبسم المعشوق للعاشق فيديه هذا بذلك . فليكن
سرور الحكماء بما لا يتناهى من الباسمات النجمية وتكن سعادته لانهاية لها فوق سعادة العاشق المذكور
وهكذا لما سمعت صوت (الفونوغراف) وبه خطاب الفتاة لأبيها تطاب منه أن يكرم خطيبها وذلك
في حال مشيبي حولت هذا الخطاب نفسي الى اني أنا الخطيب والحكمة مخطوبتي وهي تخاطب الله لأجلى
١٨٥ علاقة النظام السياسي بالنجوم والحساب والهندسة والتمرين العضلي والموسيقى . في جمهوريه أفلاطون
ان اليقين لا يكون إلا بالعقل ولا بد من معرفة صورة الخير الجوهرية (الله) وفي طريق الفيلسوف
عقبتان : عقبة في أيام التعلم . وعقبة أيام تعليمه الناس . ففي الأول يجاهد حتى يعرف وفي الثاني يكون
أشبه بمن كان في نور فأراد دخول الظلام . والرياضة البدنية متعلقة بالجسد الفاني والموسيقى تهذب
الأخلاق ان اعتدلت والا كان الفسق وعلم الحساب لا بد منه لأنه يدخل في كل علم ثم الهندسة السطحية
ثم الهندسة المجسمة كالمكعب والكرة ثم علم الفلك . وهناك نسبة بين علم الفلك وعلم الغناء باعتبار
حسبهما . فلندار على نظام الحساب لأعلى طواهر الأغاني ولأعلى أشكال النجوم أو معرفة الشهور
والأيام . وإذا كانت مباحث الفلك في السنين الكبيسة والبسيطة وحساب الخسوف والكسوف وفي
الفصول الأربعة وفي سير القمر . كل ذلك بحساب منظم وهي دوائر منتظمة مشروحة

١٨٩ فهكذا نجد علم الشعر أرجعه الخليل بن أحمد الى خمس دوائر اشتملت على (١٥) بحرا من الشعروهي
كدوائر الفلك التي شرحت هنا شرحا كافيا وهذه الدوائر في صفحة (١٩٠) وما بعدها ولا يخرج فن الغناء عن
الشعر لأن الاصول واحدة إذ ترجع الى وتد وسبب وفصيلة وبين النغمات نسب . ولقد تجد ما يسمى
بالمخوري في علم الموسيقى هو هو نفسه المسمى في علم الشعر بمخراطويل المذكور في الدائرة الأولى
من دوائر الخليل وهو هو نفسه صياح الفاخنة . إذن الشعر وغناء الطير وعلم الموسيقى كلهم ترجع الى
الحساب . وليس المدار في الموسيقى على النغمات الظاهرة ولا في علم الفلك على جمال النجوم ونتائج

حسابها . كلا . بل المدار على معرفة النسب والنظام في القسمين والافالجلد المتقوس في جباله كالفلك في أنواره اذا وقفنا عند المحسوسات

١٩١ شواهد بحور الشعر وأوزانها مختصرة كالطويل والمديد والبسيط في الدائرة الأولى وكالوافر والكامل في الثانية وكالزج والرجز والزل في الثالثة ، والدائرة الرابعة فيها السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث ، والخامسة فيها المتقارب ويتبع ذلك شواهدا وبعضها لا يستعمل إلا مجزوا كالضارع والمقتضب والمجتث والمتقارب له الدائرة الخامسة ، وبهذا تم الكلام على دوائر العروض للتحليل المشبهة للدوائر الفلكية والموسيقية ، ولابد من اتمام الكلام على الفلك بالكوكب الجديد الذي به صارت السيارات تسبح حول الشمس وهذا بعد نبشون وقد كشفت في هذه الأيام

١٩٦ واذ تم الكلام على الكواكب وسيرها وما يشبه سيرها أتبعناه بالكلام على بعض توابع السيارات وهو القمر وبيان أشكاله الثانية مرسومة مشروحة

١٩٨ الضوء الرمادي للقمر وبيان أنه بسبب ضوء الشمس المشرق على الأرض المنعكس منها على القمر كما أنه هو يضيء عليها وضوؤها الذي نراه على وجه القمر رماديا أكثر من ضوء القمر على الأرض ثلاثة عشر ضعفا فأكثر لكبر حجمها . المنازل والبروج وأن السنين الشمسية ظاهرة عند الزوم والسريران والقبط في حسابهم وأن ذلك الحساب يسرى على الزرع في الأرض ونظام أعمال الحياة ، فالديا كلها أشبه بجسم واحد سماؤها وأرضها

١٩٩ (الكلام على حساب الشهور القمرية) وذلك من كتاب «صبح الأعشى» وذلك أن تعد الأشهر من المحرم مع شهر ك الذي تريده وتقسم العدد نصفين وتضيف نصفا الى العدد وهناك تبدى من اليوم الذي كان أول يوم في شهر المحرم وتعد منه فالיום الذي يقع العدة عليه يكون هو أول ذلك الشهر وان كانت الأشهر غير زوجية وقسمتها فاجبر النصف وسر في العمل وتفعّل كما تقدّم (١) ولك أن تظن في الثالث من أيام النسيء القبطي ما عدد الأيام التي مضت من الشهر العربي فتجعله أصلا (٢) وأضف على هذا المفعول لكل شهرين قبطيين يوما واحدا واجبر الكسر ان كان (٣) وزد على المجموع يومين أبدا (٤) وانظر كم مضى من الشهر القبطي الذي أنت فيه وضعه الى ذلك واسقط ذلك كله ثلاثين ثلاثين فما بقي فهو عدد ماضى من الشهر العربي الذي طلبته ومنه يعرف أوله

٢٠٠ وهناك حساب آخر من العقد الفريد للملك النسيء وذلك بقسمة السنين الهجرية مع سنتك على ٢١٠ وباقي القسمة عشرا تراجعه الى العشرات في الجدول وأحاده تراجعه الى الآحاد في الجدول وهناك أنزل في الجدولين معا الى أن يلتقي الأصبعان معا في بيت ثم ينظر في اتمام العمل بالجدول الثاني وهو سهل

٢٠١ الجدول الأول

٢٠٢ الجدول الثاني الذي فيه المقصود

٢٠٣ العلم أعلى السعادة فانه أظهر لنا أن حساب الفلك والعروض ونعمات الطيور كلها من واد واحد الخ (بهجة العلوم) وأن أصحاب العلوم ثلاث درجات : قوم وقفوا عند الظواهر . وآخرون رجعوا الى الحقائق . وآخرون صعدوا الى ما وراء ذلك

٢٠٤ وهل أتاك نبأ الحساب في الشعر وانه نسب عجيبة هندسية بحيث اتنا اذا نسبنا ربع بيت من بحر الطويل مثلا الى البيت كله كانت هكذا نسبة ٧ الى ٥ كنسبة ٢٨ الى ٢٠ وضرب ٥ في ٢٨ يساوي ضرب ٧ في ٢٠ وهكذا بقية البحور والنسب . واذا نظرنا الى العلوم الطبيعية وجدنا نفس هذا الحساب في

العناصر الداخلة في المواليد وتزيد تلك المواليد بمجانب أبداع من هذه مثل ان المغنيسيوم والحديد والحبر والكبريت . أولها يتقوى العضل وينبع الفلق . وثانيها يجعل الدم أحمر وينع فقر الدم . وثالثها يغذي العظم ويشفي الجروح . ورابعها ينظف الدم وينع أروماثرم . ولقد فرقت عنى العناصر فكانت هذه الأربع مجموعة في الضمائم والسباح ومفرقة في غيرهما ، وتزيد السباح منافع أخرى ﴿لطيفة الخامسة﴾ في آية - سبحانه الذى خلق الأزواج كلها - الخ . ويان أن المادة ليست شياً سوى حركات أحدثت أضواء فتراكت بحسب ما تحس به قسمينها أرضين وسموات وغيرها فإلها طرفن طرف منه ينتهى الى الحركات والنور وآخرتهن الى حواسنا فيظهرها بهذه الهيئات . إذن هذه صنعة محكمة لا غير والصناع الماهرون من بنى آدم يحلّ قدرهم الناس ويرون منزلهم عالية مثل (اديسون) مخترع الآلة الحاككة التونوغراف الذى له (١٤٠٠) اكتشاف تفع العالم بها ، فهو لا يجد وقتاً يقابل فيه الناس . فإذا كان هذا العالم المخترع للصباح الكهربائى وغيره أعظمه الناس فما بالتأبى من اختراع أجهزة ضوئية في نفس أوراق الشجر فلورقة الواحدة من الشجر قد تنوى البوصة المربعة فيها (١٢) حجرة أو (٢٤) أو أكثر الى ألف الى مليون ونصف مليون كلها حجرات حيطانها شفافة مسقفة بذرات شفافة أيضاً لآلونها وليس يتخلل تلك السقوف إلا الهواء وتلك الذرات التى صنعت منها هذه السقوف أشبه باللسان التى تنهى بها بيوتنا في النظام والترتيب وفي كل حجرة سائل يحمل مادة ملونة تحدث أشعتها خضرة تظهر على وجوه الأشجار والزروع فيظن الناس الأشجار والزروع خضرات وماهى بخضرات إن هو إلا انعكاس عن تلك القناديل الخضر العائمت في سوائل تلك الحجرات ومثل هذا يقل في الألوان الأخرى . وتلك القناديل الخضر في تلك الحجرات تعاون ضوء الشمس في اجتلاب السكر بون من الهواء ليدخل في فتحات الورقة فيدور فيها ويخلص من الأكسوجين فيرجع الأكسوجين ثانياً الى الجو ويبقى الفحم في جسم النبات فيغذيه ويصير نافعا لنا غذاء ودواء وكهة والأكسوجين الراجع الى الهواء يدخل في رئاتنا مع أنفاسنا فيصلح الدم ونعيش نحن بهذه الأعمال العجيبة فكأن النبات زبال الهواء . فانظر إذن الى ورقة فيها الحياة (شكل ٥٠)

٢٠٧ ورقة جافة وورقة تظهر الهيكل الأصلي . ثم انظر قطعة من ظاهر الورقة تظهر فتحاتها وأخرى مقطوعة عرضاً (شكل ٥١) و (شكل ٥٢)

٢٠٨ ثم تأمل في شرحها مثل ان فيها ما يشبه العمود الفقرى وحوله فروع كالأضلاع وهذه الفروع تدق شيئاً فشيئاً حتى تكون في تلك الحجرات أشبه بقوابل لما هو داخل تلك الحجرات فتحفظها من التفرق وهى تتلقى الغذاء من الفرع والفرع من الفصن والفصن من الشجرة والشجرة مما حولها . فهذا الهيكل كهيكل الحيوان سواء بسواء وكهيكل نفس الشجرة في كثير من الأشجار . ألا ترى أن الورقة الساقطة من الشجرة كثيراً ما ترى شجرتها صورة مكبرة لها كما أن الدنيا كلها صورة مكبرة للإنسان فهو كورقة والعالم كشجرة وإن يعرف هذا إلا من قرأ هذا المقام موضعاً في ﴿سورة السجدة﴾ إذ جاء هناك أن الانسان كهيئة العالم . ثم إن زوايا الورقة مع فروعها هى بعينها زوايا الفروع مع الأغصان وزوايا الأغصان مع نفس الشجرة . فهذا معناه أن الورقة شجرة مصغرة كما أن الانسان عالم صغير

٢١٢ خطاب الورقة للمسلمين تقول لهم : «إن الناس لما فهموا مصايح اديسون عظموه أما الناس فأنهم جهلوا مصايح الله لأنها تجهز جميع الناس أن يصنعوا مثلها سواء أكانت كبيرة كالشمس أو صغيرة كالقناديل المعلقة في تلك الحجرات في الورقات اللاتى تعد بالآلاف الآلاف . لذلك لا يعرف جلال الله

ويسبح بحمده تسبيحا عقليا إلهيا أو حكيم وسواهم مقلدون
٢١٤ ومن عجائب خلق الأرواح كلها النعامة والغورلا وعجل الكودو والريها وآكل النمل والنمل الضعيف
قاتل الحية وشامليون عجيب وسمك الفردوس ، وكيف يتنقذ هو بيض الأنثى ، وكيف يرخم هو على ذلك
البيض بدل الأنثى التي تريد أكله لانتزاع الرحمة من قلبها ، وكيف امتحن العلماء كلبا في جامعة
كلومبيا . ومن أعجب ما تراه اختلاف رؤس الحيوان كالبطة والصقر المتوج والتوكان والطاووس وبشروش
ودجاجة غينا وإيس وجل الماء ، فكل هذه مخلوقات عجيبات مرسومات في الأشكال من (شكل
٥٣) الى (شكل ٧٤)

٢٢١ الكلام على آية - ونكلمنا أيديهم - الم - الخ وأن الذي (ناروكا رايستي) الياباني أحب فتاة يابانية وهي
تبغضه لشربه الخمر فقابلها في مدينة (توكيو) فانقض عليها فقتلها وألقى الخنجر في ناحية وفر تحت
جناح الظلام ، فلما رأت الشرطة ذلك الخنجر بحثوه بالآلات المعظمت فأنفوه قد ترك بصمة إبهامه
عليه فكبروها وحفظوها وأخذوا صورة الفتاة وحفظوا كل شيء ، وهذا الإبهام أخذوا يوازنونها بما
لديهم من الأصابع المصبومة في دفنهم فلم يجدوها وأخذوا يبحثون عن الأشرار فوجدوه بعد (١٧)
شهرا يشرب الخمر وأخذوا بصمة إبهامه وهو غير مكترث لأنه ليس له بصمة عند الشرطة فوجدوه مطابقا
للبصمة التي كانت على الخنجر ، هنالك أيقنوا أنه ذو القاتل ، فإذا كانت هذه حال الأيدي في الدنيا
فما بالآلة بالآخرة فهاهي ذه تكلمت في الدنيا بأفصح من الألسنة ، بل إن عالما ألمانيا أسلم لما قرأ في
القرآن - بلى قادرين على أن نسوي بنانه - إذ قال هذا العلم المقصود به خطوط الأيدي والبنان ولم
يظهر إلا في هذا الزمان فهذا دليل على أن هذا كلام الله حقا

٢٢٤ حوادث النطق بلا لسان رواها قوم ، فهناك فتاة في انكلترا قطع لسانها فصارت تنطق بغيره وبعض
المبشرين قطع لسانه فصار يعظ الناس بلا لسان

٢٢٥ آية - ومن أعمره تنكسه في الخلق - وبيان أن تنكيس الخلق الذي يكون في هذه الأيام سببه
جهل الناس بالصحة والا فلانسان اذا قسنه بالحيوان كانت حياته (٢٠٠) سنة لا (٧٠) سنة لأنه يتم
خلقه في (٢٥) و يضر بها في (٨) يسير مائتين وهو في ذلك كالكلب الذي يتم خلقه في سنة ونصف
فيعيش (١٢) سنة والحصان الذي يبلغ أشده في (٣) سنين فيعيش (٢٤) سنة من ضرب (٨) في (٣)
فلماذا لا يعيش الانسان مائتي سنة ؟ ولما انحطت قوى الانسان من جهله بالغذاء والصحة أخذ الأطباء
يحاولون له مثل الاستاذ فورونوف الذي يقول : « إن الانسان يمكنه أن يعيش ١٤٠ سنة وذلك انه
أخذ عددا من حيوانات فلقح بها حيوانات أخرى فرجع الهرم منها شابا صحيح البدن نشيطا قويا ولم
يقتصر على عمليات قليلة بل أوصلها الى (٦٠٠) عملية كلها نجحت ، ولم تنزع الغدة من الحيوان الذي
نشط بسببها رجع ضعيفا فأيقن بذلك ولم يجد بدا من المحافظة على (النسانيس والغورلا) وهاذا
النوعان أقرب الى الانسان ، فلنطعم بغدد هذين النوعين يجعل من الناس من يعيشون أكثر من
مائة سنة . ويقول : ليس القصد أن يعيش كبار السن بل القصد أن يعيش طويلا أولئك الشبان
الأذكاء لينتفعوا للإنسانية المسكينة مستقبلا باهرا ويكون الفضل في ذلك لأنواع النسانس ونحوه وقد
أجابه لحفظ النسانس والغورلا ملك اسبانيا ورئيس جمهورية فرنسا »

٢٢٦ كيف كان من الناس من عاش مائتي سنة في زماننا وهورنجي ، وجون بافر البولندي عاش ١٧٥ سنة
وهنري جنكسن الانجليزى عاش ١٦٩ سنة وهكذا فهذا شبه دليل لقابلية الناس لطول الحياة التي يريدها

(فورونوف) ويقول نابليون : « إن الأدوبة لا تفيد شيئاً فالحجبة والاستحمام بالماء الساخن نافعة ولنترك البنية اصانهم الحكيم . فأما فتحها والبحث في داخلها فكم أهلك أناساً وكان له المصم بعلم الطب وصايا طفل يخاطب ولديه أن لا يشدوا عليه اقماط في السنة الأولى وأن ينظفوه ويفسلوه كثيراً في السنة الثانية ، وأن يمنعوا تقبيل فمه في الثالثة ، وأن يخرجوه في الهواء الطلق في الرابعة ، وأن يبعدوه عن قرناء الدوء في الخامسة ، وأن يكون في مدرسة نافعة في السادسة ، ويتبع هذا الكلام على أطول الحيوانات عمراً من الانسان كالسلاحف والفسر ونوع من السمك وهكذا ، وهنا كلمة شفيق باشا المعاصر لنا بمصر وأنه عاش الى الآن سبعين سنة نشطا وأن سبب ذلك انه لا يشرب الخمر ولا يدخن ويأكل ما هو بسيط ويذام على الحشون ولا يفرط في شئ من اللذات مطلقا ولا يشرب القهوة إلا نادرا جدا مع الألبان وأنه رأى رجلا من جيرانه يحمله الخفراء على أيديهم بالليل وهو سكران فاشعأز من الخمر واجتنبها احتقارا لها

٢٢٧ (اللطيفة السابعة) في قوله - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً - وههنا رجعنا الى أصل المادة وانها نقط ضوئية صارت في أعيننا شجرا وجرا الخ ولكن في كل شئ نراه ناراً مخبوءة ولم يعطها الله لنا لنتخرجها إلا بالبحث فبحثنا عنها في الشجر والحجر ، وكلما ازدادنا بحثا زادنا منها حتى أصبحت الآن في الكبريت فوق أعواد تظهر لنا النور حالا بأقل حكت في ملح البصر ، والنار رآها موسى فطلب القبس وطلب هاديا يده على الله كما جاء في بعض التفاسير

٢٢٨ (شكل ٧٥) ابيان أول طريقة لاختراع النار ظهرت بين سكان جزائر المحيط الهادى إذ يقف ستة رجال أشداء بخشبة عظيمة فيزاولونها زمانا طويلا بالضرب بها في غيرها فتحصل النار من شدة العرك وهذه عادات أبقاها الله لنا لتعرف تطور العلوم والمعارف كما أبقى بعض عاداتهم مثل ما في (شكل ٧٦) إذ تضع الأرمل على جسمها وشعرها طينا وجبسا حزنا على زوجها وهكذا أسلحتهم الحجرية (شكل ٧٧) لتعرف الآن كيف تطورت الأحوال الاجتماعية ، وهكذا الفارس الذى هو فى حاشية أحد الرؤساء هناك وملابسه كلها من ورق شجر الموز وذلك أشبه شئ بلباس آدم وزوجه . إن هذه النار فى الآية تذكرنا بطريق الاستنباع بالنار التى تخيلها أفلاطون فى جهنم بته إذ تصور أن الناس جميعهم أشبه بمن عاشوا فى ظلام فى كهف ووراءهم سزر وأمام السور نار وهناك أناس يعملون صور النبات والحيوان الخ وهم يمشون بين السور وبين النار فارتسمت الصور على حائط الكهف أمام أعين أولئك الجالسين فيه وهم جميعا لم يروا ما خلفهم من الحائط والسائر والنار فسموا تلك الأشياء بأسماء ولكن قام من بينهم رجل ففكر وترك المغارة وأخذ يمرن نفسه على رؤية النور شيئا فشيئا بحيث يرى صور الأشياء فى الماء ثم يرى النجوم ليلا ثم القمر ثم الشمس ، هنالك يعلم أن الصور التى على حائط الكهف ليست حقائق وأن النار ليست شيئا فالحقائق انما هى الشمس والقمر والأربعة وجع الحيوان والنبات ، ومن هناك قل إن النار ضرب مثل الشمس والشمس ضرب مثل اصانع العالم وأهل المغارة هم جميع الناس والفلاسفة والحكماء أشبه بالرجل الذى خرج من المغارة فاذا رجع الى أصحابه وعلمهم فانه ينصب ويتعب فى تعليمهم كما تعب وانصب فى أيام تمرته على مشاهدته الأنوار ، فهناك مجاهدة فى مقابلة انور بعد الظلام وههنا مجاهدة فى الدخول فى الظلام بعد النور ولكنه يكون أرقى من سكان المغارة فيعلمهم هذا شأن كل حكيم فى هذه الأرض

٢٢٩ تذكرة فى قوله تعالى - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً - الخ عند صلاة الصبح . خطاب لله تعالى وأن نار المصابيح تشتمل على (٩٦) فى المائة حرارة وعلى أربعة فى المائة ضوءاً وأن من الناس

من يريد أن يعكس الموضوع فيزيد الضوء جدا فذكرنا هذا ما علمه الناس حديثا من شمسك التي لاجل الحرارة فيها بل هي ضوء فقط ، أنت جعلت النار تذكرة لنا ومتاعا لمن يكون في الصحراء ، إذن النار فيها الهداية بالتذكيرة والانتفاع بالحرارة . إذن هي كما تعطينا هداية تعطينا دفئا وهي التي تثير الماء من البحر فيجعله الهواء الذي تحرك بنفس الحرارة

٢٣٢ اللهم إن شأن النار عظيم . فإن كانت حسية معتدلة كان بها خروج لبخار من البحر وجوى الهواء وحل السحاب ونمو النبات والحيوان والانسان . وإن طغت ولم تكن معتدلة أُنارت الأعاصير وأهلك الحث والنسل وخربت المساكن والمدن والحقول وأُنارت بالأجسام الأمراض من الحصى والجذري ونحوها وهكذا يفعل الماء في الناس والحيوان فإنه إن اعتدل كان سبب الحياة وإن خرج عن الاعتدال كان الغرق والطوفان والهلاك في الأرض وكان الزكام والسلّ وجميع الأمراض الباردة . وهكذا في عتولنا نرى الحسد والغضب والحب المفرط كلها مهلكات وهكذا الإفراط في اتباع الشهوات كتعاطي التبغ والأفيون وغيرهما . فهذه لذات لارحة عندها ولاشفقة تظني على النفوس طغيان النار والماء على القرى فإن اعتدلت انتظمت بها الأفراد بالصحة والجماعات بالحب واعتدال المطالب فأما نفور الجماعات فقصده الأسمى توزيع الناس على سطح هذه الأرض جلبا للمنافع وهذا محمود والخروج عن هذا طغيان

٢٣٣ التمس فرعان وهما الحرارة والضوء الخ . وهنا تفصيل لذلك (٢٠) نوعا مثل أن الضوء معنوى وحسى والحرارة معنوية وحسية وهكذا وهذا التفصيل كله من أسرار ما جاء في ﴿سورة طه﴾ وفي ﴿سورة الواقعة﴾ من وصف النار بأنها متاع وانها هدى الخ

٢٣٤ الكلام على التشويق في - وهل أُنالك حديث موسى - وبيان التمس والهداية وأن الأول اصلاح مادي والثاني اصلاح عقلي وكل نظام يرجع الى هذين وهذا هو كل شيء . فأما شعر الشعراء وكلام صغار العامة والبلغاء فهو قليل الفائدة وإن كانت حكاية الطائر مع ابن الملك والجرد مع السنور قد أفادنا حكمة في كتاب ﴿كامله ودمنه﴾ فكيف يكون القرآن

٢٣٥ آثار آية - لعل آتيكم منها بقبس - عند فلاسفة اليونان . وأن أفلاطون ذكر النار في المغارة وجعلها مثالا للشمس والشمس رمز الله الخ

٢٣٦ وهنا ذكر المغارة ومن فيها وإيضاحها بعض الايضاح

٢٣٨ اتمام الكلام على حرارة الشمس

﴿اللطيفة الثامنة﴾ في آية - فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء -

٢٣٩ (شكل ٧٩) السديم الأكبر

٢٤٠ السديم الأكبر في برج الجبار

٢٤١ ايضاح لما سبق